

فُصُوصُ الْحِكْمِ

لابن عَرَبٍ

تَعَالَى

سَمَاعَةَ آيَةِ اللَّهِ الْعَظِيمِ الْإِمَامِ الْخَمِينِ

فِصْوَصُ الْحَكِيمِ

لَا بَنَ عَمْرٍ فِي

تَقَالِيهِ

سَمَاعَةِ آيَةِ اللَّهِ الْعَظِيمِ الْإِمَامِ الْحَمِيدِ فِي

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م



للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - حارة حريك - ص.ب. ١٤/٥٤٧٩
ت. ٠٣/٢٨٧١٧٩ - تليفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الناشر

يمثل الكتاب الذي بين يديك عزيزي القارئ أو الباحث كنزاً ثميناً، لاحتوائه على ثلاثة عناصر هامة جداً .

العنصر الأول: كتاب فصوص الحكم للشيخ أبي عبدالله محيي الدين محمد بن علي بن العربي المتوفى سنة ٦٣٨هـ، والذي يعتبر في نظر أهل العلم والعرفان من أدقّ المتون العرفانية وأعمقها^(١).

العنصر الثاني: تعليقات قائد الثورة الإسلامية، ومؤسس الجمهورية الإسلامية في إيران، الإمام روح الله الموسوي الخميني قدس الله ثراه الطاهر على شرح (فصوص الحكم) لداؤد بن محمد الرومي القيصري .

العنصر الثالث: تعليقات الإمام الخميني (قده) على كتاب (مصباح الأنس بين المعقول والمشهود في شرح مفتاح غيب الجمع والوجود) وأصل الكتاب لأبي المعالي صدر الدين محمد بن إسحاق القونوي، والشرح لمحمد بن حمزة بن محمد .

ولأن تصدى العديد من العلماء والعرفانيين لشرح^(٢) كتاب (فصوص

(١) يشير العلامة آقا بزرگ الطهراني في كتابه (الذريعة إلى تصانيف الشيعة) طبعة دار الأضواء، بيروت، ج١٦، ص ٢٣٥ إلى أن الشيخ ابن العربي أخذ اسم كتابه (فصوص الحكم) الذي ألفه بعد سنة ٦٣٧هـ من كتاب (فصوص الحكم) في الحكمة لأبي نصر الفارابي .

(٢) انظر (الذريعة إلى تصانيف الشيعة)، طبعة دار الأضواء، بيروت، ج١٣، ص ٣٨١، وج١٦، ص ٢٣٥.

الحكم)، يعد شرح القيصري من أهم الشروحات وهو الذي - كما أشرنا - علّق عليه الإمام روح الله الموسوي الخميني (قده). وبعد أن فرغ الإمام (قده) من التعليق عليه علّق على كتاب (مصباح الأنس) وأتم التعليق عليه سنة ١٣٥٥هـ، ولم يبلغ من العمر آنذاك الخامسة والثلاثين^(١).

ولا بد من الإشارة هنا إلى أننا أخذنا تعليقات الإمام الخميني (قده) على شرح فصوص الحكم ومصباح الأنس، من كتاب (تعليقات على شرح فصوص الحكم ومصباح الأنس) للإمام الخميني (قده) المطبوع في إيران، وهو الكتاب الذي فقد زمناً طويلاً، ثم عثر عليه في قصة عجيبة ذكرها محمد حسن رحيميان في مقدمة الكتاب الأنف الذكر، فقد أشار إلى أن الكتاب فقد بعد إغارة (السواك)^(٢) على مكتبة الإمام الخاصة في بيته الواقع في محلة (يخجال قاضي) في مدينة (قم) المقدسة سنة ١٣٤٧هـ. ش ونهب الكثير من كتب الإمام ومؤلفاته، ومن ضمنها التعليقة على شرح الفصوص، ولم يعثر على ذلك الكتاب على أثر حتى انتصرت الثورة الإسلامية، ففي سنة ١٣٦٢هـ. ش التقى أحد طلاب الحوزة العلمية في مدينة همدان ببائع متجول يحمل معه كتابين جاء بهما إلى مدرسة علمية يريد بيعهما، أحدهما (شرح فصوص الحكم) والآخر كتاب مخطوط، فاشتراهما منه، وبعد أن اطلع على مضمونهما أثار انتباهه تعليقات خطيّة كتبت في حواشي الكتاب بخط حسن، وبذيل كل تعليقة توقيع الإمام الخميني (قده) فأخذ الطالب الكتابين وقدمهما إلى آية الله النوري إمام جمعة (همدان) آنذاك الذي أخذهما بدوره إلى الإمام الخميني (قده) الذي قدّم له جزيل الشكر.

وباقترح من حجة الإسلام السيد أحمد الخميني (ره) قام البعض

-
- (١) انظر كتاب (تعليقات على شرح فصوص الحكم ومصباح الأنس)، مقدمة الناشر، لمحمد حسن رحيميان، طبعة بإسدار اسلام، ص ٤.
- (٢) جهاز الاستخبارات أيام الشاه المقبور.

باستنساخ هذه التعليقات، ثم روجعت من قبل الإمام الخميني (قده) وطبعت في الكتاب الذي أشرنا إليه.

إذن كما تقدم وأشرنا في بداية هذه المقدمة، هذا الكتاب يعد بمثابة الكنز الثمين، لاحتوائه على العناصر الثلاثة التي تقدم ذكرها آثرنا جمعها في كتاب واحد لهدف إغناء الكتاب بمادة متنوعة ولهدف التسهيل على الباحث أو القارئ الكريم، ولهدف الزيادة في المعرفة والاطلاع.

في الختام لا بد من الإشارة إلى أن ترتيب الكتاب جاء على الشكل التالي:

١ - وضع تعليقات الإمام بعد كل فص، مع تحديد الشرح الذي علق عليه (قده).

٢ - بعد الفصوص وتعليقات الإمام (قده) على شرحها، أدرجت تعليقات الإمام على كتاب مصباح الأنس مع تحديد النصوص التي علق عليها.

والله من وراء القصد، والحمد لله رب العالمين.

دار المحجة البيضاء

٢١/آب/٢٠٠١م

٢/جمادى الثانية/١٤٢٢هـ

اشراقات نسم المعرفة على القلوب الصافية المنعمة بالحب والاخلاص، ويستجلى
بذلك لعشاق المعرفة ورواد الفضيلة، جانب آخر من تسلّم الجوانب المجهولة
العميقة لروح الله ارواحافداه

والسلام

محمد حسن رحيميان

٢٧ / رجب الخير / ١٤٠٦ هـ ق.

* صورة فتوغرافية من توضيحات الإمام حول بعض الأسئلة المقدمة إلى
سماعته:

٢١ انهم در نظر دارم در مرتبه است ثم ان ابراه (ظاهر ليس است كمال ابراه)

در مرتبه نابعه مع مرتبه ابراه

٢٢ محرم لذی من زاد اکرتم بهش چون محرم موجب است و

٢٣ الموعده معیم است (الجمعة مع ما زاد

٢٤ منافع معیم است

٢٥ دعا معیم است



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الفصل الأول في الوجود

قول المصنف:

«إشارة إلى بعض المراتب الكلية واصطلاحات الطائفة فيها حقيقة الوجود إذا أخذت بشرط أن لا يكون معها شيء». - ص ١٠ -

قال الإمام الخميني قدس سره:

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين قوله: حقيقة الوجود... إلخ،
إعلم أنه ليس أخذ حقيقة الوجود بشرط لا أو لا بشرط شيء أو غيرهما من
الاعتبارات الواردة عليها كما هو ظاهر عبارة المصنف فإن الاعتبار والأخذ
واللحاظ وغيرها من أمثالها من لواحق المهيئات والطبائع ولا تمشي في حقيقة
الوجود بل ما هو المصطلح عند أهل الله ليس إلا نتيجة مشاهداتهم
والتجليات الواردة على قلوبهم وبعبارة أخرى هذه الاصطلاحات إما نقشة
تجليات الحق على الأسماء والأعيان والأكوان أو تجلياته على قلوب أهل الله
وأصحاب القلوب ومشاهداتهم إياه فيقال إن الوجود إما أن يتجلى بالتجلي
الغيبى الأحدي المستهلك فيه كل الأسماء والصفات وهذا التجلي يكون
بالاسم المستأثر والحرف الثالث والسبعين من الاسم الأعظم فهو مقام بشرط
اللائية ففي هذا المقام له اسم إلا أنه مستأثر في علم غيبه وهذا التجلي هو
التجلي الغيبى الأحدي بالوجهة الغيبية للفيض الأقدس وأما الذات من حيث
هي فلا تتجلى في مرآة من المرآتي ولا يشاهدها سالك من أهل الله ولا
مشاهد من أصحاب القلوب والأولياء فهي غيب لا بمعنى الغيب الأحدي بل
لا اسم لها ولا رسم ولا إشارة إليها ولا طمع لأحد فيها «عنقا شكاركس

نشود دام بازكير» وإما أن يتجلى بأحدية جمع جميع حقائق الأسماء والصفات فهو مقام اسم الله الأعظم رب الانسان الكامل والتجلي العلمي بطريق الكثرة الأسمائية الجامعة لجميع الكثرات الأسمائية هو مقام الواحدية وقس على ذلك جميع ما ذكر في هذا المقام .

«لكن كون الرحمن تحت حيلة اسم الله يقضي بتغاير المرتبتين ولولا وجه المغايرة بينهما ما كان تابعاً للاسم الله في بسم الله الرحمن الرحيم فافهم» . - ص ١١ -

قوله في بسم الله الرحمن الرحيم ، اعلم أن اسم الرحمن الرحيم من الأسماء الجامعة المحيطة فإن الرحمن مقام جمع بسط الوجود وظهوره من مكامن غيب الهوية إلى الشهادة المطلقة فكلما يظهر في العلم والعين فهو من تجليات الرحمة الرحمانية والرحيم مقام أحدية جمع قبض الوجود وإرجاعه إلى الغيب فكلما يدخل في البطون ويصل إلى باب الله فهو من الرحمة الرحيمية واسم الله الأعظم مقام أحدية جمع البسط والقبض فله مقام أحدية جمع الجمع ولهذا جعلنا تابعين له في بسم الله الرحمن الرحيم . هذا إذا جعلنا تابعين له وأما إذا جعلنا تابعين للاسم فالأول مقام البسط العيني والثاني مقام القبض العيني وبعبارة أخرى مقام بسط المشية التي هي الاسم وقبضها وللإسم مقام أحدية جمعهما وبهذا ظهر أن اسم الرحمن لم يكن رب العقل الأول ولا الرحيم رب النفس الكلية كما ذكر الشارح . فتدبر .

«وأما في الوجود فليس إلا الذات الأحدية فقط كما أنهما في الخارج شيء واحد وهو النوع لذلك قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : كمال الاخلاص نفي الصفات عنه» . - ص ١١ -

قوله : نفي الصفات عنه ، فالوقوع في حجاب الأسماء والصفات شرك اسمائي وصفاتي . كما أن الوقوع في حجاب الأعيان والأكوان شرك أعظم والكَمَل كما أنهم خارجون عن الحجب الظلمانية الكونية والأعيانية خارجون عن الحجب النورية الأسمائية «قبله عشق يكي آمد وبر» .

الفصل الثاني في أسمائه وصفاته تعالى

«لأن الوجود يعرض العدم والمعدوم أيضاً من وجه وليست لإتجليات ذاته تعالى بحسب مراتبه التي تجمعها مرتبة الألوهية المنعوتة بلسان الشرع بالعماء». - ص ١٢ -

قوله: المنعوتة بلسان الشرع بالعماء، اعلم أنه اختلفت آراء أهل المعرفة في حقيقة العماء الواردة في الحديث النبوي سئل أين كان ربنا قبل أن يخلق الخلق قال في عماء. فقال بعضهم إنه مقام الواحدية فإن العماء غيم رقيق بين السماء والأرض ومقام الواحدية برزخ بين سماء الأحدية وأراضي الخلقية. وقال بعضهم هو الفيض المنبسط الذي هو برزخ البرازخ الفاصل بين سماء الواحدية وأراضي التعينات الخلقية وهذا الاحتمال أنسب بحسب بعض الاعتبارات. ويمكن أن يكون إشارة إلى مقام الفيض الأقدس أن عمماً الخلق، حتى يشمل تعينات الأسمائية. ويمكن أن يكون إشارة إلى الاسم الأعظم حيث يكون برزخاً بين أحدية الغيب والأعيان الثابتة في الحضرة العلمية. وهنا احتمال آخر وهو أن يكون إشارة إلى الذات والمقصود من كونه في عماء أي في حجاب الأسماء الذاتية أو إشارة إلى أحدية الذات حيث يكون في حجاب الفيض الأقدس أو هو حيث يكون في حجاب الأسماء في الحضرة الواحدية أو هي حيث تكون في حجاب الأعيان أو الفيض المقدس باعتبار احتجابه بالتعينات الخلقية.

«لأن ذاته تعالى اقتضت بحسب مراتب الألوهية والربوبية صفات متعددة متقابلة كاللطف والقهر والرحمة والغضب والرضا والسخط وغيرها وتجمعها النعوت الجمالية والجلالية إذ كل ما يتعلق باللطف هو الجمال وما يتعلق بالقهر هو الجلال ولكل جمال أيضاً جلال». - ص ١٢ -

قوله: ولكل جمال، بل الأسماء كلها في الكل. فكل اسم بالوجه الغيبية له أحدية الجمع بل كل الأسماء هو الاسم الأعظم كما أشار إليه باقر العلوم عليه السلام في قوله: «اللهم إني أسألك من أسمائك بأكبرها وكل أسمائك

كبيرة». وإليه الإشارة في قول الصادق عليه السلام : «ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله فيه» فالجمال ظهور الجمال والجلال باطن فيه وبالعكس فالنار صورة الغضب الإلهي وباطنها الرحمة لأنها خلقت لأجل تخليص العباد عن لوازم أعمالهم . تدبّر .

«وقد يقال الاسم للصفة إذ الذات مشتركة بين الأسماء كلها والتكثر فيها بسبب تكثر الصفات وذلك التكثر باعتبار مراتبها الغيبية التي هي مفاتيح الغيب». - ص ١٢ -

قوله : وذلك التكثر ، الفرق بين ذاك التكثر المعقول والذي ذكره بعد بقوله من وجه هو أن الأول يحصل بحسب شهود أرباب المشاهدة وأصحاب المعرفة والثاني يحصل بحسب تجليات ذاته لذاته في الحضرة الواحدية العلمية .

«وينقسم بنوع من القسمة أيضاً إلى أسماء الذات وأسماء الصفات وأسماء الأفعال وإن كان كلها أسماء الذات لكن باعتبار ظهور الذات فيها يسمى أسماء الذات وبظهور الصفات فيها . . . الخ» . - ص ١٣ -

قوله : لكن باعتبار ظهور الذات فيها ، هذا الميزان الذي ذكره في تميز أسماء الذات وغيرها ليس في الذوق العرفاني بشيء بل ما يقتضي السلوك الأحلي والمشرّب الأعلى هو أن السالك يقدم العرفان إذا فنى عن فعله وحصل له المحو الجمالي الفعلي تجلّى الحق بحسب تناسب قلبه عليه فكلما تجلّى الحق في هذا المقام لقلب السالك فهو من أسماء الأفعال فإذا أخبر عن مشاهداته يكون إخباراً بالأسماء الفعلية وإذا خرق الحجاب الفعلي ومحا عن الأفعال بتجلي الحق على قلبه بالأسماء الصفاتية فكلما شهد في هذا المقام فهو من تلك الحضرة حتى إذا فنى عن تلك الحضرة وتجلّى الحق له بالأسماء الذاتية فعند ذلك تكون مشاهداته من الحضرة الأسمائية الذاتية وفي كل من المقامات يكون أهل السلوك مختلفاً بحسب قوة السلوك وضعفه وجامعية المقام وغيرها وههنا مقام بسط وتفصيل خارج عن عهدة هذه العجالة .

الفصل الثالث

«في الأعيان الثابتة والتنبيه على بعض المظاهر الأسمائية». - ص ١٧ -

قوله: في الأعيان، اعلم أن الأعيان الثابتة هي تعين التجليات الأسمائية في الحضرة الواحدية فالتجلي في تلك الحضرة بالفيض الأقدس والمتجلي هو الذات المقدسة باعتبار التعين الغيبي الأحدي من الأسماء المستأثرة في الهوية الغيبية العمائية بحسب بعض الاعتبارات والمتجلى له هو الأسماء المحيطة أولاً والمحاطة ثانياً في الحضرة الواحدية والأعيان تعينات التجلي أو الأسماء باعتبارين فالتجلي للأسماء بالذات وللأعيان بالتبع كما أن التجليات العينية بحسب الفيض المقدس كذلك طابق النعل بالنعل إلا أن المتجلي ههنا هو الذات بحسب المقام الألوهية والتجلي هو الفيض المقدس والمتجلى له هو الوجودات الخاصة والمهيئات التي هي الأعيان الخارجية تعين التجليات أو المتجلى له باعتبارين والتجلي للهويات الوجودية بالذات وللمهيئات بالتبع ولك أن تقول إن كنت من أصحاب السر أن التجليات بالفيض المقدس تجليات أسمائية وصفاتية بل كلها تجليات ذاتية ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٦] ولك أن تقول إن مرائي التجليات هي الأعيان الثابتة في العلم والعين كما هي طريقة العرفاء الشامخين. وأما الأسماء والصفات في العلم والعين فمذكة الهويات في التجلي بالفيض الأقدس والمقدس فصدر الأمر من حضرة الذات بالفيض المقدس والأقدس وأطاع الأعيان فوجدت ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

«وتلك الصور فائضة عن الذات الإلهية بالفيض الأقدس والتجلي الأول بواسطة الحب الذاتي وطلب مفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا هو ظهورها وكما لها». - ص ١٧ -

قوله: وطلب مفاتيح الغيب، فمفاتيح الغيب هي الأسماء في الحضرة الواحدية وطلب المفاتيح من الهوية الغيبية بالحب الذاتي الغيبي الذي هو

تعين الوجهة الغيبية للفيض الأقدس وما به الطلب هو الفيض الأقدس فتجلي الذات بتعين الاسم الأول والأحد بالفيض الأقدس لطلب مفاتيح الغيب الذي هو مقام الكنزية المخفية ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩] ويمكن أن يكون المفاتيح هو الحضرة الأحدية التي لها أحدية الجمع للأسماء الذاتية بحسب مقام الكثرة الأسماوية والغيب هو مقام الأسماء في الحضرة الواحدة.

تنبيه

«فالجعل إنما يتعلق بها بالنسبة إلى الخارج وليس جعلها إلا إيجادها في الخارج». - ص ١٩ -

ليس الجعل على طريقة أهل الله متعلقاً بالوجود فإن الوجود هو الحق بل الجعل متعلق بالمهية ولا فرق بينهما في الحضرة العلمية وغيرها ولا يختص بالخارج فإن التجلي باسم الله أولاً وسائر الأسماء بالتبع في الحضرة العلمية يستتبع تعين المهيئات وظهورها في الحضرة العلمية والتجلي بمقام الألوهية في الخارج يستتبع ظهورها في العين وبهذا الظهور الاستتاعي يقال الجعل في بعض الاعتبارات، وأما التجليات الوجودية الأسماوية في العلم والعين فلا يطلق عليها المجمعول والجعل الأعلى مشرب المحجوبين.

تنبيه آخر

«وإن كان يصل الفيض إلى كل ما له وجود من الوجه الخاص الذي له مع الحق بلا واسطة». - ص ٢٠ -

قوله: من الوجه الخاص، وهو الوجهة الغيبية الأحدية التي للأشياء وقد يعبر عنها بالسر الوجودي وهذا ارتباط خاص بين الحضرة الأحدية وبين الأشياء بسرهما الوجودي ﴿مَا مِنْ دَآئِكَةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌ يُنَاصِصُهَا﴾ [هود: ٥٦] ولا يعلم أحد كيفية هذا الارتباط الغيبي الأحدي بل هو الرابطة بين الأسماء

المستأثرة مع المظاهر المستأثرة فإن الأسماء المستأثرة عندنا لها المظاهر المستأثرة ولا يكون اسم بلا مظهر أصلاً بل مظهره مستأثر في علم غيبه فالعالم له حظ من الواحدية وله حظ من الأحدية وحظ الواحدية معروف لِلْكَمَلِ والحظ الأحدي سر مستأثر عند الله ﴿وَلِكُلِّ وَجْهٌ هُوَ مُوَلِّيًا﴾ [البقرة: ١٤٨].

«هداية للناظرين». - ص ٢٠ -

قوله: هداية للناظرين، أقول لا يخفى ما في هذا الفصل من القصور والفتور على مذهب الناظرين والعارفين من جعل الأعيان وجودات خاصة علمية وغير ذلك خصوصاً جعل الوجودات زائداً على الكون الذّهني والخارجي فتدبر.

تتميم: «الأعيان من حيث تعيناتها العدمية وامتيازها من الوجود المطلق راجعة إلى العدم». - ص ٢١ -

قوله: تتميم، أقول هذا التتميم مخالف لذوق أصحاب المعرفة ومنافٍ لكلماتهم بل هو معنى مبتذل مخالف للتوحيد فهل ترى أن مرادهم الأعيان الثابتة ما شمت رائحة الوجود أزلاً وأبداً وأن العالم غيب ما ظهر قط والله ظاهر ما غاب قط ما ذكره هذا الفاضل أو لكلام أمير المؤمنين (عليه السلام) مع كمال لطافته هذا التوجيه الركيك بل مقصودهم كسر الأصنام ومحو الأوهام وترك الغير ورفض الشرك مطلقاً.

الفصل الرابع

«في الجوهر والعرض على طريقة أهل الله». - ص ٢١ -

قوله: في الجوهر والعرض إلخ، والجوهر هو الوجود المنبسط والظهور القيومي من الحضرة الإلهية وهو ظل الفيض الأقدس الأحدي أو الاسم الأعظم بالوجهة الغيبية الأحدية والأعراض تعينات الفيض القيومي من العقل إلى الهَيُولَى ظل التعينات الأسمائية في الحضرة الواحدية والجواهر

دائماً مكتنفات بالتعينات العرضية وهي محجوبة بها ومختفية تحت أستارها كما أن الفيض الأقدس الأحدي محجوب بالأسماء الإلهية وتحت أستارها والاسم هو الجوهر المكتنف بالأعراض في العين والفيض الأحدي المكتنف بالتعينات الأسمائية وما يقال إن الاسم هو الذات مع تجل من تجلياته فليس عندي بمقبول إن أرادوا بها الذات من حيث هي وههنا تفصيل وتطويل ليس المقام مقام ذكره .

«تنبيه بلسان أهل النظر اعلم أن الممكنات منحصرة في الجواهر والأعراض» . - ص ٢٣ -

قوله : تنبيه بلسان أهل النظر، لا يخفى أن ما ذكره في هذا التنبيه مخالف لما ذهب إليه أهل النظر في باب الجواهر الجنسية والنوعية وكذلك في الأعراض العامة والخاصة فإن اختلاف الجواهر الجنسية بالجواهر الفصلية عند أهل النظر لا بالأعراض الكلية كما قال بالجملة كل ما ذكره مخالف للتحقيق عند أهل النظر كما هو واضح .

خاتمة في التعين

- ص ٢٥ -

قوله في التعين، اعلم أن الذات من حيث هي لا تعين لها أصلاً فإن التعين من آثار التجليات الأسمائية فأول التعينات هو التعين بالأسماء الذاتية في الحضرة الأحدية الغيبية وبهذا تمتاز الحضرة الأحدية عن الحضرات الأخر ثم بهذا التعين صارت مبدءاً للتجلي الأسمائي فوقعت التجليات الأسمائية في الحضرة العلمية فتعين كل اسم بمقامه الخاص به والتعين قد يكون وجودياً كالتعين بالأسماء الجمالية وقد يكون عدمياً كالتعين بالأسماء الجلالية وقد يكون مركباً بل كل التعينات لها شائبة التركيب فإن تحت كل جمال جلال وبالعكس أيضاً قد يكون التعين فردياً كالتعين بالأسماء البسيطة وقد يكون جمعياً والجمعي قد يكون محيطاً وقد لا يكون وما يكون له أحدية جمع التعينات هو الاسم الأعظم والإنسان الكامل .

الفصل الخامس

«في بيان العوالم الكلية والحضرات الخمس الإلهية». - ص ٢٦ -

قوله: والحضرات الخمس، يقال لها الحضرة باعتبار حضورها في المظاهر وحضور المظاهر لديها، فإن العوالم محاضر الربوبية ومظاهرها ولذا لا يطلق على الذات من حيث هي الحضرة لعدم ظهورها وحضورها في محضر من المحاضر وفي مظهر من المظاهر وأما المقام الغيب الأحدي فله الاسم والمظهر والظهور وحسب الأسماء الذاتية والرابطة الغيبية الأحدية بينها وبين الموجودات بالسر الوجودي الغيبي وسيأتي بيان الحضرات على مشربنا العرفاني.

«أول الحضرات الكلية حضرة الغيب المطلق وعالمها عالم الأعيان

الثابتة في الحضرة العلمية». - ص ٢٧ -

قوله: وعالمها عالم الأعيان، ما ذكره الشارح من ترتيب العوالم لم يكن مطابقاً للذوق العرفاني بل أول الحضرات حضرة الغيب المطلق أي حضرة أحدية الأسماء الذاتية وعالمها هو السر الوجودي الذي له الرابطة الخاصة الغيبية مع الحضرة الأحدية ولا يعلم أحد كيفية هذه الرابطة المكنونة في علم غيبية، وهذا السر الوجودي أعم من السر الوجودي العلمي الأسمائي والعيني الوجودي وثانيها حضرة الشهادة المطلقة وعالمها عالم الأعيان في الحضرة العلمية والعينية وثالثها حضرة الغيب المضاف الأقرب إلى الغيب المطلق وهي الوجهة الغيبية الأسمائية وعالمها الوجهة الغيبية الأعيانية ورابعها حضرة الغيب المضاف الأقرب إلى الشهادة وهي الوجهة الظاهرة الأسمائية وعالمها الوجهة الظاهرة الأعيانية وخامسها أحدية جمع الأسماء الغيبية والشهادية وعالمها الكون الجامع وههنا بيان آخر لترتيب الحضرات والعوالم لا مجال لذكره.

تنبيه: «فالمقل الأول والنفس الكلية اللتان هما صورتا أم الكتاب وهي

الحضرة العلمية كتابان إلهيان». - ص ٢٧ -

قوله: هما صورتا أم الكتاب، اعلم أن أم الكتاب كلها هي الحضرة الاسم الله بالتجلي التام الجمعي في الحضرة الواحدة وأما صورة هذا الكتاب الجامع الإلهي فهو مقام الألوهية بمقامي الجمع أي الحضرة الرحمانية والرحيمية وكل من الرحمانية والرحيمية كتاب جامع إلهي والأول أم الكتاب باعتبار والثاني الكتاب المبين وأما كتاب المحو والاثبات فهو مقام الفيض المطلق المنبسط بالوجهة الخلقية وإن شئت قلت الوجهة اليلى الحقي أم الكتاب لا يتغير ولا يتبدل والوجهة اليلى الخلقي هو كتاب المحو والاثبات وكيفية المحو والاثبات على المشرب العرفاني هي إيجاد جميع الموجودات باسمه الرحمن والباسط وإعدامها باسمه المالك والقهار ففي كل أن يكون الاعدام والإيجاد على سبيل الاستمرار .

عنكبوتان مكس قديد كنند عارفان هردي دو عيد كنند
وبهذا يظهر سر الحدوث الزماني في جميع مراتب الوجود عند أهل المعرفة فتدبر .

«وما ذكر من الكتب إنما هي أصول الكتب الإلهية وأما فروعها فكل ما في الوجود من العقل والنفس والقوى الروحانية والجسمية وغيرها» .
- ص ٢٧ -

قوله: فكل ما في الوجود . . الخ، عند التحقيق العرفاني كلها كتب جامعة فيها مسطور كل الأحكام الإلهية كما أن الأسماء باعتبار كلها جامعة لجميع الأسماء وهو جهة استهلاكها في أحدية جمع الجمع كما أشير إليه في الدعاء: «اللهم إني أسألك من أسمائك بأكبرها وكل أسمائك كبيرة» فباعتبار ظهور الكثرة للأسماء أعظم وغير أعظم والكتب بعضها جامعة وبعضها غير جامعة وباعتبار اضمحلها في الجمع الأحدي كلها أعظم وجامع .

الفصل السادس

«فيما يتعلق بالعالم المثالي . . وكما أن النوم ينقسم بأضغاث أحلام وغيرها كذلك ما يرى في اليقظة ينقسم إلى أمور حقيقية محضة واقعة في نفس الأمر وإلى أمور خيالية صرفة لا حقيقة لها شيطانية» . - ص ٣١ -

قوله : كذلك ما يرى في اليقظة ، اعلم أن الميزان في مشاهدة الصور الغيبية هو انسلاخ النفس عن الطبيعة والرجوع إلى عالمها الغيبي فيشاهد أولاً مثالها المقيد وبعده المثل المطلق إلى الحضرة الأعيان بالتفصيل الذي يشير إليه المصنف والانسلاخ قد يكون في النوم عند استراحة النفس عن التدبيرات البدنية فبقدر صفاء النفس يتصل بالعالم الغيبية فيشاهد الحقائق الغيبية فعند ذلك تتمثل تلك الحقيقة في مثالها حسب عادات النفس ومأنوساتها فيحتاج إلى التعبير فكذلك ما وقع عند اليقظة لأهل السلوك من المشاهدات إلا أن الكَمَل مثل الأنبياء ﷺ يمثلون الحقائق في مثالهم حسب اختيارهم ومن المثل ينزلونها إلى الملك لخلاص المسجونين في عالم الطبيعة فتتزل الملائكة في عالمهم المثالي والملك حسب قوة روحانيتهم وكمالها فروحانية النبي ﷺ هي المنزلة للملائكة الروحانية في المثل وفي الملك ولا ينافي ذلك ما حدث لهم من الاضطراب وشبه الاعماء عند نزول الوحي فإن ضَعْف أجسامهم الشريفة عن تحمل ظهور الأرواح المجردة فيها غير قوة مقام الروحانية والجنبه الإلهية الولوية .

الفصل السابع

«في مراتب الكشف وأنواعها إجمالاً . . . قال النبي ﷺ : «رأيت أني أشرب اللبن حتى خرج الري من أظفاري فأعطيت فضلي عمر» .
- ص ٣٣ -

قوله : قال النبي ﷺ : لعل هذا الحديث مضمونه شاهد على صدقه فإن رسول الله ﷺ حيث يكون حقيقة الاسم الأعظم والمرأة الأتم لا يمكن أن يفضل منه ما هو من سنخ العلم .

الفصل التاسع

«في بيان خلافة الحقيقة المحمدية ﷺ وأنها قطب الأقطاب لما تقرر أن لكل اسم من الأسماء الإلهية صورة في العلم مسماة بالمهية و . . . فاعلم

أن تلك الحقيقة هي التي ترب صور العالم كلها بالرب الظاهر فيها الذي هو رب الأرباب لأنها هي الظاهرة في تلك المظاهر». - ص ٣٨ -

قوله: هي التي ترب صور العالم، اعلم أن لكل موجود جهة ربوبية هي ظهور الحضرة الربوبية فيه وكل تأثير وفاعلية وإيجاد في العالم فهو من الرب الظاهر فيه فلا مؤثر في الوجود إلا الله إلا أن المرائي مختلفة في ظهور الربوبية قرب مرآة ظهرت فيها الربوبية المقيدة المحدودة على حسب مرتبتها من المحيطية والمحاطية حتى تنتهي إلى المرأة الأتم الأحمدية التي لها الربوبية المطلقة والخلافة الكلية الإلهية أزلاً وأبداً فجميع دائرة الخلافة والولاية من مظاهر خلافته الكبرى وهو الأول والآخر والظاهر والباطن وجميع الدعوات دعوات إليها وهي مرجع الكل ومصدره ومبدأ الكل ومنتهاه والله من ورائهم محيط.

الفصل الثاني عشر

«في النبوة والرسالة والولاية». - ص ٤٤ -

قوله: في النبوة، اعلم أن العبد السالك إلى الله بقدّم العبودية إذا خرج من بيت الطبيعة مهاجراً إلى الله وجذبه الجذبات الحبيبة السرية الأزلية وأحرق تعينات نفسه بقبسات نار الله من ناحية شجرة الأسماء الإلهية فقد يتجلى عليه الحق بالتجلي الفعلي النوري أو الناري أو البرزخي الجمعي حسب مقامه في الحضرة الفيض الأقدس ففي هذا التجلي يرى بعين المشاهدة من منتهى نهاية عرش الشهود إلى غاية قصوى غيب الوجود تحت أستار تجلياته الفعلية فيفنى عين العالم في التجلي الظهوري عنده فإذا تمكن في المقام واستقام وذهب عنه التلوين يصير الشهود تحقّقاً في حقه فيصير الله سمعه وبصره ويده كما في الحديث وهذا حقيقة قرب النوافل فيصير العبد مخلعاً بخلعة الولاية فيكون حقاً في صورة الخلق فيظهر فيه باطن الربوبية التي هي كنه العبودية وتصير العبودية باطنه وهذا أول منازل الولاية واختلاف الأولياء

في هذا المقام والمقامات الآخر حسب اختلاف الأسماء المتجلية عليهم فالولي المطلق من ظهر عن حضرة الذات بحسب المقام الجمعي والاسم الجامع الأعظم رب الأسماء والأعيان فالولاية الأحمدية الأحدية الجمعية مظهر الاسم الأحدي الجمعي وسائر الأولياء مظاهر ولايته ومحال تجلياته كما أن النبوات كلها مظاهر نبوته وكل دعوة دعوة إليه بل دعوته فكما أن لا تجلي أزلاً وأبداً إلا التجلي بالاسم الأعظم وهو المحيط المطلق الأزلي الأبدي كذلك لا نبوة ولا ولاية ولا إمامة إلا نبوته وولايته وإمامته وسائر الأسماء رشحات الاسم الأعظم وتجلياته الجمالية والجلالية وسائر الأعيان رشحات العين الأحمدية وتجليات نوره الجمالي والجلالي واللفظي والقهري فالله تعالى هو الهو المطلق وهو ﷺ الولي المطلق ونحن بحمد الله وحسن توفيقه أفردنا رسالة عزيزة في هذا المقصد الأسنى والمقصود الأعلى والصلاة عليه وآله .

«وبعد فلنشرع في بيان أسرار ما تضمنه الكتاب إلى قوله ولما كان الحمد والثناء مرتباً على الكمال ولا كمال إلا لله ومن الله كان الحمد لله خاصة وهو قولِي وفعلِي وحالي أما القولِي فحمد اللسان وثناؤه عليه بما أثنى به الحق على نفسه وعلى لسان الأنبياء ﷺ». - ص ٤٦ -

قوله : فحمد اللسان ، اعلم أن الحمد هو إظهار كمال المحمود وإعلان محامده فالقولِي منه ظاهر وأما الفعلِي والحالي فليسا كما ذكره الشارح الفاضل فإن الاتيان بالأعمال ابتغاء لوجه الله ليس حمداً بل الحمد الفعلِي عبارة عن إظهار كمال المحمود بالعمل فالعبادات والخيرات باعتباراتها إظهار كماله والثناء على ذاته وأسمائه وصفاته حمد له تعالى إلا أنها مختلفة في باب الحمد والثناء فرب عبادة أنها ثناء الأسماء الجمالية أو الجلالية واللفظية أو القهرية فقد تكون ثناء الله بحسب مقامه الجامع واسمه الأعظم كالصلاة التي لها مقام الجامعية وفيها الفناءات الثلاثة ولهذا اختصت بأنها عبادة ليلة المعراج الذي هو مقام القرب الأحمدية الأحدي المحمدية واختصت بثناء الله تعالى نفسه بها كما ورد عن جبرئيل ﷺ أنه قال لرسول

الله ﷻ إن ربك يصلي فعلى هذا تكون كل العبادات والخيرات باعتبار إظهار المحامد حمداً بل كل الملكات الفاضلة باعتبار إظهار محامد الله حمداً وقس على ذلك الحالي من الحمد لا كما ذكره الشارح.

«وأما حمده ذاته في مقامه الجمعي الإلهي قولاً فهو ما نطق به في كتبه وصحفه من تعريفاته نفسه بالصفات الكمالية». - ص ٤٧ -

قوله : وأما حمده ذاته في مقامه الجمعي ، أقول ليس ما ذكر حمده في مقامه الجمعي الإلهي بل هو حمده في مرآته التفصيلية كما أن سمع وبصر العباد سمعه وبصره في المرآة التفصيلية إلا أن القرآن له المقام الجمعي في ليلة القدر الجمعي الأحمدي وسائر الكتب الإلهية لها المقام التفريقي في الليالي التفريقية وأما حمده ذاته في مقامه الجمعي الإلهي بحسب القول والفعل بل والحال فواحد ذاتاً مختلف بحسب تكثير الأسماء والصفات فالتجلي الأسمائي بالفيض المقدس قولي باعتبار شق أسمع الممكنات والأعيان وفعلني باعتبار إظهار كماله وجماله وجلاله وحالي باعتبار استهلاكه في حضرة الأسماء والصفات والذات والتجلي بالفيض الأقدس قولي باعتبار شق أسمع الأسماء وفعلني باعتبار إظهار ما في السرّ الأحدي من الأسماء الذاتية وحالي وهو معلوم فهو تعالى حامد بلسان الذات ومحموده الذات وحامد بلسان الأسماء ومحموده الذات والأسماء وحامد بلسان الأعيان ومحموده هما مع الأعيان وكلها في الحضرة الجمعية والتفصيلية بل كلها حامد ومحمود حتى أن الذات حامد الأسماء والأعيان كما لا يخفى على أولي الأبصار والقلوب .

«والسالك على الطريق الثاني وهو الطريق الأقرب هو الذي يقطع الحجب بالجنابات الإلهية». - ص ٥٠ -

قوله : وهو الطريق الأقرب ، أقول : ولكن ليس لهذا السلوك ميزان يعرفه أهل السلوك والارتياض بل هو سلوك سرّي يحصل بجذبة خاصة إلهية ليس قدم السالك دخيلاً فيها وأما الطريق الأول فهو الطريق المستقيم الذي

ندب إليه الأنبياء ﷺ ولا بد للسالك من سلوك الطريق المتعارف إلا أن يحصل له الجذبة الخاصة فيصير تحت قباب الكبرياء ولا يخفى أن ذلك السلوك الذي هو بالجذبة أيضاً بوساطة الأنبياء والكمال بالوجهة الخاصة وإن لم يكن بناء الدعوة عليه .

«وقوله من المقام الأقدم إشارة إلى المرتبة الأحدية الذاتية التي هي منبع فيضان الأعيان واستعداداتها في الحضرة العلمية أولاً... الخ» - ص

- ٥٠ -

قوله : من المقام الأقدم ، متعلق بقوله : منزل الحكم والمعنى أن تنزيل الحكم التي هي مقام أحدية الطريق المستقيم على قلوب الكلم يكون من المقام الأقدم الأحدي بالفيض الأقدس والوجهة الخاصة الأحدية فهذه الوجهة تكون للحكم أحدية جميعة إلهية وأما بالوجهة الكثرة الأسمائية والدول الواقعة من الحضرة الواحدة فالدول مختلفة باختلاف الأسماء والشرائع متكررة بتكثر الحقائق الغيبية الأسمائية وصاحب المقام الأقدم الأحد في التجلي الأقدس ومقام جمع الأسمائي في الحضرة الواحدة هو النبي الختمي الذي له الأولية والآخرة والظاهرية والباطنية ومما ذكرنا يسقط كثير من كلمات الشارح الفاضل وعلى ذلك يمكن أن تكون الأمم في قوله : لاختلاف الأمم هي الأمم الأسمائية والملل والنحل هما اللذان في الحضرة الأعيان .

«وامداد النبي الهمم من خزائن الجود والكرم الذي للحضرة الإلهية إنما هو لقطبته وخلافته فالخزائن لله والتصرف لخليفته» - ص ٥٢ -

قوله : فالخزائن لله والتصرف لخليفته ، والخليفة يتصرف في ملك المستخلف له بما شاء وتلك الخلافة لا تحصل إلا بعد تصرف الحق في العبد بما شاء وكما شاء وذلك إلى غاية أفق الفناء وإذا فنى عن نفسه ذاتاً وصفة وفعلاً لا يكون تصرف ومتصرف ومتصرف فيه إلا من الله والله وفي الله وإذا أرجعه إلى مملكته وقعت المجازات الإلهية بتصرف العبد في الخزائن فبوجه الخزائن لله والتصرف للعبد وبوجه الخزائن والتصرف لله وبوجه هما

للعبد وبوجه عكس الأول، تدبر .

قوله بالقليل الأقوم متعلق بالمد أي بمد الهمم بالقول الأصدق الأعدل
الذي لا انحراف فيه . . . ٥٢ - ص

قوله : بالقليل الأقوم ، أقول يحتمل أن يكون متعلقاً بقوله بمد الهمم أي
كل هممة من أصحاب القلوب والكُمل بامداد همته ﷺ بل كل هممة ظل همته
ومظهر قدرته على القول الأقوم الموافق لذوق أهل المعرفة فإن كل النبوات
والولايات ظل نبوته الذاتية وولايته المطلقة ولا تكون دعوة إلا إليه ولا دعاء
إلا له ولا إحسان إلا به قال تعالى : ﴿ وَفَضَّلْنَاكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ
إِحْسَانًا ﴾ [الإسراء: ٢٣] فهو ﷺ أحد الأبوين الروحانيين وخليفته المتحد معه
في الروحانية أحد الأبوين كما قال ﷺ : «أنا وعلي أبو هذه الأمة» وهذا
أحد معاني قضاء الرب وأحد معاني الوالدين ويحتمل أن يكون متعلقاً بقوله
من خزائن الجود والكرم أي القول الأقوم الموافق لكشف أهل المعرفة أن
تصرفه وامداده على الهمم لا يكون إلا من خزائن الجود الإلهي والكرم
الربوبي ولا يكون له الاستقلال في التصرف بل له الخلافة في جميع العوالم
خلافة في الظهور والتصرف بظهوره ظهرت الأسماء من غيب الهوية إلى
حضرة الشهادة وتصرفه عين تصرف حضرات الأسمائية وما ذكرنا أولى مما
احتمله الشارح الفاضل كما لا يخفى .

قوله خذه واخرج به إلى الناس أي خذه في شرك وغيبك واخرج به إلى
عالم الحس والشهادة بتعبيرك إياه وتقريرك معناه بعبارة تناسبه وإشارة
توافقه . - ص ٥٣ -

قوله : بتعبيرك إياه ، أقول ليس ما ذكر تعبيراً بل تنزيل فإن ما تلقاه سر
أهل المعرفة من الكُمل في الحضرة الغيبية الروحانية لا يكون له صورة مثالية
أو ملكية فإذا تصور في الحضرة الخيالية بصورة مناسبة مثالية يتنزل من مقامه
الأصلي وموطنه الروحاني وإذا تصور بصورة ملكية يتنزل مرتبة أخرى فالتنزل
من مقام الغيب إلى الشهادة تنزيل والرجوع من الشهادة إلى الغيب تعبير في

الرؤيا وتأويل في المكاشفة ومن هذا القبيل تنزيل الكتاب من عند الله بحسب المراتب السبع التي للعوالم أو للإنسان الكامل فمراتب التنزيل سبعة كما أن مراتب التأويل سبعة وهي بعينها بطون القرآن إلى سبعة أبطن إجمالاً وسبعين تفصيلاً بل سبعين ألفاً وباعتبار لا حد له يقف عنده والعالم بالتأويل من له حظ من المراتب فبمقدار تحققه بالمراتب له حظ من التأويل إلى أن ينتهي إلى غاية الكمال الإنساني ومنتهى مراتب الكمالي فيصير عالماً بجميع مراتب التأويل فهو كما يتلو الكتاب من الصحيفة المباركة الحسية التي بين أيدينا يقرأ عن صحيفة عالم المثال وعالم الألواح والأرواح إلى العلم الأعلى إلى الحضرة التجلي إلى الحضرة العلم إلى الاسم الأعظم وهو الراسخ في العلم وإنما يعرف القرآن من خُوطب به .

«قوله: ثم بالفهم فصلوا مجمل القول وأجمعوا». - ص ٥٧ -

أي بالذوق الحاصل من تعليم رسول الله ﷺ فصلوا حقيقة المعارف والتجليات الحاصلة للأنبياء العظام ﷺ في المراتب التفصيلية التي هي الأعيان التابعة لهم وأجمعوا بارجاع كل كثرة إلى أحدية الجمع أو فصلوا فصوص الحكم والمعارف الحاصلة للأنبياء ﷺ في المراتب التفصيلية التي هي أنفسكم بالتحقق بمقامهم ثم أجمعوا بارجاع كل إلى صاحبه الذي هو النبي صاحب الفص المذكور في الكتاب وأما ما ذكره الشارح الفاضل من التفضيل والإجمال فليس بشيء عند أهل المعارف كما لا يخفى .

«قوله: ثم حوا به على طالبه ولا تمنعوا». - ص ٥٨ -

وهذه المنة من المنن المحمودة التي من عطاء الله وهدايته وميزان المنة المحمودة والمذمومة هو أن كل مئة كانت خالصة من شائبة أنانية النفس واستقلالها وتكون من جهة عطاء الله تعالى فهي من المنن المحمودة وكل منة تكون للنفس فيها قدم وللأنانية فيها دخالة فهي من المذمومة وهذا الكتاب لما كان بحسب مكاشفة الشيخ من عطيات رسول الله ﷺ ومنحه وهي بعينها عطيات الله تعالى تكون هداية الطالبين وإرشاد المسترشدين إليه من هذه

الحيثية من المنن الممدوحة بشرط خلوص الهادي المرشد عن شائبة تصرف النفس والشيطان أعاذنا الله منهما وجميع الطالبين .

«هذه الرحمة التي وسعتكم فوسعوا» . - ص ٥٨ -

قوله : هذه الرحمة ، يحتمل أن يكون مفعولاً لقوله لا تمنعوا أي لا تمنعوا هذه الرحمة التي وسعتكم فوسعوها شكراً وامتناناً ويحتمل أن يكون مفعولاً لقوله فوسعوا وظاهر كلام الشارح أن هذه مبتدأ وخبرها الرحمة وهو بعيد .

«قوله فأول ما ألقاه المالك على العبد من ذلك مبتدأ خبره قوله فص

حكمة إلهية...» . - ص ٥٩ -

قوله : فأول ما ألقاه الخ ، لما كان الحق تعالى شأنه بمقام مالكيته يتصرف في قلوب الأولياء والكمل الذين خرجوا عن العالمين الذين هم تحت التربية الإلهية ويكون هذا التصرف المالكي بالتجليات الإلهية والجذبات الباطنية من الحضرة الغيبية والأسماء الباطنة ويكون قلب العارف في هذا المقام مملوكاً للمولى غير متصرف فيه غيره قال الشيخ أول ما ألقاه المالك على العبد فالرب من الأسماء الظاهرة الجمالية وهو مختص بالعالمين والمالك من الأسماء الباطنة الجلالية وهو مختص بالعباد المجذوبين الفانين قال تعالى : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٢-٤] فالربوبية للعالمين والمالكية ليوم الدين وهو يوم التجلي التام الواحدي قال : ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦] .

الفصل الآدمي

فصل حكمة إلهية في كلمة آدمية

لَمَّا شَاءَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ مِنْ حَيْثُ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى الَّتِي لَا يَبْلُغُهَا
الإحصاءُ أَنْ يَرَى أَعْيَانَهَا وَإِنْ شِئْتَ قُلْتُ أَنْ يَرَى عَيْنَهُ فِي كَوْنٍ جَامِعٍ يَخْصُرُ
الأَمْرَ كُلَّهُ .

لَكُونَهُ مُتَّصِفًا بِالْوُجُودِ، وَيُظْهَرُ (يُظْهَرُ - مَعًا) بِهِ سِرُّهُ إِلَيْهِ .

فَإِنَّ رُؤْيَا الشَّيْءِ نَفْسُهُ بِنَفْسِهِ مَا هِيَ مِثْلُ رُؤْيَيْهِ نَفْسُهُ فِي أَمْرٍ آخِرٍ يَكُونُ
لَهُ كَالْمِرَاةِ؛ فَإِنَّهُ تَظْهَرُ لَهُ نَفْسُهُ فِي صُورَةٍ يُعْطِيهَا الْمَحَلُّ الْمَنْظُورُ فِيهِ مِمَّا لَمْ
يَكُنْ يَظْهَرُ لَهُ مِنْ غَيْرِ وُجُودِ هَذَا الْمَحَلِّ وَلَا تَجَلِّيهِ لَهُ .

وَقَدْ كَانَ الْحَقُّ أَوْجَدَ الْعَالَمَ كُلَّهُ وُجُودَ شَيْءٍ مُسَوًى لَا رُوحَ فِيهِ،
فَكَانَ كَمِرَاةٍ غَيْرِ مَجْلُوءَةٍ وَمِنْ شَأْنِ الْحُكْمِ الْإِلَهِيِّ أَنَّهُ مَا سَوًى مَحَلًّا إِلَّا وَلَا
بَدَأَ أَنْ يَقْبَلَ رُوحًا إِلَهِيًّا عَبَّرَ عَنْهُ بِالتَّنْفِخِ فِيهِ؛ وَمَا هُوَ إِلَّا حُصُولُ الْإِسْتِعْدَادِ مِنْ
تِلْكَ الصُّورَةِ الْمُسَوَّاةِ لِقَبُولِ الْفَيْضِ التَّجَلِّيِّ الدَّائِمِ الَّذِي لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ .

وَمَا بَقِيَ ثَمَّةً إِلَّا قَابِلٌ، وَالْقَابِلُ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ فَيْضِهِ الْأَقْدَسِ .

فَالأَمْرُ كُلُّهُ مِنْهُ ابْتِدَاؤُهُ وَانْتِهَاؤُهُ: ﴿وَالَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ [مورد: ١٢٣]

كما ابتداءً مِنْهُ .

فَاقْتَضَى الْأَمْرُ جَلَاءَ مِرَاةِ الْعَالَمِ، فَكَانَ آدَمُ عَيْنَ جَلَاءِ تِلْكَ الْمِرَاةِ
وَرُوحَ تِلْكَ الصُّورَةِ .

وكانت الملائكة مِنْ بَعْضِ قُوَى تِلْكَ الصُّورَةِ الَّتِي هِيَ صُورَةُ الْعَالَمِ
المُعْبَرِ عَنْهُ فِي اصطلاحِ الْقَوْمِ بـ: «الإنسانِ الْكَبِيرِ» .
فَكَانَتْ الملائكةُ لَهُ كَالْقُوَى الرُّوحَانِيَّةِ وَالْحِسِّيَّةِ الَّتِي هِيَ النَّشْأَةُ
الإنْسَانِيَّةُ .

وَكُلُّ قُوَّةٍ مِنْهَا مَحْجُوبَةٌ بِنَفْسِهَا لَا تَرَى أَفْضَلَ مِنْ ذَاتِهَا .
وَأَنَّ فِيهَا فِيمَا تَرْتَعَمُ ، الْأَهْلِيَّةُ لِكُلِّ مَنْصِبٍ عَالٍ وَمَرْتَبَةٍ رَفِيعَةٍ عِنْدَ اللَّهِ
لِمَا عِنْدَهَا مِنَ الْجَمْعِيَّةِ الإِلَهِيَّةِ .

بَيْنَ مَا يَرْجِعُ مِنْ ذَلِكَ إِلَى الْجَنَابِ الإِلَهِيِّ ، وَإِلَى جَانِبِ حَقِيقَةِ
الْحَقَائِقِ ، وَ - فِي النَّشْأَةِ الْحَامِلَةِ لِهَذِهِ الْأَوْصَافِ - إِلَى مَا تَقْتَضِيهِ الطَّبِيعَةُ
الْكُلِّيَّةُ الَّتِي حَصَرَتْ قَوَائِلَ الْعَالَمِ كُلِّهِ أَعْلَاهُ وَأَسْفَلَهُ .

وَهَذَا لَا يَعْرِفُهُ عَقْلٌ بِطَرِيقِ نَظَرٍ فِكْرِيٍّ ، بَلْ هَذَا الْفَنُّ مِنَ الْإِدْرَاكِ لَا
يَكُونُ إِلَّا عَنْ كَشْفِ إِلَهِيٍّ مِنْهُ يُعْرَفُ مَا أَصْلُ صُورِ الْعَالَمِ الْقَابِلَةِ لِأُرُوجِهِ .
فَسُمِّيَ هَذَا الْمَذْكُورُ إِنْسَانًا وَخَلِيفَةً ، فَأَمَّا إِنْسَانِيَّتُهُ فَلِعُمُومِ نَشْأَتِهِ
وَحَضَرِهِ الْحَقَائِقَ كُلَّهَا وَهُوَ لِلْحَقِّ بِمَنْزَلَةِ إِنْسَانِ الْعَيْنِ مِنَ الْعَيْنِ الَّذِي بِهِ
يَكُونُ النَّظَرُ وَهُوَ الْمُعْبَرُ عَنْهُ بِالْبَصَرِ .

فَإِنَّهُ بِهِ نَظَرَ الْحَقِّ تَعَالَى إِلَى خَلْقِهِ فَرَجَمَهُمْ .

فَهُوَ الْإِنْسَانُ الْحَادِثُ الْأَرْثِيُّ وَالنَّشْؤُ الدَّائِمُ الْأَبَدِيُّ ، وَالْكَلِمَةُ الْفَاصِلَةُ
الْجَامِعَةُ .

فَتَمَّ الْعَالَمُ بِوُجُودِهِ .

فَهُوَ مِنَ الْعَالَمِ كَقَصَصِ الْخَاتَمِ مِنَ الْخَاتَمِ ، الَّذِي هُوَ مَحَلُّ النَّقْشِ
وَالْعَلَامَةِ الَّتِي بِهَا يَخْتِمُ الْمَلِكُ عَلَى خِزَانَتِهِ ، وَسَمَاهُ خَلِيفَةً مِنْ أَجْلِ هَذَا .

لأنَّه تعالى الحافظُ بِهِ خَلَقَهُ كما يَحْفَظُ الحَتَمُ الخَزَائِنَ فما دَامَ حَتْمُ
المَلِكِ عَلَيْهَا لا يَجْسُرُ أَحَدٌ عَلَى فَتْحِهَا إِلَّا بِإِذْنِهِ، فَاسْتَخْلَفَهُ فِي حِفْظِ العَالَمِ
فَلَا يَزَالُ العَالَمُ مَحْفُوظاً ما دَامَ فِيهِ هذا الإنسانُ الكاملُ.

أَلَا تَرَاهُ إِذَا زَالَ وَفُكَّ مِنْ خِرَازِنَةِ الدُّنْيَا لَمْ يَبْقَ فِيهَا ما اخْتَزَنَهُ الحَقُّ
تعالى فِيهَا وَخَرَجَ ما كان فِيهَا وَالتَّحَقَّقَ بَعْضُهُ بِبَعْضِهِ، وَانْتَقَلَ الأَمْرُ إِلَى
الْآخِرَةِ فَكان حَتْمًا عَلَى خِرَازِنَةِ الْآخِرَةِ حَتْمًا أَبَدِيًّا.

فظَهَرَ جَمِيعُ ما فِي الصُّورَةِ الإِلَهِيَّةِ مِنَ الأَسْمَاءِ فِي هَذِهِ النِّشَاءِ
الإنْسَانِيَّةِ فَحَارَتْ رُبَّةَ الإِحاطَةِ والجَمْعِ بهذا الوجودِ، وَبِهِ قَامَتِ الحُجَّةُ لَهِ
تعالى عَلَى المَلائِكَةِ.

فَتَحَفَّظَ فَقَدْ وَعَظَكَ اللهُ بِغَيْرِكَ، وَانْظُرْ مِنْ أَيْنَ أُتِيَ عَلَى مَنْ أُتِيَ عَلَيْهِ.
فإنَّ المَلائِكَةَ، لَمْ تَقِفْ مَعَ ما تُعْطِيهِ نِشَاءُ هَذِهِ الخَلِيقَةِ وَلَا وَقَفَتْ مَعَ
ما تَقْتَضِيهِ حَضْرَةُ الحَقِّ مِنَ العِبَادَةِ الذَّاتِيَّةِ.

فإنَّه ما يَغْرِفُ أَحَدٌ مِنَ الحَقِّ إِلَّا ما تُعْطِيهِ ذَاتُهُ.

وَلَيْسَ لِلْمَلَائِكَةِ جَمْعِيَّةُ آدَمَ.

وَلَا وَقَفَتْ مَعَ الأَسْمَاءِ الإِلَهِيَّةِ الَّتِي تَخْصُهَا وَسَبَّحَتْ الحَقَّ بِهَا
وَقَدَّسَتْهُ، وَما عَلِمَتْ أَنَّ اللهُ أَسْمَاءُ ما وَصَلَ عِلْمُهَا إِلَيْهَا، فَمَا سَبَّحَتْهُ بِهَا وَلَا
قَدَّسَتْهُ فَعَلَبَ عَلَيْهَا ما ذَكَرْنَاهُ، وَحَكَمَ عَلَيْهَا هذا الحالُ فَقَالَتْ مِنْ حَيْثُ
النِّشَاءُ: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا؟﴾ [البقرة: ٣٠].

وَلَيْسَ إِلَّا التَّرَاوُعُ وَهُوَ عَيْنُ ما وَقَعَ مِنْهُمْ فَمَا قالُوهُ فِي حَقِّ آدَمَ هُوَ عَيْنُ
ما هُمْ فِيهِ مَعَ الحَقِّ.

فَلَوْلَا أَنَّ نَشَاتَهُمْ تُغَطِّي ذَلِكْ مَا قَالُوا فِي حَقِّ آدَمَ مَا قَالُوهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ.

فَلَوْ عَرَفُوا نَفْسَهُمْ لَعَلِمُوا، وَلَوْ عَلِمُوا لَعَصِمُوا.
ثُمَّ لَمْ يَقِفُوا مَعَ التَّجَرُّعِ حَتَّى زَادُوا فِي الدَّعْوَى بِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ
التَّقْدِيسِ وَالتَّسْبِيحِ.

وَعِنْدَ آدَمَ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْإِلَهِيَّةِ مَا لَمْ تَكُنِ الْمَلَائِكَةُ تَقِفَ عَلَيْهَا؛ فَمَا
سَبَّحَتْ رَبَّهَا بِهَا وَلَا قَدَّسَتْهُ عَنْهَا تَقْدِيسَ آدَمَ وَتَسْبِيحَهُ.

فَوَصَّفَ الْحَقُّ لَنَا مَا جَرَى لِتَقِيفَ عِنْدَهُ وَتَتَعَلَّمَ الْأَدَبَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى فَلَا
نَدَّعِي مَا نَحْنُ مُتَّحَقُّونَ بِهِ وَحَاوُونَ عَلَيْهِ بِالتَّقْيِيدِ؛ فَكَيْفَ أَنْ نُطْلِقَ فِي
الدَّعْوَى فَتَنَمَّ بِهَا مَا لَيْسَ لَنَا بِحَالٍ وَلَا نَحْنُ مِنْهُ عَلَى عِلْمٍ فَتَقْتَضِصَحْ؟ فَهَذَا
التَّعْرِيفُ الْإِلَهِيُّ مِمَّا أَدَّبَ الْحَقُّ بِهِ عِبَادَهُ الْأَدْبَاءَ الْأُمَنَاءَ الْخُلَفَاءَ.

ثُمَّ نَرْجِعُ إِلَى الْحِكْمَةِ فَتَقُولُ: اغْلَمْ أَنَّ الْأُمُورَ الْكُلِّيَّةَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا
وُجُودٌ فِي عَيْنِهَا فَهِيَ مَعْقُولَةٌ مَعْلُومَةٌ بِلَا شَكٍّ فِي الذَّهْنِ؛ فَهِيَ بَاطِنَةٌ لَا تَزُولُ
عَنِ الْوُجُودِ الْعَيْنِيِّ.

وَلَهَا الْحُكْمُ وَالْأَثَرُ فِي كُلِّ مَا لَهُ وَجُودٌ عَيْنِي.

بَلْ هُوَ عَيْنُهَا لَا غَيْرَهَا، أَعْنِي أَعْيَانَ الْمَوْجُودَاتِ الْعَيْنِيَّةِ.

وَلَمْ تَزَلْ عَنْ كَوْنِهَا مَعْقُولَةٌ فِي نَفْسِهَا فَهِيَ الظَّاهِرَةُ مِنْ حَيْثُ أَعْيَانِ
الْمَوْجُودَاتِ كَمَا هِيَ الْبَاطِنَةُ مِنْ حَيْثُ مَعْقُولِيَّتِهَا.

فَاسْتِنَادَ كُلُّ مَوْجُودٍ عَيْنِي لِهَذِهِ الْأُمُورِ الْكُلِّيَّةِ الَّتِي لَا يُمَكِّنُ رَفْعُهَا عَنِ
الْعَقْلِ، وَلَا يُمَكِّنُ وُجُودَهَا فِي الْعَيْنِ وَجُوداً تَزُولُ بِهِ عَنْ أَنْ تَكُونَ مَعْقُولَةً.

وسواء كان ذلك الموجود العيني مؤقتاً أو غير مؤقتٍ إذ نسبة الموقتِ
وغير الموقتِ إلى هذا الأمرِ الكلّي المعقولِ نسبةً واحدةً.

عَبَّرَ أَنَّ هذا الأمرَ الكلّي يَرْجِعُ إِلَيْهِ حُكْمٌ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ الْعَيْنِيَةِ
بِحَسَبِ مَا تَطْلُبُهُ حَقَائِقُ تِلْكَ الْمَوْجُودَاتِ الْعَيْنِيَةِ، كِنَسَبَةِ الْعِلْمِ إِلَى الْعَالَمِ
وَالْحَيَاةِ إِلَى الْحَيِّ. فَالْحَيَاةُ حَقِيقَةٌ مَعْقُولَةٌ وَالْعِلْمُ حَقِيقَةٌ مَعْقُولَةٌ مُمَيَّزَةٌ عَنِ
الْحَيَاةِ كَمَا أَنَّ الْحَيَاةَ مُتَمَيَّزَةٌ عَنْهُ. ثُمَّ نَقُولُ فِي الْحَقِّ تَعَالَى: إِنَّ لَهُ حَيَاةً
وَعِلْماً فَهُوَ الْحَيُّ الْعَالِمُ ونقول في الْمَلِكِ: إِنَّ لَهُ حَيَاةً وَعِلْماً فَهُوَ الْحَيُّ
الْعَالِمُ وَنَقُولُ فِي الْإِنْسَانِ: إِنَّ لَهُ حَيَاةً وَعِلْماً فَهُوَ الْحَيُّ الْعَالِمُ. وَحَقِيقَةُ
الْعِلْمِ وَاحِدَةٌ، وَحَقِيقَةُ الْحَيَاةِ وَاحِدَةٌ، وَنَسَبَتُهَا إِلَى الْعَالِمِ وَالْحَيِّ نِسْبَةٌ
وَاحِدَةٌ. وَنَقُولُ فِي عِلْمِ الْحَقِّ: إِنَّهُ قَدِيمٌ، وَفِي عِلْمِ الْإِنْسَانِ: إِنَّهُ مُخَدَّثٌ
فَانْظُرْ مَا أَخَذْتَهُ الْإِضَافَةُ مِنَ الْحُكْمِ فِي هَذِهِ الْحَقِيقَةِ الْمَعْقُولَةِ.

وَانْظُرْ إِلَى هَذَا الْارْتِبَاطِ بَيْنَ الْمَعْقُولَاتِ وَالْمَوْجُودَاتِ الْعَيْنِيَةِ. فَكَمَا
حَكَّمَ الْعِلْمَ عَلَى مَنْ قَامَ بِهِ أَنْ يُقَالَ فِيهِ أَنَّهُ عَالِمٌ، حَكَّمَ الْمَوْصُوفُ بِهِ عَلَى
الْعِلْمِ بِأَنَّهُ حَادِثٌ فِي حَقِّ الْحَادِثِ، وَقَدِيمٌ فِي حَقِّ الْقَدِيمِ، فَصَارَ كُلُّ وَاحِدٍ
مَحْكُوماً بِهِ وَمَحْكُوماً عَلَيْهِ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ الْكَلِّيَّةَ وَإِنْ كَانَتْ مَعْقُولَةً فَإِنَّهَا مَعْدُومَةٌ الْعَيْنِ
مَوْجُودَةُ الْحُكْمِ كَمَا هِيَ مَحْكُومٌ عَلَيْهَا إِذَا نُسِبَتْ إِلَى الْمَوْجُودِ الْعَيْنِيِّ.
فَتَقْبَلُ الْحُكْمَ فِي الْأَعْيَانِ الْمَوْجُودَةِ وَلَا تَقْبَلُ التَّفْصِيلَ وَلَا التَّجْزِيءَ؛
فَإِنَّ ذَلِكَ مُحَالٌ عَلَيْهَا.

فَإِنَّهَا بِذَاتِهَا فِي كُلِّ مَوْصُوفٍ بِهَا كَالْإِنْسَانِيَّةِ فِي كُلِّ شَخْصٍ شَخْصٍ
مِنْ هَذَا النَّوعِ الْخَاصِّ لَمْ تَتَفَصَّلْ وَلَمْ تَتَعَدَّدْ بِتَعَدُّدِ الْأَشْخَاصِ.

وَلَا بَرَحَتْ مَعْقُولَةٌ.

وإذا كَانَ الارتباطُ بين مَنْ له وجودٌ عينيٌّ وبينَ مَنْ لَيْسَ له وجودٌ عينيٌّ قد ثَبَتَ، وَهِيَ نِسْبَةُ عَدَمِيَّةٍ، فارتباطُ الموجوداتِ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ أَقْرَبُ أَنْ يُعْقَلَ لَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ بَيْنَهَا جَامِعٌ وَهُوَ الوجودُ العينيُّ.

وهُنَاكَ فَمَا ثَمَّ جَامِعٌ وَقَدْ وُجِدَ الازتباطُ بِعَدَمِ الجَامِعِ قِبَالَ الجَامِعِ أَقْوَى وَأَحَقُّ.

وَلَا شَكَّ أَنَّ المَحْدَثَ قَدْ ثَبَتَ حَدُوثُهُ وافتقارُهُ إِلَى مُحْدِثٍ أَخَذَهُ لِإِمْكَانِهِ لِنَفْسِهِ (بِنَفْسِهِ - خ) فَوُجُودُهُ مِنْ غَيْرِهِ، فَهُوَ مُرْتَبِطٌ بِهِ ارتباطًا افتقاريًا. وَلَا بَدَأَ أَنْ يَكُونَ المُسْتَنَدُ إِلَيْهِ وَاجِبَ الوجودِ لِذَاتِهِ غَيْرًا فِي وجودِهِ بِنَفْسِهِ غَيْرَ مُفْتَقِرٍ، وَهُوَ الَّذِي أُعْطِيَ الوجودَ بِذَاتِهِ لِهَذَا الحَادِثِ فَانْتَسَبَ إِلَيْهِ وَلَمَّا افْتَضَاهُ لِذَاتِهِ كَانَ وَاجِبًا بِهِ.

وَلَمَّا كَانَ اسْتِنَادُهُ إِلَى مَنْ ظَهَرَ عَنْهُ لِذَاتِهِ؛ اقْتَضَى أَنْ يَكُونَ عَلَى صُورَتِهِ فِيمَا يُنْسَبُ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ اسْمٍ وَصِفَةٍ، مَا عَدَا الوجودَ الذَّاتِيَّ فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَصْحُحُ لِلْحَادِثِ وَإِنْ كَانَ (لَا يَصِحُّ فِي الْحَادِثِ فَإِنْ كَانَ - خ) وَاجِبَ الوجودِ وَلَكِنْ وَجُوبُهُ بِغَيْرِهِ لَا بِنَفْسِهِ.

ثُمَّ لِيُعْلَمَ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى مَا قُلْنَا مِنْ ظُهُورِهِ بِصُورَتِهِ، أَحَالْنَا تَعَالَى فِي الْعِلْمِ بِهِ عَلَى النَّظَرِ فِي الْحَادِثِ وَذَكَرَ أَنَّهُ تَعَالَى أَرَانَا آيَاتِهِ فِيهِ. فَاسْتَدَلَّنَا بِمَا عَلَيْهِ فَمَا وَضَفْنَاهُ بِوَصْفٍ إِلَّا كُنَّا نَحْنُ ذَلِكَ الْوَصْفَ إِلَّا الْوُجُوبَ الذَّاتِيَّ الْخَاصَّ.

فَلَمَّا عَلِمْنَاهُ بِمَا وَمِنَا نَسَبْنَا إِلَيْهِ كُلَّ مَا نَسَبْنَاهُ إِلَيْنَا. وَبِذَلِكَ وَرَدَتْ الْأَخْبَارُ الْإِلَهِيَّةُ عَلَى أَلْسِنَةِ التَّرَاجِمِ إِلَيْنَا.

فَوَصَفَ نَفْسَهُ لَنَا بِنَا: فَإِذَا شَهِدْنَاهُ شَهِدْنَا نَفْسَنَا وَإِذَا شَهِدْنَا شَهِدَ نَفْسَهُ.

وَلَا تُشْكُ أَنَا كَثِيرُونَ بِالشَّخْصِ وَالتَّوَعٍ وَأَنَا كُنَّا عَلَى حَقِيقَةٍ وَاحِدَةٍ تَجْمَعُنَا فَتَعْلَمُ قَطْعًا أَنَّ ثَمَّةَ فَارِقًا بِهِ تَمَيَّزَتِ الْأَشْخَاصُ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ، وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا كَانَتِ الْكَثْرَةُ فِي الْوَاحِدِ.

فَكَذَلِكَ أَيْضًا، وَإِنْ وَصَفْنَاهُ بِمَا وَصَفَ نَفْسَهُ مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ فَلَا بُدَّ مِنْ فَارِقٍ.

وَلَيْسَ إِلَّا افْتِقَارُنَا إِلَيْهِ فِي الْوُجُودِ وَتَوَقُّفُ وَجُودِنَا عَلَيْهِ لِإِمْكَانِنَا وَغِنَاهُ عَنْ مِثْلِ مَا افْتَقَرْنَا إِلَيْهِ.

فَهِذَا (فلهذا - خ) صَحَّ لَهُ الْأَزْلُ وَالْقَدَمُ الَّذِي انْتَفَتَّ عَنْهُ الْأَوَّلِيَّةُ الَّتِي لَهَا (بها - خ) افْتِتَاحُ الْوُجُودِ عَنْ عَدَمٍ فَلَا تُنْسَبُ إِلَيْهِ الْأَوَّلِيَّةُ مَعَ كَوْنِهِ الْأَوَّلِ.

وَلِهَذَا قِيلَ فِيهِ الْآخِرُ فَلَوْ كَانَتْ أَوَّلِيَّتُهُ أَوَّلِيَّةٌ وَجُودِ التَّقْيِيدِ لَمْ يَصَحَّ أَنْ يَكُونَ الْآخِرُ لِلْمَقْيَدِ لِأَنَّهُ لَا آخِرَ لِلْمَمْكِنِ لِأَنَّ الْمَمْكِنَاتِ غَيْرُ مُتَنَاهِيَةٍ فَلَا آخِرَ لَهَا. وَإِنَّمَا كَانَ آخِرًا لِرُجُوعِ الْأَمْرِ كُلِّهِ إِلَيْهِ بَعْدَ نِسْبَةِ ذَلِكَ إِلَيْنَا، فَهُوَ الْآخِرُ فِي عَيْنِ أَوَّلِيَّتِهِ وَالْأَوَّلُ فِي عَيْنِ آخِرِيَّتِهِ.

ثُمَّ لِيُعْلَمَ أَنَّ الْحَقَّ وَصَفَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ ظَاهِرٌ وَبَاطِنٌ فَأَوْجَدَ الْعَالَمَ عَالَمَ غَيْبٍ وَشَهَادَةٍ لِنُدْرِكَ الْبَاطِنَ بِعَيْنِنَا وَالظَّاهِرَ بِشَهَادَتِنَا.

وَوَصَفَ نَفْسَهُ بِالرِّضَاءِ وَالْعُضْبِ.

فَأَوْجَدَ الْعَالَمَ ذَا خَوْفٍ وَرَجَاءٍ فَتَخَافُ عُضْبُهُ وَتَرْجُو رِضَاهُ.

وَوَصَفَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ جَمِيلٌ وَذُو جَلَالٍ فَأَوْجَدَنَا عَلَى هَيْبَةٍ وَأَنْسَى وَهَكَذَا
جَمِيعُ مَا يُنْسَبُ إِلَيْهِ تَعَالَى وَيُسَمَّى بِهِ .
فَعَبَّرَ عَنْ هَاتَيْنِ الصَّفَتَيْنِ بِالْيَدَيْنِ اللَّتَيْنِ تَوَجَّهَتَا مِنْهُ عَلَى خَلْقِ الْإِنْسَانِ
الْكَامِلِ .

لِكُونِهِ الْجَامِعَ لِحَقَائِقِ الْعَالَمِ وَمُقَرَّدَاتِهِ .
فَالْعَالَمُ شَهَادَةٌ وَالْخَلِيفَةُ غَيْبٌ، وَلِهَذَا يُخَجَّبُ السَّلْطَانُ .
وَوَصَفَ الْحَقُّ نَفْسَهُ بِالْحُجُبِ الظُّلُمَانِيَّةِ وَهِيَ الْأَجْسَامُ الطَّبِيعِيَّةُ
الْكثِيفَةُ؛ وَالتَّوْرِيَّةُ وَهِيَ الْأَرْوَاحُ اللَّطِيفَةُ وَالْعُقُولُ وَالنُّفُوسُ وَعَالَمُ الْأَمْرِ
وَالْإِبْدَاعِ .

فَالْعَالَمُ بَيْنَ كَثِيفٍ وَلَطِيفٍ، فَلَا يُدْرِكُ الْحَقُّ إِدْرَاكَهُ نَفْسُهُ .
فَلَا يَزَالُ فِي حِجَابٍ لَا يُرْفَعُ، مَعَ عِلْمِهِ بِأَنَّهُ مُتَمَيِّزٌ عَنْ مَوْجِدِهِ بِافْتِقَارِهِ
إِلَيْهِ، وَلَكِنْ لَا حَظَّ لَهُ فِي الْوُجُوبِ الذَّاتِيِّ الَّذِي لَوْجُودِ الْحَقِّ، فَلَا يُدْرِكُهُ
أَبَدًا، فَلَا يَزَالُ الْحَقُّ مِنْ هَذِهِ الْحَيْثِيَّةِ غَيْرَ مَعْلُومٍ عِلْمَ ذَوِي وَشَهُودٍ، لِأَنَّهُ لَا
قَدَمَ لِلْحَادِثِ فِي ذَلِكَ .

فَمَا جَمَعَ اللَّهُ لَأَدَمَ بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَّا تَشْرِيفًا . وَلِهَذَا قَالَ لِإِبْلِيسَ: ﴿مَا مَنَعَكَ
أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِدَيِّكَ﴾ [ص: ٧٥] وَمَا هُوَ إِلَّا عَيْنٌ جَمَعَهُ بَيْنَ الصُّورَتَيْنِ،
صُورَةِ الْعَالِمِ وَصُورَةِ الْحَقِّ وَهُمَا يَدَا الْحَقِّ .
وإِبْلِيسُ جُزْءٌ مِنَ الْعَالَمِ لَمْ تَخْضَلْ لَهُ هَذِهِ الْجَمْعِيَّةُ .
وَلِهَذَا كَانَ آدَمُ خَلِيفَةً .

فَإِنْ لَمْ يَكُنْ ظَاهِرًا بِصُورَةٍ مَنِ اسْتَخْلَفَهُ فِيمَا اسْتَخْلَفَهُ فِيهِ فَمَا هُوَ

خَلِيفَةً، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ جَمِيعُ مَا تَطْلُبُهُ الرِّعَايَا الَّتِي اسْتَخْلِفَ عَلَيْهَا - لِأَنَّ اسْتِنَادَهَا إِلَيْهِ فَلَا بُدَّ أَنْ يَقُومَ بِجَمِيعِ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ - وَإِلَّا فَلَيْسَ بِخَلِيفَةٍ عَلَيْهِمْ.

فَمَا صَحَّحَ الْخِلَافَةَ إِلَّا لِلْإِنْسَانِ الْكَامِلِ.

فَأَنْشَأَ صُورَتَهُ الظَّاهِرَةَ مِنْ حَقَائِقِ الْعَالَمِ وَصُورِهِ وَأَنْشَأَ صُورَتَهُ الْبَاطِنَةَ عَلَى صُورَتِهِ تَعَالَى.

وَلِذَلِكَ قَالَ فِيهِ: «كُنْتُ سَمْعُهُ وَبَصَرُهُ» وَقَالَ: «كُنْتُ عَيْنُهُ وَأُذُنُهُ»، فَفَرَّقَ بَيْنَ الصُّورَتَيْنِ.

وَهَكَذَا هُوَ فِي كُلِّ مَوْجُودٍ مِنَ الْعَالَمِ يَقْدِرُ مَا تَطْلُبُهُ حَقِيقَةُ ذَلِكَ الْمَوْجُودِ.

لَكِنْ لَيْسَ لِأَحَدٍ مَجْمُوعُ مَا لِلْخَلِيفَةِ.

فَمَا فَازَ إِلَّا بِالْمَجْمُوعِ.

وَلَوْ لَا سَرِيَانُ الْحَقِّ فِي الْمَوْجُودَاتِ وَظُهُورُهُ فِيهَا بِالصُّورَةِ مَا كَانَ لِلْعَالَمِ وُجُودٌ، كَمَا أَنَّهُ لَوْلَا تِلْكَ الْحَقَائِقُ الْمَعْقُولَةُ الْكَلِمَةُ مَا ظَهَرَ حُكْمٌ فِي الْمَوْجُودَاتِ الْعَيْنِيَّةِ.

وَمِنْ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ كَانَ الْإِفْتِقَارُ مِنَ الْعَالَمِ إِلَى الْحَقِّ فِي وُجُودِهِ.

فَالْكُلُّ مُفْتَقِرٌ مَا الْكُلُّ مُسْتَغْنٍ هَذَا هُوَ الْحَقُّ قَدْ قُلْنَاهُ لَا نَكْنِي
فَإِنْ ذَكَرْتَ غَنِيًّا لَا أَفْتِقَارَ بِهِ فَقَدْ عَلِمْتَ الَّذِي مِنْ قَوْلِنَا نَعْنِي
فَالْكُلُّ فِي الْكُلِّ مَرْبُوطٌ وَلَيْسَ لَهُ عَنْهُ أَنْفَصَالٌ خُذُوا مَا قُلْتُهُ عَنِّي
فَقَدْ عَلِمْتَ حِكْمَةَ نَشْأَةِ جَسَدِ آدَمَ أَعْنَى صُورَتَهُ الظَّاهِرَةَ.

وقد عَلِمْتَ نشأة رُوحِ آدَمَ أعني صُورتهُ الباطنة، فهو الحقُّ الخَلْقُ.

وَقَدْ عَلِمْتَ نشأة رُتبتهِ وَهيَ المَجْمُوعُ الَّذِي بِهِ اسْتَحَقَّ الخِلافةُ.

فآدَمُ هُوَ النَّفْسُ الواحدةُ الَّتِي خُلِقَ مِنْهَا هذا التَّوَعُّ الإنساني.

وهو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ

مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء: ١].

فقوله: اتَّقُوا رَبَّكُمُ اجْعَلُوا مَا ظَهَرَ مِنْكُمْ وقايةً لِرَبِّكُمْ واجْعَلُوا مَا بَطَنَ

مِنْكُمْ وَهُوَ رَبُّكُمْ وقايةً لَكُمْ فَإِنَّ الأَمْرَ ذَمٌّ وَحَمْدٌ فَكُونُوا وقايته في الذمِّ

واجْعَلُوا وقايَتَكُمْ في الحمْدِ تَكُونُوا أَدْبَاءَ عَالَمِينَ.

ثُمَّ إِنَّهُ تعالى اطَّلَعَهُ عَلَى ما أودَعَ فِيهِ وَجَعَلَ ذلك في قَبْضَتَيْهِ: القَبْضَةُ

الواحدةُ فِيهَا العَالَمُ، وفي القَبْضَةِ الأُخْرَى آدَمَ وَبَنُوهُ وَبَيْنَ مَرَاتِبِهِمْ فِيهِ.

وَلَمَّا اطَّلَعَنِي الله في سِرِّي عَلَى ما أودَعَ في هَذَا الإمامِ الوالدِ الأكبرِ،

جَعَلْتُ في هَذَا الكِتَابِ مِنْهُ ما حُدَّ لِي لا ما وَقَفْتُ عَلَيْهِ فَإِنَّ ذَلِكَ لا يَسَعُهُ

كِتَابٌ ولا العَالَمُ المَوْجُودُ الآنَ.

فمما شهدتهُ ممَّا نودعُهُ في هذا الكتابِ كما حَدَّثَهُ لِي رَسُولُ الله صَلَّى

الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

حِكْمَةُ الإلهيةِ في كلمةِ آدَمِيَّةٍ وهو هذا الباب.

ثُمَّ حِكْمَةُ نَفْثِيَّةٍ في كلمةِ شَيْثِيَّةٍ.

ثُمَّ حِكْمَةُ سَبْوَحِيَّةٍ في كلمةِ نوحِيَّةٍ.

ثُمَّ حِكْمَةُ قُدُوسِيَّةٍ في كلمةِ إِدْرِيسِيَّةٍ.

ثُمَّ حِكْمَةُ مُهِمِّيَّةٍ في كلمةِ إِبْرَاهِيمِيَّةٍ.

ثُمَّ حِكْمَةُ حَقِيَّةٍ فِي كَلِمَةِ إِسْحَاقِيَّةٍ .
ثُمَّ حِكْمَةُ عَلِيَّةٍ فِي كَلِمَةِ إِسْمَاعِيلِيَّةٍ .
ثُمَّ حِكْمَةُ رُوحِيَّةٍ فِي كَلِمَةِ يَعْقُوبِيَّةٍ .
ثُمَّ حِكْمَةُ نُورِيَّةٍ فِي كَلِمَةِ يُوسُفِيَّةٍ .
ثُمَّ حِكْمَةُ أَحَدِيَّةٍ فِي كَلِمَةِ هُودِيَّةٍ .
ثُمَّ حِكْمَةُ قَلْبِيَّةٍ فِي كَلِمَةِ صَالِحِيَّةٍ .
ثُمَّ حِكْمَةُ قَلْبِيَّةٍ فِي كَلِمَةِ شُعْبِيَّةٍ .
ثُمَّ حِكْمَةُ مَلَكِيَّةٍ فِي كَلِمَةِ لُوطِيَّةٍ .
ثُمَّ حِكْمَةُ قَدَرِيَّةٍ فِي كَلِمَةِ عَزِيزِيَّةٍ .
ثُمَّ حِكْمَةُ نَبَوِيَّةٍ فِي كَلِمَةِ عِيسَوِيَّةٍ .
ثُمَّ حِكْمَةُ رَحْمَانِيَّةٍ فِي كَلِمَةِ سُلَيْمَانِيَّةٍ .
ثُمَّ حِكْمَةُ وَجُودِيَّةٍ فِي كَلِمَةِ دَاوُدِيَّةٍ .
ثُمَّ حِكْمَةُ نَفْسِيَّةٍ فِي كَلِمَةِ يُونُسِيَّةٍ .
ثُمَّ حِكْمَةُ غَيْبِيَّةٍ فِي كَلِمَةِ أَيُّوبِيَّةٍ .
ثُمَّ حِكْمَةُ جَلَالِيَّةٍ فِي كَلِمَةِ يَحْيَاوِيَّةٍ .
ثُمَّ حِكْمَةُ مَالِكِيَّةٍ فِي كَلِمَةِ زَكَرِيَّاوِيَّةٍ .
ثُمَّ حِكْمَةُ إِنْسَانِيَّةٍ فِي كَلِمَةِ إِلْيَاسِيَّةٍ .
ثُمَّ حِكْمَةُ إِحْسَانِيَّةٍ فِي كَلِمَةِ لُقْمَانِيَّةٍ .
ثُمَّ حِكْمَةُ إِمَامِيَّةٍ فِي كَلِمَةِ هَارُونِيَّةٍ .
ثُمَّ حِكْمَةُ عُلُوِّيَّةٍ فِي كَلِمَةِ مُوسَوِيَّةٍ .

ثُمَّ حِكْمَةٌ صَمَدِيَّةٌ فِي كَلِمَةِ خَالِدِيَّةٍ.

ثُمَّ حِكْمَةٌ فَرْدِيَّةٌ فِي كَلِمَةِ مُحَمَّدِيَّةٍ.

وفص كل حكمة الكلمة التي نُسب إليها. فافتصرت على ما ذكرته
من هذه الحكم في هذا الكتاب على حد ما ثبت في أم الكتاب. فامتثلت
على ما رُسِم لي، ووقفت عندما خد لي، ولو رُمْتُ زيادةً على ذلك ما
استطعت، فإن الحضرة تمنع من ذلك والله الموفق لا ربَّ غيره.

ومن ذلك :



«فص حكمة إلهية في كلمة آدمية»

«ولا يجوز أن يقال المراد بالمالك هو الحق والبلد هو النبي ﷺ لما
يلزم من إساءة الأدب وإن كان عبداً له ورسولاً منه». - ص ٥٩ -

هذا من سوء الأدب على الله بل على رسول الله ﷺ فإن العبودية من
أعظم افتخارات النبي ﷺ .

«ومعنى الحكمة ما ذكر من أنها علم بحقائق الأشياء على ما هي عليه
وعمل بمقتضاه». - ص ٦١ -

قوله : ومعنى الحكمة ، انتهى . أقول ليس معنى الحكمة في لسان أهل
الله ما ذكره الشارح وليست الحكمة الفائضة على الأنبياء ﷺ ما ذكرها بل
الحكمة عبارة عن معرفة الله وشؤونه الذاتية وتجلياته الأسماوية والأفعالية في
الحضرة العلمية والعينية بالمشاهدة الحضورية والعلم بكيفية المناكحات
والمرادوات والنتائج الإلهية في الحضرات الأسماوية والأعيانية بالعلم
الحضوري ويمكن أن يكون الحكمة هي العلم بكمال الجلاء والاستجلاء
فإن كمال الجلاء ظهور الحق في المرأة الأتم وكمال الاستجلاء شهوده نفسه
فيها فتدبر .

«ويجوز أن يكون تلك الأعيان الأعيان الخارجية لذلك قال وإن شئت قلت أن يرى عينه أي عين الحق فإن جميع الحقائق الأسمائية في الحضرة الأحدية عين الذات...». - ص ٦١ -

قوله: ويجوز أن يكون تلك الأعيان، لا يجوز أن يكون المراد بالأعيان الأعيان الخارجية ولا الأعيان الثابتة فإن غاية الخلقة والتجلي لا تكون غير الذات والأسماء وأيضاً الأعيان هي المرأة للتجليات لا عينها وهذا موافق للحديث القدسي: «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف - أي أحببت أن أعرف ذاتي بمقام الكنزية التي هي مقام الواحدية التي فيها الكثرة الأسمائية المختفية - فخلقت الخلق لكي أتجلّى من الحضرة الأسمائية إلى الأعيان الخلقية وأعرف نفسي في المرآتي التفصيلية.

«إشارة إلى أن هذه الجمعية حاصلة لها من أمور ثلاثة دائرة بينها أولها راجع إلى الجنب الإلهي وهو الحضرة الواحدية حضرة الأسماء والصفات». - ص ٦٧ -

قوله: إلى الجنب الإلهي أي أن زعم القوى لنفسها الجمعية الإلهية ناشٍ إما من ظهور الحضرة الإلهية الأسمائية فيها بمقامها الجمعية الإلهية وأحدية الجمع الاستهلاكي فإن كل موجود من هذا الوجه له الجمعية وأما ما ذكره الشارح من الوجه الخاص فهو مختص بالمقام الأحدي كما قال تعالى: ﴿مِمَّا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاتِخَذُ بِنَاَصِيَئِهَا﴾ [هود: ٥٦] وإما من ظهور حضرة حقيقة الحقائق الجامعة لجميع الحقائق فيها وحقيقة الحقائق عبارة عن التجلي العيني القيومي بالمقام الجمعي الأحدي الاستهلاكي وهذا هو مقصود الشيخ من الجوهر في كتاب إنشاء الدوائر لا ما ذكره الشارح كما لا يخفى على من اطلع على اصطلاحهم في الجوهر والعرض وإما من ظهور الطبيعة الكلية فيها وحظها منها والطبيعة الكلية مظهر حضرة القابل المربوط بالفيض الأقدس في المقام الجمعي. ثم اعلم أن الجمعية الإلهية من هذه الوجوه ومن الوجه الأحدي غير المذكور في الكتاب ليست ميزان الخلافة الإلهية والمنصب العالي فإن هذه لكل موجود دان أو عال والتي هي ميزان الخلافة

والولاية ما يكون بالطريق المستقيم وظهور الكثرات الأسمائي على ميزان الاعتدال وليس المقام مقام شرح الحال والقوى لما حجبت عن ذاك المقام زعمت ما زعمت.

«وقال أبو بكر: العجز عن درك الإدراك إدراك». - ص ٦٩ -

قوله: وقال أبو بكر، أقول ليس العجز عن درك الإدراك إدراكاً بل إدراك العجز الكذائي إدراك كما يقال غاية عرفان أهل المعرفة إدراك العجز عنها ولعله سمع شيئاً ولم يحفظه فقال ما قال.

«سمى هذا المذكور إنساناً وخليفة فأما إنسانيته فلمعوم نشأته وحصره الحقائق كلها وهو للحق بمنزلة إنسان العين من العين». - ص ٦٩ -

قوله: فأما إنسانيته... الخ، لما فهم الشارح من كلام الشيخ وجهين للتسمية تكلف في الوجه الأول بما تكلف ولكن الظاهر من كلامه أن الوجه في تسميته إنساناً أنه من الحق بمنزلة إنسان العين منها وقوله فلمعوم نشأته وحصره الحقائق كلها توطئة ومقدمة للمقصد وحاصل كلام الشيخ أن الإنسان لما كانت نشأته عامة لجميع شؤون الأسمائي والأعياني حاصرة للحقائق الإلهية والكونية يكون مرآة لشهود الحقائق كلها وتكون منزلته من الحق في رؤية الأشياء منزلة إنسان العين من العين ولهذا سمي إنساناً فالإنسان الكامل كما أنه مرآة شهود الحق ذاته كما أفاد الشيخ سابقاً مرآة شهوده الأشياء كلها.

«وكما أن إنسان العين هو المقصود والأصل من العين إذ به يكون النظر ومشاهدة عالم الظاهر الذي هو صورة الحق كذلك الإنسان هو المقصود الأول من العالم كله إذ به يظهر الأسرار الإلهية والمعارف الحقيقية المقصودة من الخلق...». - ص ٧٠ -

قوله: وكما أن إنسان العين، ليس مقصود الشيخ ما ذكره الشارح فإنه على ذلك تمثيل بعيد بل منظوره أن الإنسان مرآة مشاهدة الأشياء فالحق به ينظر إلى الخلق كما أن العين بإنسانها تنظر إلى الموجودات وأما ما ذكره من

كونه إشارة إلى نتيجة قرب الفرائض فحق وأما نتيجة قرب الفرائض والنوافل فليست كما ذكرها بل الفناء الذاتي أيضاً من قرب النوافل والتفصيل لا يليق بالمقام .

«فتم العالم بوجوده أي لما وجد هذا الكون الجامع تم العالم بوجوده الخارجي لأنه روح العالم المدبر له والمتصرف فيه ولا شك أن الجسد لا يتم كماله إلا بروحه التي تدبره وتحفظه من الآفات وإنما تأخر نشأته المنصرية في الوجود المعنوي الخ» . - ص ٧١ -

قوله : وإنما تأخر نشأته المنصرية ، أقول : تأخره باعتبار كونه الأرض السابعة وأسفل السافلين فلما وقع في الحجب كلها أمكن له خرقها فهو آخر الآخرين كما هو أول الأولين فله الرجوع إلى نهاية النهايات وغاية الغايات فهو المنتزل من غيب الهوية إلى الشهادة المطلقة فهو ليلة القدر وله الخروج من جميع الحجب بظهور يوم القيامة فيه فهو يوم القيامة فاستثار نور الأحدي في تعيين الأحمدى ليلة القدر ولعل قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ [القدر: ١] إشارة إليه على بعض البطون وطلوع نوره تعالى من وراء حجابهِ الأقرب يوم القيامة ولعل قوله تعالى : ﴿ سَلِّمْ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ [القدر: ٥] إشارة إلى ذلك فهو ﷺ على سلامة من تصرف الشيطان وقذارات الشرك وغلبة الوحدة على الكثرة والكثرة على الوحدة في تمام ليلة القدر إلى مطلع الفجر من يوم القيامة .

«وذلك المرور إنما هو لتهيئة استعدادهِ للكمالات الالفة به واجتماع ما فصل من مقام جمعه من الحقائق والخصائص فيه وللأشهاد والاطلاع على ما أريد أن يكون خليفة عليه» . - ص ٧٢ -

قوله : وللأشهاد والاطلاع . . . الخ ، اعلم أن نزول الخليفة والقطب في مراتب التعينات الخلقية وتطوره بالتطورات الأرضية والسماوية لم يصر أسباب احتجابه عن الخلق والحق وعن مراتب الوجود فالولي والخليفة شاهدان للحضرات الأسمائية والتعينات التي هي الأعيان الثابتة في الحضرة العلمية عند كينونتتهما فيها من غير احتجاب وكذلك يشهدان مراتب النزول

الأسمائي والأعياني في الحضرة الغيب والشهادة إلى أن نزلا إلى الشهادة المطلقة فهما ذاكران للمراتب كلها قال بعض أهل الذوق إن حقيقة المعراج هو التذكر للأيام السالفة والأكوان السابقة حتى ينتهي إلى تذكر الحضرة العلمية وهذا في تحقيق المعراج وإن كان خلاف التحقيق لكن التذكر المذكور حق .

«وقولهم عدم رضاهم بذلك وإنكارهم له الناشئين من احتجاجهم برؤية أنفسهم وتسيبهم عن مرتبة من هو أكمل منهم...» - ص ٧٧ -

قوله: «وقولهم عدم رضاهم... الخ، ليس الكلام النفسي منهم مجرد الرضا بل الكلام له حقيقة أخرى غير العلم والإرادة والكراهة والرضا فعند تكثير الأسماء واعتبار مقام الواحدية والكثرة الأسمائية لا يرجع الصفات بعضها إلى بعض لا الإرادة إلى العلم بالنظام كما هو المشهور بين الحكماء المحجوبين ولا السمع والبصر إلى العلم ولا العلم إليهما كما هو رأي الشيخ المقتول شهاب الدين فالكلام النفسي في الحضرة العلمية عبارة عن التجلي الحبي المظهر للمكنون الغيبي على الحضرات الأعيانية في التجلي الواحدية كما أن السمع عبارة عن مقارعة خاصة بين هذا التجلي والتجلي العلمي الحاصل بعده وليس المقام مقام بسط هذه الحقائق.

«وذلك لأنه اتصف بالوجود والأسماء والصفات لازمة للوجود فوجب أيضاً اتصافه بلوازم الوجود وإلا لزم تخلف اللازم عن الملزوم...» - ص ٨٣ -

قوله: «والأسماء والصفات لازمة للوجود، أقول: بل هي عين الوجود في الحضرة الجمعية ومستهلكة في الحضرة الأحدية ولما كان العالم ظهور حضرة الجمع فيه كل الأسماء والصفات بطريق الظهور ووزان الوجوب وزان سائر الأسماء والصفات فالعالم واجب بوجوب ربه كما أنه حي بحياة ربه عالم بعلم ربه ففي الخليفة يكون كل ماله فهي على صورته.

أي شهودنا للحق شهود أنفسنا فإن الواصل إلى عالم العلم أيضاً يشهد عينه الثابتة في الحضرة العلمية فيشهد الحق في حجاب عينه الثابتة .

«وليس ذلك الفارق إلا افتقارنا إليه في الوجود وتوقف وجودنا عليه لإمكاننا وغناه عن مثل ما افتقرنا إليه...» . - ص ٨٤ -

قوله : وليس إلا افتقارنا إليه ، وهذه الكثرة الافتقارية ليست مثل الكثرات الأخرى بل هي تؤكد الوحدة وترفع البيئونة ولهذا قال ﷺ : «الفقر فخري» فالعالم إذا كان في حجاب نفسه يكون مفترقاً وممتازاً بالافتراق البيئوني وإذا خرج عن حجاب نفسه وتعلق بعز قدسه وافتقر وفنا عن ذاته رفع الغيرية وإذا تم الفقر فهو الله أي الهوية له لا لغيره .

«وهذا الكلام إنما هو بحسب الدار الآخرة وأما بحسب الدنيا فهي متناهية فلا ينبغي أن يتوهم أنه قائل بقدم الدنيا...» . - ص ٨٥ -

قوله : إنما هو بحسب الدار الآخرة . . . الخ ، أقول : ما ذكره الفاضل الشارح في كمال السقوط فإن خراب الدنيا وزوالها لا ينافي بقاء السلطنة الأسماوية في عالم الملك فإن الرحمانية والرحيمية والربوبية والمالكية التي ذكرت في مفتتح كتاب الله تعالى من الأسماء المحيطة الدائمة التجلي فكلما ظهر وانبسط باسمه الرحمن وهدى إلى الصراط المستقيم باسمه الرحيم وربى بأنواع التربية باسمه الربوبي بطن وقبض باسمه المالك ثم تجلى باسمه الرحمن إلى الحضرة الشهادة المطلقة ورجع إلى الباطن والله تعالى كل يوم في شأن جديد ولا تكرار في تجليه والعالم دائماً في الظهور والبطون من الأزل إلى الأبد والله من ورائهم محيط .

«وكون الإنسان مخلوقاً على صورته تعالى وذلك لأن الهوية قد يكون من الصفات الفعلية كما يقول هذا السلطان مهيب أي له عظمة في قلوب الناس...» . - ص ٨٧ -

قوله : لأن الهوية قد يكون من الصفات الفعلية ، أقول : الهوية ظهور

الجلال الإلهي في الحضرة الإنسانية وهي دائماً توجب الدهشة والهيمنان والقهر فإن ظهور هيئة السلطان في قلب الرعية يوجب مقهوريتها فالهيئة دائماً من الصفات الفعلية كما أن الأنس ظهور الجمال الإلهي في النشأة الإنسانية وفي كل جمال جلال وفي كل جلال جمال وفي كل عظمة وهيبة أنس ورحمة وفي كل أنس وجمال عظمة وهيبة .

«لكونه الجامع لحقائق العالم ومفرداته أي لكون الإنسان جامعاً لحقائق العالم التي هي مظاهر للصفات الجمالية والجلالية كلها وهي الأعيان الثابتة...» - ص ٨٧ -

قوله: لحقائق العالم، الحقائق هي الأعيان والأسماء بأحدية جمعها والمفردات هي هما باعتبار الكثرة والتفصيل فالإنسان الكامل له أحدية الجمع للأسماء والأعيان وبهذا المقام له مظهرية الحضرة الأحدية الجامعة وله مقام الكثرة التفصيلية وبه يكون مظهراً للحضرة الواحدية .

«أي وصف الحق نفسه بلسان نبيه ﷺ بالحجب الظلمانية والنورية كما قال إن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة» - ص ٨٨ -

قوله: بالحجب الظلمانية... الخ، يمكن أن تكون الحجب النورية هي الحضرات الأسمائية التي هي حجاب طلعة الذات ونوريتها باعتبار ظهور الذات فيها وكونه كوجه المرأة الصقيل وفي هذا الاعتبار الحجب الظلمانية هي الأعيان في النشأة العلمية والواحدية وظلمانيتها باعتبار كونها كخلف المرأة ولولا الحجب الظلمانية التي هي بمنزلة زيق خلف المرأة ما ظهرت الذات في الحجب الأسمائية لشدة نوريتها وكمال فنائها في الذات واضمحلالها تحت قهر كبريائه فالحق ظاهر في الحجب النورية باعتبار الحجب الظلمانية ويمكن أن تكون الحجب النورية هي ظهور الأسماء في النشأة الظاهرة والأعيان الظاهرة الخارجية هي الحجب الظلمانية باعتبار ما ذكرنا فاعرف واغتنم .

«فالعالم بين لطيف وكثيف أي كما أن الحق موصوف بالحجب
الظلمانية والتوراتية كذلك العالم موصوف بالكثافة واللطافة فهو دائر بين
الكثيف واللطيف». - ص ٨٨ -

قوله: فالعالم بين لطيف وكثيف... الخ، أي العالم لما كان بين
لطيف هو مقام روحانيته وكثيف هو مقام جسمانيته فهو حجاب على نفسه
التي هي عينه الثابتة فإذا كان هو حجاب نفسه وذاته فلا يدرك نفسه فضلاً عن
إدراك الحق فلا يدرك الحق نحو إدراك الحق لنفسه فإنه يدرك الحق من وراء
الحجب بل يدرك نفسه من ورائها أو فلا يدرك الحق مثل إدراك نفسه التي هي
عينه الثابتة فإن الحجاب بينه وبينها أقل من الحجاب بينه وبين الحق فتدبر.

«فلا يزال في حجاب لا يرفع أي فلا يزال العالم في حجاب لا يرفع
بمعنى أنه محجوب عن الحق بآتيته ولا يقدر على حق معرفته ولا على
معرفة نفسه...». - ص ٨٩ -

قوله: فلا يزال في حجاب لا يرفع، أي لما كان الإنسان عين الحجاب
على نفسه وهو دائماً في حجاب تعينه ونفسيته فلا يدرك الحق من غير
حجاب ولو عرف نفسه عرف ربه من وراء حجاب نفسه والإنسان الكامل
المطلع على حقائق الأسماء في الحضرة الواحدية يطلع عليها من وراء
حجاب عينه الثابتة وإن كان لا حكم لهذا الحجاب فلا يزال الإنسان في
حجاب عينه لا يرفع ذلك الحجاب فلا يدرك مدرك إلا نفسه فعرفان النفس
عين عرفان الرب، تدبر.

«كما قال وعلم آدم الأسماء كلها وجعل ذلك المودع في قبضته أي في
ظهوري الحق وتجليه بالقدرة لإيجاد العالم الكبير مرة والصغير أخرى
أو في عالمية الكبير والصغير...». - ص ٩٣ -

قوله: وفي ظهوري الحق، هذا بحسب انتسابهما إلى الحق فعبّر بالظهور
والتجلي وقوله في عالمية الكبير والصغير بحسب الوجهة اليلي الخلفي
وانتسابهما إلى الخلق وإن كان الظاهر والمظهر لا يفترقان إلا بالاعتبار.

«وفصّل كل حكمة الكلمة المنسوبة إليها». - ص ٩٥ -

وذلك لأنّ الفصّل أحديّة جمع حلقة الخاتم وكان الحلقة منه ظهرت وبه ختمت وكذلك كل دورة من أدوار النبوة بمنزلة دائرة تامة نبيّ تلك الدورة أحديّة جمعها وكل الدوائر نقاط دائرة الختمية وفصّلها الخاتم ﷺ .
«ولو رمت زيادة على ذلك ما استطعت فإنّ الحضرة تمنع من ذلك» .

- ٩٥ -

وذلك لأنّ الحقائق الإلهية نواميس الربوبية وهي لا بد وأنّ تحجب إلا على محارم الأسرار ولو أراد الولي أو النبي إظهارها لأنساها الله تعالى عن قلبه ولهذا قال ولو رمت زيادة على ذلك ، انتهى .

الفصل الشيشي

فص حكمة نفثية في كلمة شيشية

إِغْلَمْ أَنَّ الْعَطَايَا وَالْمِنَحَ الظَّاهِرَةَ فِي الْكَوْنِ عَلَى أَيْدِي الْعِبَادِ وَعَلَى
غَيْرِ أَيْدِيهِمْ عَلَى قِسْمَيْنِ: مِنْهَا مَا تَكُونُ عَطَايَا ذَاتِيَّةً وَعَطَايَا أَسْمَائِيَّةً وَتَتَمَيَّزُ
عِنْدَ أَهْلِ الْأَذْوَاقِ.

كَمَا أَنَّ مِنْهَا مَا يَكُونُ عَنْ سُؤَالٍ فِي مُعَيَّنٍ وَعَنْ سُؤَالٍ فِي غَيْرِ مُعَيَّنٍ.
وَمِنْهَا مَا لَا يَكُونُ عَنْ سُؤَالٍ.

سِوَاءِ كَانَتْ الْأَعْطِيَّةُ ذَاتِيَّةً أَوْ أَسْمَائِيَّةً.

فَالْمُعَيَّنُ كَمَنْ يَقُولُ: يَا رَبِّ أَعْطِنِي كَذَا فَيُعَيَّنُ أَمْرًا مَا لَا يَخْطُرُ لَهُ
سِوَاهُ، وَغَيْرِ الْمُعَيَّنِ كَمَنْ يَقُولُ: يَا رَبِّ إِغْطِنِي مَا تَعْلَمُ فِيهِ مَضْلَحَتِي مِنْ غَيْرِ
تَعْيِينٍ لِكُلِّ جُزْءٍ مِنْ ذَاتِي مِنْ لَطِيفٍ وَكَثِيفٍ.

وَالسَّائِلُونَ صِنْفَانِ: صِنْفٌ بَعَثَهُ عَلَى السُّؤَالِ الْاسْتِعْجَالُ الطَّبِيعِيُّ فَإِنَّ
الْإِنْسَانَ خَلَقَ عَاجُولًا.

وَالصِّنْفُ الْآخَرُ بَعَثَهُ عَلَى السُّؤَالِ لِمَا عَلِمَ أَنَّ ثَمَّةَ أُمُورٍ عِنْدَ اللَّهِ قَدْ
سَبَقَ الْعِلْمَ بِأَنَّهَا لَا تَنَالُ إِلَّا بَعْدَ السُّؤَالِ فَيَقُولُ فَلَعَلَّ مَا تَسْأَلُهُ مِنْهُ سُبْحَانَهُ
يَكُونُ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ؛ فَسُؤَالُهُ احْتِيَاطٌ لِمَا هُوَ الْأَمْرُ عَلَيْهِ مِنَ الْإِمْكَانِ وَهُوَ لَا
يَعْلَمُ مَا فِي عِلْمِ اللَّهِ وَلَا مَا يُعْطِيهِ اسْتِعْدَادُهُ فِي الْقَبُولِ، لِأَنَّهُ مِنْ أَغْمَضِ
الْمَعْلُومَاتِ الْوُقُوفِ فِي كُلِّ زَمَانٍ فَرَدَّ عَلَى اسْتِعْدَادِ الشَّخْصِ فِي ذَلِكَ
الزَّمَانِ.

وَلَوْلَا مَا أَعْطَاهُ الاستعدادُ السُّؤالَ ما سأل .

فغاية أهل الحُضور الَّذِينَ لا يعلمونَ مثْل هذا أنْ يَعْلَمُوهُ في الزَّمانِ
الَّذي يَكُونُونَ فيه، فَإِنَّهُمْ لَحُضُورِهِمْ يَعْلَمُونَ ما أَعْطَاهُم الْحَقُّ في ذلك
الزَّمانِ وَأَنْهُمْ ما قَبِلُوهُ إِلَّا بالاستعدادِ .

وَهُمْ صِنْفانِ : صِنْفٌ يَعْلَمُونَ مِنْ قَبُولِهِمْ اسْتِعْدَادَهُمْ ؛ وَصِنْفٌ يَعْلَمُونَ
مِنْ اسْتِعْدَادِهِمْ ما يَقْبَلُونَهُ .

هذا أتمَّ ما يَكُونُ في معرفة الاستعدادِ في هذا الصِّنْفِ .

وَمَنْ هذا الصِّنْفِ مَنْ يَسْأَلُ لا للاستِيعْجالِ ولا للإمْكانِ، وَإِنَّمَا يَسْأَلُ
امْتِثَالاً لأمرِ الله تعالى في قوله : ﴿ادْعُوهُ اسْتَجِبْ لَهُ﴾ [غافر : ٦٠]، فَهُوَ الْعَبْدُ
الْمَحْضُ .

وَلَيْسَ لهذا الدَّاعي هِمَّةٌ مُتَعَلِّقَةٌ في ما يَسْأَلُ فِيهِ مِنْ مُعَيَّنٍ أَوْ غَيْرِ
مُعَيَّنٍ، وَإِنَّمَا هِمَّتُهُ في امْتِثالِ أوامِرِ سَيِّدِهِ .

بَلْ نَظَرَهُ عَلَى الْحَقِّ جَمْعاً في مَقامِ وَحْدَتِهِ وَتَفْصِيلاً في مَظاهِرِهِ، فَإِذَا
اقتضى الحالُ السُّؤالَ سَأَلَ عُبُودِيَّةً، وَإِذَا اقْتَضَى التَّفْوِيضَ وَالسُّكُوتَ
سَكَتَ .

فَقَدْ ابْتُلِيَ أَيُّوبُ وَغَيْرُهُ وما سَأَلُوا رَفَعَ ما ابْتَلَاهُم اللهُ بِهِ، ثُمَّ اقْتَضَى
لَهُمُ الحالُ في زَمانٍ آخَرَ أَنْ يَسْأَلُوا رَفَعَ ذَلِكَ فَسَأَلُوا فَرَفَعَهُ اللهُ عَنْهُمْ .

وَالْتَعْجِيلُ بِالْمَسْئُولِ فِيهِ والإِبطاءُ لِلْقَدَرِ الْمُعَيَّنِ لَهُ عِنْدَ اللهِ .

فإِذَا وافَقَ السُّؤالُ الْوَقْتَ أُسْرِعَ بِالإِجَابَةِ وَإِذَا تَأَخَّرَ الْوَقْتُ إِمَّا في الدُّنْيا
وَإِمَّا في الآخِرَةِ تَأَخَّرَتِ الإِجَابَةُ، أَيِ الإِجَابَةُ (أَيِ الْمَسْئُولُ فِيهِ - خ) لا
الإِجَابَةُ الَّتِي هِيَ لِيَبْكُ مِنَ اللهِ فَافْهَمْ هذا .

وأما القسم الثاني وهو قولنا: «ومنها ما لا يكون عن سؤال» فإنما أريد بالسؤال التلطف به، فإنه في نفس الأمر لا بُدَّ من سؤالٍ إما باللفظ، أو بالحال، أو بالاستعداد.

كما أنه لا يصحَّ حَمْدٌ مطلقٌ قطُّ إلا في اللفظ، وأما في المعنى فلا بُدَّ أن يُقَيِّدَهُ الحال. فالَّذِي يعبثُكَ على حَمْدِ الله هو المُقَيِّدُ لَكَ باسمِ فِعْلٍ أو باسمِ تنزيه.

والاستعدادُ مِنَ العَبْدِ لا يَشْعُرُ بِهِ صاحِبُهُ وَيَشْعُرُ بِالحالِ لِأنَّهُ يَعْلَمُ الباعِثَ وَهُوَ الحالُ فالاستعدادُ أخفى سؤال.

وإنما يَمْنَعُ هؤلاء من السؤال عِلْمُهُمْ بأنَّ الله تعالى فيهم سابقةً قضاءً فهم قد هيأوا محلَّهم لِقَبول ما يَرُدُّ منه وقد غابوا عن نُفوسِهِم وأغراضِهِم. ومن هؤلاء مَنْ يَعْلَمُ أَنَّ عِلْمَ الله بِهِ في جَميعِ أحوالِهِ هو ما كانَ عَلَيْهِ في حالِ ثبوتِ عَيْنِهِ قَبْلَ وجودِها، وَيَعْلَمُ أَنَّ الحقَّ لا يُعْطِيهِ إِلَّا ما أعطتهُ عَيْنُهُ مِنَ العِلْمِ بِهِ وهو ما كانَ عَلَيْهِ في حالِ ثبوتِهِ، فَيَعْلَمُ عِلْمَ الله بِهِ مِنْ أَيْنَ حَصَلَ وما ثَمَّةَ (وما ثمَّ - خ) صَيَّفَ مِنْ أهلِ الله أعلى وأكشَفَ مِنْ هذا الصَيِّفِ؛ فَهُم الواقِفُونَ على سِرِّ القَدَرِ.

وهم على قسمين: مِنْهُمْ مَنْ يَعْلَمُ ذَلِكَ مُجَمَّلاً، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْلَمُهُ مُفَصَّلاً، وَالَّذِي يَعْلَمُهُ مُفَصَّلاً أَعْلَى وَأَتَمُّ مِنَ الَّذِي يَعْلَمُهُ مُجَمَّلاً، فَإِنَّهُ يَعْلَمُ ما فِي عِلْمِ الله فِيهِ إِمَّا بِإِغْلَامِ الله إِيَّاهُ بما أعطاهُ مِنَ العِلْمِ بِهِ.

وإنما أن تَكشِفَ (بأن يُكشِفَ - خ) لَهُ عَنْ عَيْنِهِ الثَّابِتَةَ وانتقالاتِ الأحوالِ عَلَيْها إِلَّا ما لا يَتَنَاهَى.

وَهُوَ أَعْلَى فَإِنَّهُ يَكُونُ فِي عِلْمِهِ بِتَفْسِيهِ بِمَنْزِلَةِ عِلْمِ اللَّهِ بِهِ لِأَنَّ الْأَخْذَ مِنْ مَعْدِنٍ وَاحِدٍ وَهُوَ الْعَيْنُ الْمَعْلُومَةُ .

إِلَّا أَنَّهُ مِنْ جِهَةِ الْعَبْدِ عِنَايَةً مِنْ اللَّهِ سَبَقَتْ لَهُ هِيَ مِنْ جُمْلَةِ أَحْوَالِ عَيْنِهِ الثَّابِتَةِ يَغْرِفُهَا صَاحِبُ هَذَا الْكَشْفِ إِذَا أَطْلَعَهُ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ .

فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي وَسْعِ الْمَخْلُوقِ إِذَا أَطْلَعَهُ اللَّهُ عَلَى أَحْوَالِ عَيْنِهِ الثَّابِتَةِ الَّتِي تَقَعُ صُورَةُ الْوُجُودِ عَلَيْهَا أَنْ يَطَّلِعَ فِي هَذِهِ الْحَالِ عَلَى أَطْلَاعِ الْحَقِّ عَلَى هَذِهِ الْأَعْيَانِ الثَّابِتَةِ فِي حَالِ عَدَمِهَا لِأَنَّهَا نَسَبَ ذَاتِيَّةً لَا صُورَةَ لَهَا .

فَبِهَذَا الْقَدْرِ نَقُولُ : إِنَّ الْعِنَايَةَ الْإِلَهِيَّةَ سَبَقَتْ لِهَذَا الْعَبْدِ بِهَذِهِ الْمُسَاوَاةِ فِي إِفَادَةِ الْعِلْمِ .

وَمِنْ هُنَا يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ حَقَّقْ نَعْلَمُ ﴾ [محمد : ٣١] وَهِيَ كَلِمَةٌ مُحَقَّقَةٌ الْمَعْنَى مَا هِيَ كَمَا يَتَوَهَّمُهُ مَنْ لَيْسَ لَهُ هَذَا الْمَشْرَبُ .

وَعَايَةُ الْمُتَنَزِّهِ أَنْ يَجْعَلَ ذَلِكَ الْخُذُوثَ فِي الْعِلْمِ لِلتَّعَلُّقِ وَهُوَ أَعْلَى وَجْهِهُ يَكُونُ لِلْمُتَكَلِّمِ بِعَقْلِهِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ ، لَوْلَا أَنَّهُ أَثْبَتَ الْعِلْمَ زَائِداً عَلَى الذَّاتِ فَجَعَلَ التَّعَلُّقَ لَهُ لَا لِلذَّاتِ . وَبِهَذَا انْفَصَلَ عَنِ الْمُحَقِّقِ مِنْ أَهْلِ اللَّهِ صَاحِبُ الْكَشْفِ وَالْوُجُودِ .

ثُمَّ نَرْجِعُ إِلَى الْأَعْطِيَّاتِ فَنَقُولُ إِنَّ الْأَعْطِيَّاتِ إِمَّا ذَاتِيَّةً أَوْ أَسْمَائِيَّةً . فَأَمَّا الْمِنْحُ وَالْهِيَائُ وَالْعَطَايَا الذَّاتِيَّةُ فَلَا تَكُونُ أَبَداً إِلَّا عَنْ تَجَلٍّ إِلَهِيٍّ . وَالتَّجَلِّيُّ مِنَ الذَّاتِ لَا يَكُونُ أَبَداً إِلَّا بِصُورَةٍ اسْتِعْدَادِ الْمُتَجَلِّيِّ لَهُ ، غَيْرُ (وغير - خ) ذَلِكَ لَا يَكُونُ ، فإِذَا الْمُتَجَلِّيُّ لَهُ مَا رَأَى سِوَى صُورَتِهِ فِي مِرَاةِ الْحَقِّ .

وَمَا رَأَى الْحَقَّ وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَرَاهُ مَعَ عِلْمِهِ أَنَّهُ مَا رَأَى صُورَتَهُ إِلَّا فِيهِ

كالمرآة في الشاهد إذا رأيت الصُّورَ فيها لا تراها مَعَ عِلْمِكَ أَنَّكَ ما رَأَيْتَ
الصُّورَ أو صُورَتَكَ إِلَّا فيها .

فأَبْرَزَ اللهُ ذَلِكَ مِثَالًا نَصَبَهُ لِتَجْلِيهِ الذَّاتِي لِتَعْلَمَ الْمُتَجَلَّى لَهُ أَنَّهُ ما رآه .
وما نَمَّةٌ مِثَالُ أَقْرَبُ ولا أَشْبَهُ بالرُّؤْيَةِ والتَّجَلِّي مِنْ هَذَا . واجْهَدْ في
نَفْسِكَ عِنْدَما تَرَى الصُّورَةَ في المِرْآةِ أَنْ تَرَى جِزْمَ المِرْآةِ لا تَرَاهُ أَبْدأَ البَتَّةَ
حَتَّى أَنْ بَعْضَ مَنْ أَدْرَكَ مِثْلَ هَذَا في صُورِ المِرايا ذَهَبَ إلى أَنَّ الصُّورَةَ
المَزْمُونَةَ بَيْنَ بَصَرِ الرَّايِ وَبَيْنَ المِرْآةِ .

وهذا أَغْطَمُ ما قَدَرَ (قُدِّرَ - مَعًا) عَلَيْهِ مِنَ العِلْمِ ، والأَمْرُ كَمَا قُلْنَاهُ
وَذَهَبْنَا إِلَيْهِ .

وَقَدْ بَيَّنَّا هَذَا في الفُتُوحَاتِ المَكِّيَّةِ .

وَإِذَا دُفِّتَ هَذَا دُفِّتَ الغَايَةُ الَّتِي لَيْسَ فَوْقَهَا غَايَةٌ في حَقِّ المَخْلُوقِ .
فَلا تَطْمَعُ ولا تُتَعِبُ نَفْسَكَ في أَنْ تَرْقَى في أَغْلَى مِنْ هَذَا الدَّرَجِ فَمَا هُوَ ثُمَّ
أَضَلًّا ، وما بَعْدَهُ إِلَّا العَدَمُ المَخْضُ .

فَهُوَ مِرائِكَ في رُؤْيَتِكَ نَفْسَكَ ، وَأَنْتَ مِرائُهُ في رُؤْيَتِهِ أَسْماءُهُ وَظُهُورُ
أَحْكامِها .

وَلَيْسَتْ سِوَى عَيْنِهِ .

فَاخْتَلَطَ الأَمْرُ وَأَتْبَهُمْ فَمِمَّا مَنْ جَهِلَ في عِلْمِهِ .

بَلْ أَعْطَاهُ العِلْمَ السَّكُوتَ كَمَا أَعْطَاهُ العَجَرَ .

وهذا هُوَ أَغْلَى عَالَمِ باللهِ ، وَلَيْسَ هَذَا العِلْمُ إِلَّا لِخَاتِمِ الرُّسُلِ وَخَاتِمِ
الأُولِياءِ ، وَلَا يَرَاهُ (وما يَرَاهُ - خ) أَحَدٌ مِنَ الأنبياءِ والرُّسُلِ إِلَّا مِنْ مَشْكَاةٍ

الرُّسُولِ الْخَاتَمِ، وَلَا يَرَاهُ أَحَدٌ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ إِلَّا مِنْ مِشْكَاةِ الْوَلِيِّ الْخَاتَمِ،
حَتَّى أَنْ الرُّسُلَ لَا يَرُونَهُ مَتَى رَأَوْهُ إِلَّا مِنْ مِشْكَاةِ خَاتَمِ الْأَوْلِيَاءِ.

فَإِنَّ الرِّسَالَةَ وَالنُّبُوَّةَ - أَعْنِي نُبُوَّةَ التَّشْرِيعِ وَرِسَالَتَهُ - تَنْقَطِعَانِ، وَالْوِلَايَةُ
لَا تَنْقَطِعُ أَبَدًا.

فَالْمُرْسَلُونَ مِنْ كَوْنِهِمْ أَوْلِيَاءُ لَا يَرُونَ مَا ذَكَرْنَاهُ إِلَّا مِنْ مِشْكَاةِ خَاتَمِ
الْأَوْلِيَاءِ، فَكَيْفَ مَن دُونِهِمْ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ؟

وَأِنْ كَانَ خَاتَمُ الْأَوْلِيَاءِ تَابِعًا فِي الْحُكْمِ لِمَا جَاءَ بِهِ خَاتَمُ الرُّسُلِ مِنْ
التَّشْرِيعِ، فَذَلِكَ لَا يَقْدَحُ فِي مَقَامِهِ وَلَا يُنَاقِضُ مَا ذَهَبْنَا إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ مِنْ وَجْهِ
يَكُونُ أَنْزَلَ كَمَا أَنَّهُ مِنْ وَجْهِ يَكُونُ أَعْلَى. وَقَدْ ظَهَرَ فِي ظَاهِرِ شَرْعِنَا مَا يُؤَيِّدُ
مَا ذَهَبْنَا إِلَيْهِ فِي فَضْلِ عَمَرٍ فِي أَسَارَى بَدْرِ بِالْحُكْمِ فِيهِمْ؛ وَفِي تَأْيِيرِ التَّخْلِ.

فَمَا يَلْزَمُ الْكَامِلَ أَنْ يَكُونَ لَهُ التَّقَدُّمُ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَفِي كُلِّ مَرْتَبَةٍ،
وَأَبْنَاءُ نَظَرِ الرِّجَالِ إِلَى التَّقَدُّمِ فِي رُتَبِ الْعِلْمِ بِاللَّهِ: هُنَالِكَ مَطْلَبُهُمْ. وَأَمَّا
خَوَادِثُ الْأَكْوَانِ فَلَا تَعْلَقُ لِخَوَاطِرِهِمْ بِهَا، فَتَحَقِّقُ مَا ذَكَرْنَاهُ، وَلَمَّا مَثَلَ النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النُّبُوَّةَ بِالْحَائِطِ مِنَ اللَّبَنِ وَقَدْ كَمُلَ سِوَى مَوْضِعِ لَبَنَةٍ
وَاجِدَةٍ، فَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِلْكَ اللَّبَنَةُ غَيْرَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
لَا يَرَاهَا إِلَّا كَمَا قَالَ لَبَنَةٌ وَاجِدَةٌ وَأَمَّا خَاتَمُ الْأَوْلِيَاءِ فَلَا يَدُّ لَهُ مِنْ هَذِهِ الرُّؤْيَا
فَيَرَى مَا مِثْلُهُ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَرَى فِي الْحَائِطِ مَوْضِعَ
لَبَنَتَيْنِ وَاللَّبَنَتَانِ مِنْ ذَهَبٍ وَفَضَّةٍ. فَيَرَى اللَّبَنَتَيْنِ اللَّتَيْنِ يَنْقُصُ الْحَائِطُ عَنْهُمَا
وَيَكْمُلُ (وَتَكْمُلُ - خ) بِهِمَا، لَبَنَةُ ذَهَبٍ وَلَبَنَةُ فَضَّةٍ فَلَا يَدُّ أَنْ يَرَى نَفْسَهُ تَنْطَبِعُ
فِي مَوْضِعِ تَيْنِكَ (تلك - خ) اللَّبَنَتَيْنِ، فَيَكُونُ خَاتَمُ الْأَوْلِيَاءِ تَيْنِكَ (تلك - خ)
اللَّبَنَتَيْنِ فَيَكْمُلُ الْحَائِطُ.

وَالسَّبَبُ الْمَوْجِبُ لَكُونِهِ رَأَاهَا لَبَّتَيْنِ أَنَّهُ تَابِعٌ لِشَرْعِ خَاتَمِ الرُّسُلِ فِي الظَّاهِرِ وَهُوَ مَوْضِعُ اللَّبَنَةِ الْفُضِيَّةِ وَهُوَ ظَاهِرُهُ وَمَا يَتَّبِعُهُ فِيهِ مِنَ الْأَحْكَامِ، كَمَا هُوَ آخِذٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فِي السِّرِّ مَا هُوَ بِالصُّورَةِ الظَّاهِرَةِ مَتَّبِعٌ فِيهِ، لِأَنَّهُ يَرَى الْأَمْرَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَرَاهُ هَكَذَا وَهُوَ مَوْضِعُ اللَّبَنَةِ الذَّهَبِيَّةِ فِي الْبَاطِنِ، فَإِنَّهُ آخِذٌ مِنَ الْمَعْدِنِ الَّذِي يَأْخُذُ مِنْهُ الْمَلَكُ الَّذِي يُوحَى بِهِ إِلَى الرُّسُولِ فَإِنْ فَهِمْتَ مَا أَشْرْتُ إِلَيْهِ فَقَدْ حَصَلَ لَكَ الْعِلْمُ النَّافِعُ.

فَكُلُّ نَبِيٍّ مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى آخِرِ نَبِيِّ مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ يَأْخُذُ إِلَّا مِنْ مَشْكَاءِ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ، وَإِنْ تَأَخَّرَ وُجُودُ طَبِئَتِهِ فَإِنَّهُ بِحَقِيقَتِهِ مُوجُودٌ، وَهُوَ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُنْتُ نَبِيًّا وَآدَمُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطِّينِ»، وَغَيْرُهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مَا كَانَ نَبِيًّا إِلَّا جِئِنَ بُعِثَ.

وَكَذَلِكَ خَاتَمُ الْأَوْلِيَاءِ كَانَ وَلِيًّا وَآدَمُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطِّينِ، وَغَيْرُهُ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ مَا كَانَ وَلِيًّا إِلَّا بَعْدَ تَخْصِيلِهِ شَرَائِطَ الْوَلَايَةِ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْإِلَهِيَّةِ فِي الْإِتِّصَافِ بِهَا مِنْ كَوْنِ اللَّهِ يُسَمَّى «بِالْوَلِيِّ الْحَمِيدِ».

فَخَاتَمُ الرُّسُلِ مِنْ حَيْثُ وَلَايَتِهِ، يُسَبِّتُهُ مَعَ الْخَاتَمِ لِلْوَلَايَةِ نَسَبُهُ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ مَعَهُ، فَإِنَّهُ الْوَلِيُّ الرُّسُولُ النَّبِيُّ؛ وَخَاتَمُ الْأَوْلِيَاءِ الْوَلِيُّ الْوَارِثُ الْآخِذُ عَنِ الْأَصْلِ الْمُشَاهِدُ لِلْمَرَاتِبِ.

وَهُوَ حَسَنَةٌ مِنْ حَسَنَاتِ خَاتَمِ الرُّسُلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مُقَدِّمُ الْجَمَاعَةِ وَسَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ فِي فَتْحِ بَابِ الشُّفَاعَةِ.

فَعَيْنٌ حَالًا خَاصًّا مَا عَمَّمَ (وَمَا عَمَّم - خ).

وَفِي هَذَا الْحَالِ الْخَاصِّ تَقَدَّمَ عَلَى الْأَسْمَاءِ الْإِلَهِيَّةِ، فَإِنَّ الرَّحْمَنَ يَشْفَعُ (مَا شَفَعَ - خ) عِنْدَ الْمُتَّقِمِ فِي أَهْلِ الْبَلَاءِ إِلَّا بَعْدَ شَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ فَفَازَ

مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالسِّيَادَةِ فِي هَذَا الْمَقَامِ الْخَاصِّ فَمَنْ فَهَمَ
الْمَرَاتِبَ وَالْمَقَامَاتِ لَمْ يَغْسِرْهُ قَبُولُ مِثْلِ هَذَا الْكَلَامِ .

وَأَمَّا الْمِنْحُ الْأَسْمَائِيَّةُ فَاعْلَمْ أَنَّ مَنَحَ اللهِ تَعَالَى خَلَقَهُ رَحْمَةً مِنْهُ بِهِمْ ،
وَهِيَ كُلُّهَا مِنْ الْأَسْمَاءِ فَأَمَّا رَحْمَةُ خَالِصَةِ كَالطَّيِّبِ مِنَ الرِّزْقِ اللَّذِيذِ فِي الدُّنْيَا
الْخَالِصِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَيُعْطَى ذَلِكَ الْأَسْمُ الرَّحْمَنُ فَهُوَ عَطَاءُ رَحْمَانِي ، وَإِنَّمَا
رَحْمَةُ مُتَمَرِّجَةٍ كَشَرْبِ الدَّوَاءِ الْكَرِهِ الَّذِي يَغْقَبُ شُرْبُهُ الرَّاحَةَ ، وَهِيَ عَطَاءُ
إِلَهِي فَإِنَّ الْعَطَايَا الْإِلَهِيَّةَ ، لَا يُمَكِّنُ إِطْلَاقَ عَطَائِهِ مِنْهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ عَلَى
يَدَيِ سَادِنٍ مِنْ سَدَنَةِ الْأَسْمَاءِ .

فَتَارَةً يُعْطِي اللهُ تَعَالَى الْعَبْدَ عَلَى يَدَيِ الرَّحْمَنِ فَيَخْلُصُ الْعَطَاءُ مِنَ
الشُّوبِ الَّذِي لَا يُلَانِمُ الطَّنْبُخَ فِي الْوَقْتِ أَوْ لَا يُنِيلُ الْغُرْصَ وَمَا أَشَبَّهُ ذَلِكَ .
وَتَارَةً يُعْطَى اللهُ عَلَى (وتارة يعطى على - خ) يَدَيِ الْوَاسِعِ فَيَعْمَ .

أَوْ عَلَى يَدَيِ الْحَكِيمِ فَيَنْظُرُ فِي الْأَصْلَحِ فِي الْوَقْتِ .
أَوْ عَلَى يَدَيِ الْوَهَّابِ (الواهب - خ) فَيُعْطِي لِلنِّعَمِ وَلَا يَكُونُ مَعَ
الْوَاهِبِ تَكْلِيفُ الْمُعْطَى لَهُ بِعَوَضٍ عَلَى ذَلِكَ مِنْ شُكْرِ أَوْ عَمَلٍ .
أَوْ عَلَى يَدَيِ الْجَبَّارِ فَيَنْظُرُ فِي الْمَوْطِنِ وَمَا يَسْتَجِهُ .

أَوْ عَلَى يَدَيِ الْعَقَّارِ فَيَنْظُرُ فِي الْمَحَلِّ وَمَا هُوَ عَلَيْهِ فَإِنْ كَانَ عَلَى حَالٍ
يَسْتَحِقُّ الْعُقُوبَةَ فَيَسْتَرُهُ عَنْهَا ، أَوْ عَلَى حَالٍ لَا يَسْتَحِقُّ الْعُقُوبَةَ فَيَسْتَرُهُ ، عَنْ
حَالٍ يَسْتَحِقُّ الْعُقُوبَةَ فَيَسْمَى مَغْضُومًا وَمُعْتَنَى بِهِ وَمَحْفُوظًا .
وَعَبْرَ ذَلِكَ مِمَّا يُشَاكِلُ هَذَا النَّوْعَ .

وَالْمُعْطَى هُوَ اللهُ مِنْ حَيْثُ مَا هُوَ خَازِنٌ لِمَا عِنْدَهُ فِي خَزَائِنِهِ فَمَا
يُخْرِجُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ عَلَى يَدَيِ اسْمِ خَاصٍ بِذَلِكَ الْأَمْرِ .

﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقًا﴾ [طه: ٥٠] عَلَى يَدَيِ الْإِسْمِ الْعَدْلِ وَأَخَوَاتِهِ .

وأسماء الله وإن كانت لا تنتهى (وأسماء الله لا تنتهى - خ) لأنها
تُعَلِّمُ بما يَكُونُ عنها وما يَكُونُ عنها غير مُتَنَاهٍ - وإن كانت ترجع إلى أصول
مُتَنَاهِيَةٍ هِيَ أَمَهاُتُ الْأَسْمَاءِ أو حَضْرَاُتُ الْأَسْمَاءِ .

وعلى الْحَقِيقَةِ فَمَا تَمَّ إِلَّا حَقِيقَةُ وَاحِدَةٍ تَقْبَلُ جَمِيعَ هَذِهِ النِّسَبِ
وَالِإِضَافَاتِ الَّتِي تُكْنَى عَنْهَا بِالْأَسْمَاءِ الْإِلَهِيَّةِ .

وَالْحَقِيقَةُ تُعْطَى أَنْ تُكَوْنَ (يَكُونُ - خ) لِكُلِّ اسْمٍ يَظْهَرُ إِلَى مَا لَا
يَنْتَاهَى ، حَقِيقَةُ يَتَمَيَّزُ بِهَا عَنْ اسْمٍ آخَرَ ، وَتِلْكَ الْحَقِيقَةُ الَّتِي بِهَا يَتَمَيَّزُ الْاسْمُ
عَيْنُهُ لَا مَا يَقَعُ فِيهِ الْإِشْتِرَاكُ .

كَمَا أَنَّ الْأَعْطِيَّاتِ تَتَمَيَّزُ كُلُّ أُعْطِيَةٍ عَنْ غَيْرِهَا بِشَخْصِيَّتِهَا ، وَإِنْ كَانَتْ
مِنْ أَصْلٍ وَاحِدٍ ، فَمَعْلُومٌ أَنَّ هَذِهِ مَا هِيَ هَذِهِ الْآخَرَى وَسَبَبُ ذَلِكَ تَمَيُّزُ
الْأَسْمَاءِ .

فَمَا فِي الْحَضْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ لِاتِّسَاعِهَا شَيْءٌ يَتَكَرَّرُ أَصْلًا هَذَا هُوَ الْحَقُّ
الَّذِي يُعَوَّلُ عَلَيْهِ .

وهذا الْعِلْمُ كَانَ عِلْمَ شَيْثٍ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَرُوحُهُ هُوَ الْمُمَدُّ لِكُلِّ
مَنْ يَتَكَلَّمُ فِي مِثْلِ هَذَا مِنَ الْأَرْوَاحِ مَا عَدَا رُوحَ الْخَاتِمِ فَإِنَّهُ لَا تَأْتِيهِ الْمَادَّةُ إِلَّا
مِنْ اللَّهِ لَا مِنْ رُوحٍ مِنَ الْأَرْوَاحِ ، بَلْ مِنْ رُوحِهِ تَكُونُ الْمَادَّةُ لِجَمِيعِ الْأَرْوَاحِ .
وَإِنْ كَانَ لَا يَقْبَلُ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِهِ فِي زَمَانٍ تَرْكِيبِ جَسَدِهِ الْعُنْصُرِيِّ .
فَهُوَ مِنْ حَيْثُ حَقِيقَتِهِ وَرُبُوبِيَّتِهِ عَالِمٌ بِذَلِكَ كُلِّهِ بِعَيْنِهِ ، مِنْ حَيْثُ مَا هُوَ
جَاهِلٌ بِهِ مِنْ جِهَةِ تَرْكِيبِهِ الْعُنْصُرِيِّ .

فَهُوَ الْعَالِمُ الْجَاهِلُ ؛ فَيَقْبَلُ الْإِنْصَافَ بِالْأَضْدَادِ كَمَا يَقْبَلُ (قَبْلُ - خ)

الأصلُ الانْتِصافَ بذلك، كالجَلِيلِ والجَمِيلِ والظَاهِرِ والبَاطِنِ والأَوَّلِ والآخرِ.

وَهُوَ عَيْنُهُ وَلَيْسَ غَيْرُهُ (لا غَيْرَ - خ) فَيَعْلَمُ وَلَا يَعْلَمُ، وَيَدْرِي وَلَا يَدْرِي، وَيَشْهَدُ وَلَا يَشْهَدُ.

وبهذا العِلْمِ سُمِّيَ شَيْثَ لِأَنَّ مَعْنَاهُ هِبَةُ اللَّهِ.

فَيَبْدُوهُ مَفَاتِيحَ (مِفْتَاح - خ) العَطَايَا عَلَى اخْتِلَافِ أَصْنَافِهَا وَنَسَبِهَا.

فَإِنَّ اللَّهَ وَهَبَهُ لِآدَمَ أَوَّلَ مَا وَهَبَهُ.

وَمَا وَهَبَهُ إِلَّا مِنْهُ لِأَنَّ الْوَلَدَ سِرُّ أَبِيهِ، فَمِنْهُ خَرَجَ وَإِلَيْهِ عَادَ.

فَمَا أَنَا غَرِيبٌ لِمَنْ عَقَلَ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى.

وَكُلَّ عَطَاءٍ فِي الْكَوْنِ عَلَى هَذَا الْمَجْرَى.

فَمَا فِي أَحَدٍ مِنَ اللَّهِ شَيْءٌ وَلَا فِي أَحَدٍ مِنْ سِوَى نَفْسِهِ شَيْءٌ وَإِنْ تَنَوَّعَتْ عَلَيْهِ الصُّورُ.

وَمَا كُلُّ أَحَدٍ يَعْرِفُ هَذَا وَأَنَّ الْأَمَرَ عَلَى ذَلِكَ، إِلَّا آحَاذٌ مِنْ أَهْلِ اللَّهِ. فَإِذَا رَأَيْتَ مَنْ يَعْرِفُ ذَلِكَ فَاعْتَمِدْ عَلَيْهِ.

فَذَلِكَ (كَذَلِكَ - خ) هُوَ عَيْنُ صَفَاءِ خُلَاصَةِ الْخَاصَّةِ مِنْ عُمُومِ أَهْلِ اللَّهِ.

فَأَيُّ صَاحِبٍ كَشَفَ شَاهِدَ صُورَةٍ تُلْقَى إِلَيْهِ مَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مِنَ الْمَعَارِفِ وَتَمَنَّحَهُ مَا لَمْ يَكُنْ قَبْلَ ذَلِكَ فِي يَدِهِ فَتِلْكَ الصُّورَةُ عَيْنُهُ لَا غَيْرُهُ. فَمِنْ شَجَرَةٍ نَفْسِهِ جَنَى ثَمَرَةً عَلِمَهُ (غَرَسَهُ - خ).

كَالصُّورَةِ الظَّاهِرَةِ مِنْهُ فِي مُقَابَلَةِ الْجِسْمِ الصَّقِيلِ لَيْسَ غَيْرَهُ، إِلَّا أَنَّ

المحلّ أو الحضرة التي رأى فيها صورة نفسه تلقى إليه بتقلب من وجه
لحقيقة (بحقيقة - خ) تلك الحضرة.

كما يظهر الكبير في المرأة الصغيرة صغيراً، ويظهر غير المستطيل
والمتحرك في المستطيلة مُستطيلاً، والمتحركة مُتحرّكاً. وقد تُعطيه انتكاس
صورته من حضرة خاصّة.

وقد تُعطيه عين ما يظهر منها فيقابل اليمين منها اليمين من الرائي.
وقد يُقابل اليمين اليسار وهو الغالب في المرايا بمنزلة العادة في
العموم.

ويُخرق العادة يُقابل اليمين اليمين ويظهر الانتكاس.
وهذا كله من أعطيات حقيقة الحضرة المتجلّى فيها التي أنزلناها منزلة
المرايا (المراي - خ).

فمن عَرَفَ استعداده عَرَفَ قبوله، وما كل من عَرَفَ قبوله، يَعْرِفُ
استعداده إلا بعد القبول، وإن كان يَعْرِفُه مُجَمَّلاً.

إلا أن بعض أهل النظر من أصحاب العقول الضعيفة يَرَوْنَ أَنَّ الله لَمَّا
تَبَتَّ عندهم أَنَّهُ فَعَالٌ لِمَا يَشَاءُ، جَوَّزُوا عَلَى الله ما يُناقِضُ الْحِكْمَةَ وما هُوَ
الأمر عليه في نفسه.

ولهذا عدل بعض النظار إلى نفي الإمكان وإثبات الوجوب بالذات
وبالغير.

والمُحَقِّقُ يَثْبُتُ الإمكانَ وَيَعْرِفُ حَضْرَتَهُ، والمُمكنَ وما هُوَ المُمكنُ.
وَمِنْ أَيْنَ هُوَ مُمكنَ وَهُوَ بِعَيْنِهِ واجبٌ بالغير؛ وَمِنْ أَيْنَ صَحَّ عَلَيْهِ اسم
الغير الَّذي اقْتَضَى لَهُ الوجوبَ وَلَا يَغْلُمُ هذا التَّفْصِيلَ إِلَّا العلماءُ بالله
خاصّةً.

وَعَلَى قَدَمِ شَيْبٍ يَكُونُ آخِرَ مَوْلُودٍ يُؤَلَّدُ مِنْ هَذَا النَّوْعِ الْإِنْسَانِي . وَهُوَ حَامِلُ أَسْرَارِهِ ، وَلَيْسَ بَعْدَهُ وَلَدٌ فِي هَذَا النَّوْعِ . فَهُوَ خَاتَمُ الْأَوْلَادِ ، وَتَوَلَّدَ مَعَهُ أُخْتُ لَهُ فَتَخْرُجُ قَبْلَهُ وَيَخْرُجُ بَعْدَهَا وَيَكُونُ رَأْسُهُ عِنْدَ رِجْلَيْهَا وَيَكُونُ مَوْلَدُهُ بِالضَّيْنِ وَلَعْنَةُ لَعْنَةِ بَلَدِهِ وَيَسْرِي الْعُقْمُ فِي الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ فَيَكْثُرُ النِّكَاحُ مِنْ غَيْرِ وَلَادَةٍ وَيَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ فَلَا يُجَابُ فَإِذَا قَبِضَهُ اللَّهُ وَقَبَضَ مُؤْمِنِي زَمَانِهِ بَقِيَ مَنْ بَقِيَ مِثْلَ الْبَهَائِمِ لَا يُحْلُونَ حَلَالًا وَلَا يُحَرِّمُونَ حَرَامًا ، يَتَصَرَّفُونَ بِحُكْمِ الطَّبِيعَةِ شَهْوَةً مُجَرَّدَةً عَنِ الْعَقْلِ وَالشَّرْعِ فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ .



«فَصْ حِكْمَةُ نَفْثِيَةِ فِي كَلِمَةِ شَيْثِيَةِ» . - ص ٩٧ -

قوله: والسائلون صنفان، السائلون على ثلاثة أصنافٍ: سائل على سبيل الاستعجال وسائل على سبيل الاحتمال ورسائل على سبيل الامتثال ولما كان الثالث لم يكن منظوره المسؤول قال صنفان .

«ثم نرجع إلى الأعطيات فنقول إن الأعطيات إما ذاتية أو اسمائية فأما المنح والهبات والمعطايا الذاتية فلا تكون أبداً إلا عن تجل إلهي . . .» .
- ص ١٠٤ -

قوله: إما ذاتية . . . الخ، اعلم أن الذات المقدسة بما هي هي لا تتجلى لمرأة من المراتي ولا تظهر في عالم من العوالم إلا من وراء حجب الأسماء بل سائر الفواعل غير ذات الباري أيضاً كذلك فالذات دواماً محجوبة بحجاب الأسماء والصفات فالمنح الذاتية لم تكن من الذات بما هي هي بل منها بتعين الأسماء الإطلاقيه كاسم الله الأعظم والاسم الرحمن بمقامه الجمعي والمنح الاسمائي ما كانت منها بتعين الأسماء الآخر كالرحمن باعتباره الآخر والواسع وغيرهما .

«... إن نسبته أيضاً إلى خاتم الولاية نسبته غيره من الأنبياء ولا تفاضل لأنه صاحب هذه المرتبة في الباطن والخاتم مظهرها في الظاهر...».

- ص ١١١ -

قوله: ولا تفاضل، أي لا تفاضل لخاتم الولاية على ختم الرسالة فإن ختم الولاية من مظاهره في الظاهر فهو أخذ من مظهره وشاهد جمال الحق في ذاك المظهر كما أن الحق شاهد جماله في مرآة الإنسان الكامل كما قال في القدسيات: «خلقت الخلق لكي أعرف» أي يعرف ذاتي لذاتي في مرآة التفصيل كما كان معروفاً في حضرة الجمع أولاً وأزلاً.

«ومن يفهم ويطلع على أحدية الذات الظاهرة في المراتب المتكثرة على أن كل موجود له سيادة في مرتبته كما أن لكل اسم سلطته على ما يتعلق به لا يعسر عليه قبول مثل هذا الكلام...» - ص ١١٢ -

فإن الذات الظاهرة في مراتب التعينات المكتسبية كسوة الكائنات بمقام أحدية جمعها في المظهر الأتم مقدمة عليها في المظاهر الأخرى والأسماء المحاطة لرب المظهر الأتم وبالجملة تقدم المظهر الأتم على الاسم الرحمن تقدم الله عليه بمقام أحدية الجمع المحيطة على سائر الأسماء لمكان اتحاد الظاهر والمظهر فالذات بمقام جمعها مقدمة على نفسها.

«ألا ترى أن الرحمن مع أنه اسم جامع للأسماء وله الحيطه التامة يشفع عند المتقم الذي هو من سدنته بعد شفاعه الشافعين كلهم وذلك التأخر لا يوجب نقصه وسر ذلك أن الرحمن جامع للأسماء الإلهية ومن جملتها المتقم...» - ص ١١٢ -

قوله: وسر ذلك أن الرحمن... الخ، ولعل الرحمن الذي يشفع عند المتقم لم يكن من الأسماء المحيطة الشاملة له أيضاً بل من الرحمة الخالصة المحصنة التي لا تكون في باطنها نقمة أصلاً فحكومة ارحم الراحمين حكومة غير مشوبة بالانتقام والسخط وإن كانت صورة الرحمة هي النار فإن الخلود في النار لا يتنافى التذاذ أهلها بها بناءً على مذهب من يرى عدم الخلود في أليم العذاب كالشيخ ومن تبعه وإن كان الخلود في النار من الضروريات.

«وهذا العطاء الإلهي على يدي الرحمن غير العطاء الرحماني الذي ذكر
أنه رحمة محصنة لتضمنه النعمة في المال... ٤٠٠ - ص ١١٤ -

وغير عطاء الرحمن بمقامه الجمعي الإطلاقي فإنه بذلك المقام من
الأسماء الذاتية التي كانت عطاياها من العطايا الذاتية لا الأسمائية كما سبق
في حاشية منا.

«واعلم أن الإنسان الكامل وإن كان من حيث حقيقته عالماً بجميع
المعارف والعلوم الإلهية لكن لا يظهر له ذلك إلا بعد الظهور في الوجود
العيني والتعلق بالمزاج المنصري لأن في عالم الحس يحصل الظهور
للتام للأعيان... ٤٠٠ - ص ١١٧ -

فإن عالم الحس هو الزبيق الذي خلف الزجاجة فتتراكم الأنوار النازلة
من حضرة نور الأنوار فتنعكس وتنعطف وتظهر ظهوراً تاماً لكن لا بما أنه
عالم الحس بل بعد التصفية والتصقيل فالهولي نقطة قبض الفيض في قوسي
الوجود وتظهر منها الأنوار وتنعطف إلى عالم الأسرار.

«قد مر أن المراد بآدم حقيقة النوع الإنساني الذي هو الروح الأعظم
ويكون أول مولود وهبه الله تعالى هي النفس الناطقة الكلية والقلب
الأعظم الذي يظهر فيه العطايا الأسمائية وهذا وإن كان له وجه إلا أن
تنزيلهما بالروح والقلب دون غيرهما من الأنبياء المذكورين في الكتاب
ترجيح من غير مرجح... ٤٠٠ - ص ١١٨ -

بل اختصاص آدم بعالم من العوالم العالية أو السافلة بلا وجه فإن أهل
يثرب الإنسانية لا مقام لهم فلهم بحسب النزول رتبة الهولي القابلة بتجلي
ربهم القابل وبحسب الصعود الأفق الأعلى والاستهلاك في الحضرة الأحدية
ولهذا قال شيخ الطائفة الاشراقية: إن النفس الناطقة لا مهية لها فلها مقام
أحدية جمع الحقائق الخلقية والأمرية فلا يتعين معين يشير إلى مهية من
المهيات.

«وخاصة الخاصة الذي رجع بالحق إلى الخلق وصفاء خلاصة خاصة
الخاصة العلوم والحقائق الحقائق الصافية» - ص ١١٩ -

قوله: رجع بالحق، لا مدخلية لذلك الرجوع في ذلك العلم فإن ذلك العلم في أواخر السفر الأول والسفر الثاني الذي يحصل فيه التجلي بعينه الثابتة ورؤية نفسه في مرآة الحق ففي ذلك التجلي يشهد أن ما أعطى غير غريب بل من عينه الثابتة فعلى هذا كان مراد الشيخ من خاصة الخاصة هو الذي حصل له ذاك المقام أي مقام مشاهدة عينه الثابتة في الحضرة العلمية.

«إن اليمين والشمال بل الصورة مطلقاً لا يتصور إلا في حضرة الخيال والحس وحضرات السر والروح والخفى وغيرها من المراتب الروحية كلها مجردة من الصور وجهاتها». - ص ١٢٠ -

لا يخفى أن الجهات لها ظهورات في حضرات السر والخفى ولها صورة في عالم المجردات إلا أن جهات ذلك العالم لم تكن بمثابة ذاك العالم أو العالم الخيال والمثال والصورة لم تكن مقدارية مثالية فالعالم الروحاني له جهات غير متفرق الوجود ولا متميز الهوية بل كلها في الكل.

«... وأما إذا اعتبرت التقابل بين صورتك والصورة المرئية فيها يكون اليمين منك مقابلاً ليمين ما في المرآة...». - ص ١٢١ -

ليس التقابل بين صورتك والصورة المرئية سبباً لكون اليمين مقابلاً لليمين واليسار لليسا ولا ما ذكره أولاً علة لتقابل اليمين لليسا بل السبب لتقابل اليمين لليمين وكذا اليسار كون الصورة المرئية ظهور صورتك فهي صورتك حقيقة فإن الظاهر غير المظهر والتغاير اعتباري فإذا اعتبرت أنها غيرك يحصل التغاير الاعتباري فيتوهم أن اليمين هو اليسار واليسار هو اليمين فيقابل اليمين لليسا واليسار لليمين كالشخص الخارجي المقابل لك فهذا التغاير اعتباري لا أصل له وهذا أيضاً من الأسرار المودعة في المرآة لأهل السابقة الحسنى تدبر فيه.

«وفيه نظر إذ الوجه والظهر لا يكون إلا لجرم كثيف وما ثم إلا العكس من الوجه». - ص ١٢١ -

لا وجه لهذا النظر فإن ذاك القائل أيضاً قائل بأن لا ظهر ولا وجه مقابل
الظهر للصورة المرئية بل هو قائل بأن الصورة لما كانت وجهاً من جميع
الجهات أي ليس لها سوى الظهور حيثية يمكن أن يقال إنها مستقبل إلى القبلة
فإن استدبارها غير متصور في حقها بل هي مستقبل كل الجهات وقد عرفت
في الحاشية السابقة أنها ظهور المرئي فليس لها حكم بحيالها فهي مستقبل
القبلة كما أن المرئي كذلك مثلاً.

«كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ [الفرقان: ٤٥]...».

- ص ١٢٢ -

قد يقال الظل على الفيض الأقدس باعتبار ظهوره في حضرات الأسماء
والصفات مع حفظ كونه ظهور الحق وظله أي حفظ الوحدة في عين الكثرة
وعلى هذا مده هو الفيض المنبسط المقدس وفي قوله مدّ الظل إشارة إلى
اتخاذ الظاهر والمظهر وكون الظاهر هو المظهر الممتد وإشارة إلى أن وقوع
الكثرة فيه أكثر مما وقعت في الحضرة الفيض الأقدس فإن الكثرة وإن كانت
أصلها منه لكنها في تلك الحضرة كثرة علمية وفي ذلك كثرة عينية وقد يقال
الظل على الفيض المقدس باعتبار استهلاكه في الحضرة الأحدية ومده هو
بسطه على الحقائق الممكنة وظهوره في المراتي المتعينة وبالجمله الظل مقام
الكثرة في الوحدة ومده ظهور الوحدة في ملابس الكثرات والظل مع مده
متحد واختلافهما اعتباري فعلى الاصطلاح الأول كان الرب من الأسماء
الذاتية وعلى الثاني من الأسماء الصفية.

«وإن هذه الحضرات هي خزائن مفاتيح غيبه...» - ص ١٢٣ -

لا يخفى أن الخزائن المذكورة والحضرات الموصوفة هي الحقائق
المستحبة في الحضرة الأحدية لا المفروضات العقلية حتى أن حضرة
الامتناع هي الحقيقة الحقّة التي لا يمكن ظهورها في مرآة من المراتي لقصور
المرائي ونقصانها فهي باطنة لم تظهر إلا بأسمائها وصفاتها وهي حضرة
الذات والغيب الهوية الأحدية غير المتجلية في مرآة من المراتي وليست

حضرة الامتناع هي المفروضات العقلية والوهمية فإنها ليست من قبيل الحقائق والمخزونات إلا تبعاً فعلى هذا كانت حضرة الإمكان هي الأعيان الثابتة الممكنة الظهور ولو في العقول والأوهام كاجتماع النقيضين وشريك البارى وحضرة الامتناع هي الذات الأحدية الغيبية غير الممكنة للظهور فاعترف واغتنم.

«وشرح بعض القائلين بهذا المعنى بأنه يكون بظهور آدم آخر بطلوع الصبح من أيام يوم القيامة...» - ص ١٢٤ -

قوله: من أيام يوم القيامة، اعلم أن اليوم هو طلوع شمس البروج عن حجاب عالم الملك والمادة والليل هو احتجابها به فعلى هذا كان لكل فرد من أفراد النوع الإنساني في السلسلة النزولية والصعودية يوم وليلة وليته سابقة على يومه فإنها هي السلوك إلى السلسلة النزولية ودونه وظهور اليوم حقيقة بطلوع صبح يوم القيامة أي طلوع صبح قيامة الولي الكامل وطلوع صبح سائر الأفراد بطلوع صبحه سواء كان ذاك الفرد من أهل السعادة فصبحه نوراني أو من أهل الشقاوة فصبحه ظلماني فالיום لا يختص بأهل السعادة فإن أهل الشقاوة أيضاً يشهدون حقائقهم المقيدة بعد رفع حجاب المادة غاية الأمر يشهدون في صور مناسبة لملكاتهم كالقردة والخنازير وغيرهما ثم أن أول طلوع يوم القيامة لكل دورة وكورة أول ليلة عالم المادة لأهل دورة أخرى في حجاب الملك إلى غير النهاية وفي أحاديث أهل بيت العصمة سلام الله عليهم ما يشير إلى ذلك كثير جداً.

«ثم ظهور لواضع الأنوار في القلوب وازدياد النورية إلى أن ينكشف لهم الحق مرة أخرى في الصورة المحمدية ويحصل المجازات في الأعمال إن خيراً فخير وإن شراً فشر ثم ينتهي إلى ظلمة الليل هكذا إلى غير النهاية...» - ص ١٢٤ -

لعل قوله ثم ينتهي عطف على قوله بظهور آدم آخر ومراده من آدم آخر آدم آخر في عالم الملك أي بطلوع صبح يوم القيامة يظهر آدم آخر في الملك

ثم ينتهي إلى ظلمة الليل أي الاحتجاب التام في آخر الدورة بظهور تلك الحيوانات في صور الأناسي أو بظهور آدم آخر في السلسلة النزولية بعد عروج آدم الآن في السلسلة الصعودية ثم ينتهي ذلك الإنسان من بدو السلسلة إلى ختمها الذي هو عالم المادة التي هي كمال الظلمة.

الفصل النوحى

فص حكمة سبوحية في كلمة نوحية

اعْلَمَ (أَيْدَكَ اللهُ بِرُوحٍ مِنْهُ - خ) أَنَّ التَّنْزِيهَ عِنْدَ أَهْلِ الْحَقَائِقِ فِي الْجَنَابِ
الْإِلَهِيِّ عَيْنُ التَّحْدِيدِ وَالتَّقْيِيدِ. فَالْمُنْزَعُ إِمَّا جَاهِلٌ وَإِمَّا صَاحِبُ سُوءِ أَدَبٍ.
وَلَكِنْ إِذَا أُطْلِقَ وَقَالَ بِهِ، فَالْقَائِلُ بِالشَّرَائِعِ الْمُؤْمِنُ إِذَا نَزَّهَ وَوَقَّفَ عِنْدَ
التَّنْزِيهِ وَلَمْ يَرَّ عَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ أَسَاءَ الْأَدَبَ وَأَكْذَبَ الْحَقَّ وَالرُّسُلَ صَلَوَاتُ اللَّهِ
عَلَيْهِمْ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ، وَيَتَخَيَّلُ أَنَّهُ فِي الْحَاصِلِ وَهُوَ فِي الْفَائِزِ وَهُوَ كَمَنْ
أَمِنَ بِنَعْصِ وَكَفَّرَ بِنَعْصِ.

وَلَا سِيَّماً وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ أَلْسِنَةَ الشَّرَائِعِ الْإِلَهِيَّةِ إِذَا نَطَقَتْ فِي الْحَقِّ تَعَالَى
بِمَا نَطَقَتْ بِهِ إِنَّمَا جَاءَتْ بِهِ فِي الْعُمُومِ عَلَى الْمَفْهُومِ الْأَوَّلِ، وَعَلَى
الْخُصُوصِ عَلَى كُلِّ مَفْهُومٍ يُفْهَمُ مِنْ وَجْهِ ذَلِكَ اللَّفْظِ بِأَيِّ لِسَانٍ كَانَ فِي
وَضَعِ ذَلِكَ اللَّسَانِ.

فَإِنَّ لِلْحَقِّ فِي كُلِّ خَلْقٍ ظُهُوراً خَاصاً.

فَهُوَ الظَّاهِرُ فِي كُلِّ مَفْهُومٍ، وَهُوَ الْبَاطِنُ عَنْ كُلِّ فَهْمٍ إِلَّا عَنْ فَهْمٍ مَنْ
قَالَ إِنَّ الْعَالَمَ صُورَتُهُ وَهُوِيَّتُهُ.

وَهُوَ الْأَسْمُ الظَّاهِرُ، كَمَا أَنَّهُ بِالْمَعْنَى رُوحٌ مَا ظَهَرَ، فَهُوَ الْبَاطِنُ.

فَنَسَبَتْهُ لِمَا ظَهَرَ مِنْ صُورِ الْعَالَمِ نَسَبَهُ الرُّوحِ الْمَدْبُرِ لِلصُّورَةِ.

فِيؤْخَذُ فِي حَدِّ الْإِنْسَانِ مَثَلاً ظَاهِرُهُ وَبَاطِنُهُ، وَكَذَلِكَ كُلِّ مَحْدُودٍ،

فَالْحَقُّ مَحْدُودٌ بِكُلِّ حَدٍّ.

وَصُورُ الْعَالِمِ لَا تَنْضَبُطُ وَلَا يُحَاطُ بِهَا وَلَا تُعْلَمُ حُدُودُ كُلِّ صُورَةٍ مِنْهَا إِلَّا عَلَى قَدَرٍ مَا حَصَلَ لِكُلِّ عَالَمٍ مِنْ صُورَةٍ، فَلِذَلِكَ (فَكَذَلِكَ - خ) يُجْهَلُ حَدُّ الْحَقِّ فَإِنَّهُ لَا يُعْلَمُ حَدُّهُ إِلَّا بِعِلْمٍ (إِلَّا وَيَعْلَم - خ) حَدُّ كُلِّ صُورَةٍ، وَهَذَا مُحَالٌ حُصُولُهُ: فَحَدُّ الْحَقِّ مُحَالٌ.

وَكَذَلِكَ مَنْ شَبَّهَهُ وَمَا نَزَّهَهُ فَقَدْ قَيَّدَهُ وَحَدَّدَهُ وَمَا عَرَفَهُ. وَمَنْ جَمَعَ فِي مَعْرِفَتِهِ بَيْنَ التَّنْزِيهِ وَالتَّشْبِيهِ وَوَصَفَهُ بِالْوُضُفَيْنِ عَلَى الْإِجْمَالِ - لِأَنَّهُ يَسْتَحِيلُ ذَلِكَ عَلَى التَّفْصِيلِ لِعَدَمِ الْإِحَاطَةِ بِمَا فِي الْعَالَمِ مِنَ الصُّورِ - فَقَدْ عَرَفَهُ مُجْمَلًا لَا عَلَى التَّفْصِيلِ كَمَا عَرَفَ نَفْسَهُ مُجْمَلًا لَا عَلَى التَّفْصِيلِ.

وَلِذَلِكَ (وَكَذَلِكَ - خ) رَبَطَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعْرِفَةَ الْحَقِّ بِمَعْرِفَةِ النَّفْسِ فَقَالَ: «مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ».

وقال تعالى ﴿سُرِّيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ﴾ [فصلت: ٥٣] وهو ما خرج عنك ﴿وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [فصلت: ٥٣] وهو عينك ﴿حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمُ﴾ [فصلت: ٥٣] أي للناظرين (لِلنَّاطِرِ - خ) ﴿أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣] من حيث إنك صورته وهو رُوْحُكَ.

فَأَنْتَ لَهُ كَالصُّورَةِ الْجَسْمِيَّةِ لَكَ، وَهُوَ لَكَ كَالرُّوحِ الْمُدَبِّرِ لَصُّورَةِ جِسْدِكَ.

وَالْحَدُّ يَشْمَلُ الظَّاهِرَ وَالْبَاطِنَ مِنْكَ: فَإِنَّ الصُّورَةَ الْبَاقِيَّةَ إِذَا زَالَ عَنْهَا الرُّوحُ الْمُدَبِّرُ لَهَا لَمْ تَبْقَ إِنْسَانًا وَلَكِنْ يُقَالُ فِيهَا: إِنَّهَا صُورَةٌ تَشَبَّهُ صُورَةَ الْإِنْسَانِ (تَشْبُهُ صُورَةَ الْإِنْسَانِ - مَعًا) فَلَا فَرْقَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ صُورَةٍ مِنْ حَسَبِ أَوْ حِجَارَةٍ وَلَا يَنْطَلِقُ عَلَيْهَا اسْمُ الْإِنْسَانِ إِلَّا بِالْمَجَازِ لَا بِالْحَقِيقَةِ.

وَصُورَةُ (وَصُورَ - خ) الْعَالَمِ لَا يُمَكِّنُ زَوَالَ الْحَقِّ عَنْهَا أَصْلًا.

فَحَدُّ الْأُلُوهِيَّةِ لَهُ بِالْحَقِيقَةِ لَا بِالْمَجَازِ كَمَا هُوَ حَدُّ الْإِنْسَانِ إِذَا كَانَ حَيًّا .
وَكَمَا أَنَّ ظَاهِرَ صُورَةِ الْإِنْسَانِ تُثْنِي بِلِسَانِهَا عَلَى رُوحِهَا وَنَفْسِهَا
وَالْمُدَبِّرِ لَهَا، كَذَلِكَ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى صُورَةَ الْعَالَمِ تُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا نَفْقَهُ
تَسْبِيحَهُمْ لِأَنَّا لَا نُحِيطُ بِمَا فِي الْعَالَمِ مِنَ الصُّورِ .

فَالْكُلُّ أَلْسِنَةُ الْحَقِّ نَاطِقَةٌ بِالثَّنَاءِ عَلَيْهِ (بِالثَّنَاءِ عَلَى الْحَقِّ - خ) وَلِذَلِكَ
قَالَ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] أَيِ إِلَهِهِ يَرْجِعُ عَوَاقِبُ الثَّنَاءِ،
فَهُوَ الْمُثْنَى وَالْمُثْنَى عَلَيْهِ .

فَإِنْ قُلْتَ بِالتَّنْزِيهِ كُنْتَ مُقَيِّدًا وَإِنْ قُلْتَ بِالتَّشْبِيهِ كُنْتَ مُحَدِّدًا
وَإِنْ قُلْتَ بِالْأَمْرَيْنِ كُنْتَ مُسَدِّدًا وَكُنْتَ إِمَامًا فِي الْمَعَارِفِ سَيِّدًا
فَمَنْ قَالَ بِالْإِشْفَاعِ كَانَ مُشْرِكًا وَمَنْ قَالَ بِالْإِفْرَادِ كَانَ مُوَحِّدًا
فَإِيَّاكَ وَالتَّشْبِيهِ إِنْ كُنْتَ ثَانِيًا وَإِيَّاكَ وَالتَّنْزِيهِ إِنْ كُنْتَ مُفَرِّدًا
فَمَا أَنْتَ هُوَ: بَلْ أَنْتَ هُوَ وَتَرَاهُ فِي عَيْنِ الْأُمُورِ مُسَرِّحًا وَمُقَيِّدًا

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] فَتَرَهُ، ﴿وَهُوَ
السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] فَتَشَبَّهُهُ . قَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾
[الشورى: ١١] فَتَشَبَّهُهُ وَتَنَى ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] فَتَنَزَّهُ وَأَفْرَدَ .

فَلَوْ (لَوْ - خ) أَنْ نُوحَا - عَلَيْهِ السَّلَامُ - جَمَعَ لِقَوْمِهِ بَيْنَ الدَّعَوَتَيْنِ
لَأَجَابُوهُ فَدَعَاهُمْ جِهَارًا ثُمَّ دَعَاهُمْ إِسْرَارًا ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ
كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: ١٠] وَقَالَ: ﴿دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا
فِرَارًا﴾ [نوح: ٥-٦] .

وَذَكَرَ عَنْ قَوْمِهِ أَنَّهُمْ تَصَامَمُوا عَنْ دَعْوَتِهِ لِعَلِمِهِمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ
إِجَابَةِ دَعْوَتِهِ .

فَعَلِمَ الْعُلَمَاءُ بِاللَّهِ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي حَقِّ قَوْمِهِ مِنَ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ بِلسَانِ الدَّمِ.

وَعَلِمَ أَنَّهُمْ إِنَّمَا لَمْ يُجِيبُوا دَعْوَتَهُ لِمَا فِيهَا مِنَ الْفُرْقَانِ، وَالْأَمْرُ قُرْآنٌ لَا فُرْقَانٌ.

وَمَنْ أَقِيمَ فِي الْقُرْآنِ لَا يُصْغِي (لَا تَضْفِي - خ) إِلَى الْفُرْقَانِ وَإِنْ كَانَ فِيهِ.

فَإِنَّ الْقُرْآنَ يَتَضَمَّنُ الْفُرْقَانَ وَالْفُرْقَانُ لَا يَتَضَمَّنُ الْقُرْآنَ.

وَلِهَذَا (لِهَذَا - خ) مَا اخْتَصَّ بِالْقُرْآنِ إِلَّا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهَذِهِ الْأُمَّةُ الَّتِي هِيَ خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ.

فَقَالَ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] فَجَمَعَ الْأَمْرَيْنِ فِي أَمْرٍ وَاحِدٍ.

فَلَوْ أَنَّ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ أَتَى بِمِثْلِ هَذِهِ الْآيَةِ لَفُظًا أَجَابُوهُ، فَإِنَّهُ شَبَّهَ وَثَرَةً فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ، بَلْ فِي نِصْفِ آيَةٍ.

وَنُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ دَعَا قَوْمَهُ «لَيْلًا» مِنْ حَيْثُ عَقُولُهُمْ وَرُوحَانِيَّتُهُمْ فَإِنَّهَا غَيْبٌ «وَنَهَارًا» دَعَاهُمْ أَيْضًا مِنْ حَيْثُ صُورِهِمْ وَجِسْمُهُمْ (مِنْ حَيْثُ ظَاهِرِ صُورِهِمْ وَجِسْمِهِمْ - خ).

وَمَا جَمَعَ فِي الدَّعْوَةِ مِثْلَ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] فَفَرَّتْ بِوَاطِنِهِمْ لِهَذَا الْفُرْقَانِ قَرَادَهُمْ فِرَارًا.

ثُمَّ قَالَ عَنْ نَفْسِهِ إِنَّهُ دَعَاهُمْ لِيُغْفَرَ لَهُمْ لَا لِيُكْشِفَ لَهُمْ وَفَهُمُوا ذَلِكَ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِذَلِكَ (كَذَلِكَ - خ) ﴿جَعَلُوا أَصِيعَهُمْ فِي مَآذِنِهِمْ وَاسْتَعَسَوْا نِيَابَهُمْ﴾ [نوح: ٧] وَهَذِهِ كُلُّهَا صَوْرَةُ السِّرِّ الَّتِي دَعَاهُمْ إِلَيْهَا فَأَجَابُوا دَعْوَتَهُ بِالْفِعْلِ لَا بِالْيَكِّ.

فَفِي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] إثبات المثل ونفيه،
ولهذا (وبهذا - خ) قَالَ عَنْ نَفْسِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ أُوتِيَ جَوَامِعَ
الْكَلِمِ فَمَا دَعَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْمَهُ لَيْلًا وَنَهَارًا بَلْ دَعَاهُمْ لَيْلًا
فِي نَهَارٍ، وَنَهَارًا فِي لَيْلٍ.

فَقَالَ نُوحٌ فِي حُكْمَتِهِ لِقَوْمِهِ: ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءُ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ [نوح: ١١]
وَهِيَ الْمَعَارِفُ الْعَقْلِيَّةُ فِي الْمَعَانِي وَالنَّظَرُ الْاِغْتِيَابِيُّ، ﴿وَيُنْذِرُكُمْ بِاتْمَالٍ﴾
[نوح: ١٢] أَي بِمَا يَجِبُ بِكُمْ إِلَيْهِ فَإِذَا مَالَ بِكُمْ إِلَيْهِ رَأَيْتُمْ صَوْرَتَكُمْ فِيهِ.
فَمَنْ تَخَيَّلَ مِنْكُمْ أَنَّهُ رَأَاهُ فَمَا عَرَفَ، وَمَنْ عَرَفَ مِنْكُمْ أَنَّهُ رَأَى نَفْسَهُ
فَهُوَ الْعَارِفُ فَلِهَذَا انْقَسَمَ النَّاسُ إِلَى عَالِمٍ وَغَيْرِ عَالِمٍ.
وَوَلَدُهُ وَهُوَ مَا أَنتَجَهُ لَهُمْ نَظَرُهُمُ الْفِكْرِي. وَالْأَمْرُ مَوْقُوفٌ عَلَيْهِ عَلَى
الْمُشَاهَدَةِ بَعِيدٌ عَنِ نَتَائِجِ الْفِكْرِ ﴿إِلَّا خَسَارًا﴾ [نوح: ٢١].

﴿فَمَا رِيحَتْ يَحْدَرُهُمْ﴾ [البقرة: ١٦] فَزَالَ عَنْهُمْ مَا كَانَ فِي أَيْدِيهِمْ وَمَا
كَانُوا يَتَخَيَّلُونَ أَنَّهُ مِلْكٌ لَهُمْ: وَهُوَ فِي الْمَحْمَدِيِّينَ.
﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُتَخَلِّفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧].

وَفِي نُوحٍ ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٢] فَأَثْبَتَ الْمُلْكَ
لَهُمْ وَالْوِكَالَةَ لِلَّهِ فِيهِ.

فَهُمْ مُسْتَخْلَفُونَ فِيهِمْ فَالْمُلْكُ لِلَّهِ.
وَهُوَ وَكِيلُهُمْ، فَالْمُلْكُ لَهُمْ وَذَلِكَ مُلْكُ الْاِسْتِخْلَافِ.
وبهذا كَانَ الْحَقُّ مِلْكُ الْمَلِكِ (مَالِكُ الْمُلْكِ -)، كَمَا قَالَ التِّرْمِذِيُّ.
﴿وَمَكْرُؤًا مَكَرًا كِبَارًا﴾ [نوح: ٢٢] لِأَنَّ الدَّعْوَةَ إِلَى اللَّهِ مَكْرٌ بِالْمَدْعُودِ

لأنه ما غَدَمَ مِنَ الْبِدَايَةِ فَيَدْعَى إِلَى الْغَايَةِ ﴿أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ١٠٨] فهذا عَيْنُ الْمَكْرِ ﴿عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف: ١٠٨] فَتَبَّهَ أَنَّ الْأَمْرَ لَهُ كُلُّهُ، فَأَجَابُوهُ مَكْرًا كَمَا دَعَاهُمْ مَكْرًا.

فَجَاءَ الْمُحَمَّدِيُّ وَعَلِمَ أَنَّ الدَّعْوَةَ إِلَى اللَّهِ مَا هِيَ مِنْ حَيْثُ هَوِيَّتِهِ وَإِنَّمَا هِيَ مِنْ حَيْثُ أَسْمَائِهِ فَقَالَ: ﴿يَوْمَ نَخْتَرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَقَدًّا﴾ [مريم: ٨٥] فَجَاءَ بِحَرْفِ الْغَايَةِ وَقَرَنَهَا بِالْأَسْمِ، فَعَرَفْنَا أَنَّ الْعَالَمَ كَانَ تَحْتَ حِيطَةِ اسْمِ إِلَهِي أَوْجَبَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَكُونُوا مُتَّقِينَ.

فَقَالُوا فِي مَكْرِهِمْ ﴿لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَئُوسَ وَيَعُوقَ وَشَارًّا﴾ [نوح: ٢٣] فَإِنَّهُمْ إِذَا تَرَكُوهُمْ جَهِلُوا مِنَ الْحَقِّ عَلَى قَدَرٍ مَا تَرَكُوا مِنْ هَؤُلَاءِ؛ فَإِنَّهُ لِلْحَقِّ فِي كُلِّ مَوْجُودٍ وَجْهًا يَعْرِفُهُ مَنْ عَرَفَهُ وَيَجْهَلُهُ مَنْ جَهِلَهُ.

وَفِي الْمُحَمَّدِيِّينَ ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، فَالْعَالِمُ يَعْلَمُ مَنْ عُبِدَ (عَبَدَ - مَعًا) وَفِي أَيِّ صُورَةٍ ظَهَرَ حَتَّىٰ عُبِدَ، وَأَنَّ التَّفْرِيقَ وَالكَثْرَةَ كَالْأَغْضَاءِ فِي الصُّورَةِ الْمَحْسُوسَةِ وَكَالْقُوَى الْمَعْنَوِيَّةِ فِي الصُّورَةِ الرُّوحَانِيَّةِ.

فَمَا عُبِدَ غَيْرَ اللَّهِ فِي كُلِّ مَعْبُودٍ.

فَالْأَذْنَىٰ مَنْ تَخَيَّلَ فِيهِ الْأُلُوهِيَّةَ؛ فَلَوْلَا هَذَا التَّخَيُّلُ مَا عَبَدَ الْحَجَرُ وَلَا غَيْرُهُ.

وَلِذَا قَالَ: ﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ [الرعد: ٣٣] فَلَوْ سَمَّوْهُمْ لَسَمَّوْهُمْ حَجَرًا أَوْ شَجَرًا أَوْ كَوْكَبًا وَلَوْ قِيلَ لَهُمْ مَنْ عَبَدْتُمْ لَقَالُوا إِلَهًا مَا كَانُوا يَقُولُونَ اللَّهُ وَلَا الْإِلَهِ.

والأعلى ما تَحِيلُ بَلْ قَالَ: هذا مجلَى إِلَهِي يَتَّبِعِي تَعْظِيمُهُ فَلَا يَتَّصِرُ .
فلأدنى صاحبِ التَّخِيلِ يَقُولُ: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾
[الزمر: ٣] والأعلى العالم يَقُولُ: ﴿فَالْهَكَرُ إِلَهُ وَجَدُ فَلَهُ أَسْلِمُوا﴾ [الحج: ٣٤]
حَيْثُ ظَهَرَ .

﴿وَيَشِيرَ الْمُحْشِينَ﴾ [الحج: ٣٤] الَّذِينَ حَبَّتْ نَارَ طَبِيعَتِهِمْ، فَقَالُوا إِلَهًا
وَلَمْ يَقُولُوا طَبِيعَةً .

﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ [نوح: ٢٤] أَي حَيَّرُوهُمْ فِي تَعْدَادِ الْوَاحِدِ بِالْوُجُوهِ
وَالنِّسَبِ .

﴿وَلَا نَزِدَ الظَّالِمِينَ﴾ [نوح: ٢٤] لِأَنْفُسِهِمْ . وَ﴿الْمُصْطَفِينَ﴾ [ص: ٤٧]
الَّذِينَ أَوْرَثُوا الْكِتَابَ .

فَهُمْ أَوَّلُ الثَّلَاثَةِ، فَقَدَّمَهُ عَلَى الْمُقْتَصِدِ وَالسَّابِقِ .

﴿إِلَّا صَلَاةً﴾ [نوح: ٢٤] إِلَّا خَيْرَةً .

الْمُحَمَّدِي «زِدْنِي فَيْكَ تَحِيرًا» .

﴿كُلَّمَا أَصَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ [البقرة: ٢٠] .

فَالْحَائِزُ لَهُ الدَّوْرُ وَالْحَرَكَةُ الدَّوْرِيَّةُ حَوْلَ الْقُطْبِ فَلَا يَبْرُحُ مِنْهُ .

وَصَاحِبُ الطَّرِيقِ الْمُسْتَطِيلِ مَائِلٌ خَارِجٌ عَنِ الْمَقْصُودِ طَالِبٌ مَا هُوَ
فِيهِ صَاحِبُ خِيَالٍ إِلَيْهِ غَايَتُهُ فَلَهُ مِنْ وَإِلَى وَمَا بَيْنَهُمَا . وَصَاحِبُ الْحَرَكَةِ
الدَّوْرِيَّةِ لَا بَدْءَ لَهُ فَيَلْزِمُهُ «مِنْ» وَلَا غَايَةَ لِكِمَالِهِ فَتَحْكُمُ عَلَيْهِ «إِلَى» .

فَلَهُ الوجودُ الْأَتَمُّ وَهُوَ الْمُؤْتَيَّ جَوَامِعَ (جامع - خ) الْكَلِمِ وَالْحَكَمِ .

﴿مِمَّا خَطَبْتَهُمْ﴾ [نوح: ٢٥] فَهِيَ الَّتِي خَطَّتْ بِهِمْ فَعَرَفُوا فِي بَحَارِ
الْعِلْمِ بِاللَّهِ وَهُوَ الْحَيْرَةُ .

﴿فَادْخُلُوا نَارًا﴾ [نوح: ٢٥] فِي عَيْنِ الْمَاءِ .

فِي الْمُحَمَّدِيِّينَ ﴿وَإِذَا أَلْحَاظَ سُجِرَتْ﴾ [التكوير: ٦] مِنْ سَجَرَتِ التَّنُورِ
إِذَا أَوْقَدَتْهُ .

﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ [نوح: ٢٥] فَكَانَ اللَّهُ عَيْنَ أَنْصَارِهِمْ
فَهَلَكُوا فِيهِ إِلَى الْأَبَدِ .

فَلَوْ أَخْرَجَهُمْ إِلَى السَّيْفِ، سَيْفِ الطَّبِيعَةِ لَنَزَلَ بِهِمْ عَنْ هَذِهِ الدَّرَجَةِ
الرَّفِيعَةِ .

وَإِنْ كَانَ الْكُلُّ لِلَّهِ وَبِاللَّهِ بَلْ هُوَ اللَّهُ .

﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ﴾ [نوح: ٢١] مَا قَالَ إِلَهِي: فَإِنَّ الرَّبَّ لَهُ الثُّبُوتُ وَالْإِلَهُ
يَتَنَوَّعُ بِالْأَسْمَاءِ فَهُوَ ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩] فَأَرَادَ بِالرَّبِّ ثُبُوتَ
التَّلَوِينِ إِذْ لَا يَصِحُّ إِلَّا هُوَ .

﴿لَا تَدْرَ عَلَى الْأَرْضِ﴾ [نوح: ٢٦] يَدْعُو عَلَيْهِمْ أَنْ يَصِيرُوا فِي بَطْنِهَا .
الْمُحَمَّدِيُّ «لَوْ دَلَيْتُمْ بِحَبْلِ لَهَبٍ عَلَى اللَّهِ؛ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ» .

فَإِذَا دُفِنَتْ فِيهَا فَأَنْتَ فِيهَا وَهِيَ ظَرْفُكَ .

﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [طه: ٥٥] ، لِاخْتِلَافِ الْوُجُوهِ .

﴿مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [نوح: ٢٦] الَّذِينَ ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا نِبَاهِهِمْ﴾ [نوح: ٧] .

و﴿جَعَلُوا أَصْنَعَهُمْ فِي مَا ذَاتِهِمْ﴾ [نوح: ٧] .

طَلَبًا لِلشَّرِّ .

لَأَنَّهُ دَعَاهُمْ لِيُغْفِرَ لَهُمْ ، وَالْغَفْرُ السَّتْرُ .

﴿دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦] أَحَدًا حَتَّى تَعَمِ الْمُنْفَعَةُ كَمَا عَمَّتِ الدَّغْوَةُ.

﴿إِنَّكَ إِنْ نَذَرْتَهُمْ﴾ [نوح: ٢٧] أَيْ تَدْعُهُمْ وَتَتْرَكُهُمْ ﴿يُضِلُّوْا عِبَادَكَ﴾

[نوح: ٢٧] أَيْ يُحَيِّرُوهُمْ فَيُخْرِجُوهُمْ مِنَ الْعُبُودِيَّةِ إِلَى مَا فِيهِمْ مِنْ أَسْرَارِ الرُّبُوبِيَّةِ.

فَيَنْظُرُونَ أَنْفُسَهُمْ أَرْبَابًا بَعْدَ مَا كَانُوا عِنْدَ نَفْسِهِمْ (عند أنفسهم - خ) عَيْنِدًا.

فَهُمُ الْعَيْنِدُ الْأَرْبَاب.

﴿وَلَا يَلِدُوا﴾ [نوح: ٢٧] أَيْ وَلَا يُنْتَجُونَ (أَي وما ينتجون - خ) وَلَا

يُظْهِرُونَ ﴿إِلَّا فَاجِرًا﴾ [نوح: ٢٧] أَيْ مُظْهِرًا مَا سَتَرَ.

﴿كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٧] أَيْ سَاتِرًا مَا ظَهَرَ بَعْدَ ظُهُورِهِ.

فَيُظْهِرُونَ مَا سَتَرَ ثُمَّ يَسْتَرُونَ (يسترونه - خ) بَعْدَ ظُهُورِهِ، فَيَحَارُ النَّاطِرُ وَلَا يَعْرِفُ قَصْدَ الْفَاجِرِ فِي فُجُورِهِ، وَلَا الْكَافِرِ فِي كُفْرِهِ، وَالشَّخْصُ وَاجِدٌ.

﴿رَبِّ أَغْفِرْ لِي﴾ [نوح: ٢٨] أَيْ أَسْتُرْنِي وَاسْتُرْ مِنْ أَجْلِي فَيَجْهَلُ مَقَامِي

وَقَدْرِي كَمَا جْهَلَ قَدْرَكَ فِي قَوْلِكَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام: ٩١].

﴿وَلَوْلَدَى﴾ [نوح: ٢٨] مَنْ كُنْتُ نَتِيجَةً عَنْهُمَا وَهُوَ الْعَقْلُ وَالطَّبِيعَةُ.

﴿وَلَمَنْ دَخَلَ بَيْتِي﴾ [نوح: ٢٨] أَيْ قَلْبِي.

﴿مُؤْمِنًا﴾ [نوح: ٢٨] أَيْ مُصَدِّقًا بِمَا تَكُونُ فِيهِ مِنَ الْإِخْبَارَاتِ الْإِلَهِيَّةِ.

وَهُوَ مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسُهَا.

﴿وَالْمُؤْمِنِينَ﴾ [نوح: ٢٨] مِنَ الْعُقُولِ ﴿وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [نوح: ٢٨] مِنَ

النُّفُوسِ.

﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ﴾ [نوح: ٢٨] من الظلمات أهل الغيب المُكْتَفَيْنِ
 خَلَفَ الْحُجُبِ الظُّلُمَاتِيَّةِ ﴿إِلَّا نَبَارًا﴾ [نوح: ٢٨] أي هلاكاً فلا يَعْرِفُونَ
 نُفُوسَهُمْ لِشُهُودِهِمْ وَجْهَ الْحَقِّ دُونَهُمْ .
 فِي الْمُحَمَّدِيِّينَ ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [الفصص: ٨٨] والتَّابَرُ
 الْهَلَاكُ .

وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْقَى عَلَى أَسْرَارِ نُوحٍ فَعَلَيْهِ بِالتَّرْقِي فِي فَلَكَ يُوحٍ .
 وَهُوَ فِي التَّنَزُّلاتِ الْمُوصِلِيَّةِ لَنَا وَالسَّلَامِ .



«فَصُّ حِكْمَةِ سُبُوحِيَّةٍ فِي كَلِمَةِ نُوحِيَّةٍ» - ص ١٢٧ - .

لما كان الواجب على العارف الموحد حفظ مقامي التشبيه والتنزيه
 وكان الفصان السابقان في مقام التشبيه أردف الحكمة السبوحية بالحكمتين
 لحفظ التنزيه والتقديس .

«اعلم أن التنزيه عند أهل الحقائق في الجنب الإلهي عين التحديد
 والتقيد والمنزه إما جاهل وإما صاحب سوء أدب . . .» - ص ١٢٧ - .

قال شيخنا العارف أدام الله ظله: الإنصاف أن التنزيه عين النقائص
 الامكانية ليس تحديداً فإنها اعدام والتنزيه عنها يرجع إلى كمال الوجود
 ومرجعه الاطلاق لا التحديد قلت ما ذكره دام ظله حق لو كانت النقائص
 الامكانية عدماً مطلقاً غير موجود ولو بالعرض ولكن الأمر ليس كذلك فإن
 المنزه يرى النقائص التي هي حدود الوجود وهي موجودة ولو بالعرض
 والتنزيه عنها يرجع إلى التحديد .

قول الشيخ في المتن :

« . . . » فالقاتل بالشرائع المؤمن إذا نزه ووقف عند التنزيه ولم ير غير ذلك

شقد أساء الأدب وأكذب الحق والرسل صلوات الله عليهم وهو لا يـعـر
ويتخيل أنه في الحاصل وهو في الفائت وهو كمن آمن ببعض وكفر
ببعض ولا سيما قد علم أن السنة الشرائع الإلهية إذا نطقت في الحق بما
نطقت به إنما جاءت به في العموم...» - ص ١٢٨ - .

قوله: ولا سيما... الخ، هو متعلق بقوله فقد أساء الأدب وأكذب
الحق والرسل والضمير في قوله جاءت به راجع إلى التشبيه المفهوم من
فحوى الكلام وحاصل المراد أن الوقوف عند التنزيه إساءة الأدب وتكذيب
الحق والرسل لا سيما أن السنة الشرائع نطقت بالتشبيه بلسان العموم في
بعض الموارد وبلسان الخاصة في موارد أخر أو في الكلام الذي لم يفهم منه
العامة ما فهمه الخاصة في أي لسان ولغة كان وقوله فإن للحق في كل خلقٍ
ظهوراً تحليل لأصل المقصود من مقام التشبيه أي التشبيه ثابت فإن الحق
ظاهر في كل شيء بحسبه وقوله فهو الظاهر في كل مفهوم أي في كل حقيقة
أتى بلفظ المفهوم للمشاكلة مع كلامه السابق أي فهو تعالى مع ظهوره في كل
الحقائق محجوب عن كل فهم فإن المشاهدة الحضورية وإن كانت واقعة
ولكن الإحاطة بجميع المظاهر غير ممكنة إلا للكمل والأقطاب .

«فحد الألوهية له بالحقيقة لا بالمجاز كما هو حد الإنسان إذا كان حياً»
- ص ١٣٢ - .

أي كما أن حد الألوهية للإنسان إذا كان حياً فإنه بعدما ذكر أن نسبته
إلى العالم نسبة الروح المدبر إلى الجسم وذكر أن حقيقة الحد عبارة عن جهة
الباطن التي هي الروح استنتج أن حد الألوهية للحق وللإنسان كليهما فحد
الإنسان هو جهة الباطن التي هي الروح وهو بعينه جهة الألوهية التي هي حد
الحق وأما ما ذكره الشارح فهو بعيد وإن كان منه غير بعيد .

«ولا يتوهم أن هذا الكلام يناقض قوله فحد الحق محال لأن الحد هنا
للمرتبة باعتبار الحق والعالم لا للحق من حيث ذاته...» - ص ١٣٢ - .

ما ذكره من استحالة التحديد ليس مختصاً بالتحديد الذاتي بل يجري
في التحديد بحسب المظهر تفصيلاً أيضاً كما صرح به قبل ذلك ومع ذلك لا

يناقض هذا كلامه السابق فإن التحديد بالألوهية التي هي حد الإنسان إجمالاً ممكن لا تفصيلاً.

ثم بوجدان نفسه وروحه سارياً في عين كل مرتبة وحقيقة كل موجود لا حالاً وعلماً وشهوداً فقط كسريان الحق فيها فيدرك تسبيح الموجودات بذلك النور ويسمعه كما قال عبد الله بن مسعود (رض) ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام... - ص ١٣٢ - .

قوله: سارياً... الخ، وذلك في قرب الفرائض الذي صار العبد متمكناً في الفناء الذاتي والصفاتي والفعلي فيخلع بخلعة البقاء بعد الفناء فيتحقق بالوجود الحقاني بعد رفض الوجود الخلقي بكليته فصار جسمه جسم الكل ونفسه نفس الكل وروحه روح الكل كما في الزيارة الجامعة: أجسادكم في الأجساد وأرواحكم في الأرواح وأنفسكم في النفوس ففي ذلك المقام يصير العبد سمع الحق وبصره ويده كما في حق مولى الموالي سلام الله عليه أذن الله الواعية عين الله الناطرة ويد الله إلى غير ذلك فيسمع الحق به ويبصر وأما في قرب النوافل فصار الحق سمع العبد وبصره وذلك عند الفناء الصفاتي كما في الحديث القدسي المعروف .

ولما كان السمع والبصر راجعين إلى الحق في مقام الجمع قال وافرد ولم يقل وحد تنبيهاً على أن فردانيته لا يكون إلا في عين الكثرة لأن الفردية يشتمل عليها ضرورة لكونه عدداً والوحدانية تقابلها... - ص ١٣٥ - .

لا يخفى أن الوحدانية لم تكن مقابلها تقابل العزلي بل هي في عين كونها خارجة عنها سارية فيها ومعها معية قيومية كما نقل عن زبور آل محمد ﷺ لك يا إلهي وحدانية العدد فالتعبير بأفرد دون وحد لم يكن لما ذكره الشارح كما هو الظاهر بل يمكن أن يكون الوجه في التعبير بأفرد بصيغة أفعال دون فرد ووحد بصيغة تفعيل أن نظره إلى الوحدة الصرفة الحاصلة للذات المقدسة في مقام غيبه لا التوحيد الذي هو عبارة عن إرجاع الكثرات

إلى الوحدة وإفناء التعينات في بحر الوجود المطلق والتوحيد والتفريد يفيدان المعنى الثاني بخلاف الأفراد، تدبر تجد.

«فلو أن نوحاً جمع لقومه بين الدعوتين لأجابه...» - ص ١٣٥ -

قال شيخنا العارف الكامل الشاه أبادي مد ظله العالي فلو أن نوحاً جمع بين الدعوتين لما أجابه أصلاً فإن قومه كانوا واقعين في الكثرة والتشبيه بطريق التقييد لا التشبيه الإطلاقي الذي هو حق التشبيه فإنهم كانوا يعبدون الأصنام وهو تقييد في التشبيه فلو أن نوحاً تفوه بالتشبيه أو اطلاقه بأن يقول إن التقييد باطل والاطلاق حق لما توجهوا إلى التنزيه والوحدة أصلاً فكان عليه أن يدعو إلى التنزيه فيعالج قومه معالجة الضد كما فعل فهو عليه السلام وإن كان صاحب التشبيه والتنزيه جمعاً لا تفرقة إلا أنه ما دعا إلا إلى التنزيه لمناسبة حال المدعويين نعم كان نبينا ﷺ صاحب مقام التشبيه والتنزيه وكان جمعهما مقاماً له بخلاف سائر الأنبياء ﷺ فإنهم لم يكونوا صاحب المقام بل كانا فيهم بطريق الحال أقول الدعوة إلى التنزيه هي الدعوة إلى التشبيه وبالعكس فإن التنزيه محجوب في التشبيه والتشبيه مستور في التنزيه نعم كان من أدب الأنبياء ﷺ التصريح بالتنزيه وجعل التشبيه في الحجاب لأصحاب السر وأرباب القلوب وبحسب حالات قومهم وغلبة جهات الكثرة والوحدة عليهم كانت الدعوة مختلفة في التصريح والرمز ولهذا من أخذ موسى ﷺ بلحية أخيه ما فهم القوم إلا التنزيه مع أن أرباب المعرفة فهموا منه التشبيه وعلى هذا يمكن أن يكون قوله: ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَرًا﴾ (٨) ثُمَّ إِنِّي أَقَلْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿[نوح: ٨-٩] إشارة إلى أن الجهر والاسرار من كيفية الدعوة فتكون دعوته جهراً وصراحة إلى التنزيه المطلق وسراً وفي الحجاب إلى التشبيه المطلق والعطف ب(ثم) لدلالة أن الدعوة الإسرارية إلى التشبيه منضمة في الدعوة الجهرية إلى التنزيه ولعل قوله دعوت قومي ليلاً ونهاراً حكاية عن الدعوة الجهرية والاسرارية وتقديم الليل على النهار لعله للإشارة إلى عدم احتجاب نفسه ﷺ عن الكثرة في عين الوحدة وعن الوحدة في عين الكثرة.

قال الشيخ في المتن : « فإنه - أي النبي ﷺ - شبه ونزه في آية واحدة بل في نصف آية وقال الشارح القيصري : الآية هي : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] ونصفها ليس كمثله شيء والنصف الآخر وهو السميع البصير فإن في كل من النصفين تشبيهاً وتنزيهاً كما مر بيانه . . . - ص ١٣٧ - .

قوله : كما مر بيانه ، ما مر من البيان منه كون التشبيه والتنزيه باعتبارين في كل من الفقرتين وليس المقصود ذلك فإنه ليس جمعاً بينهما ومراده الجمع كما لا يخفى فلعل المراد من الجمع بينهما هنا في قوله ليس كمثله شيء أن عدم المثلية يلزم الإحاطة التامة بنحو ظهور الواحد في مراتب الكثرات والظهور الكذائي هو التشبيه فالآية الشريفة جامعة بينهما وفي قوله هو السميع البصير أظهر فإن السمع الثابت للممكنات والبصر الحاصل لهم إذا كانا له تعالى بعين ثبوتهما لهم كان هو الظاهر المحيط في مراتب الكثرات ومرائى الممكنات فإذا كان هو المحيط الظاهر فيهم لم يكن كأحدهم فنزه وشبه في نصف آية باعتبار واحد ويمكن أن يكون نصف آية هو مجموع الفقرتين فإن الظاهر أنهما متممين للآية فراجع .

قال الشيخ في المتن : « وبهذا كان الحق ملك الملك كما قال الترمذي وقال الشارح أي بسبب أن الحق أثبت ملك الاستخلاف للعباد الكامل وجعل نفسه وكياًل منهم وللموكل أن يتصرف في الوكيل بحسب العزل والإثبات كما يتصرف في الملك صار الحق ملك ملكه . . . » - ص ١٤٠ - .

قوله : وجعل نفسه وكياًل منهم ، جعل نفسه تعالى وكياًل ليس باعتبار إثبات ملك الاستخلاف فإن حقيقة ملك الاستخلاف إثبات الملك للمستخلف عنه وسلبه عن الخليفة وحقيقة الخلافة هي الفقر المحض المشار إليه بقوله ﷺ الفقر فخري فليس الوكالة باعتبار ملك الاستخلاف بل باعتبار ملك الاستقلال الذي كان نظر قوم نوح ﷺ به .

« قال الشيخ في اصطلاحاته إن مقام التلوين أعلى من مقام التمكين ويريد به التلوين في الأسماء بعد الوصول . . . » - ١٤٧ - .

بل مراد الشيخ من التلوين الذي أعلى المقامات هو التلوين الحاصل للسالك بعد الرجوع إلى مملكته وبقائه بعد فائه فإن في ذاك المقام أيضاً تلوين لا يشبه تلوينات قبل الوصول وبعده وعند التفتيش أن هذا التلوين مع كونه أعلى مراتب التلوين أعلى مراتب التمكين أيضاً.

«ولا تذرهم على وجه الأرض ليتخلصوا من العالم الظلمانية الحاجة للأنوار القدسية والوحدة الحقيقية أو الأرض المعهودة فإنها أيضاً حضرة من أمهات الحضرات...» - ص ١٤٧ - .

قوله: أو الأرض المعهودة، أو أرض نفسه التي هي أرض طبيعته والخروج منها إلى ملكوت نفسه إلا أنه بالخروج عن ملكوت نفسه قد يصير خارجاً عن أرض عالم الملك وقد يصير خارجاً عن بعض أرضه حسب مدارج النفس ومقاماتها وقوة السلوك ونقصانه.

«أي وجاء القلب المحمدي بقوله لو دلتم بحبل لهبط على الله فأخبر أن الله في باطن الأرض كما أنه في باطن السماء...» - ص ١٤٨ - .

قوله: في باطن السماء، بل المقصود والمناسب للمقام المحمدي هو الإخبار عن أن الله في باطن العوالم وظاهرها فهو تعالى ظاهر في عين كونه باطناً وباطن في عين كونه ظاهراً كما قال تعالى شأنه: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣] وعن مولانا صاحب الأمر رُوي له الفداء في توقيعاته «يا باطناً في ظهوره وظاهراً في بطونه ومكنونه».

قال الشارح عند قول الشيخ «لاختلاف الوجوه»: أي

«يخرج كل واحد منكم من الأرض تارة أخرى على صورة تقتضيها هيئته الغالبة على نفسه حال انتقاله إلى باطن الأرض لاختلاف الوجوه والهيئات...» - ص ١٤٨ - .

قال شيخنا العارف الكامل الشاه أبادي أدام الله ظله الظليل إن اختلاف الوجوه يكون بالنسبة إلى شخص واحد لا أشخاصاً متعددة كما ذكره الشارح

أي لاختلاف الوجوه الذي للشخص الإنساني خرج من الملكوت إلى الملك
ومن الملك إلى الملكوت الذي هو البرزخ ومنه إلى القيامة .

«هم الذين جاء في حقهم أوليائي تحت قباي لا يعرفهم غيري» - ص
١٥١ - .

ليس المراد بالأولياء الذين تحت قبابه ما ذكره الشارح فإنهم كالملائكة
المهميّة المشار إليهم بقوله تعالى : ﴿تَ وَالْقَلْبِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم : ١] ليسوا
في الحجب الظلمانية ولا يعرفون نفوسهم فإن من عرف نفسه وأثبت لها
الأنية والأناية لم يكن ولي الله ولم يكن تحت قبته تعالى بل ولي نفسه وتحت
قبتها فالمقصود بالظالمين هم الذين فتوا لكنهم لم يفتوا عن فنائهم لشهود
أنفسهم فدعا لهم أن يفتوا عن فنائهم حتى لا يروا إلا وجه الحق كالمحمديين
الذين ورد في حقهم ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص : ٨٨] فشاهدوا
هلاك كل شيء حتى نفوسهم إلا وجه الحق الباقي وههنا تحقيق آخر ليس
مجال تحريره .

الفصل الادريسي

فص حكمة قدوسية في كلمة ادريسية

الْعُلُوّ نِسْبَتَانِ، عُلُوّ مكان وَعُلُوّ مَكَانَةٍ. فَعُلُوّ المكان ﴿وَرَفَعْتَهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧].

وأعلى الأمكنة المكان الذي يدور عليه رحي عالم الأفلاك وهو فلّك الشمس، وفيه مقام روحانية إذريس عليه السلام.

وتحتة سبعة أفلاك وقوفه سبعة أفلاك وهو الخامس عشر فالذي فوقه فلّك الأحمر وفلك المشتري وفلك كيون (الكيوان - خ) وفلك المنازل والفلك الأطلس، وفلك الكرسي وفلك العرش.

والذي دونه فلّك الزهرة وفلك الكاتب، وفلك القمر، وكرة الأثير وكرة الهواء، وكرة الماء وكرة الثراب.

فمن حيث هو قُطْبُ الأفلاك هو رفيع المكان.

وأما عُلُوّ المكانة فهو لنا، أعني المُحمّديين.

قال تعالى ﴿وَأَنْتُمْ أَلْأَعْلَوْنَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ [محمد: ٣٥] في هذا العُلُوّ؛ وهو يتعالى عن المكان لا عن المكانة.

ولما خافت نفوس العمال منا أتبع المعية بقوله ﴿وَلَنْ يَرْكُزَ أَعْمَلَكُمْ﴾

[محمد: ٣٥] فَالْعَمَلُ يَطْلُبُ المكان والعِلْمُ يَطْلُبُ المكانة، فجمع لنا بين الرفعين عُلُوّ المكان بِالْعَمَلِ وَعُلُوّ المكانة بِالْعِلْمِ.

ثُمَّ قَالَ تُنْزِلُهَا لِلاِشْتِرَاكِ بِالْمَعْنِيَةِ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١] عَنْ
هَذَا الْاِشْتِرَاكِ الْمَعْنَوِيِّ.

وَمَنْ أَعْجَبِ الْأُمُورِ كَوْنُ الْإِنْسَانِ أَعْلَى الْمَوْجُودَاتِ، أَعْنِي الْإِنْسَانَ
الْكَامِلَ، وَمَا نُسِبَ إِلَيْهِ الْعُلُوُّ إِلَّا بِالتَّبَعِيَّةِ، إِمَّا إِلَى الْمَكَانِ وَإِمَّا إِلَى الْمَكَانَةِ
وَهِيَ الْمُنْتَزَعَةُ.

فَمَا كَانَ عُلُوُّهُ لِذَاتِهِ فَهُوَ الْعَلِيُّ بِعُلُوِّ الْمَكَانِ وَبِعُلُوِّ الْمَكَانَةِ فَالْعُلُوُّ
لَهُمَا.

فَعُلُوُّ الْمَكَانِ كـ ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] وَهُوَ أَعْلَى
الْأَمَاكِينِ وَعُلُوُّ الْمَكَانَةِ ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [الفصص: ٨٨]، وَ ﴿وَالْيَتِيمَ
يَرْجِعْ الْأَمْرَ كُلَّهُ﴾ [هود: ١٢٣] ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ مَعَ اللَّهِ﴾ [النمل: ٦٠].

وَلَمَّا قَالَ تَعَالَى ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧] فَجَعَلَ «عَلِيًّا» نَعْتًا
لِلْمَكَانِ.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]،
فَهَذَا عُلُوُّ الْمَكَانَةِ. وَقَالَ فِي الْمَلَائِكَةِ ﴿أَسْتَكَبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ [ص: ٧٥]
فَجَعَلَ الْعُلُوُّ لِلْمَلَائِكَةِ. فَلَوْ كَانَ لِكُونِهِمْ مَلَائِكَةً لَدَخَلَ الْمَلَائِكَةُ، كُلُّهُمْ
فِي هَذَا الْعُلُوِّ فَلَمَّا لَمْ يَعْمَ مَعَ اشْتِرَاكِهِمْ فِي حَدِّ الْمَلَائِكَةِ، عَرَفْنَا أَنَّ هَذَا عُلُوُّ
الْمَكَانَةِ عِنْدَ اللَّهِ وَكَذَلِكَ الْخُلَفَاءُ مِنَ النَّاسِ لَوْ كَانَ عُلُوُّهُمْ بِالْخِلَافَةِ عُلُوًّا ذَاتِيًّا
لَكَانَ لِكُلِّ إِنْسَانٍ. فَلَمَّا لَمْ يَعْمَ عَرَفْنَا أَنَّ ذَلِكَ الْعُلُوُّ لِلْمَكَانَةِ.

وَمِنْ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى الْعَلِيُّ. عَلَى مَنْ وَمَا تَمَّ إِلَّا هُوَ؟. فَيُبَوَّ الْعَلِيُّ
لِذَاتِهِ.

وَعَنْ (أَوْ عَنْ - خ) مَاذَا وَمَا هُوَ إِلَّا هُوَ؟ فَعُلُوهُ لِنَفْسِهِ.

وَهُوَ مِنْ حَيْثُ الْوُجُودِ عَيْنُ الْمَوْجُودَاتِ. فَالْمُسَمَّى مُحَدَّثَاتٌ هِيَ الْعَلِيَّةُ لِدَاتِهَا وَلَيْسَتْ إِلَّا هُوَ. فَهُوَ الْعَلِيُّ لَا عُلُوَّ إِصَافَةٍ، لِأَنَّ الْأَعْيَانَ الَّتِي لَهَا الْعَدَمُ الثَّابِتُ فِيهِ مَا شَمَتَ رَائِحَةً مِنَ الْوُجُودِ؛ فَهِيَ عَلَى حَالِهَا مَعَ تَعْدَادِ الصُّوَرِ فِي الْمَوْجُودَاتِ.

وَالْعَيْنُ وَاحِدَةٌ مِنَ الْمَجْمُوعِ فِي الْمَجْمُوعِ.

فَوُجُودُ الْكَثْرَةِ فِي الْأَسْمَاءِ، وَهِيَ النِّسْبُ وَهِيَ أُمُورٌ عَدَمِيَّةٌ.

وَلَيْسَ إِلَّا الْعَيْنُ الَّذِي هُوَ الذَّاتُ.

فَهُوَ الْعَلِيُّ لِنَفْسِهِ لَا بِالْإِصَافَةِ. فَمَا فِي الْعَالَمِ مِنْ هَذِهِ الْحَيَثِيَّةِ عُلُوَّ إِصَافَةٍ.

لَكِنِ الْوُجُوهُ الْوُجُودِيَّةُ مُتَفَاضِلَةٌ فَعُلُوُّ الْإِصَافَةِ مَوْجُودٌ فِي الْعَيْنِ الْوَاحِدَةِ مِنْ حَيْثُ الْوُجُوهُ الْكَثِيرَةُ.

لِذَلِكَ نَقُولُ فِيهِ هُوَ لَا هُوَ، أَنْتَ لَا أَنْتَ.

قَالَ الْخَرَّازُ رَحِمَهُ اللَّهُ وَهُوَ وَجْهٌ مِنْ وَجُوهِ الْحَقِّ وَلِسَانٌ مِنَ أَلْسِنَتِهِ يَنْطِقُ عَنْ نَفْسِهِ بِأَنَّ اللَّهَ لَا يُعْرَفُ إِلَّا بِجَمْعِهِ بَيْنَ الْأَضْدَادِ فِي الْحُكْمِ عَلَيْهِ بِهَا، فَهُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ، فَهُوَ عَيْنُ مَا ظَهَرَ، وَهُوَ عَيْنُ مَا بَطَنَ فِي حَالِ ظُهُورِهِ. وَمَا تَمَّ مِنْ يَرَاهُ غَيْرُهُ، وَمَا تَمَّ مِنْ يَبْطُنُ عَنْهُ، فَهُوَ ظَاهِرٌ لِنَفْسِهِ بَاطِنٌ عَنْهُ وَهُوَ الْمُسَمَّى أَبَا سَعِيدِ الْخَرَّازِ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَسْمَاءِ الْمُحَدَّثَاتِ.

فَيَقُولُ الْبَاطِنُ: لَا إِذَا قَالَ الظَّاهِرُ أَنَا، وَيَقُولُ الظَّاهِرُ: لَا إِذَا قَالَ الْبَاطِنُ أَنَا وَهَذَا فِي كُلِّ ضِدٍّ.

والمتكلم واحد وهو عين السامع .

كما يقول النبي صلى الله عليه وسلم «وما حدثت به أنفسها» .

فهي المحدثة السامعة حديثها، العالمة بما حدثت به أنفسها والعين
واحدة وإن اختلفت الأحكام ولا سبيل إلى جهل مثل هذا فإنه يعلمه كل
إنسان من نفسه .

وهو صورة الحق .

فاختلطت الأمور وظهرت الأعداد بالواحد في المراتب المعلومه .

فأوجد الواحد العدد، وفصل العدد الواحد .

وما ظهر حكم العدد إلا بالمعدود والمعدود منه عدم ومنه وجود؛

فقد يغدو الشيء من حيث الحس وهو موجود من حيث الفعل .

فلا بد من عدد ومعدود؛ ولا بد من واحد ينشئ ذلك فينشأ بسببه .

فإن كان كل مرتبة من العدد حقيقة واحدة كالسعة مثلاً والعشرة إلى

أدنى وإلى أكثر إلى غير النهاية (نهاية - خ)، ما هي مجموع، ولا ينفك عنها

اسم جمع الآحاد فإن الاثنين حقيقة واحدة والثلاثة حقيقة واحدة، بالغة

(بالأ - خ) ما بلغت هذه المراتب .

وإن كانت واحدة . فما عين واحدة (عين واحدة - خ) منهن عين ما

بقي .

فالجمع يأخذها فتقول بها منها، ونحكم بها عليها .

فقد (وقد - خ) ظهر في هذا القول عشرون مرتبة فقد دخلها

التركيب .

فَمَا تَنْفَكُ تُثَبِّتُ عَيْنَ مَا هُوَ مَنْفِيٌّ عِنْدَكَ لِذَاتِهِ .

وَمَنْ عَرَفَ مَا قَرَّرْنَاهُ فِي الْأَعْدَادِ وَأَنَّ نَفْيَهَا عَيْنُ إِبْطَائِهَا، عَلِمَ أَنَّ الْحَقَّ
الْمُنَزَّ هُوَ الْخَلْقُ الْمُشْبَهُ، وَإِنْ كُنْ قَدْ تَمَيَّزَ الْخَلْقُ مِنَ الْخَالِقِ، فَالْأَمْرُ
الْخَالِقُ الْمَخْلُوقُ، وَالْأَمْرُ الْمَخْلُوقُ الْخَالِقُ.

كُلُّ ذَلِكَ مِنْ عَيْنٍ وَاحِدَةٍ، لَا بَلْ هُوَ الْعَيْنُ الْوَاحِدَةُ وَهُوَ الْعِيُونُ
الْكَبِيرَةُ.

فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى، ﴿قَالَ يَتَأَبَّى أَفَعَلَ مَا تُؤْمَرُ﴾ [الصفات: ١٠٢].

وَالْوَلَدُ عَيْنُ أَبِيهِ، فَمَا رَأَى يَذْبَحُ سِوَى نَفْسِهِ.

وَقَدَاهُ بِذَنْجٍ عَظِيمٍ.

فَظَهَرَ بِصُورَةٍ كَبِشٍ مَنْ ظَهَرَ بِصُورَةِ إِنْسَانٍ.

فَظَهَرَ بِصُورَةٍ وَلَدٍ: لَا، بَلْ بِحُكْمٍ وَلَدٍ مَنْ هُوَ عَيْنُ الْوَالِدِ.

﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: ١] فَمَا نَكَحَ سِوَى نَفْسِهِ. فَمِنْهُ الصَّاحِبَةُ
وَالْوَلَدُ وَالْأَمْرُ وَاحِدٌ فِي الْعَدَدِ.

فَمِنْ الطَّبِيعَةِ وَمِنْ الظَّاهِرِ (فَمِنْ الطَّبِيعَةِ وَمِنْ الظَّاهِرِ - خ) مِنْهَا؛ وَمَا
رَأَيْنَاهَا نَقَصَتْ بِمَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلَا زَادَتْ بِعَدَمِ مَا ظَهَرَ؟.

وَمَا الَّذِي ظَهَرَ غَيْرُهَا: وَمَا هِيَ عَيْنُ مَا ظَهَرَ لِاخْتِلَافِ الصُّورِ بِالْحُكْمِ
عَلَيْهَا: فَهَذَا بَارِدٌ يَابِسٌ وَهَذَا حَارٌّ يَابِسٌ، فَجَمَعَ بِالْيَبْسِ وَأَبَانَ بِغَيْرِ ذَلِكَ.

وَالْجَامِعُ الطَّبِيعَةُ، لَا بَلْ عَيْنُ (العين - خ) الطَّبِيعَةُ.

فَعَالَمُ الطَّبِيعَةِ صُورٌ فِي مِرَاةٍ وَاحِدَةٍ؛ لَا بَلْ صُورَةٌ وَاحِدَةٌ فِي مَرَايَا
مُخْتَلِفَةٍ.

فَمَا تَمَّ إِلَّا حَيْرَةٌ لِتَفَرُّقِ النَّظَرِ .

وَمَنْ عَرَفَ مَا قُلْنَاهُ لَمْ يَحْزَ وَإِنْ كَانَ فِي مَزِيدٍ عِلْمٍ فَلَيْسَ إِلَّا مِنْ حُكْمِ
الْمَجْلَى، وَالْمَحَلُّ هُوَ عَيْنُ الْعَيْنِ الثَّابِتَةِ .

فِيهَا (فيها - خ) يَتَنَوَّعُ الْحَقُّ فِي الْمَجْلَى فَتَتَنَوَّعُ الْأَحْكَامُ عَلَيْهِ فَيَقْبَلُ كُلُّ
حُكْمٍ، وَلَا يَخُكِّمُ (وما يحكم - خ) عَلَيْهِ إِلَّا عَيْنٌ مَا تَجَلَّى فِيهِ مَا تَمَّ إِلَّا
هذا .

فَالْحَقُّ خَلَقَ بِهَذَا الْوَجْهِ فَاعْتَبِرُوا وَلَيْسَ خَلْقًا بِذَلِكَ الْوَجْهِ فَادْكُرُوا
مَنْ يَذَرُ مَا قُلْتُ لَمْ تَخْذُلْ بِصِيرَتِهِ وَلَيْسَ يَذَرِيهِ إِلَّا مَنْ لَهُ بَصَرُ
جَمْعٍ وَفَرَّقَ فَإِنَّ الْعَيْنَ وَاحِدَةٌ وَهِيَ الْكَثِيرَةُ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ
فَالْعَلِيُّ لِنَفْسِهِ هُوَ الَّذِي يَكُونُ لَهُ الْكَمَالُ الَّذِي يَسْتَغْرِقُ بِهِ جَمِيعَ الْأُمُورِ
الْجُودِيَّةِ وَالنَّسَبِ الْعَدَمِيَّةِ بِحَيْثُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَقُوْتَهُ نَعْتُ مِنْهَا، سِوَاءَ
(وسواء - خ) كَانَتْ مَحْمُودَةً عَزْفًا وَعَقْلًا وَشَرْعًا أَوْ مَذْمُومَةً عَزْفًا وَعَقْلًا
وَشَرْعًا .

وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا لِمُسَمًّى اللَّهُ خَاصَّةً وَأَمَّا غَيْرُ مُسَمًّى اللَّهِ مِمَّا هُوَ مَجْلَى
لَهُ أَوْ صُورَةٌ فِيهِ . فَإِنْ كَانَ مَجْلَى لَهُ فَيَقَعُ التَّفَاضُلُ، لَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ بَيْنَ مَجْلَى
وَمَجْلَى؛ وَإِنْ كَانَ صُورَةٌ فِيهِ فَيَلْكَ الصُّورَةُ عَيْنُ الْكَمَالِ الذَّاتِي لِأَنَّهَا عَيْنٌ مَا
ظَهَرَتْ فِيهِ .

فَالَّذِي لِمُسَمًّى اللَّهُ هُوَ الَّذِي لِتِلْكَ الصُّورَةِ . وَلَا يُقَالُ هِيَ هُوَ وَلَا هِيَ
غَيْرُهُ .

وَقَدْ أَشَارَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنِ قَسِيٍّ (أَبُو الْقَاسِمِ الْقَاسِي - خ) فِي خَلْعِهِ إِلَى
هَذَا بِقَوْلِهِ: إِنَّ كُلَّ اسْمٍ إِلَهِي يَتَسَمَّى بِجَمِيعِ الْأَسْمَاءِ الْإِلَهِيَّةِ وَيُنَعْتُ بِهَا .

وَذَلِكَ هُنَاكَ أَنَّ كُلَّ اسْمٍ يَدُلُّ عَلَى الذَّاتِ وَعَلَى الْمَعْنَى الَّذِي سَبَقَ لَهُ وَيَطْلُبُهُ
فَمِنْ حَيْثُ دَلَالَتِهِ عَلَى الذَّاتِ لَهُ جَمِيعُ الْأَسْمَاءِ وَمِنْ حَيْثُ دَلَالَتِهِ عَلَى
الْمَعْنَى الَّذِي يَنْفَرِدُ بِهِ يَتَمَيَّزُ عَنْ غَيْرِهِ كَالرَّبِّ وَالْخَالِقِ وَالْمُصَوِّرِ إِلَى غَيْرِ
ذَلِكَ. فَالاسْمُ عَيْنُ الْمُسَمَّى مِنْ حَيْثُ الذَّاتِ، وَالاسْمُ غَيْرُ الْمُسَمَّى مِنْ
حَيْثُ مَا يَخْتَصُّ بِهِ مِنَ الْمَعْنَى الَّذِي سَبَقَ لَهُ.

فَإِذَا فَهَمْتَ أَنَّ الْعَلِيَّ مَا ذَكَرْنَاهُ عَلِمْتَ أَنَّهُ لَيْسَ عُلوُّ الْمَكَانِ وَلَا عُلوُّ
الْمَكَانَةِ، فَإِنَّ عُلوُّ الْمَكَانَةِ يَخْتَصُّ بِوَلَاةِ الْأَمْرِ كَالسُّلْطَانِ وَالْحَكَّامِ وَالْوُزَرَاءِ
وَالْقَضَاةِ وَكُلِّ ذِي مَنْصِبٍ سِوَاكَ كَانَتْ فِيهِ أَهْلِيَّتُهُ ذَلِكَ الْمَنْصِبِ أَوْ لَمْ تَكُنْ،
وَالْعُلُوُّ بِالصِّفَاتِ لَيْسَ كَذَلِكَ.

فَإِنَّهُ قَدْ يَكُونُ أَعْلَمُ النَّاسِ يَتَحَكَّمُ فِيهِ مَنْ لَهُ مَنْصِبُ التَّحَكُّمِ وَإِنْ كَانَ
أَجْهَلَ النَّاسِ فَهَذَا عَلِيٌّ بِالْمَكَانَةِ يَحْكُمُ التَّبِعَ مَا هُوَ عَلِيٌّ بِتَقْسِيمِهِ (فِي نَفْسِهِ -
خ). فَإِذَا غَزَلَ زَالَتْ رِفْعَتُهُ وَالْعَالِمُ لَيْسَ كَذَلِكَ.



«فَصُّ حِكْمَةِ قَدُوسِيَّةٍ فِي كَلِمَةِ اِدْرِيسِيَّة» - ص ١٥٢ -

قوله: فللك البروج، اعلم أن القدماء من أصحاب الهيئة اعتبروا نفس
البروج في الفلك الأعلى الذي سمي فلك الأطلس لخلوه عن الكواكب
واعتبروا صورة البروج في الفلك الثامن أي فلك البروج المصطلح ولما كان
الفلك الثامن متحركاً بالحركة الكهقرية من المغرب إلى المشرق بعقائدهم
يكون الآن صورة البروج غير المحاذي لأصل البروج ولهذا ترى يكتبون في
التقاويم أن القمر في العقرب لا في صورتها أو خرج عنها لا عن صورتها إذا
عرفت ذلك فاطلاق فلك البروج على الفلك الأطلس صحيح وإن لم يكن
مصطلح أصحاب الهيئة.

«إذا سجد فرد واحد من حقيقة كلية فقد حصل السجود من تلك الحقيقة أيضاً فكان جميع أفرادها سجدوا» - ص ١٥٥ - .

أي أن الطبيعة لما كانت متحدة مع الأفراد كان السجود من فرد واحد سجوداً من الطبيعة وباعتبار ذاك الاتحاد كان السجود حصل من جميع الأفراد وفيه فإن هذا خلاف التحقيق في الكلي الطبيعي فإن الطبيعة على ما حقق في محله تتكرر بتكرر الأفراد كما قال الشيخ الرئيس في رسالته المعمولة لتحقيق ذلك رداً على الرجل الهمداني أن إنسانية زيد في الخارج غير إنسانية عمرو وإنسانية هذا غير إنسانية ذاك فاستناد الفعل إلى الطبيعة صحيح دون الاستناد إلى سائر الأفراد اللهم إلا أن يقال إن السجود الحاصل من العقل الأول هو السجود من كل الملائكة النازلة لأحدية جمعه وكونه صورة إجمال العالم بنحو اللف والبساطة تأمل .

«أما أسماء الذات كالاسم الله والرب والقيوم فإنها أيضاً من وجه نسب وإن كانت من آخر غيرها» - ص ١٥٧ - .

ويمكن أن يكون المراد بالنسب التي هو أمور عدمية المفاهيم العقلية أعم من الأسماء الفعلية والأسماء الصفية والأسماء الذاتية حتى بالاعتبار الذي لم يكن مربوطاً بالخلق ولا مانع عن التعبير عنها بالنسبة فإنها في العقل منسوبات إلى الذات وإنما قلنا ذلك فإن المقصود نفي الكثرة عن الذات مطلقاً وعلى ما ذكره الشارح لا ينفي الكثرة عن الأسماء الذاتية بالاعتبار الذي لم يكن منسوباً إلى الخلق على أن الالتزام بأن في كل الأسماء الذاتية جهة ارتباط محل نظر وبحث وإن قال شيخنا العارف الكامل روجي له الفداء إن الاسم في اصطلاح القوم عبارة عن الذات مع الخصوصية التي تصير منشأ الأثر في العين حتى أن الحي والرب بمعنى الثابت أيضاً منشأ للأثر فإن ذوات الحياة تحت اسم الحي كما أن الثابتات والجواهر مستندة إلى الثابت وليس تحقيق هذا العارف الكامل دام ظله مخالفاً لتقسيم الشيخ الكبير محيي الدين الأسماء إلى الذاتية وغيرها على ما سبق في مقدمات الكتاب فإن

الأسماء الذاتية باصطلاحه هي الأسماء التي غلب عليها جهة الذات وهذا لا ينافي وجود جهة الربط إلى الخلق فيها هذا ولكن التحقيق عند نظري القاصر أن بعض الأسماء يكون بنفسه منشأ للأثر وبعضها يكون منشأ للأثار بالتبعية والتطفل لإسم آخر وإن كانت كل الأسماء باعتبار آخر تبعاً للإسم الله المحيط الحاكم على الأسماء كلها وهو اعتبار استهلاك كل الأسماء في عين الاسم الجامع الأعظم ولكن العارف لا بد وأن ينظر إلى الكثرة والتفصيل أيضاً والمنظور هذا النظر وفي هذا الاعتبار قد لا يكون الإسم منشأ للأثر بذاته كالحياة والرب بمعنى الثابت والحياة الموجودة في العالم ليست مستندة إلى ذلك الاسم بل مستندة إلى اسم تكون الحياة لازمة له أو تابعة إياه وأما ما أفاد من أن الاسم ما كان منشأ للأثار فلم تتحققه وإن كان الاصطلاح على ذلك فإنه دام ظله اعرف باصطلاحاتهم وكيف كان فالنسب العقلية هي مفاهيم الأسماء والصفات في النشأة العقلية وهي أمور عدمية في العين.

«فالحق عين ما ظهر في حال بطونه وعين ما بطن في حال ظهوره»

- ١٥٨ -

في التوقيع المبارك عن مولانا وسيدنا صاحب الأمر عجل الله فرجه وأرواحنا له الفداء في الأدعية الرجبية: «يا باطناً في ظهوره وظاهراً في بطونه ومكنونه» صدق ولي الله روجي فداه قال شيخنا العارف دام ظلّه والصور المرآتية مثال ذلك الظهور والبطون فإن المرأة ظاهرة بهذه الصور وهي باطنة أيضاً بهذه الصور فإنها عين المرأة الظاهرة وهي محتجبة بها فإنه لا يمكن رؤية المرأة بنفسه لاحتجابها بها وكذا الحال في الصور الذهنية.

«وهو كما قال عليه السلام إن الله خلق آدم على صورته» - ص ١٥٩ -

وما ذكر في تحقيق العدد أحد المقربات لقوله خلق الله آدم على صورته فإن الوحدة باعتبار أحدية جمع الكثرة صار مثلاً للحق حتى قال مولانا السجاد عليه السلام: «لك يا إلهي وحدانية العدد» والإنسان أيضاً بوحدته كل

التعينات الخلقية والأمرية وله أحدية جمع الكثرة فهو تعالى شأنه على صورته
وصورة الإنسان مثاله تعالى وههنا تحقيقات آخر ليس مقام ذكرها .

«فاختلط الأمر وظهرت الأعداد بالواحد في المراتب المعلومه» - ١٥٩ - .

قد ورد في زبور آل محمد ﷺ لك يا إلهي وحدانية العدد وفي بعض
كلماتهم ورد في وصفه تعالى واحد لا بالعدد فاثبت وحدانية العدد باعتبار
أحدية جمع الكثرات وانطواء الكثرات واستهلاكها فيه وظهوره في الكثرات
ونفي الوحدة العددية أي الواحد المقابل للإثنين فإنه لم يكن سارياً في مراتب
الأعداد بل الواحد الساري غيب في حجاب التعينات وظاهر بها وهذا أيضاً
مثال آخر للحق فإنه تعالى بمرتبة غيبه محجوب عن الأبصار وهو اللطيف
الخبير ويعين ما غاب ظهر فإن التعينات الأسمائية والأفعالية حجابها وظهوره
فهو تعالى محجوب بسبعين ألف حجاب من نور وظلمة وظاهر بها كما أن
الواحد محجوب في الأعداد وظاهر بها فإن اللا بشرط المطلق لا ظهور له إلا
في تعيين المتعينات وهذا من أسرار الكلي الطبيعي الذي هو أيضاً مثال للحق
له الأسماء الحسنی والأمثال العليا .

«قال يا أبت افعل ما تؤمر» - ص ١٦٢ - .

ولما كان الولد سر أبيه الظاهر في صورة الولد فهو بالحقيقة أبوه الظاهر
وكانت نسبة الأب إلى الأولاد كنسبة الحقيقة إلى العالم وكنسبة الواحد إلى
الأعداد تمثل الحقيقة الظاهرة في الأكوان المنزهة عنها كملاً ونقصاً تارةً
بالواحد والأعداد وتارةً بالوالد والأولاد فقال يا أبت افعل... الخ .

«فما رأى يذبح سوى نفسه وذبحه صورة افنائه من أنانيته...» - ص ١٦٢ - .

قال شيخنا الأستاذ العارف أدام الله ظله العالي إن ما رأى
إبراهيم عليه السلام في النوم هو حقيقة العبودية إلا أن الخيال لكثرة اشتغاله
بالأمور الحسية تمثل حقيقة العبودية بصورة ذبح الولد الذي أعز الأشياء
عنده . أقول: حصول العبودية لا يمكن إلا بالخروج عن الأنانية وإفناء الأنية

فهنا أمران: إفاء الأنية والخروج عن الأنانية وحصول العبودية وما رآه ﷺ هو حقيقة الخروج عن الأنانية لأن ذبح الولد الذي هو نفسه وظهوره صورة إفاء الأنانية لا صورة العبودية ويمكن أن يكون المرئي حقيقة العبودية وبعد ذلك الرؤية انتقلت نفسه إلى سببها الذي هو إفاء الأنية والخروج عن الأنانية فتمثل له صورة المسبب.

«وأما غير مسمى الله خاصة مما هو مجلى له أو صورة فيه فإن كان مجلى له فيقع التفاضل...» - ص ١٦٦ -

ويمكن أن يكون المراد من المجلى والصورة الاسم إلا أن المجلى يلاحظ في نظر التكثر فيقع التفاضل والصورة بنظر التوحيد فيستهلك في أحدية الجمع فلا يقع التفاضل كما ورد في الدعاء: «اللهم إني أسألك من أسمائك بأكبرها وكل أسمائك كبيرة» فأوقع التفاضل فيها أولاً ونفى ثانياً عنه استهلاك الكل في أحدية الجمع بنظر الداعي السالك وقد فصلنا القول في ذاك المقام في شرحنا لدعاء الأسحار الذي شرحناه في سالف الزمان.

«والحاصل أن غير مسمى الله إما مجالي ومظاهر أو أسماء فإن كان من المجالي فلا بد أن يقع بينهما التفاضل في مراتب العلو...» - ص ١٦٦ -

اعلم هداك الله إلى أسمائه وصفاته وجعلك وإيانا من الخاضعين في آياته أنه كما أن العلو الذاتي ثابت لمسمى الله أي الذات المتوحدة لجميع الأسماء والصفات بأحدية الجمع فكذلك هو ثابت للعين الثابتة للإنسان الكامل أي الحقيقة المحمدية فإنها أيضاً أحدية جميع الأعيان حاكمة عليها ومستجمعة إياها حكومة الله على سائر الأسماء واستجماعه إياها فإن الظل حكمه حكم ذي الظل فان فيه وكذلك هو ثابت للمشيئة المطلقة اسمه الأعظم في مقام الفعل طابق النعل بالنعل وليس ههنا مقام شرح ذلك وقد استفيد تحقيقه من بعض رسائلنا في حقيقة الخلافة والولاية.

الفصُّ الإبراهيمي

فص حكمة مُهَيِّمِيَّة في كلمة إبراهيمية

إنَّما سُمِّيَ الْخَلِيلُ خَلِيلًا لِتَخَلُّلِهِ وَحَصْرِهِ جَمِيعَ مَا اتَّصَفَتْ بِهِ الذَّاتُ
الإِلَهِيَّةُ ؛ قَالَ الشَّاعِرُ :

قَدْ تَخَلَّلْتَ مَسْلَكَ الرُّوحِ مِنِّي وَبِهِ سُمِّيَ الْخَلِيلُ خَلِيلًا
كَمَا يَتَخَلَّلُ اللَّوْنُ الْمُتَلَوَّنَ ، فَيَكُونُ الْعَرَضُ بِحَيْثُ جَوْهَرُهُ مَا هُوَ
كَالْمَكَانِ وَالْمُتَمَكِّنِ .

وَلِتَخَلَّلْ (أَوْ التَّخَلَّلْ - خ) الْحَقُّ وَجُودَ صُورَةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .
وَكُلُّ حُكْمٍ يَصِحُّ مِنْ ذَلِكَ .

فَإِنَّ لِكُلِّ حُكْمٍ مُوْطِنًا يَظْهَرُ بِهِ لَا يَتَعَدَّاهُ .
أَلَا تَرَى الْحَقَّ يَظْهَرُ بِصِفَاتِ الْمُحْدَثَاتِ ، وَأُخْبِرَ بِذَلِكَ عَنْ نَفْسِهِ ،
وَبِصِفَاتِ النَّقْصِ وَبِصِفَاتِ الدُّمِّ ؟ .

أَلَا تَرَى الْمَخْلُوقَ يَظْهَرُ بِصِفَاتِ الْحَقِّ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا وَكُلُّهَا حَقٌّ
لَهُ .

كَمَا أَنَّ (هِيَ - خ) صِفَاتِ الْمُحْدَثَاتِ حَقٌّ لِلْحَقِّ .

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة: ٢] فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ عَوَاقِبَ الثَّنَاءِ مِنْ كُلِّ حَامِدٍ
وَمَحْمُودٍ ﴿وَالَّتِي يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ [هود: ١٢٣] فَعَمَّ مَا دُمَّ وَحَمِدَ وَمَا تَمَّ إِلَّا
مَحْمُودٌ أَوْ مَذْمُومٌ .

اعلم أنه ما تَخَلَّلَ شَيْءٌ شَيْئاً إِلَّا كَانَ مَحْمُولاً فِيهِ فَالْمُتَخَلَّلُ اسْمُ
 فاعِلٍ - مَخْجُوبٌ بِالْمُتَخَلَّلِ - اسْمُ مَفْعُولٍ . فَاسْمُ الْمَفْعُولِ هُوَ الظَّاهِرُ ،
 وَاسْمُ الْفَاعِلِ هُوَ الْبَاطِنُ الْمَسْتُورُ ، وَهُوَ غِذَاءٌ لَهُ كَالْمَاءِ يَتَخَلَّلُ الصُّوفَةُ فَتَرْتَبُو
 بِهِ وَتَتَسَّعُ فَإِنَّ كَانَ الْحَقُّ هُوَ الظَّاهِرُ فَالْخَلْقُ مَسْتُورٌ فِيهِ ، فَيَكُونُ الْخَلْقُ جَمِيعَ
 أَسْمَاءِ الْحَقِّ سَمْعُهُ وَبَصَرُهُ وَجَمِيعُ نَسَبِهِ وَإِدْرَاكِيَّهِ . وَإِنْ كَانَ الْخَلْقُ هُوَ
 الظَّاهِرُ فَالْحَقُّ مَسْتُورٌ بَاطِنٌ فِيهِ ، فَالْحَقُّ سَمْعُ الْخَلْقِ وَبَصَرُهُ وَيَدُهُ وَرِجْلُهُ
 وَجَمِيعُ قُوَاهُ كَمَا وَرَدَ فِي الْخَبَرِ الصَّحِيحِ .

ثُمَّ إِنَّ الذَّاتَ لَوْ تَعَرَّتْ عَنْ هَذِهِ النِّسْبِ لَمْ تَكُنْ إِلَهاً .

وهذه النِّسْبِ أَخَذَتْهَا أَعْيَانُنَا فَتَنَحْنُ جَعَلْنَاهُ بِمَأْلُوهِتِنَا إِلَهاً .

فَلَا يُعْرِفُ الْحَقُّ حَتَّى نَعْرِفَ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ «مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ
 عَرَفَ رَبَّهُ» وَهُوَ أَعْلَمُ الْخَلْقِ بِاللَّهِ .

فَإِنَّ بَعْضَ الْحُكَمَاءِ وَأَبَا حَامِدٍ ادَّعَوْا أَنَّهُ يُعْرِفُ اللَّهُ مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ فِي
 الْعَالَمِ وَهَذَا غَلَطٌ .

نَعَمْ تُعْرِفُ ذَاتَ قَدِيمَةٍ أَزَلِيَّةٍ لَا يُعْرِفُ أَنَّهَا إِلَهٌ حَتَّى يُعْرِفَ الْمَأْلُوهَ فَهُوَ
 الدَّلِيلُ عَلَيْهِ .

ثُمَّ بَعْدَ هَذَا فِي ثَانِي الْحَالِ يُعْطِيكَ الْكَشْفُ أَنَّ الْحَقَّ نَفْسُهُ كَانَ عَيْنَ
 الدَّلِيلِ عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى أُلُوْهِتِهِ .

وَأَنَّ الْعَالَمَ لَيْسَ إِلَّا تَجَلِيهِ فِي صُورِ أَعْيَانِهِمُ الثَّابِتَةِ الَّتِي يَسْتَحِيلُ
 وَجُودُهَا بِدُونِهِ .

وَأَنَّهُ يَتَنَوَّعُ وَيَتَصَوَّرُ بِحَسَبِ حَقَائِقِ هَذِهِ الْأَعْيَانِ وَأَحْوَالِهَا .

وَهَذَا بَعْدَ الْعِلْمِ بِهِ مِنَّا أَنَّهُ إِلَهٌ لَنَا .

ثُمَّ يَأْتِي الْكَشْفُ الْآخَرُ فَيُظْهِرُ لَكَ صُورَنَا فِيهِ، فَيُظْهِرُ بَعْضَنَا لِبَعْضٍ فِي الْحَقِّ، فَيَعْرِفُ بَعْضُنَا بَعْضًا وَيَتَمَيَّزُ بَعْضُنَا عَنْ بَعْضٍ.

فَمِمَّا مَنْ يَعْرِفُ أَنْ فِي الْحَقِّ وَقَعَتْ هَذِهِ الْمَعْرِفَةُ لَنَا بِنَا، وَمِمَّا مَنْ يَجْهَلُ الْحَضْرَةَ الَّتِي وَقَعَتْ فِيهَا هَذِهِ الْمَعْرِفَةُ بِنَا ﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧].

وبالكَشْفَيْنِ معاً ما يَحْكُمُ عَلَيْنَا إِلَّا بِنَا.

لَا، بَلْ نَحْنُ نَحْكُمُ عَلَيْنَا بِنَا وَلَكِنْ فِيهِ.

ولذلك قال تعالى: ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ [الأنعام: ١٤٩] يعني على الْمُخْجُوبِينَ إِذْ قَالُوا لِلْحَقِّ لِمَ فَعَلْتَ بِنَا كَذَا وَكَذَا مِمَّا لَا يُوَفِّقُ أَعْرَاضَهُمْ، فَيَكْشِفُ لَهُمْ عَنْ سَاقٍ.

وَهُوَ الْأَمْرُ الَّذِي كَشَفَهُ الْعَارِفُونَ هُنَا فَيَرُونَ أَنَّ الْحَقَّ مَا فَعَلَ بِهِمْ مَا ادَّعَوْهُ أَنَّهُ فَعَلَهُ وَأَنَّ ذَلِكَ مِنْهُمْ، فَإِنَّهُ مَا عَلَّمَهُمْ إِلَّا عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ.

فَتَدَخُصُ (فَتَنْدَجِصُ - خ) حُجَّتَهُمْ وَتَبْقَى الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ لِلَّهِ.

فَإِنْ قُلْتَ فَمَا فَائِدَةُ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩] قُلْنَا لَوْ حَرَفُ امْتِنَاعٍ لَا امْتِنَاعَ فَمَا شَاءَ إِلَّا مَا هُوَ الْأَمْرُ عَلَيْهِ وَلَكِنْ عَيْنُ الْمُمَكِّنِ قَابِلٌ لِلشَّيْءِ وَتَقْيِضِهِ فِي حُكْمِ دَلِيلِ الْعَقْلِ، وَأَيُّ الْحَكَمَيْنِ الْمُعْقُولَيْنِ وَقَعَ، فَذَلِكَ هُوَ الَّذِي عَلَيْهِ الْمُمَكِّنُ فِي حَالِ ثُبُوتِهِ.

وَمَعْنَى ﴿لَهَدَيْتُكُمْ﴾ [الأنعام: ١٤٩] لَبَّيْنُ لَكُمْ وَمَا كُلُّ مُمَكِّنٍ مِنَ الْعَالَمِ فَتَحَ اللَّهُ عَيْنَ بَصِيرَتِهِ لِإِدْرَاكِ الْأَمْرِ فِي نَفْسِهِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ، فَمِنْهُمْ الْعَالِمُ وَالْجَاهِلُ.

فَمَا شَاءَ فَمَا هَدَاهُمْ أَجْمَعِينَ، وَلَا يَشَاءُ .

وَكَذَلِكَ «إِنْ يَشَاءُ» فَهَلْ يَشَاءُ؟ هَذَا مَا لَا يَكُونُ . (فهذا ممَّا لَا يَكُونُ - خ).

فَمَشَيْتُهُ أَحَدُهُ التَّعْلِقُ وَهِيَ نِسْبَةٌ تَابِعَةٌ لِلْعِلْمِ . وَالْعِلْمُ نِسْبَةٌ تَابِعَةٌ لِلْمَعْلُومِ وَالْمَعْلُومُ أَنْتَ وَأَحْوَالُكَ فَلَيْسَ لِلْعِلْمِ أَثَرٌ فِي الْمَعْلُومِ، بَلْ لِلْمَعْلُومِ أَثَرٌ فِي الْعِلْمِ فَيُعْطِيهِ مِنْ نَفْسِهِ مَا هُوَ عَلَيْهِ فِي عَيْنِهِ .

وَأَمَّا وَرَدَ الْخِطَابُ الْإِلَهِيِّ بِحَسَبِ مَا تَوَاطَأَ عَلَيْهِ الْمُخَاطَبُونَ وَمَا أَغْطَاهُ النَّظَرُ الْعَقْلِيُّ، مَا وَرَدَ الْخِطَابُ عَلَى مَا يُعْطِيهِ الْكَشْفُ وَلِذَلِكَ كَثُرَ الْمُؤْمِنُونَ وَقَلَّ الْعَارِفُونَ أَصْحَابُ الْكُشُوفِ .

﴿وَمَا يَنَّا إِلَّا لَمْ مَقَامٍ مَعْلُومٍ﴾ [الصافات: ١٦٤] .

وَهُوَ مَا كُنْتُ بِهِ فِي ثُبُوتِكَ ظَهَرَتْ بِهِ فِي وُجُودِكَ .
هَذَا إِنْ ثَبَتَ أَنَّ لَكَ وُجُودًا .

فَإِنْ ثَبَتَ أَنَّ الْوُجُودَ لِلْحَقِّ لَا لَكَ، فَالْحُكْمُ لَكَ بِلَا شَكٍّ فِي وُجُودِ الْحَقِّ .

وَإِنْ ثَبَتَ أَنَّكَ الْمَوْجُودُ فَالْحُكْمُ لَكَ بِلَا شَكٍّ .

وَإِنْ كَانَ الْحَاكِمُ الْحَقُّ، فَلَيْسَ لَهُ إِلَّا إِفَاضَةُ الْوُجُودِ عَلَيْكَ وَالْحُكْمُ لَكَ عَلَيْكَ .

فَلَا تَحْمَدُ إِلَّا نَفْسَكَ وَلَا تَذُمَّ إِلَّا نَفْسَكَ .

وَمَا يَبْقَى لِلْحَقِّ إِلَّا حَمْدُ إِفَاضَةِ الْوُجُودِ لِأَنَّ ذَلِكَ لَهُ لَا لَكَ .

فَأَنْتَ غِذَاؤُهُ بِالْأَحْكَامِ، وَهُوَ غِذَاؤُكَ بِالْوُجُودِ .

فَتَعَيَّنَ عَلَيْهِ مَا تَعَيَّنَ عَلَيْكَ .

فَالْأَمْرُ مِنْهُ إِلَيْكَ وَمِنْكَ إِلَيْهِ .

غَيْرَ أَنَّكَ تُسَمَّى مُكَلَّفًا وَمَا كَلَّفَكَ إِلَّا بِمَا قُلْتَ لَهُ كَلَّفَنِي بِحَالِكَ وَبِمَا
أَنْتَ عَلَيْهِ ، وَلَا يُسَمَّى مُكَلَّفًا اسْمَ مَفْعُولٍ (اسم المفعول) .

فِيَحْمَدُنِي وَأَحْمَدُهُ وَيَغْبُدُنِي وَأَعْبُدُهُ
فَفِي حَالٍ أَقْرُبُهُ وَفِي الْأَعْيَانِ أَجْحُدُهُ
فَيَعْرِفُنِي وَأُنَكِّرُهُ وَأَعْرِفُهُ فَأَشْهَدُهُ
فَأُنِي بِالْغِنَى وَأَنَا أَسَاعِدُهُ وَأَسْعُدُهُ (فَأَسْعُدُهُ - خ)
لِذَاكَ الْحَقُّ أَوْجَدَنِي فَأَعْلِمُهُ فَأُوجِدُهُ
بِذَا جَاءَ الْحَدِيثُ لَنَا وَحَقَّقَ فِي مَقْصَدِهِ

وَلَمَّا كَانَ لِلْحَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ هَذِهِ الْمَرْتَبَةُ الَّتِي بِهَا سُمِّيَ حَلِيلًا لِذَلِكَ
سَنَّ الْقِرَى وَجَعَلَهُ ابْنُ مَسْرَةَ الْجِيلِي (الجبلي - خ) مَعَ مِيكَائِيلَ لِلْأَرْزَاقِ ،
وَبِالْأَرْزَاقِ يَكُونُ تَغْدَى الْمَرْزُوقِينَ فَإِذَا تَخَلَّلَ الرِّزْقُ ذَاتَ الْمَرْزُوقِ بِحَيْثُ لَا
يَبْقَى فِيهِ شَيْءٌ إِلَّا تَخَلَّلَهُ ، فَإِنَّ الْغِذَاءَ يَسْرِي فِي جَمِيعِ أَجْزَاءِ الْمُغْتَذِي
(المتغذي - خ) كُلِّهَا وَمَا هُنَالِكَ أَجْزَاءٌ فَلَا بُدَّ أَنْ يَتَخَلَّلَ جَمِيعَ الْمَقَامَاتِ
الْإِلَهِيَّةِ الْمَعْبَرِ عَنْهَا كُلِّهَا بِالْأَسْمَاءِ فَتُظْهَرُ بِهَا ذَاتُهُ جَلًّا وَعِلًّا .

فَنَحْنُ لَهُ كَمَا تَبَيَّنَتْ أَدِلُّنَا وَنُحْنُ لَنَا
وَلَيْسَ لَهُ سِوَى كَوْنِي فَنَحْنُ لَهُ كَنَحْنُ بِنَا
فَلَى وَجْهَانِ هُوَ وَأَنَا وَلَيْسَ لَهُ أَنَا بِنَا
وَلَكِنْ فِي مَظْهَرِهِ فَنَحْنُ لَهُ كَمَثَلِ أَنَا

﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤].



«فَصُ حكمة مُهِيمِيَّة في كلمة إبراهيمية» - ص ١٦٧ -

الهيمن هو الدهشة المفرطة من شهود جلال الجمال والحيرة فيه كما يحصل عند ورود المعشوق بغتة أو من تجلي الأسماء الجلالية القهرية ونتيجته اندكاك جبل انية السالك وجعل المجذوب. صعباً فبعض السالكين لفرط دهشتهم ومحبتهم أو لسوء استعدادهم أو لنقصان مزاجهم لا يمكنهم الرجوع إلى مملكتهم فيبقون مجذوبين مهيمين لا يعرفون غير الله ولا يعرفهم غير الله لصدور البهلولة عنهم في بعض الأحيان قال تعالى: أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري ويشمل بعضهم العناية الإلهية باعطاء الاستعداد بالفيض الأقدس ويرجعهم إلى مملكتهم غانمين في تلك التجارة حيث صار عقل الكل عقلهم وروحهم روح الكل وجسمهم جسم الكل كما ورد «أرواحكم في الأرواح وأنفسكم في النفوس» فالكل من قاطني عالم الأرواح والأشباح مربون بتربيتهم مدبرون بتدبيرهم يتصرفون فيه كما شاء ولا يحصل ذلك إلا بقرب الفرائض كما أن نتيجة قرب النوافل هو التخلق بأخلاق الله والفناء الصفاتي كما أشار إليه في الحديث القدسي بقوله: «كنت سمعه وبصره» وفي قرب الفرائض يصير العبد أذن الله الواعية وعين الله الناطرة فالله تعالى ينظر به ويسمع به ويبطش به.

«وقال ﷺ بعد حمد الله والثناء عليه: إنه قد كان لي فيكم اخوة وأصدقاء وإني أبرا إلى الله أن اتخذ أحداً منكم خليلاً ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً...» - ص ١٦٨ -

لا يخفى على العارف أن من كان في مراتب السير واصلاً إلى فناء الرب فانياً في ذاته وصفاته تكون خلته خلة الله تعالى فخليل الله لا يأبى عن خلته بخلاف من كان دون ذلك فإن محبة المحبوب تنفي جميع الأخبة فلما

كانت محبة مولانا أمير المؤمنين محبة الله فهو خارج عن منظور كلامه ولا تنافي خلته خلة الله وأما غيره فهو خارج عن تلك المرتبة .

«قوله : لأن تخلله عليه السلام أثر تخلله تعالى إذ كل ما يظهر للعبد من الأحوال والكمالات إنما هو من تجليه باسمه الأول والباطن وإيجاده في القلوب فيكون التخلل من هذه الطرف في مقابلة التخلل من ذلك الطرف . . .» - ص ١٦٩ - .

لا يخفى أن تخلله عليه السلام وإن كان أثراً لتجلياته الذاتية في الحضرة الأسماء بل لتجليه بالفيض الأقدس الذي هو مقام العما إلا أن ذاك التخلل المذكور في الكتاب الذي هو نتيجة قرب الفرائض غير ذاك التجلي فإن قرب الفرائض لا يحصل إلا بعد قرب النوافل فالقرب النوافلي استهلاك الأسماء والصفات فيصير الحق سمعه ويده والقرب الفرائضي الاستهلاك الكلي الذاتي والصفاتي المستتبع لإبقاء العبد في بعض الأحيان فيصير العبد سمع الحق وبصره فإن حصول الولاية الكلية وظهور البرزخية الكبرى لا يحصل إلا بعد قرب الفرائض وهو غاية المعراج الصعودي لنبينا ﷺ ولا يحصل لغيره من الأنبياء والأولياء إلا بالتبعية لا الأصالة وبهذا التحقيق يظهر النظر في كلام الشارح وأمثال ذلك منه غير بعيد، تدبر .

«وقوله : هي للقصة والشأن أي القصة أن صفات المحدثات حق للحق كقوله : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] - ص ١٧٠ - .

ليس الضمير في قوله تعالى : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] للشأن فإنه إشارة إلى الهوية الغيبية المستهلكة عندها النعوت المضمحلة لديها الأسماء والصفات والله إلى أحدية جمع كثرات الأسماء والصفات وفيه إشارة إلى أن الذات الأحدية هي الذات المستجمعة بل هي الذات الظاهرة في كل الأسماء والصفات والأعيان .

« . . . فإن كان الحق هو الظاهر فالخلق مستور فيه فيكون الخلق جميع أسماء الحق سمعه وبصره وجميع نسبه وادراكاته وإن كان الخلق هو الظاهر فالحق مستور باطن فيه . . .» - ص ١٧١ - .

قوله: فإن كان الحق... الخ، قال شيخنا العارف الكامل أدام الله ظله إن مستورية العبد في الحق وظهور الحق لا يحصل إلا عند فناء العبد واضمحلال أنيته واندكاه بحيث لا يبقى منه أثر ولا خبر وهذا هو نتيجة قرب النوافل فقوله يكون الخلق جميع أسماء الحق أي لا يبقى أثر للخلق بل الحكم للحق وحده وبهذا أشار الحديث القدسي كنت سمعه وبصره أي لا سمع ولا بصر ولا حكم له ولا أثر ومستورية الحق في الخلق وظهور العبد لا يحصل إلا بعد إرجاع العبد إلى مملكته وهو البقاء بعد الفناء وهذه هي نتيجة قرب الفرائض. فقوله فالحق سمع الخلق وبصره... الخ أي السمع للعبد الباقي بعد الفناء فإن العبد إذا رجع إلى مملكته يصير وجوده حقانياً فإن المفتي فيه بما أنه مفنى فيه هو الفاني كما أن الفاني بما أنه فاني هو المفتي فيه ففي هذا المقام العبد هو الظاهر وهو السميع وهو البصير والله أسماؤه وصفاته هذا كلامه أديم أيامه وزيد أكرامه ولم أر أحداً من الشراح شرح كلام الشيخ كذلك وعندي في بعض ما أفاد دام ظله نظر فإن في قرب النوافل لا يصير العبد فانياً حتى عن ذاته بل هو مقام الفناء الصفاتي وأما حصول الفناء التام فهو الذي يكون عند قرب الفرائض وعند ذلك قد يصير العبد المستهلك الأنية مجذوباً غاية الجذبة لا يمكن إرجاعه إلى مملكته فيصير في رتبة الملائكة المهمة منخرطاً في سلوكهم وقد يكون لائقاً للإرجاع فتشمله العناية الإلهية فيرجعه إلى مملكته غانماً في تجارته فتصير نفسه نفس الكل وعقله عقل الكل وجسمه جسم الكل إلى غير ذلك.

«واعلم أن الإله اسم الذات من حيث هي هي مع قطع النظر عن الأسماء والصفات باعتبار، واسم الذات مع جميع الأسماء والصفات باعتبار آخر» - ص ١٧٢ - .

قوله: من حيث هي، وبهذا الاعتبار كان الإله مأخوذاً لغة عن وله بمعنى تحير لتحير العقول عن دركه أو لتحير الكثرات والنعوت والصفات في كبرياء جلاله كما ورد في زبور آل محمد ﷺ «ضلت فيك الصفات

وتفسخت دونك النعوت» ولم يكن بهذا الاعتبار مأخوذاً من إله أي عبد فإن الحق بمقامه الغيبي غير معبود فإنه غير مشهود ولا معروف والمعبود لا بد وأن يكون مشهوداً أو معروفاً والعبادة دائماً تقع في حجاب الأسماء والصفات حتى عبادة الإنسان الكامل إلا أنه عابد اسم الله الأعظم وغيره يعبدون سائر الأسماء حسب درجاتهم ومقاماتهم من المشاهدات والمعارف وقد يطلق الإله بفيضه المقدس الظاهر في النشأة العين فهو أيضاً من اله بمعنى عبد فإن العبادة في أوائل السلوك كما كانت محجوبة بالأسماء كانت محجوبة بالأعيان والمظاهر وإن كانت بالحقيقة للظاهر لاتحادهما.

«... هذا الكشف هو كشف مقام الفرق بعد الجمع ويسمى جمع الجمع» - ص ١٧٤ - .

كون ذاك الكشف كشف مقام الفرق بعد الجمع مسلم وأما كونه مقام جمع الجمع وتسميته به فغير معلوم بل معلوم العدم عند التفتيش فإن الجمع بين الجمع والفرق لا يحصل إلا مع عدم احتجاب الجمع عن الفرق وبالعكس وهذا لا يحصل إلا في الكشف الثالث الذي يأتي ذكره من بعد وهو الكشف التام المحمدي ﷺ الذي له البرزخية الكبرى وقد وصل إلى قاب قوسين أو أدنى.

«قوله: الذي كنى عنه نبينا ﷺ بالعماء» - ص ١٧٤ - .

قد اختلفت الآراء في مقام العماء فمنهم من ذهب إلى ما ذكره الشارح ومنهم من قال بأنه مقام الواحدية بمناسبة كونه غيماً رقيقاً بين الأرض والسماء وهو يناسب مقام الواحدية فإنها واسطة بين سماء الأحدية وأرض الأعيان الخلقية وقد فصلنا القول في بعض رسائلنا وحققنا أنه مقام فيضه الأقدس وليس هنا مقام بسطه .

«فإن قلت فما فائدة قوله فلو شاء لهداكم أجمعين قلنا لو حرف امتناع لامتناع فما شاء إلا ما هو الأمر عليه ولكن عين الممكن قابل للشيء ونقيضه في حكم دليل العقل وأي الحكمين المعقولين وقع ذلك هو الذي عليه الممكن في حال ثبوته» - ص ١٧٦ - .

قوله : ولكن عين الممكن قابل . . . الخ ، قال شيخنا العارف أدام الله
ظله : في شرح المراد أن ههنا ثلاث مراتب مرتبة ذات المهيئات من حيث هي
ومرتبة عرض الوجود والعدم عليها ومرتبة نفس الأمر على ما هي عليه أما في
المرتبة الأولى فيحكم العقل بأنها ليست إلا هي فلا يحكم بشيء آخر عليها
وأما في المرتبة الثانية فيحكم حكماً بتياً بأنها متساوية الطرفين بالنسبة إلى
الوجود والعدم فهاتان المرتبتان دركهما حظ العقل وليس محجوباً عنهما
فهذا يحكم قطعاً عليها وأما في المرتبة الثالثة وهي مرتبة نفس الأمر التي
هي عبارة عن نشأة العلم الربوبي فليس من شأنه دركها وهو محجوب عنها
فلا يحكم عليها فهو مردد في حالها هل هي مقتضية للظهور أم لا أم هل هي
مقتضية للسعادة أو الشقاوة أم لا والمثال الذي أورده الشارح في الصفحة
الآتية من الأعمى راجع إلى ذاك المقام وبالجملة العقل يحكم بقابلية الممكن
للشيء ونقيضه فيما هو شأنه ولا يحكم بشيء فيما هو محجوب عنه وهو
مرتبة علم الربوبي وأما السالك المكاشف المطلع على نفس الأمر فيحكم
على آحاد المهيئات بما هي عليها من الوجود والعدم والسعادة والشقاوة وغير
ذلك . انتهى ما أفاد .

أقول : ولعل بطن الأم الذي ورد أن السعيد سعيد في بطن أمه والشقي
شقي في بطن أمه هو مرتبة نفس الأمر الذي عبارة عن الحضرة العلمية فإن
السعادات والشقاوات وكلية التقديرات من ذاك العالم الشامخ الربوبي الذي
هذا العالم وما فيه ظله الظليل ولما كان جميع التقديرات في ذلك العالم ورد
في بعض الأخبار أن البدء من علم لا يعلمه الأنبياء والمرسلون هو مخزون
عنده كما في الكافي الشريف بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال : «إن الله
علمين علم مكنون مخزون لا يعلمه إلا هو من ذلك يكون البدء وعلم علمه
ملائكته ورسله وأنبياءه فنحن نعلمه صدق ولي الله والمراد من كون البدء من
ذلك أنه نشأ من ذلك العالم الشامخ ولا ينافي ظهوره في بعض النفوس النازلة
فإن الموجودات كلها من الحضرة العلمية ههنا تفصيل لا يسع المقام ذكره .

«ولا يشاء هداية الجميع أبداً فإن شؤون الحق كما تقتضي الهداية كذلك تقتضي الضلالة بل نصف شؤونه يترتب على الضلالة كما يترتب النصف الآخر على الهداية...» - ص ١٧٧ - .

قوله: بل نصف شؤونه... الخ، لا يخفى أن سبق الرحمة على الغضب يقتضي أن يكون شأن الهداية غالباً وحاكماً على شأن الضلالة فلذا قال الشيخ في الفتوحات بسم الله الرحمن الرحيم ظهر الوجود وقال أيضاً إن أرحم الراحمين يشفع عند المنتقم ويصير الأمر على مقتضاه هذا بالنظر إلى التكثير وإلا فبالنظر إلى التوحيد ففي كل الأسماء ينطوي الكل فهو أول من حيث هو آخر وآخر من حيث هو أول وفي كل جمال جلال وفي كل جلال جمال كما فصلنا ذلك في بعض رسائلنا وشرحنا لبعض الأدعية .

«ولذلك قسم الدار الآخرة بالجنة والنار» - ص ١٧٧ - .

تقسيم الدار الآخرة إلى الجنة والنار وإن كان صحيحاً إلا أن النار حقيقة صورة الرحمة الإلهية لأهل التوحيد فإنها توجب وصولهم إلى الكمالات المتروقة بإلقاء الغرائب والهيئات المظلمة وتصيرهم قابلين للشفاعة بل عند الشيخ واتباعه للكفار أيضاً فإن العذاب عنده من العذب كما صرح به في هذا الكتاب .

«وما منا إلا له مقام معلوم» - ص ١٧٨ - .

هذا من الشيخ لا ينافي عدم المقام للإنسان الكامل فإن المقام هناك بمعنى الحد وهو منفي عنه ولهذا قيل له الظلوم الجهول وههنا ليس بذلك المعنى بل بمعنى المنزلة والشأن وإن كان شأنه التجاوز عن قاطبة الحدودات الإمكانية واندكاكه في بحر وجوب الوجود .

«وهذا الجحد والإقرار بعينه كما قال الشاعر :

رق الزجاج وراقت الخمر فتشابهها وتشاكل الأمر
فكأنما خر ولا قدح وكأنما قدح ولا خر»

- ص ١٨١ - .

لا يخفى أنه ليس ما قاله الشاعر من مقام الجحد والإقرار بل من مقام الجمع بينهما بنحو الأحدية بحيث لا يكون الخلق حمياً عن الحق ولا الحق عن الخلق فليس حقيقة في ذاك المقام جحد أصلاً فإن الجحد من الاحتجاب ولذا قال رق الزجاجات التعينية الرقيقة وراقت خمر الحقيقة وهذا بحسب مقام السالك وأما بالنظر إلى الأمر في نفسه فالاحتجاب مرفوع من رأس هذا إلا أن يقال إن قوله فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر يدل على ذلك فإنه أنكر وأقر في حالين ولكن يمكن أن يكون ذلك أيضاً إخباراً عن الحال الجمعي غير المحتجب عن الخلق والحق، فتدبر تجد.

الفصّ الاسحاقى

فص حكمة حقية في كلمة إسحاقية

فِداءً نَبِيٍّ ذَبَحَ ذَبْحَ لِقُرْبَانٍ وَأَيْنَ ثُؤَاجِ الْكَبِشِ مِنْ نَوْسِ إِنْسَانٍ
وَعَظَّمَهُ اللَّهُ الْعَظِيمُ عَنَابَةً بِهِ أَوْ بَنَا لَمْ أَذَرِ مِنْ أَيِّ مِيزَانٍ
وَلَا شَكَّ أَنَّ الْبُذْنَ أَعْظَمُ قِيَمَةً وَقَدْ نَزَلْتُ عَنْ ذَبْحِ كَبِشٍ لِقُرْبَانٍ
فَيَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ نَابَ بِذَاتِهِ شَخِصُ كُبَيْشٍ عَنْ خَلِيفَةِ رَحْمَانٍ
أَلَمْ تَذَرِ أَنَّ الْأَمْرَ فِيهِ مُرْتَبِّ وَفَاءً لِإِرْبَاحٍ وَنَقْصٍ لِخُسْرَانٍ
فَلَا خَلَقَ أَعْلَى مِنْ جَمَادٍ وَبَعْدَهُ نَبَاتٌ عَلَى قَدَرٍ يَكُونُ وَأَوْرَانٍ
وَذُو الْحِسِّ بَعْدَ النَّبْتِ وَالْكُلُّ عَارِفٍ بِخِلَاقِهِ كَشْفًا وَإِضَاحَ بُرْهَانٍ
وَأَمَّا الْمَسْمُومَى آدَمَ فَمُقَيَّدٌ بِعَقْلِ وَفِكْرِ أَوْ قِلَادَةِ إِيْمَانٍ
بِذَا قَالَ سَهْلٌ وَالْمَحَقُّوْ مِثْلُنَا لَأَنَا وَإِيَاهُمْ بِمَنْزِلِ إِحْسَانٍ
فَمَنْ شَهِدَ الْأَمْرَ الَّذِي قَدْ شَهِدْتُهُ يَقُولُ بِقَوْلِي فِي خَفَاءٍ وَإِعْلَانٍ
وَلَا تَلْتَفِتْ قَوْلًا يُخَالِفُ قَوْلَنَا وَلَا تَبْذُرِ السَّمَرَاءَ فِي أَرْضِ عُمَيَّانٍ
هُمُ الصُّمُّ وَالْبُكْمُ الَّذِينَ أَتَى بِهِمُ

لَا (لا - معا) سَمَاعِنَا الْمَعْصُومُ فِي نَصِّ قُرْآنٍ

اعْلَمْنَا أَيْدِنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِابْنِهِ : ﴿إِنِّي
أَرَى فِي الْمَنَازِرِ آيَةً أَذْبَحُكَ﴾ [الصافات : ١٠٢] وَالْمَنَامُ حُضْرَةُ الْخِيَالِ فَلَمْ يُعَبِّرْهَا .
وَكَانَ كَبِشٌ ظَهَرَ فِي صُورَةِ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ فِي الْمَنَامِ فَصَدَّقَ إِبْرَاهِيمُ

الرؤيا، ففداه رَبُّهُ مِنْ وَهْمِ إِبْرَاهِيمَ بِالذَّبْحِ الْعَظِيمِ الَّذِي هُوَ تَعْبِيرُ رُؤْيَاهُ عِنْدَ الله وَهُوَ لَا يَشْعُرُ.

فَالْتَجَلَّى الصُّورِيُّ فِي حَضْرَةِ الْخِيَالِ يَخْتِاجُ إِلَى عِلْمٍ آخَرَ يُدْرِكُ بِهِ مَا أَرَادَ اللهُ بِتِلْكَ الصُّورَةِ.

أَلَا تَرَى كَيْفَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي بَكْرٍ فِي تَعْبِيرِهِ الرُّؤْيَا: «أَصَبْتُ بَعْضًا وَاخْطَأْتُ بَعْضًا» فَسَأَلَ أَبُو بَكْرٍ أَنْ يُعَرِّفَهُ مَا أَصَابَ فِيهِ وَمَا أَخْطَأَ فَلَمْ يَفْعَلْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقال الله تعالى لإبراهيم حين ناداه ﴿أَنْ يَتْلِيَهُمْ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾ [الصفات: ١٠٥]، وما قَالَ لَهُ صَدَّقْتَ فِي الرُّؤْيَا أَنَّهُ ابْنُكَ، لِأَنَّهُ مَا عَبَّرَهَا، بَلْ أَخَذَ بِظَاهِرِ مَا رَأَى، وَالرُّؤْيَا تَطْلُبُ التَّعْبِيرَ.

وَلِذَلِكَ قَالَ الْعَزِيزُ ﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرَّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف: ٤٣] وَمَعْنَى التَّعْبِيرِ الْجَوَازُ مِنْ صَوْرَةٍ مَا رَأَاهُ إِلَى أَمْرٍ آخَرَ.

وَكَانَتْ الْبَقَرُ (فَكَانَتْ الْبَقَرَاتُ - خ) سِنِينَ فِي الْمَحَلِّ وَالْخِصْبِ.

فَلَوْ صَدَقَ فِي الرُّؤْيَا لَذَبَحَ ابْنَهُ.

وَإِنَّمَا صَدَقَ الرُّؤْيَا فِي أَنَّ ذَلِكَ عَيْنُ وَلَدِهِ، وَمَا كَانَ عِنْدَ اللهِ إِلَّا الذَّبْحُ الْعَظِيمُ فِي صَوْرَةِ وَلَدِهِ.

فَفَدَاهُ لِمَا وَقَعَ فِي ذَهْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا هُوَ فِدَاءٌ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ عِنْدَ اللهِ.

فَصَوَّرَ الْحِسُّ الذَّنْبَ وَصَوَّرَ الْخِيَالُ ابْنَ إِبْرَاهِيمَ.

فَلَوْ رَأَى الْكَبْشَ فِي الْخِيَالِ لَعَبَّرَهُ بِابْنِهِ أَوْ بِأَمْرٍ آخَرَ.

ثُمَّ قَالَ ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلْتُؤُا الْمُبِينُ﴾ [الصفات: ١٠٦] أَيْ الْاِخْتِبَارُ الظَّاهِرُ (المُبِين - خ) يَعْنِي الْاِخْتِبَارَ فِي الْعِلْمِ هَلْ يُعْلَمُ مَا يَقْتَضِيهِ مَوْطِنُ الرُّؤْيَا مِنَ التَّعْبِيرِ أَمْ لَا؟ لِأَنَّهُ يُعْلَمُ أَنَّ مَوْطِنَ الْخِيَالِ يَطْلُبُ التَّغْيِيرَ فَعُغِلَ فَمَا وَفَى الْمَوْطِنُ حَقَّهُ، وَصَدَّقَ الرُّؤْيَا لِهَذَا السَّبَبِ.

كَمَا فَعَلَ تَقِي بْنُ مَخْلَدٍ الْإِمَامُ صَاحِبُ الْمُسْنَدِ، سَمِعَ فِي الْخَبَرِ الَّذِي ثَبَتَ (صَحَّ - خ) عِنْدَهُ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ «مَنْ رَأَى فِي النَّوْمِ (فِي الْمَنَامِ - خ) فَقَدْ رَأَى فِي الْيَقَظَةِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتِمَثَّلُ عَلَى صُورَتِي» فَرَأَهُ تَقِي بْنُ مَخْلَدٍ وَسَقَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذِهِ الرُّؤْيَا لَبَنًا فَصَدَّقَ تَقِيٌّ بْنُ مُخَلَّدٍ رُؤْيَاهُ وَاسْتَقَاءَ لَبَنًا. وَلَوْ عَبَّرَ رُؤْيَاهُ لَكَانَ ذَلِكَ اللَّبَنُ عِلْمًا. فَحَرَمَهُ اللَّهُ عِلْمًا كَثِيرًا عَلَى قَدَرٍ مَا شَرِبَ. أَلَا تَرَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنِّي فِي الْمَنَامِ بِقَدَحٍ لَبَنٍ قَالَ «فُشِّرَتْهُ حَتَّى خَرَجَ الرَّيُّ مِنْ أَظْفِيرِي ثُمَّ أُعْطِيتُ فَضْلِي عَمْرٍ» قِيلَ مَا أَوْلَتْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ الْعِلْمُ، وَمَا تَرَكَهُ لَبَنًا عَلَى صُورَةٍ مَا رَأَهُ لِعِلْمِهِ بِمَوْطِنِ الرُّؤْيَا وَمَا يَقْتَضِيهِ مِنَ التَّعْبِيرِ.

وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ صُورَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي شَاهَدَهَا الْحُسُ إِنَّهَا فِي الْمَدِينَةِ مَدْفُونَةٌ، وَأَنَّ صُورَةَ رُوحِهِ وَلَطِيفَتِهِ مَا شَاهَدَهَا أَحَدٌ مِنْ أَحَدٍ وَلَا مِنْ نَفْسِهِ.

كُلُّ رُوحٍ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ.

فَتَجَسَّدَ رُوحُ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْمَنَامِ بِصُورَةِ جَسَدِهِ كَمَا مَاتَ عَلَيْهِ لَا يَخْرُمُ الْمُتَجَسِّدُ مِنْهُ شَيْئًا فَهُوَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَرْثِيُّ مِنْ حَيْثُ رُوحِهِ فِي صُورَةِ جَسَدِيَّةٍ تُشَبِّهُ الْمَدْفُونَةَ.

لَا يُمْكِنُ لِلشَّيْطَانِ أَنْ يَتَصَوَّرَ بِصُورَةِ جَسَدِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
عِصْمَةً مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فِي حَقِّ الرَّائِي .

ولهذا مَنْ رَأَاهُ بِهَذِهِ الصُّورَةِ يَأْخُذُ مِنْهُ (عَنْهُ - خ) جَمِيعٌ مَا يَأْمُرُهُ بِهِ
وَيَنْتَهَاهُ عَنْهُ أَوْ يُخْبِرُهُ كَمَا كَانَ يَأْخُذُ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
مِنَ الْأَحْكَامِ عَلَى حَسَبِ مَا يَكُونُ مِنْهُ اللَّفْظُ الدَّالُّ عَلَيْهِ مِنْ نَصٍّ أَوْ ظَاهِرٍ أَوْ
مُجْمَلٍ أَوْ مَا كَانَ .

فَإِنْ أَعْطَاهُ شَيْئاً فَإِنَّ ذَلِكَ الشَّيْءَ هُوَ الَّذِي يَدْخُلُهُ التَّعْيِيرُ، فَإِنْ خَرَجَ فِي
الْحِسِّ كَمَا كَانَ فِي الْخِيَالِ فَتِلْكَ رُؤْيَا لَا تَعْبِيرُ لَهَا وَبِهَذَا الْقَدْرِ وَعَلَيْهِ اعْتَمَدَ
إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَتَقِيُّ بْنُ مَخْلَدٍ .

وَلَمَّا كَانَ لِلرُّؤْيَا هَذَانِ الْوَجْهَانِ، وَعَلَّمَنَا اللَّهُ فِيمَا فَعَلَ بِإِبْرَاهِيمَ وَمَا
قَالَ لَهُ الْأَدَبُ لِمَا يُعْطِيهِ مَقَامَ النُّبُوَّةِ عَلِمْنَا فِي رُؤْيَيْنَا الْحَقَّ تَعَالَى فِي صُورَةِ
يَزِيدُهَا الدَّلِيلُ الْعَقْلِيُّ أَنْ نَعْبَرُ بِتِلْكَ الصُّورَةِ بِالْحَقِّ الْمَشْرُوعِ وَإِمَا فِي حَقِّ حَالِ
الرَّائِي أَوْ الْمَكَانِ الَّذِي رَأَاهُ فِيهِ أَوْ هُمَا مَعاً. فَإِنْ لَمْ يَزِدْهَا الدَّلِيلُ الْعَقْلِيُّ
أَبْقَيْنَاهَا عَلَى مَا رَأَيْنَاهَا كَمَا نَرَى الْحَقَّ فِي الْآخِرَةِ سَوَاءً .

فَلِلْوَاحِدِ الرَّحْمَنِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ مِنْ الصُّورِ مَا يَخْفَى وَمَا هُوَ ظَاهِرٌ
فَإِنْ قُلْتَ هَذَا الْحَقُّ قَدْ تَكُ صَادِقاً وَإِنْ قُلْتَ أَمراً آخِراً أَنْتَ عَابِرٌ
وَمَا حُكْمُهُ فِي مَوْطِنٍ دُونَ مَوْطِنٍ وَلَكِنَّهُ بِالْحَقِّ لِلْخَلْقِ سَافِرٌ
إِذَا مَا تَجَلَّى لِلْعُيُونِ تَرَدُّهُ عَقُولُ بِبُرْهَانٍ عَلَيْهِ تُثَابِرُ
وَيُقْبَلُ فِي مَجْلَى الْعُقُولِ وَفِي الَّذِي يُسَمَّى خَيْالاً وَالصَّحِيحُ النَّوَاطِرُ

يَقُولُ أَبُو يَزِيدَ فِي هَذَا الْمَقَامِ: «لَوْ أَنَّ الْعَرْشَ وَمَا حَوَاهُ مِائَةَ أَلْفِ أَلْفِ
مَرَّةً فِي زَاوِيَةٍ مِنْ رَوَايَا قَلْبِ الْعَارِفِ مَا أَحْسَنَ بِهِ (بِهَا - خ)» .

وَهَذَا وَسَّعَ أَبِي يَزِيدٍ فِي عَالَمِ الْأَجْسَامِ .

بَلْ أَقُولُ لَوْ أَنَّ مَا لَا يَتَنَاهَى وَجُودَهُ يُقَدَّرُ انْتِهَاءُ وَجُودِهِ مَعَ الْعَيْنِ
الْمُوجِدَةِ لَهُ فِي زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَا قَلْبِ الْعَارِفِ مَا أَحْسَنَ بِذَلِكَ فِي عِلْمِهِ .
فَإِنَّهُ قَدْ ثَبَتَ أَنَّ الْقَلْبَ وَسَّعَ الْحَقُّ وَمَعَ ذَلِكَ مَا اتَّصَفَ بِالرِّيِّ فَلَوْ امْتَلَأَ
اِزْتَوَى .

وقد قالَ ذَلِكَ أَبُو يَزِيدٍ .

ولقد تَبَّهْنَا عَلَى هَذَا الْمَقَامِ بِقَوْلِنَا .

يَا خَالِقَ الْأَشْيَاءِ فِي نَفْسِهِ أَأَنْتَ لِمَا تَخْلُقُهُ جَامِعٌ
تَخْلُقُ مَا لَا يَنْتَهِي كَوْنُهُ فَبِكَ فَأَنْتَ الضَّيِّقُ الْوَاسِعُ
لَوْ أَنَّ مَا قَدْ خَلَقَ اللَّهُ مَا لَاحَ بِقَلْبِي فَجَرُهُ السَّاطِعُ
مَنْ وَسَّعَ الْحَقُّ فَمَا ضَاقَ عَنْ خَلْقِي فَكَيْفَ الْأَمْرُ يَا سَامِعُ
بِالْوَهْمِ يَخْلُقُ كُلُّ إِنْسَانٍ فِي قُوَّةِ خَيَالِهِ مَا لَا وَجُودَ لَهُ إِلَّا فِيهَا، وَهَذَا
هُوَ الْأَمْرُ الْعَامُّ .

والعارِفُ يَخْلُقُ بِهِمَّتِهِ مَا يَكُونُ لَهُ وَجُودٌ مِنْ خَارِجِ مَحَلِّ الِهِمَّةِ .
وَلَكِنْ لَا تَزَالُ الِهِمَّةُ تَحْفَظُهُ . وَلَا يُوَوِّدُهَا حِفْظُهُ ، أَيِ حِفْظِ مَا خَلَقْتَهُ ،
فَمَتَى طَرَأَ عَلَى الْعَارِفِ غَفْلَةٌ عَنْ حِفْظِ مَا خَلَقَ عُدِمَ ذَلِكَ الْمَخْلُوقُ ؛ إِلَّا أَنْ
يَكُونَ الْعَارِفُ قَدْ ضَبَطَ جَمِيعَ الْحَضَرَاتِ وَهُوَ لَا يَغْفُلُ مُطْلَقًا ، بَلْ لَا بُدَّ لَهُ
مِنْ حَضَرَةٍ يَشْهَدُهَا ، فَإِذَا خَلَقَ الْعَارِفُ بِهِمَّتِهِ مَا خَلَقَ وَلَهُ هَذِهِ الْإِحَاطَةُ ظَهَرَ
ذَلِكَ الْبَخْلُقُ بِصُورَتِهِ فِي كُلِّ حَضَرَةٍ وَصَارَتِ الصُّورُ يَحْفَظُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَإِذَا
غَفَلَ الْعَارِفُ عَنْ حَضَرَةٍ مَا أَوْ عَنْ حَضَرَاتٍ وَهُوَ شَاهِدٌ حَضَرَةٍ مَا مِنْ

الحضرات، حافظ لما فيها من صُورَةٍ خَلَقَهُ انْحَقَطَتْ جَمِيعُ الصُّورِ بِحِفْظِهِ
تلك الصورة الواحدة في الحضرة التي ما غفل عنها.
لأن الغفلة ما تَعَمُّ (لا تعم - خ) قَط في العموم ولا في الخصوص.
وَقَدْ أَوْضَحْتُ هُنَا سِرّاً لَمْ يَزَلْ أَهْلُ اللَّهِ يَغَارُونَ عَلَى مِثْلِ هَذَا أَنْ
يُظْهَرُ.

لما فيه مِنْ رَدِّ دَعْوَاهُمْ أَنَّهُمُ الْحَقُّ، فَإِنَّ الْحَقَّ لَا يَغْفُلُ وَالْعَبْدُ لَا بُدَّ لَهُ
أَنْ يَغْفُلَ عَنْ شَيْءٍ دُونَ شَيْءٍ فَمَنْ حَيْثُ الْخَفِظَ لِمَا خَلَقَ لَهُ أَنْ يَقُولَ «أَنَا
الْحَقُّ» وَلَكِنْ مَا حَفِظَهُ لَهَا حَفِظَ الْحَقَّ وَقَدْ بَيَّنَّا الْفَرْقَ.
وَمِنْ حَيْثُ مَا غَفَلَ عَنْ صُورَةٍ مَا وَحَضَرَتْهَا فَقَدْ تَمَيَّزَ الْعَبْدُ مِنَ الْحَقِّ
وَلَا بُدَّ أَنْ يَتَمَيَّزَ مَعَ بَقَاءِ الْحَفِظِ لِجَمِيعِ الصُّورِ بِحِفْظِهِ صُورَةً وَاحِدَةً مِنْهَا فِي
الْحَضْرَةِ الَّتِي مَا غَفَلَ عَنْهَا فَعِظَ بِالتَّضَمُّنِ.

وَحِفْظَ الْحَقِّ مَا خَلَقَ لَيْسَ كَذَلِكَ بَلْ حِفْظُهُ لِكُلِّ صُورَةٍ عَلَى التَّعْيِينِ.
وهذه مسألة أُخْبِرْتُ أَنَّهُ مَا سَطَرَهَا أَحَدٌ فِي كِتَابٍ لَا أَنَا وَلَا غَيْرِي إِلَّا
فِي هَذَا الْكِتَابِ فَهِيَ يَتِمُّهُ الْوَقْتُ (الدَّهْر - خ) وَفَرِيدَتُهُ فَإِيَّاكَ أَنْ تَغْفُلَ عَنْهَا.
فَإِنَّ تِلْكَ الْحَضْرَةَ الَّتِي يَبْقَى لَكَ الْحُضُورُ فِيهَا مَعَ الصُّورَةِ، مِثْلُهَا مِثْلُ
الْكِتَابِ الَّذِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ: ﴿مَا فَرَقْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].
فهو الجامع لِلْوَاقِعِ وَغَيْرِ الْوَاقِعِ.

وَلَا يَعْرِفُ مَا قُلْنَاهُ إِلَّا مَنْ كَانَ قَرَأَنًا فِي نَفْسِهِ (بِنَفْسِهِ - خ).
فَإِنَّ الْمُتَّقِيَ لِلَّهِ (فَإِنَّ الْمُتَّقِيَ اللَّه - خ) يَجْعَلُ لَهُ فُرْقَانًا.
وهو مِثْلُ مَا ذَكَرْنَاهُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ فِيمَا يَتَمَيَّزُ بِهِ الْعَبْدُ مِنَ الرَّبِّ وَهَذَا
الْفَرْقَانُ، أَرْفَعُ فَرْقَانٍ.

فَوَقْتًا يَتَكُونُ الْعَبْدُ رَبًّا بِلَا شَكٍّ وَوَقْتًا يَكُونُ الْعَبْدُ عَبْدًا بِلَا إِفْكَ
فَمِنْ كَوْنِهِ عَبْدًا يَرَى عَيْنَ نَفْسِهِ وَتَتَسَّعُ الْأَمَالُ مِنْهُ بِلَا شَكٍّ
وَيَعْجُزُ عَمَّا طَالَبُوهُ بِذَاتِهِ

لِذَا تَرَّ بَعْضُ (لذا كان بعض .خ) العارفين به تَبْكِي
فَكُنْ عَبْدَ رَبٍّ لَا تَكُنْ رَبًّا عَبْدَهُ فَتَذْهَبَ بِالتَّعْلِيلِ فِي النَّارِ وَالسَّبَبِ



«فَصْ حَكْمَةَ حَقِيَّةٍ فِي كَلِمَةِ اسْحَاقِيَّةٍ»

«واعلم أن ظاهر القرآن يدل على أن الفداء عن إسماعيل وهو الذي رآه
إبراهيم عليه السلام أنه يذبحه وإليه ذهب أكثر المفسرين وذهب بعضهم إلى
أنه إسحاق والشيخ معذور فيما ذهب إليه لأنه به مأمور كما قال في أول
الكتاب...» - ص ١٨٤ - .

قال شيخنا العارف الكامل دام ظله العالي أن الشيخ بحسب كشفه في
عالم المكاشفة رأى في العين الثابتة الاسحاقية اقتضاء هذا المعنى الذي ظهر
في إسماعيل عليه السلام في عالم الملك من العبودية التامة والفناء التام فأخبر عما
ظهر عليه من العين الثابتة وهذه المكاشفة صحيحة إلا أن عدم الظهور في
عالم الملك لقوة العين الثابتة الإسماعيلية أو لمانع آخر هذا وقد استشكلت
عليه بأن الظاهر من كلام الشيخ وقوعه بالنسبة إلى إسحاق في عالم الملك
فصدق ذلك وقال دام ظله: يمكن أن يكون كشفه صحيحاً إلا أن خياله لما
كان مشوباً تمثل له المعنى المجرد عن اللباس في عالم خياله بصورة
إسحاق عليه السلام فإن المكاشفات تقع مجردة عن الصورة ولكن الخيال يمثلها
بأي صورة شاء بمجرد مناسبة والغالب دخالة المأنوسات والمعتقدات في
ذلك التمثل هذا ما أفاد دام ظله .

«فالانتيان بالفداء الذي هو صفة - حقيقة خ ل - فداء النفس وفاء بالمهد
الأزلي» - ص ١٨٥ - .

في الحضرة العلمية بحسب الأعيان الثابتة وفي الحضرة المشيئة المطلقة

الكلية ثانياً وفي التعيين الأولي العقلي ثالثاً ثم التعيين الثانوي إلى التعينات الملكوتية من العليا والسفلى أي النفوس الكلية الإلهية وحضرة المثال المطلق أي عالم الذر وهذا العهد أي الإقرار بالتوحيد الحقيقي ومقام الولاية الكبرى المطلقة اللازمة له لم يكن مختصاً بالأولياء والعرفاء بل يتساوى فيه السعيد والشقي لعدم الاحتجاب في تلك العوالم أصلاً بل الاحتجاب يحصل بورود هذا العالم الدنيوي فإذا وفي بالعهد السابق بحصول الفناء التام يحصل له الأرباب بالبقاء بالله تعالى وإلا فله الخسران والاحتجاب بالظلمات التي بعضها فوق بعض ﴿وَالْعَصْرُ﴾ (١) إِنَّ الْأَشْنَأَ لَفِي حُسْرٍ ﴿[العصر: ١-٢]﴾ احتجابات عالم المادة ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [العصر: ٣] بمقام الولاية المطلقة الكلية والتوحيد الحقيقي .

«... من الكَمَل والأفراد من الإنسان» - ص ١٨٧ - .

قوله: من الإنسان بيان لقوله الكمل والأفراد والكمل هم الأقطاب والأفراد هم أتباعهم قال عبد الرزاق الكاشي في اصطلاحاته: القطب هو الواحد الذي هو موضع نظر الله تعالى من العالم في كل زمان وهو على قلب إسرافيل ﷺ والأفراد هم الرجال الخارجون عن نظر القطب .

«لأن الأنبياء والكمل أكثر ما يشاهدون الأمور في العالم المثالي المطلق...» - ص ١٨٨ - .

لما كان الشارح من أصحاب القياس قاس إبراهيم ﷺ بنفسه في أنه ﷺ قاس رؤياه هذه بسائر ما رأى في عالم المثال المطلق مع أنه رأى في المثال المقيد أو قاس ﷺ ذلك على حال كثير من الأنبياء ﷺ من كونهم محل الوحي في المنام وليس الأمر كما توهم الشارح بل يمكن أن يكون حبه المفرط بمقام الربوبية وعشقه وخلته حجب عن أن يعبر رؤياه فإن العشق المفرط يوجب أن يفدي ما هو أحب عنده في طريق محبوبة فلا استغراق في جمال المحبوب يمنعه عن أن يعبر فالحقيقة غلبت على الشريعة مع أن حكم الشريعة أنه لا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق هذا ما أفاد شيخنا العارف دام ظله العالي .

«ولأنه توهم أن المرئي لا ينبغي أن يعبر فقصده ذبح ابنه...» - ص ١٨٩ -

ليس الأمر كما ذكره الشارح بل مراد المصنف من قوله من وهم إبراهيم أن إطلاق الفداء على الكبش كان بحسب وهم إبراهيم عليه السلام فإنه توهم أنه مأمور بذبح ابنه مع أنه كان مأموراً بذبح الكبش فذبح الكبش لم يكن فداء بل التحقيق أن ما رأى إبراهيم عليه السلام هو حقيقة الفناء التام والاضمحلال الكلي في الحضرة الأحدية وذبح الابن أو الكبش هو رقيقة هذه الحقيقة إلا أن الجمع بين الشريعة والحقيقة يقتضي ذبح الكبش ولكن شدة محبة إبراهيم وعشقه احتجبه عن الجمع بينهما فأراد ذبح الابن فالفداء يكون على وهمه فافهم .

«ألا ترى رسول الله ﷺ أتى في المنام بقدر لبن قال فشربته حتى خرج الري من أظافيري ثم أعطيت فضلي عمر قيل ما أولته يا رسول الله قال العلم» - ص ١٩١ -

قوله : ألا ترى رسول الله ﷺ الخ ، اعلم هداك الله إلى الطريق المستقيم أن رسول الله ﷺ لما كان متحققاً بتمام دائرة الوجود ومستجعماً للكمالات التي في جميع عوالم الغيب والشهود وله البرزخية الكلية وهو المشية المطلقة والفيض المقدس الاطلاقي لم يكن كمال ولا وجود خارجاً عن حیطة كماله ووجوده فهو كل الوجود الظلي وكله الوجود وليس وجود ولا كمال وجود خارجاً عن وجوده وكمال وجوده حتى يكون فضلاً وزيادة والفيوضات الوجودية والكمالية التي تصل إلى ما سواه من حضرته يكون بطريق التجلي والتشأن لا بطريق الفضل والزيادة نعم ما كان فضلاً عن الوجود هو التعيين والعدم وعن الكمالات ما كان من سنخ مقابلاتها .

«فإن لم يردّها الدليل العقلي بأن كان التجلي في الصورة النورية كصورة الشمس أو غيرها من صور الأنوار كالنور الأبيض والأخضر وغير ذلك أبقيناها على ما رأيناها كما ترى الحق في الآخرة سواء أي كما يتجلى الحق لنا في الآخرة فإن ذلك التجلي أيضاً يكون على صور استعدادات...» - ص ١٩٢ -

التجلي بالصورة النورية المقيدة كالصورة الشمسية أو القمرية أيضاً مما يرده العقل النظري فلا بد من إرجاعها إلى الحق المشروع كما فعل شيخ الأنبياء في رؤياه الزهرة والقمر والشمس في قوله: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا﴾ [الأنعام: ٧٦] إلى آخر الآية فالتجلي أولاً وقع بالصورة الكوكبية المقيدة في المظهر النفسي ثم بالصورة القمرية التي مظهرها العقل ثم بالصورة الشمسية التي مظهرها الروح ثم خرج عن حد التقيد ووقع في مقام الإطلاق بمقامه القدسي فقال إخباراً عن حاله ومقامه ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ﴾ [الأنعام: ٧٩] سموات الأرواح الشمسية والعقول القمرية وأراضي الأشباح الكوكبية ﴿حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٩].

ولما كانت العقول الضعيفة عاجزة عن إدراك التجليات الإلهية في كل موطن ومقام والنفوس الأبية طاغية غير مطيعة لشعائر الله أوجب إسناد الصور الكمالية إليه ورد ما يوجب النقصان عنه مع أنه هو المتجلي في كل شيء والمتخلي عن كل شيء... - ص ١٩٣ - .

قوله: ولما كانت العقول... الخ، اعتذار عن الشيخ حيث فصل بين الصور الناقصة وغيرها مع أنه من أصحاب القلوب وأرباب النواظر الصحيحة خصوصاً مع كونه قائلاً عن لسان رسول الله ﷺ بأن ذلك وقع منه بمناسبة حال المحجوبين والجمهور من الناس لا بالنسبة إلى حال نفسه ومقامه.

«وتقبل في مجلى العقول وفي الذي يسمى خيالاً والصحيح النواظر» - ص ١٩٤ - .

أي وتقبل أرباب العقول الحق إذا تجلى بالتزويه في المجلى العقلي وأرباب الخيال والحس إذا تجلى بالتشبيه في المجلى الخيالي وأرباب القلوب الذين هم الصحيح النواظر كلا التجليين أي التزويه والتشبيه فالمنزلة مقيد محدد والمشبّه مقيد محدد وكلاهما خلاف التوحيد الحقيقي وأحدية جمع التشبيه والتزويه إخراج عن حدين وقد ورد من طريق أهل البيت وأصحاب الوحي الأمر بإخراجه تعالى عن الحدين حد التشبيه وحد التعطيل.

«وهذا وسع أبي يزيد في عالم الأجسام...» - ص ١٩٤ -

أي هذا مقام أبي يزيد بحسب مقام قلبه المقيد المتوجه إلى عالم الأجسام وأما وسعه بحسب مقام قلبه الإطلاقي فهو الذي قال بل أقول لو أن... الخ وأما قوله مع العين الموجدة له لو كان المراد مقام الفيض المقدس الإطلاقي فيشكل الأمر حيث أن لا مقام فوق ذلك حتى يكون وعاءه والجواب أن مقام المشية المطلقة مقام التدلي وفوقه أو أدنى الذي هو الاضمحلال في الأحدية والبقاء بالواحدية ولو كان المراد منها التعين الأول ومما لا يتناهى وجوده ما عداه من العقول فالأمر واضح لا سترة عليه.

«من وسع الحق فما ضاق عن خلق فكيف الأمر يا سامع»

- ص ١٩٥ -

أي من وسع الحق بقلبه وسع الخلق الذي هو تجلّ من تجلياته وظهور من ذاته تبارك وتعالى فإن ذاته أكبر من ظهوره وأشرف وهذا سر قوله لو أن ما لا يتناهى وجوده والأجسام بقدر انتهاء وجوده مع العين الموجدة له... الخ فإن العين الموجدة كما أشرنا عبارة عن الفيض المقدس الإطلاقي ومع ذلك قلب الولي المطلق أوسع منه لاستهلاكه في أحدية الجمع كما قال تعالى لا يسعني أرضي ولا سمائي بل يسعني قلب عبدي المؤمن.

قوله الشيخ في المتن: «لأن الغفلة ما تعم قط لا في العموم ولا في الخصوص».

قال الشارح: «أي لا في عموم الخلائق ولا في خصوصهم» - ص ١٩٧ -

قوله: أي لا في عموم الخلائق... الخ، هذا غير صحيح فإن هذا الحضور الذي لقاطبة الخلائق لا يُستصح لإبقاء ما خلق كما لا يستصح لأصل الخلق والإيجاد. والإيجاد واستبقاء الموجود يرتضعان بلبن واحد فلا بد إما أن يكون المراد بالعموم عموم الحضرات وبالخصوص حضرة ما وهذا يحتاج إلى التكلف في العبارة وإما أن يكون المراد عموم أهل السلوك والخلص منهم، فتدبر جيداً.

«... أي في تعب وضيق لأنه يطلب بالأشياء حينئذ فيعجز عن الاتيان بها» - ص ١٩٩ - .

قوله: فيعجز عن الاتيان بها، وعجز الأولياء عن الاتيان بمطلوب الجاهل لا لنقص في قدرتهم بل لأن القدرة محدودة بالعلم فإن الأولياء يعلمون أن الصلاح بحسب النظام الكلي وجود كذا أو عدم وجود كذا فإذا سأله الجاهل خلاف ما هو الصلاح الكلي يعجز عن الاتيان به مع أن الظهور بالربوبية من أعظم الأمور على الأولياء وأثقلها ولذا لا يأتون بالمعاجيز إلا في مقام يجب إظهار ربوبية الله تعالى ومع ذلك يتدللون إليه ويصلون ويظهرون العجز والانكسار ويعتذرون عند ربهم من ظهورهم بشأنه تعالى مع أنهم شأنه وظهوره وما كان لهم أن يأتون بآية إلا بإذنه وقيوميته ولذا قال شيخنا العارف الكامل دام ظله العالي إن التمسك والتوكل بالأولياء الجزء في الحاجات وخصوصاً الحاجات الدنيوية أولى من الولي المطلق .

الفصل الإسماعيلي

فص حكمة عليّة في كلمة اسماعيلية

اعلم أنّ مُسمّى الله أَحَدِيّ بِالذَّاتِ، كُلُّ بِالأَسْمَاءِ..

فكل (وكل - خ) موجودٌ فَمَا لَهُ مِنَ الله رَبِّهِ خَاصَّةً يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ لَهُ الكُلُّ.

وأما الأحديّةُ الإلهيّةُ فما لواحدٍ فيها قَدَمٌ، لَأَنَّهُ لَا يَقَالُ لِوَاحِدٍ مِنْهَا شيءٌ وَلَا خَر مِنْهَا شيءٌ، لَأَنَّهُ لَا تَقْبَلُ التَّبَعِيضَ.

فأحديّتهُ مجموعُ كلّهِ بالقوة.

والسَّعِيدُ مَنْ كَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيّاً؛ وَمَا تَمَّ إِلَّا مَنْ هُوَ مَرْضِيٌّ عِنْدَ رَبِّهِ لَأَنَّهُ الَّذِي يُبْقِي عَلَيْهِ رَبُّوبِيَّتَهُ فَهُوَ عِنْدَهُ مَرْضِيٌّ فَهُوَ سَعِيدٌ.

ولهذا قَالَ سَهْلٌ إِنَّ لِلرُّبُوبِيَّةِ سِرّاً وَهُوَ أَنْتَ - يُخَاطَبُ كُلُّ عَيْنٍ - لَوْ ظَهَرَ لَبَطَلَتِ الرُّبُوبِيَّةُ، فَأَدْخَلَ عَلَيْهِ «لَوْ» وَهُوَ حَرْفُ افْتِنَاعٍ لَا مَفْتِنَاعَ.

وهو لَا يَظْهَرُ فَلَا تَبْطُلُ الرُّبُوبِيَّةُ لَأَنَّهُ لَا وُجُودَ لِعَيْنٍ إِلَّا بِرَبِّهِ، وَالْعَيْنُ مَوْجُودَةٌ دَائِماً فَالرُّبُوبِيَّةُ لَا تَبْطُلُ دَائِماً.

وَكُلُّ مَرْضِيٍّ مَخْبُوبٌ، وَكُلُّ مَا يَفْعَلُ الْمَحْبُوبُ مَحْبُوبٌ.

فَكُلُّهُ مَرْضِيٌّ، لَأَنَّهُ لَا فِعْلَ لِلْعَيْنِ، بَلِ الْفِعْلُ لِرَبِّهَا فِيهَا فَاطْمَأْنَتِ الْعَيْنُ أَنْ يُضَافَ إِلَيْهَا فِعْلٌ، فَكَانَتْ «رَاضِيَةً» بِمَا تَظْهَرُ (يَظْهَرُ - خ) فِيهَا وَعَنْهَا مِنْ

أفعال ربها، «مَرْضِيَّة»، تلك الأفعال لَأَنَّ كُلَّ فاعِلٍ وصانعٍ راضٍ عَنْ فِعْلِهِ
وَصَنَعَتِهِ، فَإِنَّهُ وَفَّى فِعْلَهُ وَصَنَعَتَهُ حَقًّا مَا هِيَ عَلَيْهِ.

﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠] أَي بَيْنَ أَنَّهُ أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ
خَلْقَهُ، فَلَا يَقْبَلُ النِّقْصَ وَلَا الزِّيَادَةَ.

فَكَانَ إِسْمَاعِيلُ بِعُثُورِهِ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا.

وكذلك (وكذا - خ) كُلُّ مَوْجُودٍ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيٌّ. وَلَا يَلْزَمُ إِذَا كَانَ كُلُّ
مَوْجُودٍ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا عَلَى مَا بَيَّنَّاهُ أَنَّ يَكُونُ مَرْضِيًّا عِنْدَ رَبِّ عَبْدٍ آخَرَ لِأَنَّهُ
مَا أَخَذَ الرُّبُوبِيَّةَ إِلَّا مِنْ كُلِّ لَا مِنْ وَاحِدٍ.

فَمَا تَعَيَّنَ لَهُ مِنَ الْكُلِّ إِلَّا مَا يُنَاسِبُهُ فَهُوَ رَبِّهِ.

وَلَا يَأْخُذُهُ أَحَدٌ مِنْ حَيْثُ أَحَدِيَّتِهِ.

ولهذا مَنَعَ أَهْلُ اللَّهِ التَّجَلِّيَ فِي الْأَحْدِيَّةِ.

فإِنَّكَ إِنْ نَظَرْتَهُ بِهِ فَهُوَ النَّاطِرُ فَمَا زَالَ نَاطِرًا نَفْسُهُ بِنَفْسِهِ؛ وَإِنْ نَظَرْتَهُ
بِكَ فَزَالَتْ الْأَحْدِيَّةُ بِكَ.

وإِنْ نَظَرْتَهُ بِهِ وَبِكَ فَزَالَتْ الْأَحْدِيَّةُ أَيْضًا لِأَنَّ ضَمِيرَ التَّاءِ فِي «نَظَرْتَهُ»
مَا هُوَ عَيْنُ الْمَنْظُورِ، فَلَا بَدَّ مِنْ وُجُودِ نِسْبَةٍ مَا اقْتَضَتْ أَمْرَيْنِ نَاطِرًا
وَمَنْظُورًا، فَزَالَتْ الْأَحْدِيَّةُ وَإِنْ كَانَ لَمْ يَزَلْ إِلَّا نَفْسُهُ بِنَفْسِهِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ فِي
هَذَا الْوَصْفِ نَاطِرٌ وَمَنْظُورٌ.

فَالْمَرْضِيُّ لَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ مَرْضِيًّا مُطْلَقًا.

إِلَّا إِذَا كَانَ جَمِيعُ مَا يَظْهَرُ بِهِ مِنْ فِعْلِ الرَّاضِي فِيهِ.

فَفَضَّلُ إِسْمَاعِيلَ غَيْرَهُ (على غيره - خ) مِنَ الْأَعْيَانِ بِمَا نَعَتَهُ الْحَقُّ بِهِ
مِنْ كَوْنِهِ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا.

وكذلك كُلُّ نَفْسٍ مُطْمَئِنَّةٌ قَبْلَ لَهَا ﴿أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ [الفجر: ٢٨] فَمَا أَمَرَهَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَّا إِلَىٰ رَبِّهَا الَّذِي دَعَاها فَعَرَفْتَهُ مِنْ الْكُلِّ.

﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّهِينَةً ﴿٢٨﴾ فَأَدْخِلِي فِي عِبَادِي﴾ [الفجر: ٢٧-٢٩] مِنْ حَيْثُ مَا لَهُمْ هَذَا الْمَقَامُ فَالْعِبَادُ الْمَذْكُورُونَ هِنَا كُلُّ عَبْدٍ عَرَفَ رَبَّهُ تَعَالَى وَاقْتَصَرَ عَلَيْهِ وَلَمْ يَنْظُرْ إِلَىٰ رَبِّ غَيْرِهِ مَعَ أَخْذِيَةِ الْعَيْنِ لَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ.

﴿وَأَدْخِلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: ٣٠] الَّتِي هِيَ سِتْرِي.

وَلَيْسَتْ جَنَّتِي سِوَاكَ فَأَنْتَ تَسْتُرُنِي بِذَاتِكَ.

فَلَا أُعْرِفُ إِلَّا بِكَ كَمَا أَنَّكَ لَا تَكُونُ إِلَّا بِي.

فَمَنْ عَرَفَكَ عَرَفَنِي وَأَنَا لَا أُعْرِفُ فَأَنْتَ لَا تُعْرِفُ.

فَإِذَا دَخَلْتَ جَنَّتَهُ دَخَلْتَ نَفْسَكَ (فَإِذَا دَخَلْتَ نَفْسَكَ دَخَلْتَ جَنَّتَهُ - خ) فَتَعْرِفُ نَفْسَكَ مَعْرِفَةً أُخْرَىٰ غَيْرَ الْمَعْرِفَةِ الَّتِي عَرَفْتَهَا حِينَ عَرَفْتَ رَبَّكَ بِمَعْرِفَتِكَ إِيَّاهَا فَتَكُونُ صَاحِبَ مَعْرِفَتَيْنِ مَعْرِفَةٍ بِهِ مِنْ حَيْثُ أَنْتَ وَمَعْرِفَةٍ بِهِ بِكَ مِنْ حَيْثُ هُوَ لَا مِنْ حَيْثُ أَنْتَ.

فَأَنْتَ عَبْدٌ وَأَنْتَ رَبٌّ لِمَنْ لَهُ فِيهِ أَنْتَ عَبْدٌ وَأَنْتَ رَبٌّ وَأَنْتَ عَبْدٌ لِمَنْ لَهُ فِي الْخَطَابِ عَهْدٌ فَكُلُّ عَقْدٍ عَلَيْهِ شَخْصٌ تُحِلُّهُ مِنْ سِوَاهُ عَقْدٌ

فَرَضِي اللَّهُ عَنْ عِيِيدِهِ، فَهَم مَرْضِيُونَ وَرَضُوا عَنْهُ فَهُوَ مَرْضِيٌّ.

فَتَقَابَلَتِ الْحَضْرَتَانِ تَقَابُلَ الْأَمْثَالِ وَالْأَمْثَالُ أَضْدَادٌ لِأَنَّ الْمُثْلَيْنِ لَا يَجْتَمِعَانِ إِذْ لَا يَتَمَيَّزَانِ.

وَمَا تَمَّ إِلَّا مَتَمِّيزٌ، فَمَا تَمَّ مِثْلُ فَمَا فِي الوجودِ مِثْلُ، فَمَا فِي الوجودِ
ضِدُّ، فَإِنَّ الوجودَ حَقِيقَةً وَاحِدَةً وَالشَّيْءُ لَا يُضَادُّ نَفْسَهُ.

فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْحَقُّ لَمْ يَبْقَ كَائِنٌ فَلَا تَمَّ مَوْضُولٌ وَمَا تَمَّ بَائِنٌ
يَذَا جَاءَ بُرْهَانُ الْعَيَانِ فَمَا أَرَى بَعِينِي إِلَّا عَيْنُهُ إِذْ أَعْيُنُ
﴿ذَلِكَ لِمَنْ حَاشَى رَبِّهِ﴾ [البينة: ٨] أَنْ يَكُونَ هُوَ (أَنْ يَكُونَ - خ) لِعَلِّمِهِ
بِالْتَّمِيزِ.

ذَلْنَا عَلَى ذَلِكَ جَهْلُ أَعْيَانٍ فِي الْمَوْجُودِ (الوجود - خ) بِمَا أَتَى بِهِ
عَالِمٌ.

فَقَدْ وَقَعَ التَّمْيِيزُ بَيْنَ الْعَبِيدِ، فَقَدْ وَقَعَ التَّمْيِيزُ بَيْنَ الْأَرْبَابِ.
وَلَوْ لَمْ يَنْعَ التَّمْيِيزُ لَفُسِّرَ الْأَسْمُ الْوَاحِدُ الْإِلَهِي مِنْ جَمِيعِ وُجُوهِهِ بِمَا
يُفَسِّرُ بِهِ الْآخَرُ وَالْمُعْزُ لَا يُفَسِّرُ بِتَفْسِيرِ الْمُذِلِّ إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ.
لَكِنَّهُ (ولكنه - خ) هُوَ مِنْ وَجْهِ الْأَحَدِيَّةِ كَمَا تَقُولُ فِي كُلِّ اسْمٍ إِنَّهُ ذَلِيلٌ
عَلَى الذَّاتِ وَعَلَى حَقِيقَتِهِ مِنْ حَيْثُ هُوَ، فَالْمُسَمَّى وَاحِدٌ، فَالْمُعْزُ هُوَ الْمُذِلُّ
مِنْ حَيْثُ الْمُسَمَّى، وَالْمُعْزُ لَيْسَ الْمُذِلُّ مِنْ حَيْثُ نَفْسِهِ وَحَقِيقَتِهِ فَإِنَّ الْمَفْهُومَ
يَخْتَلِفُ فِي الْفَهْمِ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا (منهم - خ).

فَلَا تَنْظُرْ إِلَى الْحَقِّ	وَتَعْرِيه عَلَى الْخَلْقِ
وَلَا تَنْظُرْ إِلَى الْخَلْقِ	وَتَكْسُوهُ بِوَيِ الْحَقِّ
وَنَزْهُهُ وَشَبَّهَهُ	وَقُمْ فِي مَقْعِدِ الصَّدَقِ
وَكُنْ فِي الْجَمْعِ إِنْ شِئْتَ	وَإِنْ شِئْتَ فَفِي الْفَرْقِ
تَحْزُ بِالْكُلِّ إِنْ كُلُّ	تَبْدَى قَصَبِ السَّبْقِ
فَلَا تُفْنِي وَلَا تَبْقَى	وَلَا تُفْنِي وَلَا تُبْقَى
وَلَا يُلْقَى عَلَيْكَ الْوَحْيُ	فِي غَيْرٍ وَلَا تُلْقَى

الثناء بصديق الوعد لا بصديق الوعيد، والحضرة الإلهية تطلب الثناء المحمود بالذات فينتهي عليها بصديق الوعد لا بصديق الوعيد، بل بالتجاوز. ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخَلَّفَ وَعْدِهِ، رُسُلَهُ﴾ [إبراهيم: ٤٧] ولم يقل ووعدته (وعد وعيده - خ) ، بل قال: ﴿وَنَجَّاهُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ [الأحقاف: ١٦] مع أنه توعد على ذلك.

فأثنى على إسماعيل بأنه كان صادق الوعد.

وقد زال الإمكان في حق الحق لما فيه من طلب المرجح.

فلم يبق إلا صادق الوعد وخذه وما لوعيد الحق عين ثعابين وإن دخلوا دار الشقاء فإنهم على لذة فيها نعيم مبين وبينهما عند التجلي تبائن يسمى عذاباً من عذوبة طعمه وذلك له كالقشر والقشر صائن



«فص حكمة عليّة في كلمة إسماعيلية» - ص ٢٠٠ -.

قوله: وأما الأحدية الإلهية... الخ، هذه الجملة من خاصة قوله أحدي بالذات كما أن قوله وكل موجود فما له من الله... الخ، من خاصة كل بالأسماء والمراد بالأحدية الذاتية الأحدية الجمعية في الحضرة الواحدية السارية في كل الأسماء والمظاهر مع حفظ الوحدانية الذاتية لا الأحدية الغيبية التي لا اسم لها ولا رسم ولا الظهور بالوحدانية المستهلكة عندها التعينات والمضمحل لديها الوجودات كما توهم الشارح لأن المقام مقام ما ذكرنا لا ما ذكره كما لا يخفى على أهله ولعله انتقل إلى ما ذكرنا ولهذا قال والهوية الإلهية من حيث هي هي... الخ.

«فأحديته مجموع كله بالقوة...» - ص ٢٠٠ -.

قوله: كله بالقوة، لا تتوهمن من لفظة بالقوة ما هو المتفاهم بحسب الظاهر فإن ذلك لا قدم له في الذات الأحدية بل بمعنى الوحدة الجمعية البسيطة التي بوحدتها كل الأسماء وينشعب منها كل الأسماء والصفات وجميع المظاهر والتعينات.

«ولإنما يتميز السعيد من الشقي لأنه يعرف أن الأمر كذلك فسعادته بعلمه ومعرفته ومن لم يعرف ذلك وأضاف الأفعال إلى القوابل بعد عن الراحة العظمى والمثوبة الحسنى فشقاوته بجعله وعدم عرفانه» - ص ٢٠١ - .

قال شيخنا الأستاذ دام ظله العالي إن مناط السعادة والشقاوة مطلقاً بالعلم والمعرفة كما أن مناط كونه مرضياً أيضاً كذلك إلا أن الأول يعرفان العبد والثاني يعرفان الرب ولا يخفى أن للسعادتَيْن مرتبتَيْن مرتبة تابعة لكونه مرضياً وهو حاصل مع جهل العبد أيضاً وسعادة أخرى تابعة للمعرفة وإسناد الأفعال والآثار والكمالات والوجود إلى الحق وسلبه عن غيره.

«قوله: إن للربوبية سرّاً وهو أنت» - ص ٢٠١ - .

واعلم أن الربوبية في قوله ذلك هي الربوبية الذاتية المكتنفة بالأسماء والصفات التي منها الربوبية الأسمائية وسرها مرتبة ذات العبد وعينه الخارجية المكتنفة بالأسماء والصفات فكما أن الحق غيب ذاته ظاهر بصفاته وأسمائه ومظاهرها كذلك العبد غيب بذاته ظاهر بأسمائه وصفاته وليس معنى قوله ما ذكره الشارح كما لا يخفى على أهله.

«... أي ولأن كل واحد من الموجودات ما يأخذ من الرب المطلق إلا ما يناسبه ويقبله ولا يأخذ من جميع أنواع الربوبيات...» - ص ٢٠٣ - .

قوله: ولا يأخذ من جميع... الخ، لا يخفى أن الأخذ من مقام الإلهية ممكن واقع بمقامه الجمعي بل أول ما ظهر في الوجود هو الاسم الجامع لجميع أنواع الربوبيات بمظهره الجامع الذي هو الإنسان الكامل وأما الأخذ من حضرة الأحدية فلا يمكن لأحد حتى للأسماء الإلهية.

عنفا شكاركس نشود دام بازگیر کآنجاهمیشه با دبذست است دام را

قول الشيخ في المتن: «فإنك إن نظرت به فهو الناظر نفسه فما زال ناظراً نفسه بنفسه وإن نظرت بك فزالت الأحدية بك» - ص ٢٠٣ - .

قوله: فزالت الأحدية بك... الخ، وذلك لأن النظر والمشاهدة لا يمكن إلا بصيرورة الناظر مستغرقاً في عين المنظور متحدداً معه أو ظهور المنظور وتجليته في مرآة الناظر وكلاهما يزيلان الأحدية وتحت ذلك أسرار.

«... فما ثمة مثل فما في الوجود ضد فإن الوجود حقيقة واحدة والشيء لا يضاد نفسه...» - ص ٢٠٧ - .

قوله: فما ثمة مثل... الخ، قوله: فإن الوجود حقيقة واحدة لتعليل لنفي المثلية والضدية وأما ما ذكره الشارح أولاً بقوله إذا كان ما في الوجود متميزاً فلا يستقيم فإن إثبات التميز كما ينفي المثلية من جميع الوجوه يثبت الضدية فلا يمكن نفي الضدية به وأيضاً أن الضدية مثلية من بعض الوجوه لا من جميع الوجوه فلا ينافي نفي المثلية من جميع الوجوه على أن يكون الطرف قيماً للمنفى لا للنفي مع الضدية كما لا يخفى.

«... لعلمه بتميز مقامه عن مقام ربه فإن الخشية هي التواضع والتذلل لعظمة الرب ولا يظهر بمقام ليكون عين ربه فيدعي أنه هو كما ظهر به أرباب الشطح قال تعالى معاتباً للمسيح وتنبهاً للعباد: ﴿أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦]...» - ص ٢٠٨ - .

قوله: كما ظهر به أرباب الشطح، ظهور أهل الشطح بالربوبية وإظهارهم إياها لنفسهم ليس إلا لنقصان السلوك وبقاء الأنانية والإنية فإن السالك إذا أراد بالسلوك إظهار القدرة والسلطة لما رأى أهل السر من الأولياء قد يظهرون ذلك فاشتغل به لذلك ربما يظهر نفسه وشيطانه له ويتجلى بالربوبية فإنه عبد نفسه لا عبد ربه قال شيخنا دام ظله العالي إن أكثر أهل الدعاوى الباطلة كانوا من أصحاب الرياضات الباطلة أقول وميزان تميز الرياضة الباطلة عن غيرها هو ذلك الذي ذكرنا فعليك بخلوص النية وصدق السرية مع ربك فإن من أخلص لله أربعين صباحاً جرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه.

كه اي صوفي شارب آنكه شود صاف كه اند رخم بما ندار بعيني
قول الشيخ في المتن: «دلنا على ذلك جهل أعيان في الوجود بما أتى به
عالم».

قال الشارح: «أي دلنا على ذلك العلم بالتمييز بين المقامين جهل بعض
أعيان الموجودات بما أتى به عين العالم بالله من التمييز بين مقام الربوبية
والعبودية تارة والظهور بالربوبية أخرى مع مراعاة الأدب وهذا كما يقال
تعلمت الأدب ممن لا أدب له» - ص ٢٠٨ - .

قوله: دلنا على ذلك، قال شيخنا العارف الكامل أدام الله ظله يمكن أن
يكون ذلك إشارة إلى قوله لمن خشي ربه والجاهل ليس الجاهل المطلق بل
أهل الشطح والعالم هو المحقق وحاصل المعنى أن جهل أهل الشطح على
ما أتى به المحقق من حفظ المقامات دلنا على مقام الخشية.

«... وإن الكل خلق بلا حق في مقام الفرق المطلق» - ص ٢٠٩ - .

وفي هذا المقام يكون إجراء الحدود ويتحقق بغض الأنبياء بالنسبة إلى
الكفار والمنافقين وإلا ففي مقام الجمع المطلق أو الجمع مع الفرق لا يمكن
ذلك كما هو المعروف من قضية موسى عليه السلام وأمره باحضار أخس
الخلائق.

الفصل اليعقوبي

فص حكمة روحية في كلمة يعقوبية

الدِّينُ دِينَانِ: دِينٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ مَنْ عَرَفَهُ الْحَقُّ تَعَالَى وَمَنْ عَرَفَهُ (عَرَفَ - خ) مَنْ عَرَفَهُ الْحَقُّ؛ وَدِينٌ عِنْدَ الْخَلْقِ، وَقَدْ اعْتَبَرَهُ اللَّهُ فَالِدَيْنِ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ هُوَ الَّذِي اصْطَفَاهُ اللَّهُ وَاعْطَاهُ الرُّتْبَةَ الْعَلِيَّةَ عَلَى دِينِ الْخَلْقِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَيْنَهُ وَيَعْقُوبَ يَنْبَغِي إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢] أي منقادون إليه.

وَجَاءَ الدِّينَ بِالْأَلِفِ وَاللَامِ لِلتَّعْرِيفِ وَالْعَهْدِ؛ فَهُوَ دِينٌ مَعْلُومٌ مَعْرُوفٌ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩] وَهُوَ الْإِنْقِيَادُ. فَالدِّينُ عِبَارَةٌ عَنِ انْقِيَادِكَ، وَالَّذِي مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ الشَّرْعُ الَّذِي انْقَدْتَ أَنْتَ إِلَيْهِ.

فَالدِّينُ هُوَ الْإِنْقِيَادُ، وَالتَّامُّوسُ هُوَ الشَّرْعُ الَّذِي شَرَعَهُ (شَرَعَهُ - مَعَا) اللَّهُ. فَمَنْ اتَّصَفَ بِالْإِنْقِيَادِ لِمَا شَرَعَهُ (شَرَعَهُ - مَعَا) اللَّهُ لَهُ فَذَلِكَ الَّذِي قَامَ بِالدِّينِ وَأَقَامَهُ أَيِ أَنْشَأَهُ كَمَا يُقِيمُ الصَّلَاةَ. فَالْعَبْدُ هُوَ الْمُتَمَسِّئُ لِلدِّينِ، وَالْحَقُّ هُوَ الْوَاضِعُ لِلْأَحْكَامِ. فَالْإِنْقِيَادُ (هُوَ - خ) عَيْنُ فِعْلِكَ، فَالِدِّينُ مِنْ فِعْلِكَ فَمَا سَعَدْتَ إِلَّا بِمَا كَانَ مِنْكَ.

فَكَمَا أَثْبَتَ السَّعَادَةَ لَكَ مَا كَانَ فِعْلَكَ كَذَلِكَ مَا أَثْبَتَ الْأَسْمَاءَ الْإِلَهِيَّةَ إِلَّا أَفْعَالُهُ.

وَهِيَ أَنْتَ وَهِيَ الْمُحَدَّثَاتُ .

فَبَاتَارِهِ سُمِّيَ إِلَهًا وَبَاتَارِكَ سُمِّيَتْ سَعِيدًا .

فَأَنْزَلَكَ الْحَقُّ تَعَالَى : (فانزلك الله تعالى - خ) مُنْزَلَتُهُ إِذَا أَقَمْتَ الدِّينَ
وَانْقَدْتَ إِلَى مَا شَرَعَهُ لَكَ .

وَسَابَسْتُ فِي ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَقَعُ بِهِ الْفَائِدَةُ بَعْدَ أَنْ نُبَيِّنَ الدِّينَ
(تَبَيَّنَ الدِّينُ - معاً) الَّذِي عِنْدَ الْخَلْقِ الَّذِي اعْتَبَرَهُ اللَّهُ .

فَالدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ وَكُلُّهُ مِنْكَ لَا مِنْهُ إِلَّا بِحُكْمِ الْأَصَالَةِ .

قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَرَهَابِيَّتُهُ ابْتَدَعُوهَا ﴾ [الحديد: ٢٧] .

وَهِيَ التَّوَامِيصُ الْحَكْمِيَّةُ الَّتِي لَمْ يَجِءِ الرَّسُولُ الْمَعْلُومُ بِهَا فِي الْعَامَّةِ
مِنْ عِنْدِ اللَّهِ بِالطَّرِيقَةِ الْخَاصَّةِ الْمَعْلُومَةِ فِي الْعُرْفِ .

فَلَمَّا وَاقَفْتَ الْحِكْمَةَ وَالْمُضْلَحَةَ الظَّاهِرَةَ فِيهَا الْحُكْمَ الْإِلَهِيَّ فِي
الْمَقْصُودِ بِالْوَضْعِ الْمَشْرُوعِ الْإِلَهِيِّ ، اعْتَبَرَهَا اللَّهُ اعْتِبَارًا مَا شَرَعَهُ مِنْ عِنْدِهِ
تَعَالَى ، «وما كتبها الله عليهم» .

وَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ قُلُوبِهِمْ بَابَ الْعِنَايَةِ وَالرَّحْمَةِ مِنْ حَيْثُ لَا
يَشْعُرُونَ جَعَلَ فِي قُلُوبِهِمْ تَعْظِيمَ مَا شَرَعُوهُ (ما شَرَعُوهُ - خ) - يَطْلُبُونَ بِذَلِكَ
رِضْوَانَ اللَّهِ - عَلَى غَيْرِ الطَّرِيقَةِ التَّبَوُّيَّةِ الْمَعْرُوفَةِ بِالْتَّعْرِيفِ الْإِلَهِيِّ .

فَقَالَ : ﴿ فَمَا رَعَوْهَا ﴾ [الحديد: ٢٧] هَؤُلَاءِ الَّذِينَ شَرَعُوهَا وَشَرَعَتْ
(شَرَعُوهَا وَشَرَعَتْ - خ) لَهُمْ ﴿ حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾ [الحديد: ٢٧] ﴿ إِلَّا آيِعَاءَ
رِضْوَانِ اللَّهِ ﴾ [الحديد: ٢٧] .

وِلَذَلِكَ (وكذلك - خ) اعْتَقِدُوا ﴿ فَتَأْتِنَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [الحديد: ٢٧] بِهَا

﴿مِنْهُمْ أَجْرُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ [الحديد: ٢٧] أَي مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ شُرِعَ فِيهِمْ هَذِهِ الْعِبَادَةُ ﴿فَتَسِفُونَ﴾ [الحديد: ٢٧] أَي خَارِجُونَ عَنِ الْإِنْقِيَادِ إِلَيْهَا وَالْقِيَامِ بِحَقِّهَا. وَمَنْ لَمْ يَنْقُدْ إِلَيْهَا لَمْ يَنْقُدْ إِلَيْهِ مُشْرَعُهُ بِمَا يُرْضِيهِ، لَكِنْ الْأَمْرُ يَقْتَضِي الْإِنْقِيَادَ.

وَيَبَيِّنُهُ أَنَّ الْمَكْلَفَ إِمَّا مُنْقَادٌ بِالْمُوَافَقَةِ وَإِمَّا مُخَالِفٌ؛ فَالْمُوَافِقُ الْمُطِيعُ لَا كَلَامَ فِيهِ لِيَبَيِّنَهُ؛ وَأَمَّا الْمُخَالِفُ فَإِنَّهُ يَطْلُبُ بِخِلَافِهِ الْحَاكِمَ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ أَحَدَ أَمْرَيْنِ إِمَّا التَّجَاوُزَ وَالْعَفْوَ، وَإِمَّا الْأَخْذَ عَلَى ذَلِكَ، وَلَا بُدَّ مِنْ أَحَدِهِمَا لِأَنَّ الْأَمْرَ حَقٌّ فِي نَفْسِهِ. فَعَلَى كُلِّ حَالٍ قَدْ صَحَّ انْقِيَادُ الْحَقِّ إِلَى عَبْدِهِ لِأَفْعَالِهِ وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَالِ.

فَالْحَالُ هُوَ الْمُؤَثِّرُ.

فَمِنْ هُنَا كَانَ الدِّينُ جَزَاءً أَي مُعَاوَضَةً بِمَا يَسِرُّ وَبِمَا لَا يَسِرُّ.

فِيمَا يَسِرُّ ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩] هَذَا جَزَاءٌ بِمَا يَسِرُّ ﴿وَمَنْ يَظْلِمِ مَنكُم نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ١٩] هَذَا جَزَاءٌ بِمَا لَا يَسِرُّ ﴿وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ [الأحقاف: ١٦] هَذَا جَزَاءٌ.

فَصَحَّ أَنَّ الدِّينَ هُوَ الْجَزَاءُ.

وَكَمَا أَنَّ الدِّينَ هُوَ الْإِسْلَامُ وَالْإِسْلَامُ هُوَ عَيْنُ الْإِنْقِيَادِ فَقَدْ انْقَادَ إِلَى مَا يَسِرُّ وَإِلَى مَا لَا يَسِرُّ وَهُوَ الْجَزَاءُ.

هَذَا لِسَانُ الظَّاهِرِ فِي هَذَا الْبَابِ.

وَأَمَّا سِرُّهُ وَبَاطِنُهُ فَإِنَّهُ تَجَلَّى فِي مِرَاةٍ وَجُودِ الْحَقِّ؛ فَلَا يَعُودُ عَلَى الْإِمْمَكِنَاتِ مِنَ الْحَقِّ إِلَّا مَا تُعْطِيهِ ذَوَاتُهُمْ فِي أَحْوَالِهَا، فَإِنَّ لَهُمْ فِي كُلِّ حَالٍ

صُورَةً، فَتَخْتَلِفُ صُورُهُمْ لاختلافِ أحوالِهِمْ فَيَخْتَلِفُ التَّجَلِّي لِاختلافِ الحالِ، فَيَقَعُ الأثرُ فِي العَبْدِ بِحَسَبِ ما يَكُونُ. فَمَا أَغْطَاهُ الخَيْرُ سِوَاهُ وَلَا أَغْطَاهُ ضِدَّ الخَيْرِ غَيْرُهُ؛ بَلْ هُوَ مُنْعَمٌ ذَاتِهِ وَمُعَذِّبُهَا فَلَا يَدُمَنَّ إِلَّا نَفْسُهُ وَلَا يَحْمَدَنَّ إِلَّا نَفْسُهُ ﴿فَلِلَّهِ الْحُجْمَةُ الْيَلْبَغُ﴾ [الأنعام: ١٤٩] فِي عِلْمِهِ بِهِمْ إِذْ الْعِلْمُ يَتَّبِعُ الْمَعْلُومَ.

ثُمَّ السِّرُّ الَّذِي فَوْقَ هَذَا فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ أَنَّ الْمُمَكِّنَاتِ عَلَى أَصْلِهَا مِنَ الْعَدَمِ وَلَيْسَ وَجُودٌ إِلَّا وَجُودُ الْحَقِّ بِصُورِ أَحْوَالٍ مَا هِيَ عَلَيْهِ الْمُمَكِّنَاتُ فِي أَنْفُسِهَا وَأَعْيَانِهَا. فَقَدْ عَلِمْتَ مَنْ يَلْتَذُّ وَمَنْ يَتَأَلَّمُ.

وَمَا يَغِيبُ كُلَّ حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ.

وَبِهِ سَمِيَ عُقُوبَةً وَعِقَابًا.

وَهُوَ سَائِعٌ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ غَيْرُ أَنَّ الْعُرْفَ سَمَاهُ فِي الْخَيْرِ ثَوَابًا وَفِي الشَّرِّ عِقَابًا.

بِهَذَا سُمِّيَ أَوْ شُرِّحَ الدِّينُ بِالْعَادَةِ، لِأَنَّهُ عَادَ إِلَيْهِ مَا تَقْتَضِيهِ وَتَطْلُبُهُ حَالُهُ، فَالْدِّينُ الْعَادَةُ، قَالَ الشَّاعِرُ: كَدِينِكَ مِنْ أَمِّ الْحَوِيرِثِ قَبْلُهَا، أَيِ عَادَتِكَ.

وَمَعْقُولُ الْعَادَةِ أَنَّ يَعُودَ الْأَمْرُ بِعَيْنِهِ إِلَى حَالِهِ، وَهَذَا لَيْسَ ثُمَّ فَإِنَّ الْعَادَةَ تَكَرَّرَ.

لَكِنَّ الْعَادَةَ حَقِيقَةٌ وَاحِدَةٌ مَعْقُولَةٌ؛ وَالتَّشَابُهُ فِي الصُّورِ مَوْجُودٌ فَتَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ زَيْدًا عَيْنَ عَمْرٍو فِي الْإِنْسَانِيَّةِ وَمَا عَادَتِ الْإِنْسَانِيَّةُ، إِذْ لَوْ عَادَتْ لَتَكَثَّرَتْ وَهِيَ حَقِيقَةٌ وَاحِدَةٌ وَالوَاحِدُ لَا يَتَكَثَّرُ فِي نَفْسِهِ. وَنَعْلَمُ أَنَّ زَيْدًا لَيْسَ

عَيْنَ عَمَرُو فِي الشَّخْصِيَّةِ فَشَخْصُ زَيْدٍ لَيْسَ شَخْصٌ عَمَرُو مَعَ تَحَقُّقِ وَجُودِ
الشَّخْصِيَّةِ بِمَا هِيَ شَخْصِيَّةٌ فِي الْاِثْنَيْنِ فَنَقُولُ فِي الْجِسِّ عَادَتٌ لِهَذَا الشَّبَهِ
(الشَّبَه - خ)، وَنَقُولُ فِي الْحُكْمِ الصَّحِيحِ لَمْ تَعُدْ.

فَمَا تَمَّ عَادَةٌ بِوَجْهِهِ وَتَمَّ عَادَةٌ بِوَجْهِهِ، كَمَا أَنَّ تَمَّ جُزْءًا بِوَجْهِهِ وَمَا تَمَّ جُزْءًا
بِوَجْهِهِ فَإِنَّ الْجُزْءَ أَيْضًا حَالٌ فِي الْمُمْكِنِ مِنْ أَحْوَالِ الْمُمْكِنِ. وَهَذِهِ مَسْأَلَةٌ
أَغْفَلَهَا عُلَمَاءُ هَذَا الشَّانِ، أَيْ أَغْفَلُوا إِضَاحَهَا عَلَى مَا يَتَّبَعِي لَا أَنَّهُمْ جَهَلُوهَا
فَإِنَّهَا مِنْ سِرِّ الْقَدَرِ الْمُتَحَكِّمِ فِي الْخَلَائِقِ.

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ كَمَا يُقَالُ فِي الطَّبِيبِ إِنَّهُ خَادِمُ الطَّبِيعَةِ كَذَلِكَ يُقَالُ فِي الرَّسْلِ
وَالزَّرْتَةِ إِنَّهُمْ خَادِمُو الْأَمْرِ الْإِلَهِيِّ فِي الْعُمُومِ، وَهُمْ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ خَادِمُو
أَحْوَالِ الْمُمْكِنَاتِ وَخِذْمَتُهُمْ مِنْ جُمْلَةِ أَخْوَالِهِمْ الَّتِي هُمْ عَلَيْهَا فِي حَالِ
ثُبُوتِ أَعْيَانِهِمْ.

فَانْظُرْ مَا أَعْجَبَ هَذَا.

إِلَّا أَنَّ الْخَادِمَ الْمَطْلُوبَ هُنَا إِنَّمَا هُوَ وَاقِفٌ عِنْدَ مَرْسُومِ مَخْدُومِهِ إِمَّا
بِالْحَالِ أَوْ بِالْقَوْلِ، فَإِنَّ الطَّبِيبَ إِنَّمَا يَصْحُحُ أَنْ يُقَالَ فِيهِ خَادِمُ الطَّبِيعَةِ لَوْ مَشَى
بِحُكْمِ الْمُسَاعَدَةِ لَهَا، فَإِنَّ الطَّبِيعَةَ قَدْ أَعْطَتْ فِي جِسْمِ الْمَرِيضِ مِزَاجًا خَاصًّا
بِهِ سُمِّيَ مَرِيضًا، فَلَوْ سَاعَدَهَا الطَّبِيبُ خِدْمَةً لَزَادَ فِي كَمِّيَةِ الْمَرَضِ بِهَا أَيْضًا
وَأِنَّمَا يَرُدُّهَا طَلَبًا لِلصِّحَّةِ، وَالصِّحَّةُ مِنَ الطَّبِيعَةِ أَيْضًا، بِإِنشَاءِ مِزَاجٍ آخَرَ
يُخَالِفُ هَذَا الْمِزَاجَ. فَإِذْ لَيْسَ الطَّبِيبُ بِخَادِمٍ لِلطَّبِيعَةِ.

وَأِنَّمَا هُوَ خَادِمٌ لَهَا مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ لَا يُضْلِحُ جِسْمَ الْمَرِيضِ وَلَا يُغَيِّرُ
ذَلِكَ الْمِزَاجَ إِلَّا بِالطَّبِيعَةِ أَيْضًا فَفِي حَقِّهَا يَسْعَى مِنْ وَجْهِهِ خَاصٌّ غَيْرُ عَامٍّ لِأَنَّ

الْمُغْمُومَ لَا يَصْخُ فِي هَذِهِ (في مثل هذه - خ) الْمَسْأَلَةِ فَالطَّبِيبُ خَادِمٌ أَغْنَى
لِلطَّبِيعَةِ.

كَذَلِكَ (وكذلك - خ) الرُّسُلُ وَالْوَرَثَةُ فِي خِدْمَةِ الْحَقِّ. وَالْحَقُّ (وأمرُ
الحق - خ) عَلَى وَجْهَيْنِ فِي الْحُكْمِ فِي أَحْوَالِ الْمُكَلَّفِينَ، فَيَجْرِي الْأَمْرُ مِنْ
الْعَبْدِ بِحَسَبِ مَا تَقْتَضِيهِ إِرَادَةُ الْحَقِّ، وَتَتَعَلَّقُ إِرَادَةُ الْحَقِّ بِهِ بِحَسَبِ مَا
يَقْتَضِي بِهِ عِلْمُ الْحَقِّ، وَيَتَعَلَّقُ عِلْمُ الْحَقِّ بِهِ عَلَى حَسَبِ مَا أَعْطَاهُ الْمَعْلُومُ
مِنْ ذَاتِهِ.

فَمَا ظَهَرَ إِلَّا بِصُورَتِهِ.

فَالرُّسُولُ وَالْوَارِثُ خَادِمُ الْأَمْرِ الْإِلَهِيِّ بِالْإِرَادَةِ، لَا خَادِمُ الْإِرَادَةِ.
فَهُوَ يَرُدُّ عَلَيْهِ بِهِ طَلِبًا لِسَعَادَةِ الْمُكَلَّفِ.
فَلَوْ خَدَمَ الْإِرَادَةَ الْإِلَهِيَّةَ مَا نَصَحَ.

وَمَا نَصَحَ إِلَّا بِهَا أَغْنَى بِالْإِرَادَةِ فَالرُّسُولُ وَالْوَارِثُ طَبِيبٌ آخَرَوِيٌّ
لِلنَّفُوسِ مُنْقَاذٌ لِأَمْرِ اللَّهِ جِنِّينَ أَمْرُهُ، فَيَنْظُرُ فِي أَمْرِهِ تَعَالَى وَيَنْظُرُ فِي إِرَادَتِهِ
فَيَرَاهُ قَدْ أَمَرَهُ بِمَا يَخَالِفُ إِرَادَتَهُ وَلَا يَكُونُ إِلَّا مَا يُرِيدُ، وَلِهَذَا كَانَ الْأَمْرُ فَأَرَادَ
الْأَمْرَ فَوَقَعَ، وَمَا أَرَادَ وَوُقِعَ مَا أَمَرَ بِهِ بِالْمَأْمُورِ فَلَنْ يَقَعَ مِنَ الْمَأْمُورِ فَسُمِّيَ
مُخَالَفَةً وَمَعْصِيَةً.

فَالرُّسُولُ مُبَلِّغٌ وَلِهَذَا قَالَ: شَيْبَتْنِي سُورَةُ هُودٍ وَأَخَوَاتُهَا لِمَا تَحْوِي
عَلَيْهِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿فَأَسْتَقِيمَ كَمَا أَمَرْتُ﴾ [هود: ١١٢] فَشَيْبَهُ ﴿كَمَا أَمَرْتُ﴾ [هود: ١١٢]
[١١٢] فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي هَلْ أَمْرٌ بِمَا يُوَفِّقُ الْإِرَادَةَ فَيَقَعُ، أَوْ بِمَا يُخَالِفُ الْإِرَادَةَ فَلَا
يَقَعُ.

وَلَا يَغْرِفُ أَحَدٌ حُكْمَ الْإِرَادَةِ إِلَّا بَعْدَ وَفُوعِ الْمُرَادِ إِلَّا مَنْ كَشَفَ اللَّهُ

عَنْ بَصِيرَتِهِ فَأَدْرَكَ أَعْيَانَ الْمُمَكِّنَاتِ فِي حَالَةِ ثُبُوتِهَا عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ،
فَيَحْكُمُ عِنْدَ ذَلِكَ بِمَا يَرَاهُ. وَهَذَا قَدْ يَكُونُ لِأَحَادِ النَّاسِ فِي أَوْقَاتٍ لَا يَكُونُ
مُسْتَضْجِبًا.

قل: ﴿وَمَا آدَرَى مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ [الاحقاف: ٩] فَصَّرَحَ بِالْحِجَابِ .
وَلَيْسَ الْمَقْصُودُ إِلَّا أَنْ يَطَّلَعَ فِي أَمْرِ خَاصٍ لَا غَيْرَ .



«فصلُ حكمة روحية في كلمة يعقوبية» - ص ٢١٣ - .

قوله: في كلمة يعقوبية، إنما خصص هذه الحكمة بكلمته لاختصاصه
من بين أولاد إبراهيم ﷺ في ظهور الدين وإظهاره وبسطه كما قال الله:
﴿وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَيْنَهُ وَيَعْقُوبُ يَبْنِي إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا
وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢] ولأنه ﷺ بعدما ابتلي بفراق يوسفه وابيضت
عيناه من الحزن تداركته الرحمة الإلهية بالقاء السكينة في قلبه وأراد أن
يبسطها في بنيه فقال: ﴿يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْسَسُوا مِنْ
رَفْعِ اللَّهِ إِنَّمَا لَا يَأْتِيَنَّ مِنْ رَفْعِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧] ولأن
روحانيته سرت بظاهر حسه ولذا وجد ريح يوسف بالقوة الشامة كما شم
النبي ﷺ ريح أويس القرني من جانب يَمَنَ .

... فإنه كان يجد في مقام روحه بقاء يوسف وأخيه وجدانياً إجمالياً
كما قال إني لأجد ريح يوسف ولا يجده عياناً تفصيلاً لذلك ابيضت
عيناه من الحزن» - ص ٢١٤ - .

قد عرفت أن وجدانه لريح يوسف كان عياناً بعدما تداركته الرحمة
الإلهية بإلقاء السكينة في قلبه وذلك بعد ارتياضه وابيضاض عينه من الحزن
وهو كظيم كما أخبر الله تعالى عنه .
قوله: والناموس هو الشرع . أقول الناموس هو الذي يكون الإنسان

بصد حفظه واختفائه ولما كان مقصد الأنبياء صلوات الله عليهم بسط معروفة الحق ومعبوديته في العالم وهو لا يحصل إلا بحفظ أمور صارت النواميس الإلهية خمسة الأول ناموس الحياة فإنه بها يحصل المعرفة والعبودية والثاني ناموس العقل إذ لولاه لما عرف الله وما عبد والثالث ناموس المال إذ به معاش الناس ومعادهم والرابع ناموس العرض إذ بحفظه يصح التوالد والتناسل وتبسط المعروفة والمعبودية والخامس ناموس الشريعة وهو ناموس المعبودية والمعروفة .

قال الشيخ في المتن: «وهي النواميس الحكمية التي لم يجئ الرسول المعلوم بها في العامة من عند الله بالطريقة الخاصة المعلوم في العرف...» - ص ٢١٦ - .

قوله: بالطريقة الخاصة، الظاهر كونه متعلقاً بقوله لم يجئ الرسول أي لم يجئ الرسول بها بالطريق المعهود عند العامة من إظهاره النبوة أولاً وإظهار المعجزة لإثباتها ثم إتيان الأحكام.

ولهذا سمي أو شرح الدين بالعادة لأنه عاد عليه ما يقتضيه ويطلبه حاله فالدين العادة» - ص ٢٢٠ - .

قوله: ولهذا... الخ. لما كان الدين هو الجزاء وكان الجزاء من طرفين أي طرف العبد بإظهار كماله تعالى ومكنونات غيبه تعالى ومن الحق بتجليه عقيب ذاك الحال بحال مناسبة للعبد فيكون الجزاء من الحق تعالى ما عاد إلى العبد من أحواله وتناسب نشأته فيكون الجزاء هو العادة ويكون الدين هو العادة.

الفصل اليوسفي

فص حكمة نورية في كلمة يوسفية

هذه الحكمة الثورية انبساط نورها على حضرة الخيال .
وهو أول مبادئ الوحي الإلهي في أهل العناية .
تقول عائشة رضي الله عنها : «أول ما بدى به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة» .
فكان لا يرى رؤيا إلا كأنه يرى مثل فلق الصبح تقول لا خفاء بها .
والى هنا بلغ علمها لا غير وكانت المدة له في ذلك سنة أشهر ثم جاءه الملك وما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال : «إن الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا» .
وكل ما يرى في حال اليقظة (في حال النوم - خ) فهو من ذلك القبيل ، وإن اختلفت الأحوال .
فمضى قولها سنة أشهر ، بل عمره كله في الدنيا بتلك المثابة : إنما هو منام في منام .
وكلما ورد من هذا القبيل فهو المسمى عالم الخيال .
ولهذا يعبر أي الأمر الذي هو في نفسه على صورة كذا ظهر في صورة غيرها ، فيجوز العابر من هذه الصورة التي أبصرها التائم إلى صورة ما هو الأمر عليه إن أصاب .

كَظُهُورِ الْعِلْمِ فِي صُورَةِ اللَّبَنِ، فَعَبَّرَ فِي التَّأْوِيلِ مِنْ صُورَةِ اللَّبَنِ إِلَى صُورَةِ الْعِلْمِ فَقَاوَلُ أَنِّي قَالَ مَالُ هَذِهِ الصُّورَةِ اللَّبَنِيَّةِ إِلَى صُورَةِ الْعِلْمِ.

ثُمَّ إِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا أُوجِيَ إِلَيْهِ أَخَذَ عَنِ الْمَحْسُوسَاتِ الْمُغْتَادَةَ فَسَجَّيَ وَغَابَ عَنِ الْحَاضِرِينَ عِنْدَهُ فَإِذَا سُرِّيَ عَنْهُ رُدَّ.

فَمَا أَذْرَكَهُ إِلَّا فِي حَضْرَةِ الْخَيَالِ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يُسَمَّى نَائِماً.

وَكَذَلِكَ إِذَا تَمَثَّلَ لَهُ الْمَلَكُ رَجُلًا فَذَلِكَ مِنْ حَضْرَةِ الْخَيَالِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بِرَجُلٍ وَإِنَّمَا هُوَ مَلَكٌ فَدَخَلَ فِي صُورَةِ إِنْسَانٍ فَعَبَّرَهُ النَّاطِرُ الْعَارِفُ حَتَّى وَصَلَ إِلَى صُورَتِهِ الْحَقِيقِيَّةِ، فَقَالَ هَذَا جَبْرِئِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ. وَقَدْ قَالَ لَهُمْ رُدُّوا عَلَيَّ الرَّجُلَ فَسَمَاهُ بِالرَّجُلِ مِنْ أَجْلِ الصُّورَةِ الَّتِي ظَهَرَ لَهُمْ فِيهَا. ثُمَّ قَالَ هَذَا جَبْرِئِيلُ (جبريل - خ) فَاعْتَبَرَ الصُّورَةَ الَّتِي مَالُ هَذَا الرَّجُلِ الْمُتَخَيَّلِ إِلَيْهَا فَهُوَ صَادِقٌ فِي الْمَقَالَتَيْنِ: صَدَقَ لِلْعَيْنِ فِي الْعَيْنِ الْحَسِيَّةِ، وَصَدَقَ فِي أَنَّ هَذَا جَبْرِئِيلُ فَإِنَّهُ جَبْرِيلُ بِلَا شَكٍّ.

وَقَالَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤]، فَرَأَى إِخْوَتَهُ فِي صُورَةِ الْكَوَاكِبِ وَرَأَى أَبَاهُ وَخَالَتَهُ فِي صُورَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ. هَذَا مِنْ جِهَةِ يُوسُفَ وَلَوْ كَانَ مِنْ جِهَةِ الْمَرْمِيِّ لَكَانَ ظُهُورُ إِخْوَتِهِ فِي صُورَةِ الْكَوَاكِبِ وَظُهُورُ أَبِيهِ وَخَالَتِهِ فِي صُورَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ مُرَاداً لَهُمْ. فَلَمَّا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ عِلْمٌ بِمَا رَأَاهُ يُوسُفُ كَانَ الْإِدْرَاكُ مِنْ يُوسُفَ فِي خَزَانَةِ خِيَالِهِ، وَعَلِمَ ذَلِكَ يَغْفُوبٌ حِينَ قَصَّهَا عَلَيْهِ فَقَالَ: ﴿يَبْنَئِي لَا تَقْصُصْ رُءُوسَكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف: ٥].

ثُمَّ بَرَأَ أَبْنَاءَهُ عَنْ ذَلِكَ الْكَيْدِ وَالْحَقَّةِ بِالشَّيْطَانِ، وَلَيْسَ إِلَّا عَيْنَ الْكَيْدِ فَقَالَ: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [يوسف: ٥] أَنَّى ظَاهَرُ الْعَدَاوَةِ.

ثُمَّ قَالَ يُوسُفُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي آخِرِ الْأَمْرِ: ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ [يوسف: ١٠٠] أَيْ أَظْهَرَهَا فِي الْحِسِّ بَعْدَ مَا كَانَتْ فِي صُورَةِ الْخَيَالِ، فَقَالَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «النَّاسُ نِيَامٌ».

فَكَانَ قَوْلُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ [يوسف: ١٠٠] بِمَنْزِلَةِ مَنْ رَأَى فِي نَوْمِهِ أَنَّهُ قَدْ اسْتَيْقَظَ مِنْ رُؤْيَا رَأَاهَا ثُمَّ عَبَّرَهَا وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُ فِي النَّوْمِ عَيْنِهِ مَا بَرَّحَ.

فَإِذَا اسْتَيْقَظَ يَقُولُ رَأَيْتُ كَذَا وَرَأَيْتُ كَأَنِّي اسْتَيْقَظْتُ وَأَوَّلُهَا بِكَذَا هَذَا مِثْلُ ذَلِكَ. فَانْظُرْ كَمْ بَيَّنَّ إِدْرَاكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيَّنَّ إِدْرَاكَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي آخِرِ أَمْرِهِ حِينَ قَالَ: ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ [يوسف: ١٠٠] مَعْنَاهُ حِسًّا أَيْ مَحْسُوسًا، وَمَا كَانَ إِلَّا مَحْسُوسًا، فَإِنَّ الْخَيَالَ لَا يُعْطَى أَبَدًا إِلَّا الْمَحْسُوسَاتِ غَيْرَ ذَلِكَ لَيْسَ لَهُ. فَانْظُرْ مَا أَشْرَفَ عِلْمَ وَرَثَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَسَابِطُ مِنَ الْقَوْلِ (وَسَابِطُ الْقَوْلِ - خ).

فَتَقُولُ اغْلَمْ أَنَّ الْمَقُولَ عَلَيْهِ «سِوَى الْحَقِّ» أَوْ مُسَمَّى الْعَالَمِ هُوَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْحَقِّ كَالظِّلِّ لِلشَّخْصِ.

فَهُوَ (وَهُوَ - خ) ظِلُّ اللَّهِ، فَهُوَ (وَهُوَ - خ) عَيْنُ نِسْبَةِ الْوُجُودِ إِلَى الْعَالَمِ.

لَأَنَّ الظِّلَّ مَوْجُودٌ بِلا شَكٍّ فِي الْحِسِّ، وَلَكِنْ إِذَا كَانَ ثَمَّةَ مَنْ (ثَمَ مِنْ) يَظْهَرُ فِيهِ ذَلِكَ الظِّلُّ حَتَّى لَوْ قَدَّرْتَ غَدَمَ مَنْ يَظْهَرُ فِيهِ ذَلِكَ الظِّلُّ كَانَ الظِّلُّ مَعْقُولًا غَيْرَ مَوْجُودٍ فِي الْحِسِّ، بَلْ يَكُونُ بِالْقُوَّةِ فِي ذَاتِ الشَّخْصِ الْمَنْسُوبِ

إِلَيْهِ الظِّلُّ فَمَحَلُّ ظُهُورِ هَذَا الظِّلِّ الإلهي الْمُسَمَّى بِالْعَالَمِ إِنَّمَا هُوَ أَعْيَانُ
الْمُمَكِّنَاتِ : عَلَيْهَا امْتَدَّ هَذَا الظِّلُّ ، فَتَدْرِكُ مِنْ هَذَا الظِّلِّ بِحَسَبِ مَا امْتَدَّ عَلَيْهِ
مِنْ وَجُودِ هَذِهِ الذَّاتِ . وَلَكِنْ بِاسْمِهِ الثَّوَرِ وَقَعَ عَلَيْهِ (وقع الإدراك - خ)
الإدراك .

وَامْتَدَّ هَذَا الظِّلُّ (الظلُّ الوجودي - خ) عَلَى أَعْيَانِ الْمُمَكِّنَاتِ فِي
صُورَةِ الْغَيْبِ الْمَجْهُولِ .

أَلَا تَرَى الظَّلَالَ تَضْرِبُ إِلَى السَّوَادِ وَتُشِيرُ إِلَى مَا فِيهَا مِنَ الْحَقَاءِ لِبُعْدِ
الْمُنَاسَبَةِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَشْخَاصٍ مِنْ هِيَ ظِلٌّ لَهُ ، وَإِنْ كَانَ الشَّخْصُ أَبْيَضَ فَظَلُّهُ
بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ .

أَلَا تَرَى الْجِبَالَ إِذَا بَعُدَتْ عَنْ بَصَرِ النَّاطِرِ تَظْهَرُ سُودَاءَ وَقَدْ تَكُونُ فِي
أَعْيَانِهَا عَلَى غَيْرِ مَا يَدْرِكُهَا الْحِسُّ مِنَ اللَّوْنِيَّةِ ، وَلَيْسَ ثَمَّةَ عِلَّةٌ إِلَّا الْبُعْدُ؟
وَكَزَرَقَةِ السَّمَاءِ . فَهَذَا مَا أُنْتَجَجَ الْبُعْدُ فِي الْحِسِّ فِي الْأَجْسَامِ غَيْرِ النَّيِّرَةِ .
وَكَذَلِكَ أَعْيَانُ الْمُمَكِّنَاتِ لَيْسَتْ نَيِّرَةً لِأَنَّهَا مَعْدُومَةٌ وَإِنْ انْتَصَفَتْ
بِالْتَّبُوتِ لَكِنْ لَمْ تَنْصِفْ بِالْوُجُودِ إِذِ الْوُجُودُ نَوْرٌ .

غَيْرَ أَنَّ الْأَجْسَامَ النَّيِّرَةَ يُعْطَى فِيهَا الْبُعْدُ لِلْحِسِّ (في الحس - خ)
صِغَرًا ، فَهَذَا تَأْثِيرُ آخَرٍ لِلْبُعْدِ . فَلَا يَدْرِكُهَا الْحِسُّ إِلَّا صَغِيرَةَ الْحَجْمِ ، وَهِيَ
فِي أَعْيَانِهَا كَبِيرَةٌ عَنْ ذَلِكَ الْقَدْرِ وَأَكْثَرُ كِمِّيَّاتٍ ، كَمَا يُعْلَمُ بِاللَّيْلِ أَنَّ الشَّمْسَ
مِثْلَ الْأَرْضِ فِي الْحِزْمِ مِائَةً وَسِتِّينَ وَرُبْعًا وَثَمْنِ مَرَّةٍ (مئة وستين مرة -
خ) ، وَهِيَ فِي الْحِسِّ عَلَى قَدْرِ جَرَمِ الثُّرَسِ مَثَلًا ، فَهَذَا أَثَرُ الْبُعْدِ أَيْضًا .

فَمَا يُعْلَمُ مِنَ الْعَالَمِ إِلَّا قَدْرٌ مَا يُعْلَمُ مِنَ الظَّلَالِ ، وَيُجْهَلُ مِنَ الْحَقِّ
عَلَى قَدْرِ مَا يُجْهَلُ مِنَ الشَّخْصِ الَّذِي عَنْهُ كَانَ ذَلِكَ الظِّلُّ .

فَمِنْ حَيْثُ هُوَ ظِلٌّ لَهُ يُعْلَمُ، وَمِنْ حَيْثُ مَا يُجْهَلُ مَا فِي ذَاتِ ذَلِكَ
الظِّلِّ مِنْ صُورَةٍ شَخْصٍ مِمَّنْ امْتَدَّ عَنْهُ يُجْهَلُ مِنَ الْحَقِّ فَلِذَلِكَ نَقُولُ الْحَقُّ (أَنْ
الْحَقُّ - خ) مَعْلُومٌ لَنَا مِنْ وَجْهِ، وَمَنْجُوهٌ لَنَا مِنْ وَجْهِ.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾ [الفرقان: ٤٥] أَيْ
يَكُونُ فِيهِ بِالْقُوَّةِ.

يَقُولُ مَا كَانَ الْحَقُّ لِيَتَجَلَّى لِلْمُمْكِنَاتِ حَتَّى يُظْهِرَ الظِّلَّ فَيَكُونُ كَمَا بَقِيَ
مِنْ الْمُمْكِنَاتِ الَّتِي مَا ظَهَرَ لَهَا عَيْنٌ فِي الْوُجُودِ.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَا السَّمَاسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٥] وَهُوَ اسْمُ الثَّوْرِ الَّذِي قُلْنَا
وَيَسْهَدُ لَهُ الْجَسُّ فَإِنَّ الظَّلَالَ لَا يَكُونُ لَهَا عَيْنٌ بَعْدَ الثَّوْرِ.

﴿ثُمَّ قَبَضْتَهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ [الفرقان: ٤٦].

وَأَمَّا قَبْضُهُ إِلَيْنَا لِأَنَّهُ ظِلُّهُ، ظَهَرَ ﴿وَالَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ [هود:

١٢٣].

فَهُوَ هُوَ لَا غَيْرُهُ.

فَكُلُّ مَا نُدْرِكُهُ فَهُوَ وَجُودُ الْحَقِّ فِي أَعْيَانِ الْمُمْكِنَاتِ، فَمِنْ حَيْثُ هُوِيَّةِ
الْحَقِّ هُوَ وَجُودُهُ وَمِنْ حَيْثُ اخْتِلَافِ الصُّورِ فِيهِ هُوَ أَعْيَانِ الْمُمْكِنَاتِ فَكَمَا لَا
يَزُولُ عَنْهُ بِاخْتِلَافِ الصُّورِ اسْمُ الظِّلِّ، كَذَلِكَ لَا يَزُولُ عَنْهُ بِاخْتِلَافِ الصُّورِ
اسْمُ الْعَالِمِ أَوْ اسْمُ سِوَى الْحَقِّ. فَمِنْ حَيْثُ أَحَدِيَّةِ كَوْنِهِ ظِلًّا هُوَ الْحَقُّ، لِأَنَّهُ
الوَاحِدُ الْأَحَدُ. وَمِنْ حَيْثُ كَثَرَةُ الصُّورِ هُوَ الْعَالَمُ.

فَتَقَطَّنْ وَتَحَقَّقْ مَا أَوْضَحْتُهُ لَكَ. وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى مَا ذَكَرْتُهُ لَكَ
فَالْعَالَمُ مَتَوَهَّمٌ مَا لَهُ وَجُودٌ حَقِيقِي.

وَهَذَا مَعْنَى الْخَيَالِ، أَيْ خُيِّلَ لَكَ أَنَّهُ أَمْرٌ زَائِدٌ قَائِمٌ بِنَفْسِهِ خَارِجٌ عَنِ الْحَقِّ وَلَيْسَ كَذَلِكَ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ.

أَلَا تَرَاهُ فِي الْحِسِّ مُتَّصِلًا بِالشَّخْصِ الَّذِي امْتَدَّ عَنْهُ، يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ الْإِنْفِكَافُ عَنْ ذَلِكَ الْإِتِّصَالِ لِأَنَّهُ يَسْتَحِيلُ عَلَى الشَّيْءِ الْإِنْفِكَافُ عَنْ ذَاتِهِ؟ فَاعْرِفْ عَيْنَكَ وَمَنْ أَنْتَ وَمَا هُوَ بَيْنَكَ.

وَمَا يَنْسَبُكَ إِلَى الْحَقِّ، وَبِمَا أَنْتَ حَقٌّ وَبِمَا أَنْتَ عَالَمٌ وَسَيُورٌ وَغَيْرُ وَمَا شَاكَلَ هَذِهِ الْأَلْفَاظُ.

وَفِي هَذَا تَتَفَاعَلُ الْعُلَمَاءُ؛ فَعَالِمٌ وَأَعْلَمُ. فَالْحَقُّ بِالنِّسْبَةِ إِلَى ظِلِّ خَاصٍ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ، وَصَافٍ وَأَضْفَى.

كَالتَّوَرُّ بِالنِّسْبَةِ إِلَى حِجَابِهِ عَنِ النَّظَرِ فِي الرُّجَاجِ يَتَلَوَّنُ بِلَوْنِهِ، وَفِي نَفْسِ الْأَمْرِ لَا لَوْنٌ لَهُ وَلَكِنْ هَكَذَا نَرَاهُ (وَلَكِنْ تَرَاهُ - خ) ضَرْبٌ مِثَالٍ لِحَقِيقَتِكَ بِرَبِّكَ.

فَإِنْ قُلْتَ: إِنَّ التَّوَرَ أَخْضَرَ لَخُضْرَةِ الرُّجَاجِ صَدَقْتَ وَشَاهِدُكَ الْحِسُّ، وَإِنْ قُلْتَ إِنَّهُ لَيْسَ بِأَخْضَرَ وَلَا ذِي لَوْنٍ لِمَا أَعْطَاهُ لَكَ الدَّلِيلُ صَدَقْتَ وَشَاهِدُكَ النَّظَرُ الْعَقْلِيُّ الصَّحِيحُ.

فَهَذَا تَوَرٌّ مُمْتَدٌّ عَنْ ظِلِّ وَهُوَ عَيْنُ الرُّجَاجِ فَهُوَ ظِلٌّ تُورِي لِصَفَائِهِ. كَذَلِكَ الْمُتَحَقِّقُ مِنَّا بِالْحَقِّ تَظْهَرُ صُورَةُ الْحَقِّ فِيهِ أَكْثَرُ مِمَّا تَظْهَرُ فِي غَيْرِهِ.

فَإِنَّمَا مَنْ يَكُونُ الْحَقُّ سَمْعُهُ وَبَصَرُهُ وَجَمِيعُ قُوَاهُ وَجَوَارِحُهُ بِعَلَامَاتٍ قَدْ أَعْطَاهَا الشَّرْعُ الَّذِي يُخْبِرُ عَنِ الْحَقِّ.

وَمَعَ هَذَا عَيْنُ الظِّلِّ مَوْجُودٌ، فَإِنَّ الصَّمِيرَ مِنْ سَمْعِهِ يَعُودُ عَلَيْهِ .
وَعَيْزُهُ مِنَ الْعَيْدِ لَيْسَ كَذَلِكَ فَنِسْبَةُ هَذَا الْعَبْدِ أَقْرَبُ إِلَى وُجُودِ الْحَقِّ
مِنْ نِسْبَةِ غَيْرِهِ مِنَ الْعَبِيدِ .

وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى مَا قَرَّرْنَاهُ فَأَعْلَمُ أَنَّكَ خَيَالٌ وَجَمِيعُ مَا تُدْرِكُهُ بِمَا
تَقُولُ فِيهِ سِوَى خَيَالٍ (مما تقول فيه ليس أنا خيال - خ) . فَالْوُجُودُ كُلُّهُ خَيَالٌ
فِي خَيَالٍ .

وَالْوُجُودُ (فالوجود - خ) الْحَقُّ إِنَّمَا هُوَ اللَّهُ خَاصَّةً مِنْ حَيْثُ ذَاتِهِ وَعَيْنِهِ
لَا مِنْ حَيْثُ أَسْمَائِهِ .

لَأَنَّ أَسْمَاءَهُ (لأنَّ الأسماء - خ) لَهَا مَذْلُولَانِ : الْمَذْلُولُ الْوَاحِدُ (الأول
- خ) عَيْنُهُ وَهُوَ عَيْنُ الْمُسَمَّى ، وَالْمَذْلُولُ الْآخَرُ مَا يَدُلُّ بِمَا يَنْفَصِلُ الْإِسْمُ بِهِ
عَنْ هَذَا الْإِسْمِ الْآخَرِ وَيَتَمَيَّزُ فَأَيْنَ الْغُفُورُ مِنَ الْقَاهِرِ وَأَيْنَ الظَّاهِرُ مِنَ الْبَاطِنِ ،
(فأين الغفور من الظاهر والباطن - خ) وَأَيْنَ الْأَوَّلُ مِنَ الْآخِرِ؟ فَقَدْ بَانَ لَكَ
بِمَا هُوَ كُلُّ اسْمٍ عَيْنُ الْإِسْمِ الْآخَرِ وَبِمَا هُوَ غَيْرُ الْإِسْمِ الْآخَرِ فِيمَا هُوَ عَيْنُهُ
هُوَ الْحَقُّ ، وَبِمَا هُوَ غَيْرُهُ هُوَ الْحَقُّ الْمُتَخَيَّلُ الَّذِي كُنَّا بِصَدَدِهِ .

فَسُبْحَانَ مَنْ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ دَلِيلٌ إِلَّا نَفْسُهُ (دليل سوى نفسه - خ) .

وَلَا تَبَتْ كَوْنُهُ (ولا يثبت كونه - خ) إِلَّا بِعَيْنِهِ .

فَمَا فِي الْكَوْنِ إِلَّا مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْأَحْدِيثُ ، وَلَا (وما - خ) فِي الْخَيَالِ إِلَّا
مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْكَثَرَةُ .

فَمَنْ وَقَفَ مَعَ الْكَثَرَةِ كَانَ مَعَ الْعَالَمِ وَمَعَ الْأَسْمَاءِ الْإِلَهِيَّةِ وَأَسْمَاءِ
الْعَالَمِ .

وَمَنْ وَقَفَ مَعَ الْأَحَدِيَّةِ كَانَ مَعَ الْحَقِّ مِنْ حَيْثُ ذَاتُهُ الْغَنِيَّةُ عَنِ الْعَالَمِينَ
لَا مِنْ حَيْثُ صُورَتِهِ .

وَإِذَا كَانَتْ غَنِيَّةٌ عَنِ الْعَالَمِينَ فَهُوَ عَيْنُ غِنَائِهَا عَنِ نَسَبَةِ الْأَسْمَاءِ لَهَا ،
لَأَنَّ الْأَسْمَاءَ كَمَا تَدُلُّ عَلَيْهَا تَدُلُّ عَلَى مُسَمِّيَاتٍ آخَرَ يُحَقِّقُ ذَلِكَ أَثَرُهَا .

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] مِنْ حَيْثُ عَيْنِهِ ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾
[الإخلاص: ٢] مِنْ حَيْثُ اسْتِنَادِنَا إِلَيْهِ ، ﴿لَمْ يَكُنْ لَكَ بَلَدٌ﴾ [الإخلاص: ٣] مِنْ حَيْثُ
هُوِيَّتِهِ وَنَحْنُ ، ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: ٣] كَذَلِكَ ، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَمْ كُفُوا
أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤] كَذَلِكَ .

فَهَذَا نَعْتُهُ فَأَقَرَدَ ذَاتَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] وَظَهَرَتِ الْكَثْرَةُ
بِهُوِيَّتِهِ الْمَعْلُومَةِ عِنْدَنَا فَتَحْنُ نَدُّ وَتُولَدُ وَنَحْنُ نَسْتَبْدُ إِلَيْهِ وَنَحْنُ أَكْفَاءُ بَعْضُنَا
لِبَعْضٍ . وَهَذَا الْوَاحِدُ مُتَرَدِّدٌ عَنْ هَذِهِ التَّغَوُّتِ فَهُوَ غَنِيٌّ عَنْهَا كَمَا هُوَ غَنِيٌّ عَنَّا .
وَمَا لِلْحَقِّ نَسَبٌ إِلَّا هَذِهِ السُّورَةُ ، سُورَةُ الْإِخْلَاصِ وَفِي ذَلِكَ نَزَلَتْ .
فَأَحَدِيَّةُ اللَّهِ مِنْ حَيْثُ الْأَسْمَاءِ الْإِلَهِيَّةِ الَّتِي تَطْلُبُنَا أَحَدِيَّةُ الْكَثْرَةِ ؛
وَأَحَدِيَّةُ اللَّهِ مِنْ حَيْثُ الْغِنَى عَنَّا وَعَنِ الْأَسْمَاءِ الْإِلَهِيَّةِ أَحَدِيَّةُ الْعَيْنِ ، وَكِلَاهُمَا
يَطْلُقُ عَلَيْهِ اسْمُ الْأَحَدِ فَأَعْلَمَ ذَلِكَ .

فَمَا أَوْجَدَ الْحَقُّ الظَّلَالَ وَجَعَلَهَا سَاجِدَةً مُتَفِئَةً عَنِ الشَّمَالِ وَالْيَمِينِ
(عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَالِ - خ) إِلَّا دَلَالَتُكَ لَكَ عَلَيْكَ وَعَلَيْهِ لَتَعْرِفَ مِنْ أَتَتْ وَمَا
نَسَبْتُكَ إِلَيْهِ وَمَا نَسَبْتُهُ إِلَيْكَ حَتَّى تَعْلَمَ مِنْ أَيْنَ وَمِنْ أَيِّ حَقِيقَةِ إِلَهِيَّةٍ اتَّصَفَ مَا
سِوَى اللَّهِ بِالْفَقْرِ الْكَلْبِيِّ إِلَى اللَّهِ ، وَبِالْفَقْرِ النَّسَبِيِّ بِإِفْتِقَارِ بَعْضِهِ إِلَى بَعْضٍ .
وَحَتَّى تَعْلَمَ مِنْ أَيْنَ وَمِنْ أَيِّ حَقِيقَةِ اتَّصَفَ الْحَقُّ بِالْغِنَى عَنِ النَّاسِ

وَالْغِنَى عَنِ الْعَالَمِينَ، وَاتَّصَفَ الْعَالَمُ بِالْغِنَى أَيْ بِغِنَى بَعْضِهِ عَنِ بَعْضٍ مِنْ وَجْهِ مَا (من وجه ما - معاً) هُوَ عَيْنٌ مَا افْتَقَرَ إِلَى بَعْضِهِ بِهِ.

فَإِنَّ الْعَالَمَ مُفْتَقِرٌ إِلَى الْأَسْبَابِ بِلَا شَكٍّ افْتِقَاراً ذَاتِياً. وَأَعْظَمُ الْأَسْبَابِ لَهُ سَبَبِيَّةُ الْحَقِّ. وَلَا سَبَبِيَّةَ لِلْحَقِّ يَفْتَقِرُ الْعَالَمُ إِلَيْهَا سِوَى الْأَسْمَاءِ الْإِلَهِيَّةِ. وَالْأَسْمَاءُ الْإِلَهِيَّةُ كُلُّ اسْمٍ يَفْتَقِرُ إِلَيْهِ مِنْ عَالَمٍ مِثْلِهِ أَوْ عَيْنِ الْحَقِّ. فَهُوَ اللَّهُ لَا غَيْرُهُ، وَلِذَلِكَ (وكذلك - خ) قَالَ: ﴿يَكَايُنَا النَّاسُ أُنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

وَمَعْلُومٌ أَنَّ لَنَا افْتِقَاراً مِنْ بَعْضِنَا إِلَى بَعْضِنَا (لبعضنا - خ) فَأَسْمَاؤُنَا أَسْمَاءُ اللَّهِ تَعَالَى إِذْ إِلَيْهِ الْافْتِقَارُ بِلَا شَكٍّ. وَأَعْيَانُنَا فِي نَفْسِ الْأَمْرِ ظِلُّهُ لَا غَيْرُهُ، فَهُوَ هُوِيَّتُنَا لَا هُوِيَّتَنَا. وَقَدْ مَهَّذْنَا لَكَ السَّبِيلَ فَانْظُرْ.



«فصلُ حكمة نورية في كلمة يوسفية» - ص ٢٢٤ -

قوله: وكان كشف يوسف مثالياً. . . الخ، ليس المراد أن مقام يوسف محدود بالكشف المثالي وكيف ذا وهو نبي عظيم الشأن لا بد له من حصول الفناء التام والبقاء بالحق بعد الفناء كما هو شأن الأنبياء ﷺ بل المراد أن الكشف المثالي مقامه وهو ﷺ صاحب الكشف المثالي وقطبه ويستفيد سائر أهل الكشف المثالي من مقامه وإن كان هو أيضاً يستفيد من مقام قطب الأقطاب أزلاً وأبداً.

«وكل ما يرى في حال النوم فهو من ذلك القبيل وإن اختلفت الأحوال»
- ص ٢٢٦ -

قوله: وكل ما يرى. . . الخ، ويمكن أن يكون المراد من النوم النوم

الاصطلاحى لا الیقظة ومن الأحوال أحوال النائمین أى وكل ما یرى فی المنام من قبیل ما رأى رسول الله ﷺ فی ستة أشهر وإن اختلفت الرؤیا حسب حال أهل المنام فإن منامات رسول الله ﷺ من قبیل تمثلات الحقائق الغیبیة فی الحضرة الخیال غیر المشتغل عن حضرات الحقائق بخلاف منامات سائر الناس وإن حملنا النوم على ما ذكره الشارح بمناسبة ما قبله وما بعده یكون المراد من اختلاف الأحوال اختلاف أحوال المكاشفین الدخیل فی اختلاف كشفهم .

«فلما لم یکن لهم علم بما رآه یوسف كان الإدراك من یوسف فی خزانه خیاله وعلم ذلك یعقوب حین قصّها علیه فقال یا بني لا نقصص رؤیاك على إخوانك» - ص ۲۲۷ - .

قوله : وعلم ذلك یعقوب . . . الخ ، یحتمل فیهِ وجهان الأول ولعله الأظهر أن یعقوب ﷺ أيضاً لم یعلم بما رآه یوسف أى لم تكن رؤیاه بقصده إلا أنه علم بالمقصود حین قصّها علیه من جهة علم التعبير الثاني أن یكون المراد أن رؤیاه وإن لم تكن بإرادة إخوانه وخالته إلا أنها كانت بإرادة یعقوب ﷺ .

«... فكان قول یوسف ﷺ قد جعلها ربی حقاً بمنزلة من رأى فی نومه أنه قد استیقظ من رؤیا رآها ثم عبرها ولم یعلم أنه فی النوم عینه» - ص ۲۲۸ - .

قوله : إنه قد استیقظ . . . الخ ، فإن یقظته نوم عند المحمديین فقوله قد جعلها ربی حقاً تعبر عن المنام الخیالی فی المنام الحسی الخیالی فاستیقاظه انتقال من نوم إلى نوم .

«... وجعل یوسف ﷺ الصور الحسیة حقاً ثابتاً والصور الخیالیة غیر ذلك فصار الحس عنده مجالی للحق والمعانی الغیبیة دون الخیال...» - ص ۲۲۸ - .

قوله : دون الخیال : إن كانت العبارة كذلك یكون المراد أن الحس عنده لما كان حقاً یكون مجلی للحق والمعانی الغیبیة وأما الخیال فیکون

عبرة إلى الحس فلا يكشف إلا عن الحس وهذا كشف يوسفى وأما كشف
المحمدين فغير ذلك فإن الخيال عندهم مجلّى للحق والمعاني الغيبية كما أن
الحس كذلك أي أن الخيال عبرة إلى الغيب كما هو عبرة إلى الحس الذي هو
عبرة إلى الغيب .

«اعلم أن المقول عليه سوى الحق أو مسمى العالم هو بالنسبة إلى الحق
كالظل للشخص» - ص ٢٢٩ - .

قوله : كالظل ، واعلم أن العالم بأعيانه وحقائقه كالظل وبوجوده هو
الظل فإن الظل هو الوجود الانتسابي الذي يتوهم الجاهل أنه للعالم والعارف
يقول شيئاً آخر .

«... فهو بالنسبة إلى الحق تعالى كالظل للشخص وذلك لأن الظل لا
وجود له إلا بالشخص كذلك العالم» - ص ٢٢٩ - .

قوله : لا وجود له إلا بالشخص... الخ ، بل لا وجود للظل أصلاً
فوجوده وجود خيالي فإن الظل عدم تنور المحل عن نور المنير ولكن يتخيل
أنه شيء مع أنه ليس بشيء كالعالم يتخيل أنه موجود وليس بموجود عند
التحقيق العرفاني ألا كل شيء ما خلا الله باطل .

«فمحل ظهور هذا الظل الإلهي المسمى بالعالم إنما هو أعيان الممكنات
عليها امتد هذا الظل فيدرك من هذا الظل بحسب ما امتد عليه من وجود
هذه الذات» - ص ٢٣٠ - .

قوله : فيدرك من هذا الظل... الخ ، معنى العبارة حسب شرح
الشارح أنه يدرك من هذا الظل الذي هو العالم بحسب الفيض الممتد عليه
الذي هو أي هذا الفيض تجل إلهي أي بمقدار التجلي الإلهي يدرك العالم
ويمكن أن يكون المعنى أنه يدرك بواسطة الظل الذي هو الوجود بمقدار
امتداده على العالم وجود الذات الإلهية أي يدرك الذات الإلهية بمقدار بسط
الفيض على الممكنات وههنا احتمال آخر أقرب من الاحتمالين بالنظر إلى
قوله السابق وهو أنه يدرك الظل الذي هو الوجود بحسب ظهوره وامتداده
على العالم من قبل وجود الذات الإلهية .

«وبالاعتبار الثاني الأعيان هي الظاهرة الموجودة في مرايا الوجود والوجود معقول محض وهذا مشرب المحجوبين عن الحق ومشرب المحقق الجامع بين المراتب العالم بها في هذا المقام الجمع بين الحق والخلق بحيث شهود أحدهما لا يحجب عن شهود الآخر» - ص ٢٣٣ .

قوله: وبالاعتبار الثاني، ليس مقصوده من الاعتبار الثاني أن المحجوبين يشاهدون الموجودات والأعيان في مرآة الحق مع تنبهم بذلك بل المراد أن الأمر كذلك في نفس الأمر وإن غفل عنه المحجوب كما أن النور مرآة شهود الأشياء حساً وإن كان البصر لا يراه بل يرى الأجسام المستنيرة .

«فهذا نور ممتد عن ظل هو عين الزجاج فهو ظل نوري لصفائه» - ص ٢٣٥ .

فنور الحق ممتد على الأطلال وهو نور خالص وعن الأطلال وهو نور ظلّي لصفائه وكدورة الأطلال كما أن نور الشمس ممتد على الزجاج وهو نور صافٍ ثم يمتد عن الزجاج وهو نور متلون .

«... وكلام الشيخ هنا جامع الاعتبار الثلاثة يظهر بأدنى تأمل» .
- ص ٢٣٦ .

أي في هذا الفصل وإلا فكلامه ههنا يشير إلى اعتبارين دون جمعهما إلا مع التكلف .

«وإذا كانت غنية عن العالمين فهو عين غناها عن نسبة الأسماء إليها لأن الأسماء لها كما تدل عليها تدل على مسميات آخر تحقق ذلك أثرها»
- ص ٢٣٧ .

قوله: لأن الأسماء... الخ، لما كان الاسم عبارة عن الذات متعينة بتعين يصير منشأ لأثر كان الغناء عن الأثر غناء عن الاسم أيضاً كما أن الغناء عن الاسم غناء عن الصفة التي هي مبدئه أيضاً فهذا أحد معاني قول مولانا ومولى الثقلين صلوات الله عليه وآله «كمال الإخلاص نفى الصفات عنه

لشهادة كل موصوف أنه غير الصفة» وهو تعالى غني عن غيره اسماً أو صفة أو عيناً.

قول الشيخ في المتن: «قل هو الله أحد من حيث عينه الله الصمد من حيث استنادنا إليه لم يلد من حيث هويته ونحن ولم يولد كذلك» - ص ٢٣٧ - .

أي لم يولد من حيث هويته ونحن والحاصل أن الهوية المطلقة التي لا هو إلا هو ومرتبة الأحدية الغيبية ومرتبة الواحدية الجمعية كلها من حيث عينه وصمديته بكلا معنييه تكون من جهة استنادنا إليه وباقي الأوصاف تكون من حيث الجمع بينهما أي من ملاحظة هويته التي هي صرف الكمال لا يمكن أن انفصل منه شيء ويمثله شيء ومن حيث استنادنا الظلي إليه الذي لا ينافي الانفصال والتقابل .

الفصل الهودي

فص حكمة أحدية في كلمة هودية

إِنَّ اللَّهَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمَ ظَاهِرٌ غَيْرُ خَفِيٍّ فِي الْعُمُومِ
فِي كَبِيرٍ وَصَغِيرٍ عَيْنُهُ وَجَهُولٍ بِأُمُورٍ وَعَلِيمٍ
وَلِهَذَا وَسِعَتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ حَقِيرٍ وَعَظِيمٍ
﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِأَصْنَبِهَا إِنْ رَزَقَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٦].

فَكُلُّ مَا شِ فَعَلَى صِرَاطِ الرَّبِّ الْمُسْتَقِيمِ فَهُوَ (فهم - خ) غَيْرُ
الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ وَلَا ضَالُّونَ (ولا الضالين - خ).
فَكَمَا كَانَ الضَّلَالُ عَارِضاً كَذَلِكَ الْغَضَبُ الْإِلَهِيُّ عَارِضٌ، وَالْمَالُ إِلَى
الرَّحْمَةِ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ وَهِيَ السَّابِقَةُ.

وَكُلُّ مَا سَوَى الْحَقِّ فَهُوَ دَابَّةٌ فَإِنَّهُ ذُو رُوحٍ.
وَمَا تَمَّةٌ (وَمَا تَمَّ - خ) مَنْ يَذُبُّ بِنَفْسِهِ وَإِنَّمَا يَذُبُّ بِغَيْرِهِ. فَهُوَ يَذُبُّ
بِحُكْمِ التَّبَعِيَّةِ لِلَّذِي هُوَ عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ.
فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ صِرَاطاً إِلَّا بِالْمَشْيِ عَلَيْهِ.

إِذَا دَانَ لَكَ الْخَلْقُ فَقَدْ دَانَ لَكَ الْحَقُّ
وَأِنْ دَانَ لَكَ الْحَقُّ فَقَدْ لَا يَتَّبِعُ الْخَلْقُ
فَحَقِّقْ قَوْلَنَا فِيهِ فَقَوْلِي كُلُّهُ الْحَقُّ
فَمَا فِي الْكَوْنِ مَوْجُودٌ تَرَاهُ مَا لَهُ نُطْقٌ

وَمَا خَلَقَ تَرَاهُ الْعَيْنُ إِلَّا عَيْنُهُ حَقٌّ
وَلَكِنْ مُودَعٌ فِيهِ لِهَذَا صُورُهُ حَقٌّ

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْعُلُومَ الْإِلَهِيَّةَ الدَّقِيقَةَ الْحَاصِلَةَ لِأَهْلِ اللَّهِ مُخْتَلِفَةٌ بِاخْتِلَافِ
الْفَوَى الْحَاصِلَةِ مِنْهَا مَعَ كَوْنِهَا تَرْجِعُ إِلَى عَيْنٍ وَاحِدَةٍ.

فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: «كُنْتُ سَمِعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ
بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَنْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَسْعَى بِهَا».

فَذَكَرَ أَنَّ هَوِيَّتَهُ هِيَ عَيْنُ الْجَوَارِحِ الَّتِي هِيَ عَيْنُ الْعَبْدِ، فَالْهَوِيَّةُ وَاحِدَةٌ
وَالْجَوَارِحُ مُخْتَلِفَةٌ.

وَلِكُلِّ جَارِحَةٍ عِلْمٌ مِنْ عُلُومِ الْأَذْوَاقِ يَخْصُهَا.

مِنْ عَيْنٍ وَاحِدَةٍ تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْجَوَارِحِ.

كَالْمَاءِ حَقِيقَتُهُ وَاحِدَةٌ مُخْتَلِفٌ (تختلف - خ) فِي الطَّعْمِ بِاخْتِلَافِ
الْبِقَاعِ، فَمِنْهُ عَذْبٌ فُرَاتٌ وَمِنْهُ مِلْحٌ أَجَاجٌ، وَهُوَ مَاءٌ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ لَا
يَتَغَيَّرُ عَنْ حَقِيقَتِهِ وَإِنْ اخْتَلَفَتْ طُعُومُهُ.

وَهَذِهِ الْحِكْمَةُ مِنْ عِلْمِ الْأَرْجُلِ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي الْأَكْلِ لِمَنْ أَقَامَ
كُتْبُهُ ﴿وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [المائدة: ٦٦].

فَإِنَّ الطَّرِيقَ الَّذِي هُوَ الصِّرَاطُ هُوَ لِلْسُّلُوكِ عَلَيْهِ وَالْمَشْيِ فِيهِ، وَالسَّعْيُ
لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْأَرْجُلِ.

فَلَا يُنْتِجُ هَذَا الشَّهْوُ فِي أَخْذِ التَّوَاصِي بِإِدِّ مَنْ هُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
إِلَّا هَذَا الْفَنُّ الْخَاصُّ مِنْ عُلُومِ الْأَذْوَاقِ.

﴿وَسَوْفَ الْمَجْرِمِينَ﴾ [مريم: ٨٦] وَهُمْ الَّذِينَ اسْتَحَقُّوا الْمَقَامَ الَّذِي سَاقَهُمْ
إِلَيْهِ بِرِيحِ الدُّبُورِ الَّتِي أَهْلَكَهُمْ عَنْ نُفُوسِهِمْ بِهَا.

فَهُوَ يَأْخُذُ بِنَوَاصِيهِمْ وَالرِّيحُ تَسُوفُهُمْ وَهِيَ عَيْنُ الْأَهْوَاءِ الَّتِي كَانُوا
عَلَيْهَا إِلَى جَهَنَّمَ، وَهِيَ الْبُعْدُ الَّذِي كَانُوا يَتَوَهَّمُونَهُ. فَلَمَّا سَاقَهُمْ إِلَى ذَلِكَ
الْمَوْطِنِ حَصَلُوا فِي عَيْنِ الْقُرْبِ فَرَالَ الْبُعْدُ فَرَالَ مُسَمًّى جَهَنَّمَ فِي حَقِّهِمْ،
فَفَازُوا بِنَعِيمِ الْقُرْبِ مِنْ جِهَةِ الْاِسْتِحْقَاقِ لِأَنَّهُمْ مُجْرِمُونَ.

فَمَا أَعْطَاهُمْ هَذَا الْمَقَامَ الدُّوقِيَّ اللَّذِيذَ مِنْ جِهَةِ الْمِثَّةِ، وَإِنَّمَا أَخَذُوهُ
بِمَا اسْتَحَقَّتْهُ حَقَائِقُهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا.

وَكَانُوا فِي السَّعْيِ فِي أَعْمَالِهِمْ عَلَى صِرَاطِ الرَّبِّ الْمُسْتَقِيمِ لِأَنَّ
نَوَاصِيَهُمْ كَانَتْ بِيَدِ مَنْ لَهُ هَذِهِ الصِّفَةُ.

فَمَا مَشَوْا بِنُفُوسِهِمْ وَإِنَّمَا مَشَوْا بِحُكْمِ الْجَبْرِ إِلَى أَنْ وَصَلُوا إِلَى عَيْنِ
الْقُرْبِ.

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا بُدَّ أَنْ تُبْصِرُوا﴾ [الواقعة: ٨٥] وَإِنَّمَا هُوَ يُبْصِرُ
فَإِنَّهُ مَكْشُوفُ الْغِطَاءِ (فَبَصَرُهُ حَدِيدٌ).

وَمَا خَصَّ مِيتًا مِنْ مَيِّتٍ أَيْ مَا خَصَّ سَعِيدًا فِي الْقُرْبِ مِنْ شَقِيٍّ.

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦] وَمَا خَصَّ إِنْسَانًا مِنْ إِنْسَانٍ.

فَالْقُرْبُ الْإِلَهِيُّ مِنَ الْعَبْدِ لَا خَفَاءَ بِهِ فِي الْإِخْبَارِ الْإِلَهِيِّ. فَلَا قُرْبَ
أَقْرَبُ مِنْ أَنْ تَكُونَ هُوَيْتُهُ عَيْنَ أَعْضَاءِ الْعَبْدِ وَقُوَاهُ، وَلَيْسَ الْعَبْدُ سِوَى هَذِهِ
الْأَعْضَاءِ وَالْقُوَى فَهُوَ حَقٌّ مَشْهُودٌ فِي خَلْقِ مَتَوَهَّمٍ.

فَالْخَلْقُ مَعْقُولٌ وَالْحَقُّ مَحْسُوسٌ مَشْهُودٌ عِنْدَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَهْلِ الْكَشْفِ
وَالْوُجُودِ . وما عدا هذين الصنفين فالحقُّ عندهم مَعْقُولٌ وَالْخَلْقُ مَشْهُودٌ .
فَهُمْ بِمَنْزِلَةِ الْمَاءِ الْمِلْحِ الْأَجَاجِ ، وَالطَّائِفَةُ الْأُولَى بِمَنْزِلَةِ الْمَاءِ الْعَذْبِ
الْفُرَاتِ السَّائِعِ لِشَارِبِهِ .

فَالنَّاسُ عَلَى قِسْمَيْنِ : مِنَ النَّاسِ مَنْ يَمْشِي عَلَى طَرِيقٍ يَعْرِفُهَا وَيَعْرِفُ
غَايَتَهَا فَهِيَ فِي حَقِّهِ صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ . وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَمْشِي عَلَى طَرِيقٍ
يَجْهَلُهَا وَلَا يَعْرِفُ غَايَتَهَا وَهِيَ عَيْنُ الطَّرِيقِ الَّتِي عَرَفَهَا الصَّنْفُ الْآخِرُ (الأول
- خ) .

فَالْعَارِفُ يَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ ، وَغَيْرُ الْعَارِفِ يَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى
التَّقْلِيدِ وَالْجَهَالَةِ .

فَهَذَا عِلْمٌ خَاصٌّ يَأْتِي مِنَ أَسْفَلِ سَافِلِينَ ، لِأَنَّ الرَّجُلَ (الأرجل - خ)
هِيَ السُّفْلُ مِنَ الشَّخْصِ ، وَأَسْفَلُ مِنْهَا مَا تَحْتَهَا وَلَيْسَ إِلَّا الطَّرِيقُ .
فَمَنْ عَرَفَ أَنَّ الْحَقَّ عَيْنُ الطَّرِيقِ عَرَفَ الْأَمْرَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ ، فَإِنْ فِيهِ
جَلٌّ وَعِلَا يَسْلُكُ وَيُسَافِرُ (تُسَلِّكُ وَتُسَافِرُ - خ) إِذْ لَا مَعْلُومَ إِلَّا هُوَ ، وَهُوَ عَيْنُ
(وهو عين الوجود - خ) السَّالِكِ وَالْمُسَافِرِ ، فَلَا عَالِمَ إِلَّا هُوَ .
فَمَنْ أَنْتَ؟

فَاعْرِفْ حَقِيقَتَكَ وَطَرِيقَتَكَ فَقَدْ بَانَ لَكَ الْأَمْرُ عَلَى لِسَانِ التَّرْجُمَانِ إِنْ
فَهِمْتَ .

فَهُوَ لِسَانٌ (وهو - خ) حَقٌّ فَلَا يَقْهَمُهُ إِلَّا مَنْ فَهَمَهُ حَقٌّ (مَنْ فَهَمَهُ حَقٌّ
- معاً) .

فَإِنَّ لِلْحَقِّ نِسْبًا كَثِيرَةً وَوُجُوهًا مُخْتَلِفَةً .

أَلَا تَرَىٰ عَادًا قَوْمَ هُودٍ كَيْفَ ﴿قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّطَرٌّ﴾ [الأحقاف: ٢٤]
فَظَنُّوا خَيْرًا بِاللَّهِ وَهُوَ عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِهِ بِهِ، فَأَضْرَبَ لَهُمُ الْحَقُّ عَنْ هَذَا الْقَوْلِ
فَأَخْبَرَهُمْ بِمَا هُوَ أَتَمُّ وَأَعْلَىٰ فِي الْقُرْبِ.

فَإِنَّهُ إِذَا أَمْطَرَهُمْ فَذَلِكَ حَظُّ الْأَرْضِ وَسَقْيُ الْحَبَّةِ فَمَا يَصِلُونَ إِلَىٰ نَتِيجَةِ
ذَلِكَ الْمَطَرِ إِلَّا عَنْ بُغْدٍ (بُغْدٍ - مَعًا).

فَقَالَ لَهُمْ: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأحقاف: ٢٤].

فَجَعَلَ الرِّيحَ إشارَةً إِلَىٰ مَا فِيهَا مِنَ الرَّاحَةِ لَهُمْ فَإِنَّ بِهِذِهِ الرِّيحَ أَرَاخَهُمْ
مِنْ هَذِهِ الْهَيَاكِلِ الْمُظْلِمَةِ وَالْمَسَالِكِ الْوُغَرَةِ وَالسُّدْفِ الْمُدْلَهَمَةِ.

وَفِي هَذِهِ الرِّيحِ عَذَابٌ أَلِيمٌ أَمَرَ يَسْتَعِذُّونَهُ إِذَا ذَاقُوهُ إِلَّا أَنَّهُ يُوجِعُهُمْ
لِلْفُرْقَةِ الْمَأْلُوفِ.

فَبَاشَرَهُمُ الْعَذَابَ فَكَانَ الْأَمْرُ إِلَيْهِمْ أَقْرَبَ مَا (مِمَّا - خ) تَخَيَّلُوهُ.

فَدَمَّرَتْ ﴿كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَكِنَتُهُمْ﴾ [الأحقاف: ٢٥]
وَهِيَ جُثَثُهُمُ الَّتِي عَمَرَتْهَا أَرْوَاحُهُمُ الْحَقِيقَةُ.

فَزَالَتْ حَقِيقَةُ (حَقِيقَةُ - خ) هَذِهِ النَّسَبِ الْخَاصَّةِ وَبَقِيَتْ عَلَىٰ هَيَاكِلِهِمْ
الْحَيَاةُ الْخَاصَّةُ بِهِمْ مِنَ الْحَقِّ الَّتِي تَنْطِقُ بِهَا الْجُلُودُ وَالْأَيْدِي وَالْأَرْجُلُ
وَعَذَابَاتِ الْأَسْوَاطِ وَالْأَفْخَاذِ.

وَقَدْ وَرَدَ النَّصُّ الْإِلَهِيُّ بِهَذَا كُلِّهِ.

إِلَّا أَنَّهُ تَعَالَىٰ وَصَفَ نَفْسَهُ بِالْغَيْرَةِ، وَمِنْ غَيْرَتِهِ «حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ».

وَلَيْسَ الْفُحْشُ إِلَّا مَا ظَهَرَ وَأَمَّا فُحْشٌ مَا بَطَّنَ فَهُوَ لِمَنْ ظَهَرَ لَهُ.

فَلَمَّا حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ أَيْ مَنَعَ أَنْ تُعْرَفَ حَقِيقَةُ مَا ذَكَرْنَاهُ، وَهِيَ أَنَّهُ عَيْنُ
الْأَشْيَاءِ فَسَتَرَهَا بِالْغَيْزَةِ.
وَهُوَ أَتَتْ مِنَ الْغَيْرِ.

فَالْغَيْرُ يَقُولُ السَّمْعُ سَمِعَ زَيْدٌ، وَالْعَارِفُ يَقُولُ السَّمْعُ عَيْنُ الْحَقِّ،
وهكذا ما بَقِيَ مِنَ الْقَوَى وَالْأَعْضَاءِ.

فَمَا كُلُّ أَحَدٍ عَرَفَ الْحَقَّ؛ فَتَفَاضَلَ النَّاسُ وَتَمَيَّزَتِ الْمَرَاتِبُ.
فَبَانَ الْفَاضِلُ وَالْمَفْضُولُ.

وَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَمَّا أَطْلَعَنِي الْحَقُّ وَأَشْهَدَنِي أَعْيَانَ رُسُلِهِ وَأَنْبِيَائِهِ كُلَّهُمْ
الْبَشَرِيِّينَ مِنْ آدَمَ إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ فِي مَشْهَدٍ أُقِمْتُ فِيهِ
بِقَرُطَبَةِ سَنَةِ سِتٍّ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، مَا كَلَّمَنِي أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الطَّائِفَةِ إِلَّا
هُودَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَإِنَّهُ أَخْبَرَنِي بِسَبَبِ جَمْعِيَّتِهِمْ.

وَرَأَيْتُهُ رَجُلًا ضَخْمًا فِي الرُّجَالِ حَسَنَ الصُّورَةِ لَطِيفَ الْمُحَاوَرَةِ عَارِفًا
بِالْأُمُورِ كَاشِفًا لَهَا.

وَدَلِّلَنِي عَلَى كَشْفِهِ لَهَا قَوْلُهُ: ﴿مَا مِنْ دَآئِبَةٍ إِلَّا هُوَ مَاخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي
عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٦] وَأَيُّ بَشَارَةٍ لِلخَلْقِ أَغْظَمَ مِنْ هَذِهِ؟ ثُمَّ مِنْ
امْتِنَانِ اللَّهِ عَلَيْنَا أَنْ أَوْصَلَ إِلَيْنَا هَذِهِ الْمَقَالَةَ عَنْهُ فِي الْقُرْآنِ، ثُمَّ تَمَمَّهَا الْجَامِعُ
لِلْكَلِّ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا أَخْبَرَ بِهِ عَنِ الْحَقِّ بِأَنَّهُ عَيْنُ السَّمْعِ
وَالْبَصَرِ وَالْيَدِ وَالرُّجُلِ وَاللِّسَانِ: أَيْ هُوَ عَيْنُ الْحَوَاسِ. وَالْقَوَى الرُّوحَانِيَّةُ
أَقْرَبُ مِنَ الْحَوَاسِ. فَاتَكْتَفَى (فَاتَكْتَفَى بِذِكْرِ الْأُبْعَد - خ) بِالْأُبْعَدِ الْمَحْدُودِ عَنِ
الْأَقْرَبِ الْمَجْهُولِ الْحَدِّ.

فَتَرَجَّمَ الْحَقُّ لَنَا عَنْ نَبِيِّهِ هُودٍ مَقَالَتَهُ لِقَوْمِهِ بُشْرَى لَنَا، وَتَرَجَّمَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ اللَّهِ مَقَالَتَهُ بُشْرَى، فَكَمُلَ الْعِلْمُ فِي صُدُورِ
الَّذِينَ أَوْثَرُوا الْعِلْمَ ﴿وَمَا يَحْدُثُ بِأَيِّدِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٧].

فَإِنَّهُمْ يَسْتَرُونَهَا وَإِنْ عَرَفُوهَا حَسَدًا مِنْهُمْ وَنَفَاسَةً وَظُلْمًا.
وَمَا رَأَيْنَا قَطَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فِي حَقِّهِ تَعَالَى فِي آيَةٍ أَنْزَلَهَا أَوْ إخبارٍ عَنْهُ
أَوْصَلَهُ إِلَيْنَا فِيمَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ إِلَّا بِالتَّحْدِيدِ تَنْزِيهًا كَانَ أَوْ غَيْرَ تَنْزِيهِ.
أَوَّلُهُ الْعَمَاءُ الَّذِي مَا فَوْقَهُ هَوَاءٌ وَلَا تَحْتَهُ هَوَاءٌ وَكَانَ (فَكَانَ - خ) الْحَقُّ
فِيهِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ.

ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّهُ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ، وَهَذَا أَيْضًا تَحْدِيدٌ.
ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّهُ يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَهَذَا تَحْدِيدٌ.
ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّهُ فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَأَنَّهُ فِي الْأَرْضِ إِلَهٌ (ثم ذكر أنه في السماء
وأنه في الأرض - خ).

وَأَنَّهُ مَعَنَا أَيْنَمَا كُنَّا.
إِلَى أَنْ أَخْبَرَنَا أَنَّهُ عَيْنُنَا.
وَنَحْنُ مَخْدُودُونَ فَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ إِلَّا بِالْحَدِّ.

وقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] حَدٌّ أَيْضًا إِنْ أَخَذْنَا
الْكَافَ زَائِدَةً لِيَعْبِرَ الصِّفَةُ.

وَمَنْ تَمَيَّزَ عَنِ الْمَخْدُودِ فَهُوَ مَخْدُودٌ بِكَوْنِهِ لَيْسَ عَيْنَ هَذَا الْمَخْدُودِ.
فَالْإِطْلَاقُ عَنِ التَّقْيِيدِ (التَّقْيِيدُ - خ) تَقْيِيدٌ، وَالْمُطْلَقُ مَقْيَّدٌ بِالْإِطْلَاقِ لِمَنْ فِيهِمْ.
وَإِنْ جَعَلْنَا الْكَافَ لِلصِّفَةِ فَقَدْ حَدَّذْنَاهُ (حَدَّذْنَاهُ - مَعًا).

وَأِنْ أَخَذْنَا ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] عَلَى نَقِي الْمِثْلِ بِالْمَفْهُومِ
وَبِالإِخْبَارِ الصَّحِيحِ أَنَّهُ عَيْنُ الْأَشْيَاءِ وَالْأَشْيَاءُ مَخْدُودَةٌ وَإِنْ اخْتَلَفَتْ حُدُودُهَا .
فَهُوَ مَخْدُودٌ بِحَدِّ كُلِّ مَخْدُودٍ . فَمَا يُحَدُّ شَيْءٌ إِلَّا وَهُوَ حَدٌّ لِلْحَقِّ (حَدٌّ
الحق - خ) .

فَهُوَ السَّارِي فِي مُسَمَى الْمَخْلُوقَاتِ وَالْمُبْدَعَاتِ .
وَلَوْلَا الْأَمْرُ لِمَا صَحَّ الوجودُ (ولو لم يكن كذلك ما صحَّ الوجود - خ) .
فَهُوَ عَيْنُ الوجودِ .
فَهُوَ ﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَافِظٌ﴾ [هود: ٥٧] بِذَاتِهِ ؛ وَلَا يُؤَوِّدُهُ حِفْظُ شَيْءٍ .
فَحِفْظُهُ تَعَالَى لِلْأَشْيَاءِ كُلِّهَا حِفْظُهُ لِصُورَتِهِ .
أَنْ يَكُونَ الشَّيْءُ غَيْرَ صُورَتِهِ .
وَلَا يَصْحُحُ إِلَّا هَذَا .

فَهُوَ الشَّاهِدُ مِنَ الشَّاهِدِ وَالْمَشْهُودُ مِنَ الْمَشْهُودِ .
فَالْعَالَمُ صُورَتُهُ ، وَهُوَ رُوحُ الْعَالَمِ الْمُدَبِّرُ لَهُ فَهُوَ الْإِنْسَانُ الْكَبِيرُ .
فَهُوَ الْكَوْنُ كُلُّهُ وَهُوَ الْوَاحِدُ الَّذِي
قَامَ كَوْنِي بِكَوْنِهِ وَلِذَا قُلْتُ يَغْتَنِي
فَوْجُودِي غِذَاؤُهُ وَبِهِ نَحْنُ نَحْتَنِي
فَبِهِ مِنْهُ إِنْ نَظَرُ تَبَوَّجِهِ تَعَوَّذِي
ولهذا الْكَرْبِ تَنْفَسُ فَتَنْسَبُ النَّفْسُ إِلَى الرَّحْمَنِ ، لِأَنَّهُ رَحِمَ بِهِ مَا طَلَبَتْهُ
النَّسَبُ الْإِلَهِيَّةُ مِنْ إِيجَادِ صُورِ الْعَالَمِ الَّتِي قُلْنَا هِيَ ظَاهِرُ الْحَقِّ .
إِذْ هُوَ الظَّاهِرُ وَهُوَ بَاطِنُهَا إِذْ هُوَ الْبَاطِنُ .

وَهُوَ الْأَوَّلُ إِذْ كَانَ وَلَا هِيَ .

وَهُوَ الْآخِرُ إِذْ كَانَ عَيْنَهَا عِنْدَ ظُهُورِهَا .

فَالْآخِرُ عَيْنُ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنُ عَيْنُ الْأَوَّلِ .

﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩] لِأَنَّهُ يَتَفَقَّهُ عَلَيْهِ .

فَلَمَّا أَوْجَدَ الصُّورَ فِي النَّفْسِ وَظَهَرَ سُلْطَانُ النَّسَبِ الْمُعْبَرِ عَنْهَا
بِالْأَسْمَاءِ صَحَّ النَّسَبُ الْإِلَهِيُّ لِلْعَالَمِ .

فَانْتَسَبُوا إِلَيْهِ تَعَالَى .

فَقَالَ: «الْيَوْمَ أَضَعُ نَسَبَكُمْ وَأَرْفَعُ نَسَبِي» أَيِ أَخَذَ عَنْكُمْ انْتِسَابَكُمْ إِلَى
أَنْفُسِكُمْ وَأَرَادَكُمْ إِلَى انْتِسَابِكُمْ إِلَيَّ .

أَيْنَ الْمُتَّقُونَ؟ أَيْنَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا اللَّهَ وَقَايَةً فَكَانَ الْحَقُّ ظَاهِرُهُمْ أَيْنَ عَيْنِ
صُورِهِمْ الظَّاهِرَةَ .

وهو أعظمُ الناسِ وأحقُّه وأقواه عندَ الجميعِ .

وقد يَكُونُ الْمُتَّقِي مَنْ جَعَلَ نَفْسَهُ وَقَايَةً لِلْحَقِّ بِصُورَتِهِ إِذْ هُوَ الْحَقُّ
قُوَى الْعَبْدِ فَجَعَلَ مُسَمًّى الْعَبْدِ وَقَايَةً لِمُسَمًّى الْحَقِّ . (إِذْ هُوَ الْحَقُّ قُوَى الْعَبْدِ
فَمُسَمًّى الْعَبْدِ حِينَئِذٍ وَقَايَةً لِمُسَمًّى الْحَقِّ - خ) عَلَى الشَّهَادَةِ حَتَّى يَتَمَيَّزَ الْعَالَمُ
مِنْ غَيْرِ الْعَالَمِ . ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩] .

﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَؤُلَا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩] وَهُمْ النَّاطِرُونَ فِي لُبِّ الشَّيْءِ
الَّذِي هُوَ الْمَطْلُوبُ مِنَ الشَّيْءِ .

فَمَا سَبَقَ مُقَصِّرٌ مُجَدِّدًا كَذَلِكَ لَا يُمَاتِلُ أَجِيرٌ عَبْدًا .

وإذا كَانَ الْحَقُّ لِلْعَبْدِ بِوَجْهِ، وَالْعَبْدُ وَقَايَةً لِلْحَقِّ بِوَجْهِ.

فَقُلْ فِي الْكُونِ مَا شِئْتَ: إِنَّ شِئْتَ قُلْتَ هُوَ الْخَلْقُ.

وإن شِئْتَ قُلْتَ هُوَ الْحَقُّ.

وإن شِئْتَ قُلْتَ هُوَ الْحَقُّ الْخَلْقُ.

وإن شِئْتَ قُلْتَ لَا حَقَّ مِنْ كُلِّ وَجْهِ وَلَا خَلْقَ مِنْ كُلِّ وَجْهِ.

وإن شِئْتَ قُلْتَ بِالْخَيْرَةِ فِي ذَلِكَ.

فَقَدْ بَانَ الْمَطَالِبُ بِتَعْيِينِكَ الْمَرَاتِبَ. وَلَوْلَا التَّخْدِيدُ مَا أَخْبَرَتْ
الرُّسُلُ بِتَحَوُّلِ الْحَقِّ فِي الصُّورِ وَلَا وَصَفَتْهُ بِخَلْعِ الصُّورِ عَنْ نَفْسِهِ.

فَلَا تَنْظُرُ الْعَيْنُ إِلَّا إِلَيْهِ وَلَا يَقَعُ الْحُكْمُ إِلَّا عَلَيْهِ
فَتَحْنُ لَهُ وَبِهِ فِي يَدَيْهِ وَفِي كُلِّ حَالٍ فَإِنَّا لَدَيْهِ
ولهذا يُنَكِّرُ وَيُعَرِّفُ وَيُنَزِّهُ وَيُوصَفُ.

فَمَنْ (ومن - خ) رَأَى الْحَقَّ مِنْهُ فِيهِ بِعَيْنِهِ فَذَلِكَ الْعَارِفُ.

وَمَنْ رَأَى الْحَقَّ مِنْهُ فِيهِ بِعَيْنٍ نَفْسِهِ فَذَلِكَ غَيْرُ الْعَارِفِ.

وَمَنْ لَمْ يَرَ الْحَقَّ مِنْهُ وَانْتَظَرَ أَنْ يَرَاهُ بِعَيْنٍ نَفْسِهِ فَذَلِكَ الْجَاهِلُ.

وَبِالْجُمْلَةِ فَلَا بُدَّ لِكُلِّ شَخْصٍ مِنْ عَقِيدَةٍ فِي رَبِّهِ يَرْجِعُ بِهَا إِلَيْهِ وَيُطْلَبُ
فِيهَا.

فإذا تَجَلَّى لَهُ الْحَقُّ فِيهَا عَرَفَهُ وَأَقَرَّ بِهِ، وَإِنْ تَجَلَّى لَهُ فِي غَيْرِهَا انْكَرَهُ
(نكَّره - خ) وَتَعَوَّدَ مِنْهُ وَأَسَاءَ الْأَدَبَ عَلَيْهِ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ.

وَهُوَ عِنْدَ نَفْسِهِ أَنَّهُ قَدْ تَأَدَّبَ مَعَهُ .

فَلَا يَغْتَفِدُ مُعْتَقِدُ إِلَهًا إِلَّا بِمَا جَعَلَ فِي نَفْسِهِ ؛ فَلِإِلَهِ فِي الِاعْتِقَادَاتِ
بِالْجَعْلِ ، فَمَا رَأَوْا إِلَّا نُفُوسَهُمْ وَمَا جَعَلُوا فِيهَا .

فَانْظُرْ مَرَاتِبَ النَّاسِ فِي الْعِلْمِ بِاللَّهِ هُوَ عَيْنُ مَرَاتِبِهِمْ فِي الرُّؤْيَةِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ .

وَقَدْ أَغْلَمْتُكَ بِالسَّبَبِ الْمَوْجِبِ لِذَلِكَ .

فَإِنَّكَ أَنْ تَتَقَيَّدَ بَعْدَ مَخْصُوصٍ وَتَكْفُرَ بِمَا سِوَاهُ .

فَيَقُوتُكَ خَيْرٌ كَثِيرٌ .

بَلْ يَقُوتُكَ الْعِلْمُ بِالْأَمْرِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ .

فَكُنْ فِي نَفْسِكَ هَيُولَى لِصُورِ الْمُعْتَقَدَاتِ كُلِّهَا فَإِنَّ الْإِلَهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى
أَوْسَعُ وَأَعْظَمُ مِنْ أَنْ يَخْصِرَهُ (يَحْضُرَهُ - خ) عَقْدٌ دُونَ عَقْدٍ فَإِنَّهُ يَقُولُ :
﴿فَأَيْنَمَا تُولُوا فَكَمَ وَجْهَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥] وما ذَكَرَ أَيْنًا مِنْ أَيْنَ .

وَذَكَرَ أَنَّ تَمَّ وَجْهَ اللَّهِ ، وَوَجْهَ الشَّيْءِ حَقِيقَتُهُ . فَتَبَّ بِهَذَا قُلُوبَ الْعَارِفِينَ
لِئَلَّا تَشْغَلَهُمُ الْعَوَارِضُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا عَنْ اسْتِخْضَارِ مِثْلِ هَذَا .

فَإِنَّهُ لَا يَذَرِي الْعَبْدُ فِي أَيِّ نَفْسٍ يُقْبَضُ فَقَدْ يُقْبَضُ فِي وَفَتْ عَقْلَهُ فَلَا
يَسْتَوِي مَعَ مَنْ يُقْبَضُ (قُبْضٌ - خ) عَلَى حُضُورٍ .

ثُمَّ إِنَّ الْعَبْدَ الْكَامِلَ مَعَ عِلْمِهِ بِهَذَا يَلْزَمُ فِي الصُّورَةِ الظَّاهِرَةِ وَالْحَالِ
الْمُقَيَّدَةِ التَّوَجُّةَ بِالصَّلَاةِ إِلَى شَطْرِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَيَعْتَقِدُ أَنَّ اللَّهَ فِي قِبْلَتِهِ
حَالُ صَلَاتِهِ ، وَهِيَ (هُوَ - خ) بَعْضُ مَرَاتِبِ وَجْهِ الْحَقِّ فِي (مِنْ - خ)

﴿فَأَيُّهَا تَوَلَّوْا فَمَنْ وَجَّهَهُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١١٥] فَشَطْرُ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ مِنْهَا، فَفِيهِ

وَجْهَهُ اللَّهُ.

وَلَكِنْ لَا تَقُلْ هُوَ هَهُنَا (هنا - خ) فَقَطْ، بَلْ قِفْ عِنْدَ مَا أَدْرَكْتَ وَالزَّمِ
الْأَدَبَ فِي الْاسْتِيقْبَالِ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالزَّمِ الْأَدَبَ فِي عَدَمِ حَضَرِ الْوَجْهِ
فِي تِلْكَ الْأَيْتَةِ الْخَاصَّةِ، بَلْ هِيَ مِنْ جُمْلَةِ أَيْتَاتِ مَا تَوَلَّى مُتَوَلِّ إِلَيْهَا.

فَقَدْ بَانَ لَكَ عَنِ اللَّهِ أَنَّهُ فِي أَيْتَةٍ كُلِّ وَجْهَةٍ.

وَمَا تَمَّ إِلَّا الْاِعْتِقَادَاتُ فَالْكُلُّ مُصِيبٌ.

وَكُلُّ مُصِيبٍ مَاجُورٌ.

وَكُلُّ مَاجُورٍ سَعِيدٌ وَكُلُّ سَعِيدٍ مَرْضِيٌّ عِنْدَ رَبِّهِ (مَرْضِيٌّ عَنْهُ - خ).

وَأِنْ شَقِيَّ زَمَانًا (زَمَانًا مَا - خ) فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ.

فَقَدْ مَرَضَ وَتَأَلَّمَ أَهْلُ الْعِنَايَةِ - مَعَ عَلِمَانَا بِأَنَّهُمْ سَعْدَاءُ وَأَهْلُ الْحَقِّ -

(حَقٍّ - سَعْدَاءُ أَهْلُ الْحَقِّ - خ) فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

فَمَنْ عِبَادِ اللَّهِ مَنْ تُدْرِكُهُمْ تِلْكَ الْأَلَامُ فِي الْحَيَاةِ الْآخِرَى فِي دَارٍ تُسَمَّى

جَهَنَّمَ.

وَمَعَ هَذَا لَا يَقْطَعُ (فَلَا يَقْطَعُ - خ) أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ الَّذِينَ كَشَفُوا

الْأَمْرَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ أَنَّهُ لَا يَكُونُ لَهُمْ فِي تِلْكَ الدَّارِ نَعِيمٌ خَاصٌّ بِهِمْ.

إِمَّا بِفَقْدِ أَلَمٍ كَانُوا يَجِدُونَهُ فَارْتَفَعَ عَنْهُمْ فَيَكُونُ نَعِيمُهُمْ رَاحَتَهُمْ عَنْ

(مِنْ - خ) وَجَدَانِ ذَلِكَ الْأَلَمِ، أَوْ يَكُونُ نَعِيمٌ مُسْتَقِيلٌ زَائِدٌ كَنَعِيمِ أَهْلِ الْجَنَانِ

فِي الْجِنَانِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.



«فصُّ حكمة أحدىة في كلمة هودية»

«وأيضاً الأرواح كلها بحسب الفطرة الأصلية قابلة للتوحيد الأصلي طالبة للهدى كما قال ألت بريكم قالوا بلى وليس هذا القول مختصاً بالبعض دون البعض بدليل كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه فما عرض الضلال عليها إلا بالاستعداد التعيني العلمي المختفي بنور الاستعداد الذاتي الحقاني الظاهر في عالم الأنوار لقوة نوريته فلما غشيته الغواشي الطبيعية وحجته الحجب الظلمانية...» - ص ٢٤٢ - .

قوله: فما عرض الضلال عليها، أي أن عروض الضلال بواسطة الاستعداد الذي لتعينه في الحضرة العلمية إلا أن هذا الاستعداد مختفٍ بنور الاستعداد الوجودي الحقاني لقوة نورانية هذا الاستعداد الحقاني لكونه من السر الوجودي فإذا ظهر في النشأة العينية وغشيته الغواشي الطبيعية احتجب الاستعداد النوراني الحقاني تحت ظلمة الاستعداد التعيني فصار الحكم للغالب إلى أن يرد إلى عالم الأنوار فيغلب الحق على الباطل فإذا جاء الحق زهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً.

«... وإن دان لك الحق الظاهر في صورتك فقد يتبع الخلق بحكم المناسبة التي بينك وبينهم في الأرواح والأسماء التي يربها وقد لا يتبع الخلق بحكم المنافرة الواقعة بين ربك وأربابهم والتنافر الحاصل بين روحك وأرواحهم» - ص ٢٤٣ - .

قوله: وإن دان لك الحق الظاهر، أي كما أن انقياد الحق الظاهر في غيب روحك بكشف أسرارهِ عليك موجب لانقياد طائفة وامتناع طائفة أخرى كذلك إذا دان لك الحق الظاهر في صورتك بأن تكون صورتك الظاهرة التي هي ظهور الحق منقاداً لباطن روحك ومقهورة تحت حيطته ومطبعة له فقد يتبع الخلق وقد لا يتبع الخلق هكذا أفاد شيخنا العارف دام ظله العالي .

«واعلم أن العلوم الإلهية الذوقية الحاصلة لأهل الله مختلفة باختلاف القوى الحاصلة منها مع كونها ترجع إلى عين واحدة» - ص ٢٤٣ - .

قوله: واعلم أن العلوم الإلهية... الخ، لما كان المقصود في هذا

الفص بيان حكمته الأحدية الفعلية أي مقام أحدية الظهور وهو من علم الأدواق ولا يتحقق إلا به شرع في العلوم الإلهية الذوقية وهذه هي المسماة بالعلم الأرجل مأخوذاً من قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْكُلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [المائدة: ٦٦] واستنتج منه النتيجة المقصودة أي الأحدية الفعلية.

والعلوم الإلهية ما تكون موضوعه الحق وصفاته كعلم الأسماء والصفات وعلم أحكامها ولوازمها وكيفية ظهوراتها في مظاهرها وعلم الأعيان الثابتة والأعيان الخارجية من حيث أنها مظاهر الحق» - ص ٢٤٤ - .

قوله: موضوعه الحق وصفاته... الخ، لا يخفى ما فيه فإن العلم الإلهي الذوقي موضوعه الحق من حيث ارتباطه بالخلق وارتباط الخلق به أي من حيث الارتباطين ومبادئ أمهات الأسماء أي الأسماء الذاتية وباقي المباحث مسائله كعلم الأسماء الصفاتي والأسماء الأفعالي وأحكامها وارتباطها الناتجة للحضرات الخمسة على التفصيل المذكور في محله خصوصاً في مفتاح الغيب للحق القونوي.

«ونسوق المجرمين وهم الذين استحقوا المقام الذي ساقهم إليه بريح الدبور» - ص ٢٤٥ - .

التي هي من مغرب الطبيعة كما أن ريح الصبا من مشرق الحقيقة كما حكى عن رسول الله ﷺ أنه قال نصرت بالصبا وأهلك عاد بالدبور.

«هذا بالنسبة إلى أهل الملك وأما بالنسبة إلى أهل الملوكوت ومن يدخل فيها من الكمل فليس مشروطاً بذلك» - ص ٢٥١ - .

قوله: فليس مشروطاً بذلك، أي بالمزاج المعتدل فإنه ليس لهم مزاج بل وجوداتهم وجودات نورية مجردة عاقلة ظاهرة فيها الحياة والعلم بل وجودهم علم كله وقدرة كله وليس المراد من الكمل في قوله ومن يدخل

فيها من الكمل أشخاص الأناسي من الكمل بل الموجودات الكاملة الملكوتية كما لا يخفى.

«وعذبات الأسواط والأقحاط» - ص ٢٥١ - .

الظاهر كون الأقحاط بالقاف والحاء والطاء المهملتين بمعنى الضرب الشديد وأما ما ذكر فلم نجد في اللغة مادته وكيف كان فمراده أن الهياكل الخاصة تدرك عذبات الأسواط .

«إلا أنه تعالى وصف نفسه بالغيرة ومن غيرته حرّم الفواحش» - ص ٢٥١ - .

قوله: إلا أنه تعالى وصف... الخ، استثناء من كلماته السابقة المصرحة بأنه تعالى عين الطريق والمسافر فإن هذا من الفواحش التي حرمها الله تعالى من غيرته لأنطق الجلود والأيدي والأرجل كذا أفاد الأستاذ دام ظله ويدل على ذلك قوله فلما حرم الفواحش إلى آخر كلامه كما لا يخفى .

«... وقوله هي راجع إلى الحقيقة والمراد بها الحق أطلق عليها لأنه حقيقة الحقائق كلها» - ص ٢٥٢ - .

قوله: والمراد بها الحق... الخ، لا وجه لذلك بل ضمير المذكر في قوله: إنه، راجع إلى الحق تعالى والحق وإن كان حقيقة الحقائق لكن غير مناسب لأن يراد من حقيقة ما ذكره الحق تعالى شأنه .

«فحفظه للأشياء كلها حفظه لصورته» - ص ٢٥٥ - .

قوله: فحفظه للأشياء... الخ، وإنما ورد أن الله خلق آدم على صورته دون سائر الأشياء فإنه مظهر الاسم الجامع الإلهي فهو صورة الحق على ما هي عليه من الأسماء الحسنى والأمثال العليا وأما غيره فليس مظهراً تاماً إلا في نظر الاستهلاك فهو ينافي الكثرة ومقام الفرق وهذا لسان الفرق بوجه لا الجمع المطلق .

«ولهذا الكرب تنفس فنبسب النسب إلى الرحمن» - ص ٢٥٦ - .

قوله: ولهذا الكرب... الخ، الكرب والكربة الغم الذي يأخذ بالنفس فيوجب التنفس شبه اجتماع الحقائق الإلهية والأسماء الربوبية والأعيان الثابتة وتراكمها في الحضرة العلمية الكمالية للظهور المستتبع له بالفيض المقدس الاطلاقي باجتماع الهواء المحبوس في الرئة الموجب للتنفس المستتبع له.

«إني أجد نفس الرحمن من قبل اليمن والنفس عبارة عن الوجود العام المنبسط على الأعيان عيناً وعن الهيولى الحاملة لصور الموجودات والأول مرتب على الثاني» - ص ٢٥٦ - .

قوله: والأول مرتب على الثاني، فإن الهيولى الكلي مقام القابلية الحاصلة بالفيض الأقدس والوجود المنبسط مترتب عليها كما قال الشيخ فيما سبق والقابل من فيضه الأقدس.

«قوله: إذ هو الظاهر وهو باطنها» - ص ٢٥٦ - .

استدلال بقوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣] على ما هو بصدد تحقيقه من أن العالم ظاهر الحق فإن الظهور إذا اختص بالحق وكذا البطون لم يكن لأحد ظهور ولا بطون فتكون صور الخلائق ظهور الحق لا ظهورها وباطنها بطونه لا بطونها فالعالم غيب ما ظهر والحق ظاهر ما غاب والغيب بمعنى عدم الوجود مطلقاً لا وجود غيبي باطني.

«فالآخر عين الظاهر والباطن عين الأول» - ص ٢٥٦ - .

قوله: فالآخر عين الظاهر، وينظر آخر الظاهر عين الباطن والأول عين الآخر فهو ظاهر من حيث هو باطن، وبالعكس وأول من حيث هو آخر وبالعكس.

«... كذلك النفس الرحماني إذا وجد في الخارج وحصل له التعين يسمى بالجوهر» - ص ٢٥٦ - .

قوله: وحصل له التعين. بل نفس النفس الرحماني هو جوهر الجواهر فإن الاستقلال كل الاستقلال له وتعيناته هي العوارض المكتنفة به.

«في الحديث الصحيح أن الحق يتجلى يوم القيامة للمخلوق في صورة منكرة فيقول أنا ربكم الأعلى فيقولون نعوذ بالله منك فيتجلى في صورة عقائدهم فيسجدون له» - ص ٢٥٨ - .

قوله : في صورة منكرة . أي غير معروفة لديهم فينكرونه فإنه خلاف ما توهموه فيتجلى على صور عقائدهم فيقبلونه ولا ينكرونه حتى أن النحلة توهم أن لها زبائين وهذا الحديث يكون من طرق العامة لا الخاصة على الظاهر .

«الزم الأدب في الاستقبال شطر المسجد الحرام والزم الأدب في عدم حصر الوجه في تلك الأبنية الخاصة» - ص ٢٦١ - .

قوله : والزم الأدب . . . الخ ، أي الزم الأدب بحسب ظاهر الشريعة في الاستقبال شطر المسجد الحرام والزم الأدب بحسب باطنها وبحسب العمل القلبي في عدم حصر الوجه في تلك الأبنية وقد ورد في أخبار أهل البيت عليهم السلام التمسك بالآية الشريفة لإتيان النافلة في السفينة كرواية زرارة المروية عن تفسير العياشي وغيرها .

« . . . وكل سعيد مرضي عند ربه وإن شقي زماناً في الدار الآخرة فقد مرض وتالم أهل العناية مع علمنا بأنهم سعداء أهل حق في الحياة الدنيا» - ص ٢٦١ - .

قوله : وإن شقي . . . الخ ، بدخول النار وكونه معذباً والمرجع هو الرحمة على مذاقه كما نقل عن النبي ﷺ ويشفع أرحم الراحمين عند المنتقم فالشقاء في زمان لا ينافي السعادة كما الأمر كذلك في ابتلاء أهل السعادة في الحياة الدنيا بالأمراض والبليات بل التعذيب ليس شقاء في الحقيقة فإن دار الجحيم دار الشقاء الإلهي بالنسبة إلى العصاة من الموحيدين قطعاً لخلوصهم فيها عن الأمراض النفسانية والكدورات الظلمانية وبالنسبة إلى الجميع على طريقته من كون المرجع هو الرحمة وسبق الرحمة الغضب .

الفصل الصالحى

فص حكمة فتوحية (فاتحية - خ) فى كلمة صالحة

من الآيات آيات الرُّكائب وذلك لاختلاف في المذاهب
فمنهم قائمون بها بحق ومنهم قاطعون بها السباسب
فأما القائمون فأهل عين وأما القاطعون هم الجنائب
وكل منهم يأتيه منه فتوح غيوبه من كل جانب

اغْلَمْ وَفَقَكَ اللَّهُ أَنَّ الْأَمْرَ مَبْنِي فِي نَفْسِهِ عَلَى الْفَرْدِيَّةِ.

وَلَهَا التَّثْلِيثُ فَهِيَ مِنَ الثَّلَاثَةِ فَصَاعِدًا. فَالثَّلَاثَةُ أَوَّلُ الْأَفْرَادِ. وَعَنْ هَذِهِ
الْحَضْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ وَجَدَ الْعَالَمَ.

فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾
[النحل: ٤٠] فَهَذِهِ (فهذه الثلاث - خ) ذات ذات إرادة وَقَوْلٍ. فَلَوْلَا هَذِهِ
الذَّاتُ وَإِرَادَتُهَا وَهِيَ نِسْبَةُ التَّوَجُّهِ بِالتَّخْصِصِ لِتَكُونِ أَمْرٌ مَا؛ ثُمَّ لَوْلَا قَوْلُهُ
عِنْدَ هَذَا التَّوَجُّهِ كُنْ لِذَلِكَ الشَّيْءِ مَا كَانَ ذَلِكَ الشَّيْءُ.

ثُمَّ ظَهَرَتِ الْفَرْدِيَّةُ الثَّلَاثِيَّةُ أَيْضًا فِي ذَلِكَ الشَّيْءِ.

وَبِهَا مِنْ جِهَتِهِ صَحَّ تَكْوِينُهُ وَاتِّصَافُهُ بِالْوُجُودِ، وَهِيَ شَيْئِيَّةٌ وَسَمَاعُهُ
وَأَمْتِثَالُهُ أَمْرٌ مُكَوَّنُهُ بِالْإِيجَادِ.

فَقَابَلَ ثَلَاثَةً بِثَلَاثَةٍ: ذَاتُهُ الثَّابِتَةُ فِي حَالِ عَدَمِهَا فِي مُوَازَنَةِ ذَاتِ

مُوجدها، وسماعه في موازنة إرادة مُوجده، وقبوله بالامثال لما أمره به من التكوين (لما أمر به من التكوين في - خ). موازنة قوله كُن فكان هو. فَنَسَبَ التَّكْوِينَ إِلَيْهِ فَلَوْلَا أَنَّهُ فِي قُوَّتِهِ (من قوته - خ) التكوين من نفسه عند هذا القول ما تَكُونُ.

فما أوجَدَ هذا الشيءَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَ الْأَمْرِ بِالتَّكْوِينِ إِلَّا نَفْسُهُ. فَأَثَبَتِ الْحَقُّ تَعَالَى أَنَّ التَّكْوِينَ لِلشَّيْءِ نَفْسِهِ لَا لِلْحَقِّ، وَالَّذِي لِلْحَقِّ فِيهِ أَمْرُهُ خَاصَّةٌ.

وكذا (وكذلك - خ) أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَمْ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] فَنُسِبَ التَّكْوِينَ لِنَفْسِ الشَّيْءِ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ.

وهُوَ الصَّادِقُ فِي قَوْلِهِ. وَهَذَا هُوَ الْمَعْقُولُ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ كَمَا يَقُولُ الْأَمْرُ الَّذِي يُخَافُ فَلَا يُعْصَى لِعَبْدِهِ فَمَنْ يَقُومُ الْعَبْدُ امْتِثَالًا لِأَمْرِ سَيِّدِهِ. فَلَيْسَ لِلْسَيِّدِ فِي قِيَامِ هَذَا الْعَبْدِ سِوَى أَمْرِهِ لَهُ بِالْقِيَامِ، وَالْقِيَامُ مِنْ فِعْلِ الْعَبْدِ لَا مِنْ فِعْلِ السَّيِّدِ (لَا مِنْ جَعَلِ السَّيِّدِ - خ).

فَقَامَ أَضْلُ التَّكْوِينِ عَلَى التَّثْلِيثِ أَيْ مِنَ الثَّلَاثَةِ مِنَ الْجَانِبَيْنِ، مِنْ جَانِبِ الْحَقِّ وَمِنْ جَانِبِ الْخَلْقِ.

ثُمَّ سَرَى ذَلِكَ فِي إِبْجَادِ الْمَعَانِي بِالْأَدِلَّةِ: فَلَا بُدَّ فِي الدَّلِيلِ أَنْ يَكُونَ مُرَكَّبًا مِنْ ثَلَاثَةٍ عَلَى نِظَامٍ مَخْصُوصٍ وَشَرْطٍ مَخْصُوصٍ، وَحِينَئِذٍ يُنْتِجُ، لَا بَدَ مِنْ ذَلِكَ.

وهو أن يَرْكَبَ النَّاطِرُ دَلِيلَهُ مِنْ مُقَدِّمَتَيْنِ كُلُّ مُقَدِّمَةٍ تَحْوِي عَلَى مُفْرَدَيْنِ

فَتَكُونُ أَرْبَعَةٌ وَاحِدٌ مِنْ هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ يَتَكَرَّرُ فِي الْمُقَدَّمَتَيْنِ لِيَرْبِطَ إِحْدَاهُمَا
بِالْأُخْرَى كَالنِّكَاحِ.

فَتَكُونُ ثَلَاثَةٌ لَا غَيْرَ لِتَكَرُّارِ الْوَاحِدِ فِيهِمَا فَيَكُونُ الْمَطْلُوبُ.

إِذَا وَقَعَ هَذَا التَّرْتِيبُ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ الْمَخْصُوصِ وَهُوَ رَبْطُ إِحْدَى
الْمُقَدَّمَتَيْنِ بِالْأُخْرَى بِتَكَرُّارِ ذَلِكَ الْوَاحِدِ الْمُفْرَدِ الَّذِي صَحَّ بِهِ (بِهَ يَصْح - خ)
التَّثْلِيثُ وَالشَّرْطُ الْمَخْصُوصُ أَنْ يَكُونَ الْحُكْمُ أَعَمٌّ مِنَ الْعِلَّةِ أَوْ مُسَاوِيًا لَهَا،
وَحِينَئِذٍ يَصْدُقُ؛ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَإِنَّهُ يُنْتِجُ نَتِيجَةً غَيْرَ صَادِقَةٍ.

وَهَذَا مَوْجُودٌ فِي الْعَالَمِ مِثْلُ إِضَافَةِ الْأَفْعَالِ إِلَى الْعَبْدِ مَعْرَاةً عَنِ نِسْبَتِهَا
إِلَى اللَّهِ، أَوْ إِضَافَةِ التَّكْوِينِ الَّذِي نَحْنُ بِصَدَدِهِ إِلَى اللَّهِ مُطْلَقًا.

وَالْحَقُّ مَا أَضَافَهُ إِلَّا إِلَى الشَّيْءِ الَّذِي قِيلَ لَهُ كُنْ.

وَمِثَالُهُ إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَدُلَّ أَنَّ وُجُودَ الْعَالَمِ عَنْ سَبَبٍ فَقُولُ: كُلُّ حَادِثٍ
فَلَهُ سَبَبٌ فَمَعْنَاهُ الْحَادِثُ وَالسَّبَبُ. ثُمَّ نَقُولُ فِي الْمُقَدِّمَةِ الْأُخْرَى: وَالْعَالَمُ
حَادِثٌ، فَتَكَرَّرَ الْحَادِثُ فِي الْمُقَدَّمَتَيْنِ. وَالثَّالِثُ قَوْلُنَا: الْعَالَمُ، فَاَنْتِجَ أَنَّ
الْعَالَمَ لَهُ سَبَبٌ.

وَوَظَهَرَ (فَظْهَرَ - خ) فِي النَّتِيجَةِ مَا ذَكَرَ فِي الْمُقَدِّمَةِ الْوَاحِدَةِ وَهُوَ
السَّبَبُ. فَالْوَجْهُ الْخَاصُّ هُوَ تَكَرُّرُ الْحَادِثِ، وَالشَّرْطُ الْخَاصُّ هُوَ عُمُومُ
الْعِلَّةِ لِأَنَّ الْعِلَّةَ فِي وُجُودِ الْحَادِثِ السَّبَبُ، وَهُوَ عَامٌّ فِي حُدُوثِ الْعَالَمِ عَنِ
اللَّهِ أَغْنَى الْحُكْمَ فَتَحْكُمُ عَلَى كُلِّ حَادِثٍ أَنَّ لَهُ سَبَبًا سِوَاءَ كَانَ ذَلِكَ السَّبَبُ
مُسَاوِيًا لِلْحُكْمِ أَوْ يَكُونُ الْحُكْمُ أَعَمٌّ مِنْهُ فَيَدْخُلُ تَحْتَ حُكْمِهِ، فَتَصْدُقُ
النَّتِيجَةُ.

فَهَذَا أَيْضاً قَدْ ظَهَرَ حُكْمُ التَّثْلِيثِ فِي إِيجَادِ الْمَعَانِي الَّتِي تُقْتَنَصُ بِالْأَدْلَةِ .

فَأَصْلُ الْكَوْنِ التَّثْلِيثُ ، وَلِهَذَا كَانَتْ حِكْمَةُ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّتِي أَظْهَرَ اللَّهُ فِي تَأْخِيرِ اخْتِذِ قَوْمِهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَغَدَاً غَيْرَ مَكْذُوبٍ (وَعَدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ - مَعَاً) .

فَانْتَجَ صِدْقاً وَهِيَ الصَّيْحَةُ الَّتِي أَهْلَكَهُمْ بِهَا فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَائِعِينَ .

فَأَوَّلَ يَوْمٍ مِنَ الثَّلَاثَةِ اضْفَرَّتْ وُجُوهُ الْقَوْمِ ؛ وَفِي الثَّانِي احْمَرَّتْ وَفِي الثَّلَاثِ اسْوَدَّتْ ، فَلَمَّا كَمَلَتِ الثَّلَاثَةُ صَحَّ الْإِسْتِعْدَادُ فَظَهَرَ كَوْنُ الْفَسَادِ فِيهِمْ فَسُمِّيَ ذَلِكَ الظُّهُورُ هَلَاكاً .

فَكَانَ اضْفِرَاؤُ وُجُوهِ الْأَشْقِيَاءِ فِي مُوَازَنَةِ إِسْفَارِ وُجُوهِ السَّعْدَاءِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَجُوهٌ يُؤَيِّدُ شُفْرَةٌ﴾ [عبس: ٣٨] مِنَ الشُّفْرِ وَهُوَ الظُّهُورُ ، كَمَا كَانَ الْإِصْفِرَاؤُ فِي أَوَّلِ يَوْمٍ ظُهُورَ عَلَامَةِ الشَّقَاءِ فِي قَوْمٍ صَالِحٍ ثُمَّ جَاءَ فِي مُوَازَنَةِ الْإِحْمَرَارِ الْقَائِمِ بِهِمْ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي السَّعْدَاءِ : ﴿صَاحِكَةٌ﴾ [عبس: ٣٨] فَإِنَّ الضَّحْكَ مِنَ الْأَسْبَابِ الْمُؤَلَّدَةِ لِاحْمِرَارِ الْوُجُوهِ ، فَهِيَ فِي السَّعْدَاءِ احْمِرَارُ الْوَجَنَاتِ . ثُمَّ جُعِلَ فِي مُوَازَنَةِ تَغْيِيرِ الْأَشْقِيَاءِ (فِي مُوَازَنَةِ تَغْيِيرِ بَشَرَةِ الْأَشْقِيَاءِ - خ) بِالسَّوَادِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿مُسْتَبْشِرَةٌ﴾ [عبس: ٣٨] وَهُوَ مَا أَثَرُهُ السُّرُورِ فِي بَشَرَتِهِمْ كَمَا أَثَرُ السَّوَادِ فِي بَشَرَةِ الْأَشْقِيَاءِ وَلِهَذَا قَالَ فِي الْفَرِيقَيْنِ بِالْبُشْرَى ، أَيْ يَقُولُ لَهُمْ قَوْلًا يَوْثُرُ فِي بَشَرَتِهِمْ فَيَعْدِلُ بِهَا إِلَى لَوْنٍ لَمْ تَكُنِ الْبَشَرَةُ تَتَّصِفُ بِهِ قَبْلَ هَذَا فَقَالَ تَعَالَى فِي حَقِّ السَّعْدَاءِ ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ﴾ [التوبة: ٢١] وَقَالَ فِي حَقِّ الْأَشْقِيَاءِ ﴿يُنَبِّئُهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤] فَأَثَرُ فِي بَشَرَةِ كُلِّ طَائِفَةٍ مَا حَصَلَ فِي نَفْسِهِمْ مِنْ أَثَرِ هَذَا

الْكَلَامَ، فَمَا ظَهَرَ عَلَيْهِمْ فِي ظَوَاهِرِهِمْ إِلَّا حُكْمٌ مَا اسْتَقَرَّ فِي بَوَاطِنِهِمْ مِنَ الْمَفْهُومِ.

فَمَا أَثَرَ فِيهِمْ سِوَاهُمْ كَمَا لَمْ يَكُنِ التَّكْوِينُ إِلَّا مِنْهُمْ. فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ.

فَمَنْ فِيهِمْ هَذِهِ الْحِكْمَةُ وَقَرَّرَهَا فِي نَفْسِهِ وَجَعَلَهَا مَشْهُودَةً لَهُ أَرَأَيْتَ أَنْفُسَهُ مِنَ التَّعَلُّقِ بِغَيْرِهِ وَعَلِمَ أَنَّهُ لَا يُؤْتَى عَلَيْهِ بِخَيْرٍ وَلَا بِشَرٍّ إِلَّا مِنْهُ. وَأَعْنِي بِالْخَيْرِ مَا يُوَافِقُ غَرَضَهُ وَيُلَانِمُ طَبْعَهُ وَمِزَاجَهُ، وَأَعْنِي بِالشَّرِّ مَا لَا يُوَافِقُ غَرَضَهُ وَلَا يُلَانِمُ طَبْعَهُ وَلَا مِزَاجَهُ. وَيُقِيمُ صَاحِبُ هَذَا الشَّهَادَةِ مَعَاضِيرَ الْمَوْجُودَاتِ كُلِّهَا عَنْهُمْ وَإِنْ لَمْ تَعْتَذِرُوا (بِعْتَذَرُوا - خ)، وَيَعْلَمُ أَنَّهُ مِنْهُ كَانَ كُلُّ مَا هُوَ فِيهِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ أَوَّلًا فِي أَنَّ الْعِلْمَ تَابِعٌ لِلْمَعْلُومِ، فَيَقُولُ لِنَفْسِهِ إِذَا جَاءَهُ مَا لَا يُوَافِقُ غَرَضَهُ: يَدَاكَ أَوْكَاثُوكَ نَفَخَ ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤].



«فَصُّ حِكْمَةٍ فَاتِحِيَةٍ فِي كَلِمَةِ صَالِحِيَةٍ»

«قوله وإنما سمي الأوسط بالعلة لأنه كالعلة الصورية للقياس بل علة حصول النتيجة» - ص ٢٦٦ -.

ما هو بمنزلة العلة الصورية في القياس هو الترتيب المخصوص والهيئة المخصوصة لا الحد الأوسط فالأولى الاختصار بقوله بل علة حصول النتيجة.

«والحق ما أضافه إلا إلى الشيء الذي قيل له كن» - ص ٢٦٦ -.

قوله: والحق ما أضافه، ليس مراده قصر التكوين إلى العبد كما هو

ظاهر كلمة ما وإلا بل المقصود رفع قصر النسبة إلى الله تعالى والا تكون النتيجة غير صادقة فالنتيجة الصادقة حفظ النسبتين وكان حق العبارة أن يقول والحق أضافه إلى الشيء الذي قيل له كن .

« . . . فإن الأسماء والصفات الإلهية ليست من العالم لكونها غير موجودة في الخارج مع أنها في فيضانها من الله تحتاج إلى سبب » - ص ٢٦٧ - .

قوله : مع أنها في فيضانها . . . الخ ، ما ذكره الشارح غير مطابق للواقع ولا لمراد الشيخ أما الأول فلأن الأسماء والصفات ليست موجودات بوجودات زائدة حتى تحتاج إلى السبب اللهم إلا أن يحمل على عالم الجبروت فإنها تطلق عليه أيضاً إلا أنها من العالم في نظر الكثرة ونظر الاحتياج إلى السبب نظر الكثرة لا الوحدة وأما الثاني فلأن مراد الشيخ ما ذكره الشارح في شرح قوله أعني الحكم لا ما ذكره ههنا والعجب منه كيف جمع في الشرح بين هذين المعنيين المختلفين .

« . . . إذ لا يمكن حمل الحكم هنا على النسبة الحاصلة بين الموضوع والمحمول لأنها لا توصف بأنها أعم من طرفيها أو أخص أو مساو . . . » - ص ٢٦٧ - .

قوله : لأنها لا توصف ، فإنها معنى حرفي آلي لا يكون محكوماً عليها وبها ولأنها مندكة في طرفيها فتكون تابعة لهما إلا أن يلحظ بلحاظ استقلالي فيحكم عليها وبها .

« . . . اللهم إلا أن يقال هذا المثال مثال المساواة فحينئذ يكون صحيحاً » - ص ٢٦٧ - .

قوله : فحينئذ يكون صحيحاً . حمل المثال أي كل حادث فله سبب على المساواة وأن يجعل المثال صحيحاً إلا أنه مع ذلك لا يجوز حمل عبارة المتن على السبب الذي في المثال فإن لازمه جواز أعمية الحكم عنه ولو في مثال آخر وهو لا يمكن .

«وإنما تسمى بالقلب لتقبلها بين العالم العقلي المحض وعالم النفس المنظبة وتقبلها في وجوها الخمسة التي لها إلى العوالم الكلية الخمسة» - ص ٢٦٩ - .

قوله : وجوها الخمسة ، أحدها ما يواجه الحق وهو الوجهة الخاصة التي لكل شيء بالنسبة إلى الحق المشار إليه بقوله تعالى : ﴿وَلِكُلِّ وِجْهٌ هُوَ مُوَلِّيًا﴾ [البقرة: ١٤٨] وثانيها ما يواجه به عالم المجردات والأرواح وثالثها ما يواجه به عالم المثال ورابعها ما يواجه به عالم الشهادة وخامسها ما يواجه به إلى مقام أحدية الجمع والقلب المختص بهذه المرتبة هو القلب التقي النقي الذي له النقطة الوسطية بين الأسماء الظاهرة والباطنة غير المحجوب عن أحكامها وأوصافها .

الفصُّ الشَّعْبِي

فص حكمة قلبية في كلمة شعبية

اعْلَمْ (واعلم - خ) أَنَّ الْقَلْبَ - أعني قَلْبَ الْعَارِفِ بِاللَّهِ - هُوَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَهُوَ أَوْسَعُ مِنْهَا فَإِنَّهُ وَسِعَ الْحَقَّ جَلَّ جَلَالُهُ وَرَحِمَتُهُ لَا تَسْعُهُ.

هذا (وهذا - خ) لِسَانُ الْعُمُومِ مِنْ بَابِ الْإِشَارَةِ، فَإِنَّ الْحَقَّ رَاجِعٌ لَيْسَ بِمَرْحُومٍ فَلَا حُكْمَ لِلرَّحْمَةِ فِيهِ.

وَأَمَّا الْإِشَارَةُ مِنْ لِسَانِ الْخُصُوصِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَصَفَ نَفْسَهُ بِالنَّفْسِ (بالنَّفْسِ بفتح الفاء - خ) وَهُوَ مِنَ التَّنْفِيسِ.

وَأَنَّ الْأَسْمَاءَ الْإِلَهِيَّةَ عَيْنُ الْمُسَمَّى وَلَيْسَ إِلَّا هُوَ، وَأَنَّهَا طَالِبَةٌ مَا تُعْطِيهِ الْحَقَائِقُ (ما تعطيه من الحقائق - خ) وَلَيْسَتْ الْحَقَائِقُ الَّتِي تَطْلُبُهَا الْأَسْمَاءُ إِلَّا الْعَالَمُ. فَلْأُلُوْهِيَّةُ تَطْلُبُ الْمَالُوءَ، وَالرُّبُوبِيَّةُ تَطْلُبُ الْمَرْبُوبَ. وَإِلَّا فَلَا عَيْنَ لَهَا إِلَّا بِهِ وَجُوداً وَتَقْدِيرًا (أو تقديرًا - خ).

وَالْحَقُّ مِنْ حَيْثُ ذَاتِهِ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ. وَالرُّبُوبِيَّةُ مَالُهَا هَذَا الْحُكْمُ، فَبَقِيَ الْأَمْرُ بَيْنَ مَا تَطْلُبُهُ الرُّبُوبِيَّةُ وَبَيْنَ مَا تَسْتَحِقُّهُ الذَّاتُ مِنَ الْغِنَى عَنِ الْعَالَمِ، وَلَيْسَتْ الرُّبُوبِيَّةُ عَلَى الْحَقِيقَةِ وَالْإِتِّصَافِ إِلَّا عَيْنُ هَذِهِ الذَّاتِ.

فَلَمَّا تَعَارَضَ الْأَمْرُ بِحُكْمِ النَّسَبِ وَزَدَ فِي الْخَبَرِ مَا وَصَفَ الْحَقُّ بِهِ نَفْسَهُ مِنَ الشَّقَقَةِ عَلَى عِبَادِهِ.

قَاوَلُ مَا نَفَسَ عَنِ الرُّبُوبِيَّةِ بِنَفْسِهِ الْمَنَسُوبِ إِلَى الرَّحْمَنِ بِإِيجَادِهِ الْعَالَمَ
الَّذِي تَطْلُبُهُ الرُّبُوبِيَّةُ بِحَقِيقَتِهَا وَجَمِيعِ الْأَسْمَاءِ الْإِلَهِيَّةِ .

فَيَثْبُتُ (فثبت - خ) مِنْ هَذَا الْوَجْهِ أَنَّ رَحْمَتَهُ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ
فَوَسِعَتْ الْحَقُّ، فَهِيَ أَوْسَعُ مِنَ الْقَلْبِ أَوْ مُسَاوِيَةٌ لَهُ فِي السَّعَةِ .

هذا مَضَى :

ثُمَّ لِنَعْلَمَ أَنَّ الْحَقَّ تَعَالَى كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ يَتَحَوَّلُ فِي الصُّورِ عِنْدَ
التَّجَلِّيِّ، وَأَنَّ الْحَقَّ تَعَالَى إِذَا وَسِعَهُ الْقَلْبُ لَا يَسْغُ مَعَهُ غَيْرَهُ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ
فَكَأَنَّهُ يَمْلَأُهُ .

وَمَعْنَى هَذَا أَنَّهُ إِذَا نَظَرَ إِلَى الْحَقِّ عِنْدَ تَجَلِّيهِ لَهُ لَا يُمَكِّنُ مَعَهُ أَنْ يَنْظُرَ
إِلَى غَيْرِهِ .

وَقَلْبُ الْعَارِفِ مِنَ السَّعَةِ كَمَا قَالَ أَبُو يَزِيدَ الْبِسْطَامِيُّ : «لَوْ أَنَّ الْعَرْشَ
وَمَا حَوَاهُ مِائَةً أَلْفٍ أَلْفَ مَرَّةٍ فِي زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَا قَلْبِ الْعَارِفِ مَا أَحْسَنَ بِهِ» .
وَقَالَ الْجُنَيْدُ فِي هَذَا الْمَعْنَى : «إِنَّ الْمُحَدَّثَ إِذَا قَرَنَ بِالْقَدِيمِ لَمْ يَبْقَ لَهُ
أَثَرٌ، وَقَلْبٌ يَسْغُ الْقَدِيمَ كَيْفَ يُحْسِنُ بِالْمُحَدَّثِ مَوْجُودًا» .

وَإِذَا كَانَ الْحَقُّ يَتَنَوَّعُ تَجَلِّيهِ فِي الصُّورِ فَبِالضَّرُورَةِ يَتَسَّعُ الْقَلْبُ وَيَضِيقُ
بِحَسَبِ الصُّورَةِ الَّتِي يَقَعُ فِيهَا التَّجَلِّيُّ الْإِلَهِيُّ، فَإِنَّهُ لَا يُفْضَلُ عَنِ الْقَلْبِ شَيْءٌ
عَنْ صُورَةٍ مَا يَقَعُ فِيهَا التَّجَلِّيُّ، فَإِنَّ الْقَلْبَ مِنَ الْعَارِفِ أَوْ الْإِنْسَانِ الْكَامِلِ
بِمَنْزِلَةٍ مَحَلٍّ فَصَّ الْخَاتَمِ مِنَ الْخَاتَمِ لَا يُفْضَلُ بَلْ يَكُونُ عَلَى قَدَرِهِ وَشَكْلِهِ
مِنَ الْإِسْتِدَارَةِ، إِنْ كَانَ الْفَصُّ مُسْتَدِيرًا أَوْ مِنَ التَّرْبِيعِ وَالتَّسْدِيسِ وَالتَّثْمِينِ
وَعَبَّرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَشْكَالِ إِنْ كَانَ الْفَصُّ مُرَبَّعًا أَوْ مُسَدَّسًا أَوْ مُثَمَّنًا أَوْ مَا كَانَ
مِنَ الْأَشْكَالِ، فَإِنَّ مَحَلَّهُ مِنَ الْخَاتَمِ يَكُونُ مِثْلَهُ لَا غَيْرَ .

وَهَذَا عَكْسُ مَا تُشِيرُ (يُشِير - خ) إِلَيْهِ الطَّائِفَةُ مِنْ أَنَّ الْحَقَّ يَتَجَلَّى عَلَى قَدْرِ اسْتِعْدَادِ الْعَبْدِ .

وَهَذَا لَيْسَ كَذَلِكَ، فَإِنَّ الْعَبْدَ يَظْهَرُ لِلْحَقِّ عَلَى قَدْرِ الصُّورَةِ الَّتِي يَتَجَلَّى لَهُ فِيهَا الْحَقُّ .

وَتَحْرِيرِ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ أَنَّ لِلَّهِ تَجَلِّيَيْنِ: تَجَلِّيَ غَيْبٍ، وَتَجَلِّيَ شَهَادَةٍ؛ فَمِنْ تَجَلِّيِ الْغَيْبِ يُعْطَى الْاسْتِعْدَادُ الَّذِي يَكُونُ عَلَيْهِ الْقَلْبُ .

وَهُوَ التَّجَلِّيُ الذَّاتِي الَّذِي الْغَيْبُ حَقِيقَتُهُ .

وَهُوَ الْهُيُوتَةُ الَّتِي يَسْتَحِقُّهَا بِقَوْلِهِ عَنْ نَفْسِهِ «هُوَ» فَلَا يَزَالُ «هُوَ» لَهُ دَائِمًا أَبَدًا .

فَإِذَا حَصَلَ لَهُ أَغْنَى لِلْقَلْبِ هَذَا الْاسْتِعْدَادُ، تَجَلَّى لَهُ التَّجَلِّيُ الشُّهُودِيُّ فِي الشَّهَادَةِ فَرَأَهُ فَظَهَرَ بِصُورَةٍ مَا تَجَلَّى لَهُ كَمَا ذَكَرْنَاهُ فَهُوَ تَعَالَى أَعْطَاهُ الْاسْتِعْدَادَ بِقَوْلِهِ: ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ [طه: ٥٠] ثُمَّ رَفَعَ الْحِجَابَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَبْدِهِ فَرَأَهُ فِي صُورَةٍ مُعْتَقَدِهِ، فَهُوَ عَيْنُ اعْتِقَادِهِ . فَلَا يَشْهَدُ الْقَلْبُ وَلَا الْعَيْنُ أَبَدًا إِلَّا صُورَةً مُعْتَقَدِهِ فِي الْحَقِّ .

فَالْحَقُّ الَّذِي فِي الْمُعْتَقَدِ هُوَ الَّذِي وَسِعَ الْقَلْبُ صُورَتَهُ، وَهُوَ الَّذِي يَتَجَلَّى لَهُ فَيَعْرِفُهُ . فَلَا تَرَى الْعَيْنُ إِلَّا الْحَقَّ الْاِعْتِقَادِي .

وَلَا خَفَاءَ فِي تَنَوُّعٍ (وَلَا خَفَاءَ بِنَوْعٍ - خ) الْاِعْتِقَادَاتِ: فَمَنْ قَيَّدَهُ أَنْكَرَهُ فِي غَيْرِ مَا قَيَّدَهُ بِهِ، وَأَقَرَّ بِهِ فِيمَا قَيَّدَهُ بِهِ، إِذَا تَجَلَّى . وَمَنْ أَطْلَقَهُ عَنْ التَّقْيِيدِ لَمْ يُنْكِرْهُ وَأَقَرَّ بِهِ (وَأَقَرَّ لَهُ - خ) فِي كُلِّ صُورَةٍ يَتَحَوَّلُ فِيهَا .

وَيُعْطِيهِ مِنْ نَفْسِهِ قَدْرَ صُورَةٍ مَا تَجَلَّى فِيهَا إِلَى مَا لَا يَتَنَاهَى، فَإِنَّ صُورَةَ التَّجَلِّيِ مَا لَهَا نِهَايَةٌ تَقِفُ عِنْدَهَا .

وكذلك الْعِلْمُ بِاللَّهِ مَالَهُ غَايَةٌ فِي الْعَارِفِينَ يَقِفُ عِنْدَهَا، بل هو العارفُ فِي كُلِّ زَمَانٍ يَطْلُبُ الزِّيَادَةَ مِنَ الْعِلْمِ بِهِ (رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا، رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا) فَلَا أَمْرَ لَا يَتَنَاهَى مِنَ الطَّرْفَيْنِ.

هذا إِذَا قُلْتَ حَقٌّ وَخَلَقٌ؛ فَإِذَا نَظَرْتَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «كُنْتُ رِجْلَهُ الَّتِي يَسْعَى بِهَا وَيَدُهُ الَّتِي يَنْطُشُ بِهَا، وَلِسَانُهُ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ» إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْقُوَى، وَمَحَالِهَا الَّتِي هِيَ (ومحلها الذي هو - خ) الأَعْضَاءُ لَمْ تَفْرُقْ فَقُلْتَ الْأَمْرُ حَقٌّ كُلُّهُ أَوْ خَلَقٌ كُلُّهُ فَهُوَ خَلَقٌ بِنِسْبَةِ وَهُوَ حَقٌّ بِنِسْبَةِ وَالْعَيْنُ وَاحِدَةٌ. فَعَيْنُ صُورَةٍ مَا تَجَلَّى عَيْنُ صُورَةٍ قَبْلَ ذَلِكَ التَّجَلِّيِّ فَهُوَ الْمُتَجَلِّيُّ وَالْمُتَجَلَّى لَهُ.

فَانْظُرْ مَا أَعْجَبَ أَمْرَ اللَّهِ مِنْ حَيْثُ هُوَ يَتِيهِ، وَمِنْ حَيْثُ نَسَبَتْهُ إِلَى الْعَالَمِ فِي حَقَائِقِ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى.

فَمِنْ تَمِّ وَمَائِمَةٍ وَعَيْنٌ تَمُّ هُوَ تَمُّهُ
فَمَنْ قَدْ أَعَمَّهُ خَصَّهُ وَمَنْ قَدْ خَصَّهُ عَمَّهُ
فَمَا عَيْنٌ سِوَى عَيْنٍ فَنُورٌ عَيْنُهُ ظُلْمُهُ
فَمَنْ يَغْفُلُ عَنْ هَذَا يَجِدُ فِي نَفْسِهِ (قلبه - خ) عُمَهُ
وَلَا يَعْرِفُ مَا قُلْنَا سِوَى عَبْدٍ لَهُ هَمُّهُ

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ [ق: ٣٧] لِيَتَّقِيَهُ فِي أَنْوَاعِ الصُّورِ وَالصِّفَاتِ وَلَمْ يَقُلْ لِمَنْ كَانَ لَهُ عَقْلٌ فَإِنَّ الْعَقْلَ قَيْدٌ فَيُخَصِّرُ الْأَمْرَ فِي نَعْيٍ وَاجِدٍ وَالْحَقِيقَةِ تَأْبَى الْحَضَرَ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ.

فَمَا هُوَ ذِكْرِي لِمَنْ كَانَ لَهُ عَقْلٌ وَهُمْ أَصْحَابُ الْاِغْتِقَادَاتِ الَّذِينَ يُكْفَرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا (يكفر بعضهم ببعض - خ) وَيَلْعَنُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. ﴿وَمَا لَهُمْ

مِن تَصَرُّفِكُمْ ﴿﴾ [آل عمران: ٢٢] فَإِنَّ إِلَهَ الْمُعْتَقِدِ مَالَهُ حُكْمٌ فِي إِلَهِ الْمُعْتَقِدِ
الآخر .

فَصَاحِبُ الِاعْتِقَادِ يَذُبُّ عَنْهُ أَيَّ عَنِ الْأَمْرِ الَّذِي اعْتَقَدَهُ فِي إِلَهِهِ
وَيَنْصُرُهُ، وَذَلِكَ الَّذِي فِي اعْتِقَادِهِ لَا يَنْصُرُهُ.

فَلِهَذَا لَا يَكُونُ لَهُ أَثَرٌ فِي اعْتِقَادِ الْمُنَازِعِ لَهُ، وَكَذَا الْمُنَازِعُ مَا لَهُ نُصْرَةٌ
مِنْ إِلَهِهِ الَّذِي فِي اعْتِقَادِهِ، فَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ.

فَنَقَى الْحَقُّ النُّصْرَةَ عَنِ آلِهَةِ الِاعْتِقَادَاتِ عَلَى انْفِرَادِ كُلِّ مُعْتَقِدٍ عَلَى
حَدِّثِهِ.

وَالْمَنْصُورُ الْمَجْمُوعُ، وَالنَّاصِرُ الْمَجْمُوعُ.

فَالْحَقُّ عِنْدَ الْعَارِفِ هُوَ الْمَعْرُوفُ الَّذِي لَا يُنْكَرُ.

فَأَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الْآخِرَةِ.

فَلِهَذَا قَالَ ﴿لَمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ [ق: ٣٧].

فَعَلِمَ تَقْلِيْبَ الْحَقِّ فِي الصُّوْرِ بِتَقْلِيْبِهِ (بتقليبه - خ) فِي الْأَشْكَالِ. فَمِنْ
نَفْسِهِ عَرَفَ نَفْسَهُ.

وَلَيْسَتْ نَفْسُهُ بِغَيْرِ لِهَوِيَّةِ الْحَقِّ، وَلَا شَيْءٌ مِنَ الْكَوْنِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ
وَيَكُونُ بِغَيْرِ لِهَوِيَّةِ الْحَقِّ، بَلْ هُوَ عَيْنُ الْهَوِيَّةِ. فَهُوَ الْعَارِفُ وَالْعَالِمُ وَالْمَقْرُ
فِي هَذِهِ الصُّورَةِ وَهُوَ الَّذِي لَا عَارِفَ وَلَا عَالِمَ، وَهُوَ الْمُتَنَكِّرُ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ
الْأُخْرَى.

هَذَا حَظٌّ مَنْ عَرَفَ الْحَقَّ مِنَ التَّجَلِّيِ وَالشُّهُودِ فِي عَيْنِ الْجَمْعِ.

فَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ يَتَنَوَّعُ فِي تَقْلِيْبِهِ.

وَأَمَّا أَهْلُ الْإِيمَانِ وَهُمْ الْمُقْلَدَةُ الَّذِينَ قَلَّدُوا الْأَنْبِيَاءَ وَالرُّسُلَ عَلَيْهِمُ
السَّلَامُ فِيمَا أَخْبَرُوا بِهِ عَنِ الْحَقِّ، لَا مَنْ قَلَّدَ أَصْحَابَ الْأَفْكَارِ وَالْمُتَأَوِّلِينَ
لِلْأَخْبَارِ الْوَارِدَةِ بِحَمْلِهَا عَلَى أَدِلَّتِهِمُ الْعَقْلِيَّةِ، فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَلَّدُوا الرُّسُلَ
عَلَيْهِمُ السَّلَامُ (صلوات الله عليهم وسلامه - خ) هُمْ الْمُرَادُونَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى :
﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾ [ق: ٣٧] لَمَا وَرَدَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ الْإِلَهِيَّةُ عَلَى السِّنَةِ الْأَنْبِيَاءِ
عَلَيْهِمُ السَّلَامُ .

وَهُوَ يَعْنِي هَذَا الَّذِي أَلْقَى السَّمْعَ شَهِيدٌ .

يَنْبُتُهُ عَلَى حَضْرَةِ الْخِيَالِ وَاسْتِعْمَالِهَا .

وَهُوَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْإِحْسَانِ : «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ» وَاللَّهُ
فِي قِبَلَةِ الْمُصَلِّي فَلِذَلِكَ هُوَ شَهِيدٌ .

وَمَنْ قَلَّدَ صَاحِبَ نَظَرٍ فِكْرِيٍّ وَتَقَيَّدَ بِهِ فَلَيْسَ هُوَ الَّذِي أَلْقَى السَّمْعَ ،
فَإِنَّ هَذَا الَّذِي أَلْقَى السَّمْعَ لَا بَدَأَ أَنْ يَكُونَ شَهِيداً لِمَا ذَكَرْنَاهُ وَمَتَى لَمْ يَكُنْ
(ومن لم يكن - خ) شَهِيداً لِمَا ذَكَرْنَاهُ فَمَا هُوَ الْمَرَادُ بِهِذِهِ الْآيَةِ . فَهَؤُلَاءِ هُمْ
الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ : ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ [البقرة :
١٦٦] وَالرُّسُلُ لَا يَتَّبِرُونَ مِنْ أَتْبَاعِهِمُ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ فَحَقَّقْ يَا وَلِيِّ مَا ذَكَرْنَاهُ
لَكَ فِي هَذِهِ الْحِكْمَةِ الْقَلْبِيَّةِ .

وَأَمَّا اخْتِصَاصُهَا بِشُعَيْبٍ لِمَا فِيهَا مِنَ التَّشْعِيبِ (التشعب - خ) أَيْ
شُعْبَهَا لَا تَنْحَصِرُ، لِأَنَّ كُلَّ اعْتِقَادٍ شُعْبَةٌ فَهِيَ شُعْبٌ كُلُّهَا، أَغْنَى
الْاِعْتِقَادَاتِ .

فَإِذَا انْكَشَفَ الْغِطَاءُ انْكَشَفَ لِكُلِّ أَحَدٍ بِحَسَبِ مُعْتَقَدِهِ وَقَدْ يَنْكَشِفُ
بِخِلَافِ مُعْتَقَدِهِ فِي الْحُكْمِ، وَهُوَ قَوْلُهُ : ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا

يَحْتَسِبُونَ ﴿[الزمر: ٤٧] فَأَكْثَرُهَا فِي الْحُكْمِ كَالْمُعْتَزِلِي يَعْقِدُ فِي اللَّهِ نُفُودَ
الْوَعْدِ فِي الْعَاصِي إِذَا مَاتَ عَلَى غَيْرِ تَوْبَةٍ فَإِذَا مَاتَ وَكَانَ مَرْحُومًا عِنْدَ اللَّهِ
قَدْ سَبَقَتْ لَهُ عُنَايَةٌ بِأَنَّهُ لَا يُعَاقَبُ، وَجَدَ اللَّهُ غُفُورًا رَحِيمًا، فَبَدَأَ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا
لَمْ يَكُنْ يَحْتَسِبُهُ.

وَأَمَّا فِي الْهُيُوتِ فَإِنَّ بَعْضَ الْعِبَادِ يَجْزِمُ فِي اعْتِقَادِهِ أَنَّ اللَّهَ كَذَا وَكَذَا،
فَإِذَا انْكَشَفَ الْغِطَاءُ رَأَى صُورَةَ مُعْتَقِدِهِ وَهِيَ حَقٌّ فَاعْتَقَدَهَا، وَانْحَلَّتِ الْمُقَدَّةُ
فَرَالَ الْإِعْتِقَادَ وَعَادَ عِلْمًا بِالمُشَاهَدَةِ، وَبَعْدَ اخْتِدَادِ الْبَصَرِ لَا يَرْجِعُ كَلِيلَ
النُّظَرِ.

فَيَبْدُو لِبَعْضِ الْعَبِيدِ بِاخْتِلَافِ التَّجَلِّي فِي الصُّورِ عِنْدَ الرُّؤْيَةِ خِلَافَ
مُعْتَقَدِهِ لِأَنَّهُ لَا يَتَكَرَّرُ، فَيَصْدُقُ عَلَيْهِ فِي الْهُيُوتِ ﴿وَبَدَأَ لَهُمُ رَبُّكَ اللَّهُ﴾ [الزمر:
٤٧] فِي هُيُوتِهِ ﴿مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧] فِيهَا قَبْلَ كَشْفِ الْغِطَاءِ.

وَقَدْ ذَكَرْنَا صُورَةَ التَّرْقِي بَعْدَ الْمَوْتِ فِي الْمَعَارِفِ الْإِلَهِيَةِ فِي كِتَابِ
التَّجَلِّيَاتِ لَنَا عِنْدَ ذِكْرِنَا بَعْضَ مَنْ (عند ذكرنا من - خ) اجْتَمَعْنَا بِهِ مِنَ الطَّائِفَةِ
فِي الْكُشْفِ وَمَا أَفْذَنَاهُمْ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ مِمَّا لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ.

وَمِنْ أَعْجَبِ الْأُمُورِ (الأمور - خ) أَنَّهُ فِي التَّرْقِي دَائِمًا وَلَا يَشْعُرُ بِذَلِكَ
لِلطَّائِفَةِ الْحِجَابِ وَرِفْقِهِ وَتَشَابُهِ الصُّورِ مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا﴾
[البقرة: ٢٥].

وَلَيْسَ هُوَ الْوَاحِدَ عَيْنَ الْآخِرِ فَإِنَّ الشَّبِيهِينَ عِنْدَ الْعَارِفِ مِنْ حَيْثُ
إِنَّهُمَا شَبِيهَانِ، غَيْرَانِ.

وَصَاحِبُ التَّحْقِيقِ يَرَى الْكَثْرَةَ فِي الْوَاحِدِ كَمَا يَعْلَمُ أَنَّ مَدْلُولَ الْأَسْمَاءِ

الإلهية، وإن اختلفت حقائقها وكثرت، أنها عين واحدة. فهذه كثرة معقولة في واحد العين فتكون في التجلي كثرة مشهودة في عين واحدة. كما أن الهوى تُوخذ في حد كل صورة، وهي مع كثرة الصور واختلافها ترجع في الحقيقة إلى جوهر واحد وهو هوىها. فمن عرف نفسه بهذه المعرفة فقد عرف ربه فإنه على صورته خلقه، بل هو عين هويته وحقيقته.

ولهذا ما عثر أحد من العلماء والحكماء على معرفة النفس وحقيقتها إلا الإلهيوت من الرسل والأكابر من الصوفية. وأما أصحاب النظر وأرباب الفكر من القدماء والمتكلمين في كلامهم في النفس وماهيتها، فما منهم من عثر على حقيقتها ولا يعطيها النظر الفكري أبداً.

فمن طلب العلم بها من طريق النظر الفكري فقد استسلمن ذا ورم ونفخ في غير ضرم، لا جرم أنهم من ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَبِيلُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤] فمن طلب الأمر من غير طريقه فما ظفر بتحقيقه.

وما أحسن ما قال الله تعالى في حق العالم وبذله مع الأنفاس «في خلق جديد» في عين واحدة فقال في حق طائفة بل أكثر العالم ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: ١٥] فلا يعرفون تجديد الأمر مع الأنفاس.

لكن قد عثر عليه الأشاعرة في بعض الموجودات وهي الأعراس، وعثرت عليه الحسبانية في العالم كله، وجهلهم أهل النظر بأجمعهم. ولكن أخطأ الفريقان: أما خطأ الحسبانية فيكونهم ما عثروا مع قولهم

بِالتَّبَدُّلِ فِي الْعَالَمِ بِأَسْرِهِ عَلَى أَحَدِيَّةٍ عَيْنِ الْجَوْهَرِ الْمَعْقُولِ الَّذِي قَبْلَ هَذِهِ
الصُّورِ وَلَا يُوجَدُ إِلَّا بِهَا كَمَا لَا تُعْقَلُ إِلَّا بِهِ فَلَوْ قَالُوا بِذَلِكَ فَازُوا بِدَرَجَةِ
التَّحْقِيقِ فِي الْأَمْرِ.

وَأَمَّا الْأَشَاعِرَةُ فَمَا عَلِمُوا أَنَّ الْعَالَمَ كُلَّهُ مَجْمُوعُ أَعْرَاضٍ فَهُوَ يَتَبَدَّلُ فِي
كُلِّ زَمَانٍ إِذَا الْعَرَضُ لَا يَبْقَى زَمَانَيْنِ.

وَيُظْهِرُ ذَلِكَ فِي الْحُدُودِ. لِلْأَشْيَاءِ، فَإِنَّهُمْ إِذَا حُدُّوا الشَّيْءَ تَبَيَّنَ فِي
حَدِّهِمْ تِلْكَ الْأَعْرَاضُ (تَبَيَّنَ فِي حَدِّهِمْ كَوْنَهُ الْأَعْرَاضُ - خ) وَأَنَّ هَذِهِ
الْأَعْرَاضُ الْمَذْكُورَةُ فِي حَدِّهِ عَيْنُ هَذَا الْجَوْهَرِ وَحَقِيقَتُهُ الْقَائِمُ بِنَفْسِهِ. وَمِنْ
حَيْثُ هُوَ عَرَضٌ لَا يَقُومُ بِنَفْسِهِ (لَا يَتَقَوَّمُ بِنَفْسِهِ - خ).

فَقَدْ جَاءَ مِنْ مَجْمُوعٍ مَا لَا يَقُومُ بِنَفْسِهِ مَنْ يَقُومُ بِنَفْسِهِ كَالْتَحْيِيزِ فِي حَدِّ
الْجَوْهَرِ الْقَائِمِ بِنَفْسِهِ الذَّاتِي وَقُبُولِهِ لِلْأَعْرَاضِ حَدُّ لَهُ ذَاتِي.

وَلَا شَكَّ أَنَّ الْقُبُولَ عَرَضٌ إِذْ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي قَابِلٍ؛ لِأَنَّهُ يَقُومُ بِنَفْسِهِ
وَهُوَ ذَاتِي لِلْجَوْهَرِ وَالتَّحْيِيزُ عَرَضٌ وَلَا يَكُونُ إِلَّا فِي مُتَحْيِيزٍ، فَلَا يَقُومُ بِنَفْسِهِ.
وَلَيْسَ التَّحْيِيزُ وَالْقُبُولُ بِأَمْرٍ زَائِدٍ عَلَى عَيْنِ الْجَوْهَرِ الْمَحْدُودِ لِأَنَّ الْحُدُودَ
الذَّاتِيَّةَ هِيَ عَيْنُ الْمَحْدُودِ وَهُوَئِهِ.

فَقَدْ صَارَ مَا لَا يَبْقَى زَمَانَيْنِ يَبْقَى زَمَانَيْنِ وَأَزِمَتُهُ وَعَادَ مَا لَا يَقُومُ بِنَفْسِهِ
يَقُومُ بِنَفْسِهِ.

وَلَا يَشْعُرُونَ (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ - خ) لِمَا هُمْ عَلَيْهِ، وَهَؤُلَاءِ هُمْ فِي
لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ.

وَأَمَّا أَهْلُ الْكَشْفِ فَإِنَّهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَتَجَلَّى فِي كُلِّ نَفْسٍ وَلَا

يَتَكَرَّرُ التَّجَلِّي . وَيَرَوْنَ أَيْضاً شُهُوداً أَنَّ كُلَّ تَجَلٍّ يُعْطِي خَلْقاً جَدِيداً وَيَذْهَبُ
بِخَلْقِهِ ، فَذَهَابُهُ هُوَ الْفَنَاءُ (هو عين الفناء - خ) عِنْدَ التَّجَلِّي وَالْبَقَاءُ لِمَا يُعْطِيهِ
التَّجَلِّي الْآخَرُ فَافْهَمُ .



«فَصْ حِكْمَةٌ قَلْبِيَّةٌ فِي كَلِمَةِ شَعْبِيَّةٍ»

«وليس المراد هنا بالرحمة الوجود إذ القلب ليس أوسع من الوجود» -
ص ٢٧٠ - .

قوله: إذ القلب ليس أوسع من الوجود، هذا بلسان العموم وإلا
فالقلب أوسع من الوجود فإن الوجود هو الوجود المنبسط وقلب الختمي
أوسع منه فإنه وصل إلى مقام أو أدنى وهو مقام الاتصال بالأحدية .

«والفرق بين الألوهية والربوبية أن الألوهية حضرة الأسماء كلها اسم
الذات والصفات والأفعال والربوبية حضرة أسماء الصفات والأفعال
فقط» - ص ٢٧١ - .

قوله: إن الألوهية... الخ، الرب كما أنه من أسماء الصفات
والأفعال فكذلك إنه من أسماء الذات إذا أخذ بمعنى الثابت كما نقل عن
الشيخ فعلى هذا يكون بينهما المساواة ويمكن أن يقال إن الفرق بين الألوهية
والربوبية بعد اشتراكهما في كونهما من أسماء الأفعال كما هو التحقيق عندنا
أن الألوهية أشمل من الربوبية فإن الثاني يختص بما يحتاج إلى التربية كعالم
الطبيعة والهيولانيات بخلاف الأول .

«...» ولما كان التجلي بحسب استعداد المتجلى له فالقلب الذي يسع
الحق لا يكون إلا لمن له استعداد جميع التجليات الإلهية...» - ص
٢٧٣ - .

قوله: ولما كان التجلي بحسب استعداد... الخ، لا يخفى أن الشيخ
في هذا المقام ليس بصدد بيان أن التجلي على مقدار استعداد المتجلى له بل

هو في مقام بيان أن التجلي يسع القلب ولا يسعني أرضي ولا سمائي بل يسعني قلب عبدي المؤمن وبعبارة أخرى هذا بيان التجلي بالفيض الأقدس الذي منه الاستعداد والتجلي بالفيض المقدس على حسب الاستعداد كما صرح بذلك في قوله وهذا عكس ما يشير إليه الطائفة .

قول الشيخ في المتن : «بل هو عين الهوية فهو العارف والعالم والمقر في هذه الصورة وهو المنكر...» - ص ٢٧٩ - .

قوله : بل هو عين الهوية ، أي أنه في نظر الوحدة هو العارف والعالم والمنكر فإن العالم عارفه ومنكره صورة تجلياته تعالى وهو الظاهر في كل شيء .

«إذا انكشف الغطاء انكشف لكل أحد بحسب معتقده وقد ينكشف بخلاف معتقده في الحكم وهو قوله : وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون» - ص ٢٨٢ - .

قوله : وقد ينكشف... الخ ، أي إذا انكشف الغطاء قد ينكشف بخلاف المعتقد في الحكم وهو أكثرى وقد ينكشف بخلاف المعتقد في الهوية وهو أقلّي .

«وقد ذكرنا صورة الترقى بعد الموت في المعارف الإلهية في كتاب التجليات» - ص ٢٨٣ - .

قوله : وقد ذكرنا صورة الترقى... الخ ، اعلم أن الترقى في البرازخ والدار الآخرة ليس من سنخ الترقى في الدنيا فإن الدنيا دار الهولي والاستعداد وبه دارت الترقيات الجوهرية والاستكمالات الذاتية والنفسية وأما ترقيات دار الآخرة المعبر عنها بزيادة الدرجات مثلاً وكذلك التي وقعت في البرزخ فتكون بالقاء الغرائب والحجب والكدورات والهيئات المظلمة بضغطة القبر والتعذيبات نعوذ بالله منها فتحصل التجليات بعد صفاء المرأة وتقع الشفاعة الكبرى التي من الشفع وتحقيق هذا المقام من مهمات علم السلوك والمعرفة وليس هذا المقام يسعه .

«وأما الأشاعرة فما علموا أن العالم كله مجموع الأعراض فهو يتبدل في كل زمان إذ العرض لا يبقى زمانين» - ص ٢٨٦ - .

قوله: العالم كله مجموع الأعراض، تحقيق كون العالم مجموع الأعراض يظهر لمن نظر إلى حقيقة الوجود المنبسط التي بها ظهرت الأشياء وكون الأشياء تعيناتها فإن المهيئات لا قيام لها بذاتها بل قيامها بقيومها المطلق بل التحقيق أن الوجود المنبسط أيضاً عرض قائم بالحق وإن كان قيامه به تعالى غير قيام المهيئات به، تدبر تعرف.

«... إن العالم كله أعراض في حدودهم للأشياء فإنهم إذا حدوا الإنسان بالحيوان الناطق والحيوان بالجسم الحساس المتحرك بالإرادة والجسم بأنه جوهر قابل للأبعاد الثلاثة يبين أن الجوهر هو الذي مع كل واحد من الأعراض...» - ص ٢٨٧ - .

قوله: إذا حدوا الإنسان... الخ، ما ذكره إلى آخره خلاف التحقيق الحكمي بل العرفاني فإن الجوهرية المصطلحة عند الحكميم لا تنافي العرضية المصطلحة عند أهل الله فإن المهيئات لا حقيقة لها فضلاً عن قيامها بذاتها فهي قائمة بذات مبدئها ولا يحتاج إلى هذا التطويل الذي ذكره الشارح بل التحقيق يقتضي خلاف ما ذكر الشيخ أيضاً.

«ويرون أيضاً شهوداً أن كل تجلي يعطي خلقاً جديداً ويذهب بخلق فذهابه هو الفناء عند التجلي لما يعطيه التجلي الآخر» - ص ٢٨٨ - .

قوله: فذهابه هو الفناء، ليس الفناء هو العدم بل الرجوع من الملك إلى الملكوت ففي كل آن يظهر التجلي من الملكوت النازل إلى الملك ومن الملك إلى الملكوت الصاعد فدار الوجود بشراً شره ملكه وملكوته دائم التبدل والتجدد فالعالم حادث في كل آن من العقل إلى الهوى تدبر.

الفصل اللوطي

فص حكمة ملكية في كلمة لوطية

الْمَلِكُ الشَّدَّةُ وَالْمَلِكُ الشَّدِيدُ: يُقَالُ مَلَكْتُ الْعَجِينَ إِذَا شَدَدْتُ عَجَنَهُ
قَالَ قَيْسُ بْنُ الْخَطِيمِ يَصِفُ طَعْنَةً (طَعْنَهُ - خ):
مَلَكْتُ بِهَا كَفَى فَأَنْهَزْتُ فَتَقَفَهَا يَرَى قَائِمٌ مِنْ دُونِهَا مَا وَرَاءَهَا
أَي شَدَدْتُ بِهَا كَفَى يَعْنِي الطَّعْنَةَ.

فَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى عَنْ لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَى
رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠] فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْحَمُ اللَّهُ أَخِي
لُوطًا: لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ. فَتَبَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ مَعَ
اللَّهِ مِنْ كَوْنِهِ شَدِيدًا.

وَالَّذِي قَصَدَ لُوطٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ (وَاللَّهُ أَعْلَمُ - خ) الْقَبِيلَةَ بِالرُّكْنِ الشَّدِيدِ؛
وَالْمُقَاوَمَةَ بِقَوْلِهِ: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ﴾ [هود: ٨٠] وَهِيَ الْهِمَّةُ هُنَا لِلْبَشْرِ
خَاصَّةً (هنا من البشر خاصة - خ).

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمِنْ ذَلِكَ الْوَقْتُ، يَعْنِي مِنَ
الزَّمَنِ الَّذِي قَالَ فِيهِ لُوطٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿أَوْ آوَى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠] مَا
بُعِثَ نَبِيٌّ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا فِي مَنَعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ.

فَكَانَ تَحْمِيهِ قَبِيلَتَهُ (فَكَانَ يَحْمِيهِ قَبِيلُهُ - خ) كَأَبِي طَالِبٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَقُولْ: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ﴾ [هود: ٨٠] لَكُونَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَمِعَ اللَّهَ يَقُولُ:
﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾ [الروم: ٥٤] بالأصالة.

﴿ثُمَّ جَعَلْ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةٌ﴾ [الروم: ٥٤] فَعَرَضَتْ الْقُوَّةُ بِالْجَعْلِ فِيهَا
قُوَّةٌ عَرَضِيَّةٌ ﴿ثُمَّ جَعَلْ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الروم: ٥٤] فَالْجَعْلُ تَعَلَّقَ
بِالشَّيْبَةِ، وَأَمَّا الضَّعْفُ فَهُوَ رُجُوعٌ إِلَى أَصْلِ خَلْقِهِ وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ
ضَعْفٍ﴾ [الروم: ٥٤].

فَرَدَّهُ لِمَا خَلَقَهُ مِنْهُ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَيْنَا أَرْدَلِ الْعُمُرِ
لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ [الحج: ٥]. فَذَكَرَ أَنَّهُ رَدُّ إِلَى الضَّعْفِ الْأَوَّلِ
فَحُكْمُ الشَّيْخِ حُكْمُ الطُّفْلِ فِي الضَّعْفِ.

وَمَا بُعِثَ نَبِيٌّ إِلَّا بَعْدَ تَمَامِ الْأَرْبَعِينَ وَهُوَ زَمَانٌ (تمام - خ) أَخَذَهُ فِي
النَّقْصِ وَالضَّعْفِ فَلِهَذَا قَالَ: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ﴾ [هود: ٨٠] مَعَ كَوْنِ ذَلِكَ
يَطْلُبُ هِمَّةً مُؤَثَّرَةً.

فَإِنْ قُلْتَ وَمَا يَمْتَنِعُهُ مِنَ الْهِمَّةِ الْمُؤَثَّرَةِ وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِي السَّالِكِينَ مِنَ
الْأَتْبَاعِ، فَالرُّسُلُ (والرسل - خ) أَوَّلَى بِهَا قُلْنَا: (قلت: - خ) صَدَقْتَ وَلَكِنْ
نَقَصَكَ عِلْمٌ آخَرُ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمَعْرِفَةَ لَا تَتْرُكُ لِلْهِمَّةِ تَصَرُّفًا فَكُلَّمَا عَدَّتْ
مَعْرِفَتُهُ نَقَصَ تَصَرُّفُهُ بِالْهِمَّةِ، وَذَلِكَ لِوَجْهَيْنِ: الْوَجْهُ الْوَاحِدُ لِتَحَقُّقِهِ بِمَقَامِ
الْعُبُودِيَّةِ وَنَظَرِهِ إِلَى أَصْلِ خَلْقِهِ الطَّبِيعِيِّ.

وَالْوَجْهُ الْآخَرُ أَحَدِيَّتُهُ الْمُتَصَرِّفِ وَالْمُتَصَرِّفِ فِيهِ: فَلَا يَرَى عَلَى مَنْ
يُرْسِلُ هِمَّتَهُ فَيَمْتَنِعُهُ ذَلِكَ.

وَفِي هَذَا الْمَشْهَدِ يَرَى أَنَّ الْمَنَازِعَ لَهُ مَا عَدَلَ عَنْ الْحَقِيقَةِ (حقيقته -

(خ) الَّتِي هُوَ عَلَيْهَا فِي حَالِ ثُبُوتِ غَيْبِهِ وَحَالِ عَدَمِهِ، فَمَا ظَهَرَ فِي الْوُجُودِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ فِي حَالِ الْعَدَمِ فِي الثُّبُوتِ، فَمَا تَعَدَّى حَقِيقَتَهُ وَلَا أَخْلَّ بِطَرِيقَتِهِ.

فَتَسْمِيَةُ ذَلِكَ نِزَاعاً إِنَّمَا هُوَ أَمْرٌ عَرَضِيٌّ أَظْهَرَهُ الْحِجَابُ الَّذِي عَلَى أُغْيُنِ النَّاسِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: (كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى - خ) فِيهِمْ: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ * يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿[الروم: ٦ - ٧] وَهُوَ مِنَ الْمَقْلُوبِ فَإِنَّهُ مِنْ قَوْلِهِمْ ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ [النساء: ١٥٥] أَيْ فِي غِلَافٍ وَهُوَ الْكَتْنُ الَّذِي سَتَرَهُ عَنِ إدْرَاكِ الْأَمْرِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ.

فَهَذَا (وهذا - خ) وَأَمْثَالُهُ يَمْنَعُ الْعَارِفَ مِنَ التَّصَرُّفِ فِي الْعَالَمِ.

قَالَ الشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ قَانِدٍ لِلشَّيْخِ أَبِي السُّعُودِ بْنِ السَّبْلِ: لِمَ لَا تَتَصَرَّفُ؟ فَقَالَ أَبُو السُّعُودِ: تَرَكْتُ الْحَقَّ يَتَصَرَّفُ لِي كَمَا يَشَاءُ: يُرِيدُ قَوْلُهُ تَعَالَى أَمِراً ﴿فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: ٩] فَالْوَكِيلُ هُوَ الْمُتَصَرَّفُ.

وَلَا سِيَّماً وَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ (وقد سمع أن الله - خ) يَقُولُ: ﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧] فَعَلِمَ أَبُو السُّعُودِ وَالْعَارِفُونَ أَنَّ الْأَمْرَ الَّذِي بِيَدِهِ لَيْسَ لَهُ وَأَنَّهُ مُسْتَخْلَفٌ فِيهِ. ثُمَّ قَالَ لَهُ الْحَقُّ هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي اسْتَخْلَفْتُكَ فِيهِ وَمَلَكَتُكَ إِيَّاهُ اجْعَلْنِي وَاتَّخِذْنِي فِيهِ وَكِيلًا، فَاْمْتَثِلْ أَبُو السُّعُودِ أَمْرَ اللَّهِ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا. فَكَيْفَ تَبْقَى لِمَنْ يَشْهَدُ مِثْلَ هَذَا الْأَمْرِ هِمَّةٌ يَتَصَرَّفُ بِهَا، وَالْهِمَّةُ لَا تَفْعَلُ إِلَّا بِالْجَمْعِيَّةِ الَّتِي لَا مُتَّسِعَ لِصَاحِبِهَا إِلَى غَيْرِ مَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ؟ وَهَذِهِ الْمَعْرِفَةُ تَقْرُفُهُ عَنْ هَذِهِ الْجَمْعِيَّةِ. فَيُظْهِرُ الْعَارِفُ التَّامَّ الْمَعْرِفَةَ بِغَايَةِ الْعَجْزِ وَالضَّغْفِ.

قَالَ بَعْضُ الْأَبْدَالِ لِلشَّيْخِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ قُلُ لِلشَّيْخِ أَبِي مَذِينٍ بَعْدَ السَّلَامِ

عَلَيْهِ: يَا أَبَا مَدْيَنٍ لِمَ لَا يَغْتَاصُ (لَا يَغْتَاصُ - خ) عَلَيْنَا شَيْءٌ وَأَنْتَ تَغْتَاصُ
(تغتاص - خ) عَلَيْكَ الْأَشْيَاءُ وَنَحْنُ نَرْغَبُ فِي مَقَامِكَ وَأَنْتَ لَا تَرْغَبُ فِي
مَقَامِنَا؟

وَكَذَلِكَ كَانَ مَعَ كَوْنِ أَبِي مَدْيَنٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - كَانَ عِنْدَهُ ذَلِكَ
الْمَقَامُ وَغَيْرُهُ، وَنَحْنُ أَتَمُّ فِي مَقَامِ الْعَجْزِ وَالضَّعْفِ مِنْهُ. وَمَعَ هَذَا قَالَ لَهُ هَذَا
الْبَدَلُ مَا قَالَ وَهَذَا مِنْ ذَلِكَ الْقَبِيلِ أَيْضاً.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (وَقَالَ - خ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا الْمَقَامِ عَنْ
أَمْرِ اللَّهِ لَهُ بِذَلِكَ «مَا أَدْرِي مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبَعُ إِلَّا مَا يُوْحَى إِلَيَّ»
فَالرَّسُولُ بِحُكْمِ مَا يُوْحَى إِلَيْهِ بِهِ مَا عِنْدَهُ غَيْرُ ذَلِكَ.

فَإِنْ أُوجِي بِالْتَّصَرُّفِ فِيهِ بِحُزْمٍ تَصَرَّفَ وَإِنْ مُنِعَ امْتَنَعَ، وَإِنْ خُيِّرَ اخْتَارَ
تَرَكَ التَّصَرُّفَ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ نَاقِصَ الْمَعْرِفَةِ.

قَالَ أَبُو السُّعُودِ لِأَصْحَابِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ إِنَّ اللَّهَ أَعْطَانِي التَّصَرُّفَ مُنْذُ
خَمْسِ عَشْرَةِ سَنَةٍ وَتَرَكْنَاهُ تَطَرُّفًا (تَطَرُّفًا - خ) هَذَا لِسَانُ ادِّلَالٍ (إِدْلَال - خ).

وَأَمَّا نَحْنُ فَمَا تَرَكْنَاهُ تَطَرُّفًا - وَهُوَ تَرْكُهُ إِثَارًا - وَإِنَّمَا تَرَكْنَاهُ لِكَمَالِ
الْمَعْرِفَةِ، فَإِنَّ الْمَعْرِفَةَ لَا تَقْتَضِيهِ بِحُكْمِ الْاِخْتِيَارِ. فَتَمَتَّى تَصَرَّفَ الْعَارِفُ
بِالْهِمَّةِ فِي الْعَالَمِ فَعَنْ أَمْرِ إِلَهِي وَجَبَرِ لَا بِاخْتِيَارٍ، وَلَا نَشَأَ أَنَّ مَقَامَ الرِّسَالَةِ
يَطْلُبُ التَّصَرُّفَ لِقَبُولِ الرِّسَالَةِ الَّتِي جَاءَ بِهَا، فَيُظْهِرُ (فَيُظْهِرُ - مَعًا) عَلَيْهِ مَا
يُصَدِّقُهُ عِنْدَ أُمَّتِهِ وَقَوْمِهِ لِيُظْهِرَ دِينَ اللَّهِ.

وَالْوَلِيُّ لَيْسَ كَذَلِكَ، وَمَعَ هَذَا فَلَا يَطْلُبُهُ الرَّسُولُ فِي الظَّاهِرِ لِأَنَّ
لِلرَّسُولِ الشَّفَقَةَ عَلَى قَوْمِهِ، فَلَا يُرِيدُ أَنْ يُبَالِغَ فِي ظُهُورِ (إِظْهَار - خ) الْحُجَّةِ
عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ هَلَاكَهُمْ فَيَبْقَى عَلَيْهِمْ.

وَقَدْ عَلِمَ الرَّسُولُ أَيْضاً أَنَّ الْأَمْرَ الْمُعْجِزَ إِذَا ظَهَرَ لِلْجَمَاعَةِ فَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ عِنْدَ ذَلِكَ وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْرِفُهُ وَيُجِدُّهُ وَلَا يُظْهِرُ التَّصَدِيقَ بِهِ ظُلْماً وَعُلُوّاً وَحَسْداً وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْحِقُ ذَلِكَ بِالسَّجَرِ وَالْإِيهَامِ . فَلَمَّا رَأَتْ الرُّسُلُ ذَلِكَ وَأَنَّه لَا يُؤْمِنُ إِلَّا مَنْ أُنَارَ اللَّهُ قَلْبَهُ بِنُورِ الْإِيمَانِ ، وَمَتَى لَمْ يَنْظُرِ الشَّخْصُ بِذَلِكَ الثُّورِ الْمُسَمَّى إِيْمَاناً فَلَا يَنْفَعُ فِي حَقِّهِ الْأَمْرُ الْمُعْجِزُ فَقَصَرَتْ الْهَمَمُ عَنْ طَلَبِ الْأُمُورِ الْمُعْجِزَةِ لِمَا لَمْ يَعْمَ أَثَرُهَا فِي النَّاطِرِينَ وَلَا فِي قُلُوبِهِمْ .

كَمَا قَالَ فِي حَقِّ أَكْمَلِ الرُّسُلِ وَاعْلَمِ الْخَلْقِ وَأَضْدَقِهِمْ فِي الْحَالِ ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦] وَلَوْ كَانَ لِلْهِمَّةِ أَثَرٌ وَلَا بَدَ ، لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَكْمَلَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا أَعْلَى وَأَقْوَى هِمَّةً مِنْهُ ، وَمَا أَثَرَتْ فِي إِسْلَامِ أَبِي طَالِبٍ عَمَّهُ ، وَفِيهِ نَزَلَتْ الْآيَةُ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا وَلِذَلِكَ قَالَ فِي الرَّسُولِ إِنَّهُ مَا عَلَيْهِ إِلَّا الْبَلَاغُ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢] .

وَزَادَ فِي سُورَةِ الْقَصَصِ ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُنْتَهِينَ﴾ [القصص: ٥٦] أَيْ بِالَّذِينَ أَعْطَوْهُ الْعِلْمَ بِهَدَايَتِهِمْ فِي حَالِ عَدَمِهِمْ بِأَعْيَانِهِمُ الثَّابِتَةَ فَاتَّبَتْ أَنَّ الْعِلْمَ تَابِعٌ لِلْمَعْلُومِ . فَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً فِي ثُبُوتِ عَيْنِهِ وَحَالِ عَدَمِهِ ظَهَرَ بِتِلْكَ الصُّورَةِ فِي حَالِ وُجُودِهِ ، وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ ذَلِكَ مِنْهُ أَنَّهُ هَكَذَا يَكُونُ ، فَلِذَلِكَ قَالَ : ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُنْتَهِينَ﴾ [القصص: ٥٦] فَلَمَّا قَالَ مِثْلَ هَذَا قَالَ أَيْضاً : ﴿مَا يَبْدُؤُا الْقَوْلَ لَدَيْكَ﴾ [ق: ٢٩] لِأَنَّ قَوْلِي عَلَى حَدِّ عِلْمِي فِي خَلْقِي ؛ ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [ق: ٢٩] أَيْ مَا قَدَّرْتُ عَلَيْهِمُ الْكُفْرَ الَّذِي يَشْفِيهِمْ ثُمَّ طَلَبْتَهُمْ بِمَا لَيْسَ فِي وَسْعِهِمْ أَنْ يَأْتُوا بِهِ ، بَلْ مَا عَامَلْنَاهُمْ إِلَّا بِحَسَبِ مَا عَلَّمْنَاهُمْ ، وَمَا عَلَّمْنَاهُمْ

إِلَّا بِمَا أَغْطُونَا مِنْ نُفُوسِهِمْ مِمَّا هُمْ عَلَيْهِ، فَإِنْ كَانَ ظَلَمًا فَهُمْ الظَّالِمُونَ .
 وَلِذَلِكَ قَالَ: ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٠] فما ظَلَمَهُمُ اللهُ،
 كذلك (ولذلك - خ) ما قُلْنَا لَهُمْ إِلَّا مَا أَغْطَيْتَهُ ذَاتُنَا أَنْ نَقُولَ لَهُمْ؛ وَذَاتُنَا
 مَعْلُومَةٌ لَنَا بِمَا هِيَ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ نَقُولَ كَذَا، وَلَا نَقُولَ كَذَا، فَمَا قُلْنَا إِلَّا مَا
 عَلِمْنَا أَنَّا نَقُولُ قُلْنَا الْقَوْلَ مِنَّا. وَلَهُمُ الْاِمْتِثَالُ وَعَدَمُ الْاِمْتِثَالِ مَعَ السَّمَاعِ
 مِنْهُمْ .

فَالْكُلُّ مِنَّا وَمِنْهُمْ وَالْأَخْذُ عَنَّا وَعَنْهُمْ
 إِنْ لَا يَكُونُوا مِنَّا فَنَحْنُ لَا شَكَّ مِنْهُمْ
 فَتَحَقَّقْ يَا وَلِيَّ (يَا وَلِيَّ - خ) هَذِهِ الْحِكْمَةُ الْمَلَكِيَّةُ مِنَ الْكَلِمَةِ اللَّوْطِيَّةِ
 فَإِنَّهَا لُبَابُ الْمَعْرِفَةِ .

فَقَدْ بَانَ لَكَ السِّرُّ وَقَدْ اتَّضَحَ الْأَمْرُ
 وَقَدْ أُدْرِجَ فِي الشَّفْعِ الَّذِي قِيلَ هُوَ الْوِثْرُ



«فَصْ حِكْمَةِ مُلْكِيَّةٍ فِي كَلِمَةِ لَوْطِيَّةٍ»

«... لِأَنَّ الرَّبَّ كَمَا يَرَبُّ الظَّاهِرَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ يَرَبُّ الْبَاطِنَ أَيْضًا» -
 ص ٢٩٠ - .

أَيَّ زَمَانٍ غَلَبَتْ الْأَحْكَامُ الْعَنْصَرِيَّةُ يَرَبُّ الْبَاطِنَ أَيْضًا أَمَّا بِالْأَسْمِ الْبَاطِنِ أَوْ
 بِالْأَسْمِ الظَّاهِرِ فَإِنَّ الْأَسْمَاءَ لَهَا أُحْدِيَّةُ الْجَمْعِ أَوْ بِالْأَسْمِ الْحَاكِمِ عَلَى ذَلِكَ
 النَّبِيِّ فَإِنَّ الْأَسْمَ الْحَاكِمَ عَلَى النَّبِيِّ لَهُ أُحْدِيَّةُ الْجَمْعِ عَلَى حَسَبِ حَيْطَةِ النَّبِيِّ
 وَسِعَةِ اسْتِعْدَادِهِ .

«وَذَلِكَ أَنَّ الْمَعْرِفَةَ لَا تَتْرَكَ الْهَمَّةَ تَصَرَّفًا فَكَلِمَا عِلَتْ مَعْرِفَتُهُ نَقَصَ تَصَرُّفُهُ
 بِالْهَمَّةِ» - ٢٩٠ - .

قوله: إن المعرفة لا تترك الهمة . . . الخ، وأما إظهار المعجزات على أيدي الأنبياء فلأن الاحتياج دعاهم إلى ذلك بل هو لبسط ربوبية الحق لا لإظهار قدرتهم ولذا كان ديدنهم بحسب الغالب التوجه الظاهري أيضاً إلى الله تعالى .

الفصل العزيري

فص حكمة قدرية في كلمة عزيرية

اعْلَمْ أَنَّ الْقَضَاءَ حُكْمُ اللَّهِ فِي الْأَشْيَاءِ، وَحُكْمُ اللَّهِ فِي الْأَشْيَاءِ عَلَى حَدِّ عِلْمِهِ بِهَا وَفِيهَا، وَعِلْمُ اللَّهِ فِي الْأَشْيَاءِ عَلَى مَا أَعْطَتْهُ الْمَعْلُومَاتُ وَمَا هِيَ عَلَيْهِ فِي نَفْسِهَا، وَالْقَدَرُ تَوَقُّيْتُ مَا عَلَيْهِ (ما هي عليه - خ) الْأَشْيَاءُ فِي عَيْنِهَا مِنْ غَيْرِ مَزِيدٍ.

فَمَا حَكَمَ الْقَضَاءُ عَلَى الْأَشْيَاءِ إِلَّا بِهَا.

وَهَذَا هُوَ عَيْنُ سِرِّ الْقَدَرِ الَّذِي يَظْهَرُ ﴿لَمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

﴿فَلِلَّهِ الْحُكْمُ الْبَلِغَةُ﴾ [الأنعام: ١٤٩].

فَالْحَاكِمُ فِي التَّحْقِيقِ تَابِعُ لِعَيْنِ الْمَسْأَلَةِ الَّتِي يَحْكُمُ فِيهَا بِمَا تَقْتَضِيهِ ذَاتُهَا.

فَالْمَحْكُومُ عَلَيْهِ بِمَا هُوَ فِيهِ حَاكِمٌ عَلَى الْحَاكِمِ أَنْ يَحْكُمَ عَلَيْهِ بِذَلِكَ فَكُلُّ حَاكِمٍ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ بِمَا حَكَمَ بِهِ وَفِيهِ، كَانَ الْحَاكِمُ مَنْ كَانَ.

فَتَحَقَّقْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ فَإِنَّ الْقَدَرَ مَا جُهَلَ إِلَّا لِشِدَّةِ ظُهُورِهِ فَلَمْ يُعْرِفْ وَكَثُرَ فِيهِ الطَّلَبُ وَالْإِلْحَاحُ.

وَأَعْلَمْ أَنَّ الرُّسُلَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ حَيْثُ هُمْ رُسُلٌ لَا مِنْ حَيْثُ

هُنَّ أَوْلِيَاءُ وَعَارِفُونَ عَلَى مَرَاتِبٍ مَا هِيَ عَلَيْهِ أُمَمُهُمْ فَمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ
الَّذِي أُرْسِلُوا بِهِ إِلَّا قَدَرٌ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ أُمَّهُ ذَلِكَ الرَّسُولُ، لَا زَائِدَ وَلَا نَاقِصَ .
وَالْأَمَمُ مُتَفَاضِلَةٌ يَزِيدُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فَيَتَفَاضَلُ الرُّسُلُ فِي عِلْمِ
الْإِرْسَالِ بِتَفَاضُلِ أُمَمِهَا وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ أَرْسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى
بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

كَمَا هُمْ أَيْضاً فَيَمَّا يَرْجِعُ إِلَى ذَوَاتِهِمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مِنَ الْعُلُومِ
وَالْمَعَارِفِ وَالْأَحْكَامِ الْإِلَهِيَّةِ (من العلوم والأحكام - خ) مُتَفَاضِلُونَ بِحَسَبِ
اسْتِعْدَادَاتِهِمْ وَهُوَ فِي قَوْلِهِ: (وهو قوله - خ) ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى
بَعْضٍ﴾ [الإسراء: ٥٥].

وَقَالَ تَعَالَى فِي حَقِّ الْخَلْقِ: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾
[النحل: ٧١] وَالرِّزْقُ مِنْهُ مَا هُوَ رُوحَانِيٌّ كَالْعُلُومِ، وَجَسَدِيٌّ كَالْأَغْذِيَّةِ وَمَا يُنْزَلُهُ
الْحَقُّ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ، وَهُوَ الْاسْتِخْقَاقُ الَّذِي يَطْلُبُهُ الْخَلْقُ.
فَإِنَّ اللَّهَ ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ [طه: ٥٠] فَيُنْزَلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ وَمَا يَشَاءُ
إِلَّا مَا عَلِمَ فَحَكَمَ بِهِ وَمَا عَلِمَ كَمَا قُلْنَا إِلَّا بِمَا أُعْطَاهُ الْمَعْلُومُ مِنْ نَفْسِهِ .
فَالْتَوَقَّيْتُ فِي الْأَصْلِ لِلْمَعْلُومِ وَالْقَضَاءِ وَالْعِلْمِ وَالْإِرَادَةِ وَالْمَشِيئَةِ تَبَعٌ
لِلْقَدَرِ .

فَسِرُّ الْقَدَرِ مِنْ أَجْلِ الْعُلُومِ وَمَا يَفْهَمُهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَّا لِمَنْ اخْتَصَّصَهُ
بِالْمَعْرِفَةِ التَّامَّةِ .

فَالْعِلْمُ بِهِ يُعْطِي الرَّاحَةَ الْكُلِّيَّةَ لِلْعَالَمِ بِهِ وَيُعْطِي الْعَذَابَ الْأَلِيمَ لِلْعَالَمِ
وَبِهِ أَيْضاً فَهُوَ يُعْطِي التَّقْيِضِينَ .

وَبِهِ وَصَفَ الْحَقُّ نَفْسَهُ بِالْغَضَبِ وَالرُّضَا وَبِهِ تَقَابَلَتِ الْأَسْمَاءُ الْإِلَهِيَّةُ .

فَحَقِيقَتُهُ تَحْكُمُ فِي الْوُجُودِ الْمَطْلُوقِ وَالْوُجُودِ الْمُقَيَّدِ (في الموجود المطلق والموجود المقيد - خ) لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ أَتَمَّ مِنْهَا وَلَا أَقْوَى وَلَا أَعْظَمَ لِعُمُومِ حُكْمِهَا الْمُتَعَدِّيِّ وَغَيْرِ الْمُتَعَدِّيِّ .

وَلَمَّا كَانَتْ الْأَنْبِيَاءُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ لَا تَأْخُذُ عُلُومَهَا إِلَّا مِنَ الْوَحْيِ الْخَاصِّ الْإِلَهِيِّ فَقُلُوبُهُمْ سَادِجَةٌ مِنَ النَّظَرِ الْعَقْلِيِّ لِعِلْمِهِمْ بِقُصُورِ الْعَقْلِ مِنْ حَيْثُ نَظَرِهِ الْفِكْرِيِّ ، عَنْ إدْرَاكِ الْأُمُورِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ . وَالْإِخْبَارُ أَيْضاً يَقْصُرُ عَنْ إدْرَاكِ مَا لَا يَنَالُ إِلَّا بِالدَّوْقِ فَلَمْ يَبْقَ الْعِلْمُ الْكَامِلُ إِلَّا فِي التَّجَلِّيِ الْإِلَهِيِّ وَمَا يَكْشِفُ الْحَقَّ عَنْ أَغْيُنِ الْبَصَائِرِ وَالْأَبْصَارِ مِنَ الْأَغْطِيَةِ فَتُدْرِكُ الْأُمُورَ قَدِيمَهَا وَحَدِيثَهَا وَعَدَمَهَا وَوُجُودَهَا وَمُحَالَهَا وَوَاجِبَهَا وَجَائِزَهَا عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ فِي حَقَائِقِهَا وَأَعْيَانِهَا .

كَانَ (فلما كان - خ) مَطْلَبُ غُزَيْرِ (العزير - خ) عَلَى الطَّرِيقَةِ الْخَاصَّةِ لِذَلِكَ وَقَعَ الْعَتَبُ عَلَيْهِ كَمَا وَرَدَ فِي الْحَبَرِ وَلَوْ طَلَبَ (فلو طلب - خ) الْكَشْفَ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ رُبَّمَا كَانَ لَا يَقَعُ عَلَيْهِ عَتَبٌ (العتب - خ) فِي ذَلِكَ .
وَالدَّلِيلُ عَلَى سَدَاجَةِ قَلْبِهِ قَوْلُهُ فِي بَعْضِ الْوُجُوهِ ﴿أَنِّي يُعْنِي هَذَا اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩] .

وَأَمَّا عِنْدَنَا فَصُورَتُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ هَذَا كَصُورَةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ [البقرة: ٢٦٠] وَيَقْتَضِي ذَلِكَ الْجَوَابَ بِالْفِعْلِ الَّذِي أَظْهَرَهُ الْحَقُّ فِيهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا اللَّهُ فِائَتُهُ عَامِرٌ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ [البقرة: ٢٥٩] فَقَالَ لَهُ: ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى الْوَطْأَمِ كَيْفَ تُنْشِرُهَا ثُمَّ نَكْسُوها لَحْمًا﴾ [البقرة: ٢٥٩] فَعَايَنَ كَيْفَ تَنْبُتُ الْأَجْسَامُ مُعَايَنَةً تَحْقِيقِيٍّ فَأَرَاهُ الْكَيْفِيَّةَ .

فَسَأَلَ عَنِ الْقَدْرِ الَّذِي لَا يُدْرِكُ إِلَّا بِالْكَشْفِ لِلْأَشْيَاءِ فِي حَالِ ثُبُوتِهَا فِي عَدَمِهَا فَمَا أُعْطِيَ ذَلِكَ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ خَصَائِصِ الْإِطْلَاعِ الْإِلَهِيِّ .

فَمِنْ الْمَحَالِ أَنْ يَعْلَمَهُ إِلَّا هُوَ فَإِنَّهَا الْمَفَاتِيحُ الْأَوَّلُ أَعْنِي مَفَاتِيحَ الْغَيْبِ الَّتِي لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَقَدْ يُطْلِعُ اللَّهُ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ عَلَى بَعْضِ الْأُمُورِ مِنْ ذَلِكَ .

وَاعْلَمْ أَنَّهُ (أَنْهَا - خ) لَا يُسَمَّى مَفَاتِيحَ إِلَّا فِي حَالِ الْفَتْحِ ، وَحَالِ الْفَتْحِ هُوَ حَالُ تَعَلُّقِ التَّكْوِينِ بِالْأَشْيَاءِ ؛ أَوْ قُلْ إِنْ شِئْتَ : حَالُ تَعَلُّقِ الْقُدْرَةِ بِالْمَقْدُورِ وَلَا ذَوْقَ لِعَمْرِ اللَّهِ فِي ذَلِكَ .

فَلَا يَقَعُ فِيهَا تَجَلُّ وَلَا كَشْفٌ ، إِذْ لَا قُدْرَةَ وَلَا فِعْلَ إِلَّا لِلَّهِ خَاصَّةً ، إِذْ لَهُ الْوُجُودُ الْمُطْلَقُ الَّذِي لَا يَتَقَيَّدُ .

فَلَمَّا رَأَيْنَا غَثَبَ الْحَقِّ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي سُؤَالِهِ فِي الْقَدْرِ عَلِمْنَا أَنَّهُ طَلَبَ هَذَا الْإِطْلَاعَ ، فَطَلَبَ أَنْ تَكُونَ (يَكُونَ - خ) لَهُ قُدْرَةٌ تَتَعَلَّقُ بِالْمَقْدُورِ ، وَمَا يَقْتَضِي ذَلِكَ إِلَّا مَنْ لَهُ الْوُجُودُ الْمُطْلَقُ .

فَطَلَبَ مَا لَا يُمَكِّنُ وَجُودَهُ فِي الْخَلْقِ ذَوْقًا ، فَإِنَّ الْكَيْفِيَّاتِ لَا تُدْرِكُ إِلَّا بِالْأَذْوَاقِ .

وَأَمَّا مَا رَوَيْنَاهُ مِمَّا أَوْحَى اللَّهُ بِهِ إِلَيْهِ لَنْ لَمْ تَنْتَهَ لِأَمْحُورٍ اسْمَكَ مِنْ دِيْوَانِ النُّبُوَّةِ ، أَيْ أَرْفَعُ عَنْكَ طَرِيقَ الْخَبَرِ وَأَعْطِيكَ الْأُمُورَ عَلَى التَّجَلِّيِ ، وَالتَّجَلِّيِ لَا يَكُونُ إِلَّا بِمَا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنَ الْاسْتِعْدَادِ الَّذِي بِهِ يَقَعُ الْإِدَارُكَ الذَّرَوِيِّ ، فَتَعْلَمَ أَنَّكَ مَا أَذْرَجْتَ إِلَّا بِحَسَبِ اسْتِعْدَادِكَ فَتَنْظُرُ فِي هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي طَلَبْتَ ، فَلَمَّا لَمْ تَرَهُ تَعْلَمَ أَنَّهُ لَيْسَ عِنْدَكَ الْاسْتِعْدَادُ الَّذِي تَطْلُبُهُ وَأَنَّ ذَلِكَ مِنْ خَصَائِصِ الذَّاتِ الْإِلَهِيَّةِ ، وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ أُعْطِيَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ

فَإِنْ لَمْ يُعْطِكَ هَذَا الِاسْتِعْدَادُ الْخَاصُّ، فَمَا هُوَ خَلَقَكَ (خَلَقَكَ - خ)، وَلَوْ كَانَ خَلَقَكَ (خَلَقَكَ - خ) لِأَعْطَاكَه الْحَقَّ الَّذِي أَخْبَرَ أَنَّهُ ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ [طه: ٥٠] فَتَكُونُ أَنْتَ الَّذِي تَنْتَهِي عَنْ مِثْلِ هَذَا السُّؤَالِ مِنْ نَفْسِكَ، لَا تَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى نَهْيٍ إِلَهِي وَهَذِهِ (وهذا - خ) عِنَايَةٌ مِنَ اللَّهِ بِالْعَزِيرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَلِكَ مَنْ عِلْمَهُ وَجْهَهُ مَنْ جْهَلَهُ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الْوِلَايَةَ هِيَ الْفَلَكَ الْمُحِيطُ الْعَامُّ، وَلِهَذَا لَمْ تَنْقُطِعْ، وَلَهُ الْإِنْبَاءُ الْعَامُّ. وَأَمَّا نُبُوَّةُ التَّشْرِيعِ وَالرَّسَالَةِ فَمُنْقَطِعَةٌ، وَفِي مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - خ) قَدْ انْقَطَعَتْ، فَلَا نَبِيَّ بَعْدَهُ مُشْرَعًا أَوْ مُشْرَعًا لَهُ وَلَا رَسُولَ وَهُوَ الْمُشْرَعُ.

وَهَذَا الْحَدِيثُ قَصَمَ ظُهُورَ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ لَأَنَّهُ يَتَضَمَّنُ انْقِطَاعَ ذَوَقِ الْعُبُودِيَّةِ الْكَامِلَةِ التَّامَّةِ فَلَا يَنْطَلِقُ عَلَيْهِ اسْمُهَا الْخَاصُّ بِهَا فَإِنَّ الْعَبْدَ يُرِيدُ أَنْ لَا يُشَارِكَ سَيِّدَهُ - وَهُوَ اللَّهُ - فِي اسْمٍ؛ وَاللَّهُ لَمْ يَسَمَّ بِنَبِيِّ وَلَا رَسُولٍ، وَتَسَمَّى بِالْوَلِيِّ وَاتَّصَفَ بِهَذَا الْاسْمِ فَقَالَ: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [البقرة: ٢٥٧] وَقَالَ: ﴿وَهُوَ أَوْلَىُّ الْحَمِيدِ﴾ [الشورى: ٢٨]. وَهَذَا الْاسْمُ بَاقٍ جَارٍ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ دُنْيَاً وَآخِرَةً. فَلَمْ يَبْقَ اسْمٌ يَخْتَصُّ بِهِ الْعَبْدُ دُونَ الْحَقِّ بِانْقِطَاعِ النُّبُوَّةِ وَالرَّسَالَةِ.

إِلَّا أَنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ (لَطَفَ بِعِبَادِهِ - خ) فَأَبْقَى لَهُمُ النُّبُوَّةَ الْعَامَّةَ الَّتِي لَا تَتَشَرَّعُ فِيهَا، وَأَبْقَى لَهُمُ التَّشْرِيعَ فِي الْاجْتِهَادِ فِي ثُبُوتِ الْأَحْكَامِ. وَأَبْقَى لَهُمُ الْوِرَاثَةَ فِي التَّشْرِيعِ فَقَالَ: «الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ» وَمَا ثَمَّةَ مِيرَاثٍ فِي ذَلِكَ إِلَّا فِيمَا اجْتَهَدُوا فِيهِ مِنَ الْأَحْكَامِ فَشَرَعُوهُ.

فَإِذَا رَأَيْتَ النَّبِيَّ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ خَارِجٍ عَنِ التَّشْرِيعِ فَمِنْ حَيْثُ هُوَ وَلِيٌّ
عَارِفٌ .

ولهذا، مقامه من حيث هو عالمٌ وَلِيٌّ أَتَمُّ وَأَكْمَلُ مِنْ حَيْثُ هُوَ
رَسُولٌ أَوْ دُو تَشْرِيعٍ وَشَرْعٍ .

فَإِذَا سَمِعْتَ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ اللَّهِ يَقُولُ أَوْ يَنْقُلُ إِلَيْكَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ الْوِلَايَةُ
أَعْلَى مِنَ النَّبُوَّةِ، فَلَيْسَ يُرِيدُ ذَلِكَ الْقَائِلُ إِلَّا مَا ذَكَرْنَاهُ .

أَوْ يَقُولُ إِنَّ الْوَلِيَّ فَوْقَ النَّبِيِّ وَالرَّسُولِ، فَإِنَّهُ يَغْنِي بِذَلِكَ فِي شَخْصٍ
وَاحِدٍ وَهُوَ أَنَّ الرَّسُولَ مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ وَلِيٌّ أَتَمُّ مِنْهُ مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ (من حيث هو
- خ) نَبِيٌّ وَرَسُولٌ، لَا أَنَّ الْوَلِيَّ التَّابِعَ لَهُ أَعْلَى مِنْهُ، فَإِنَّ التَّابِعَ لَا يُدْرِكُ
الْمُتَّبِعَ أَبَدًا فِيمَا هُوَ تَابِعٌ لَهُ فِيهِ، إِذْ لَوْ أَدْرَكَهُ لَمْ يَكُنْ تَابِعًا (تابعاً له - خ)
فافهم .

فَمَرْجِعُ الرَّسُولِ وَالنَّبِيِّ الْمُشْرِعِ إِلَى الْوِلَايَةِ وَالْعِلْمِ .

أَلَا تَرَى أَنَّ اللَّهَ أَمَرَهُ بِطَلَبِ الزِّيَادَةِ مِنَ الْعِلْمِ لَا مِنْ غَيْرِهِ فَقَالَ لَهُ أَمْرًا:
يَقُولُهُ: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] .

وَذَلِكَ أَنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّ الشَّرْعَ تَكْلِيفٌ بِأَعْمَالٍ مَخْصُوصَةٍ أَوْ نَهْيٌ عَنْ
أَعْمَالٍ مَخْصُوصَةٍ وَمَحَلُّهَا هَذِهِ الدَّارُ فَهِيَ مُنْقَطِعَةٌ، وَالْوِلَايَةُ لَيْسَتْ كَذَلِكَ إِذْ
لَوْ انْقَطَعَتْ لَانْقَطَعَتْ مِنْ حَيْثُ هِيَ كَمَا انْقَطَعَتْ الرِّسَالَةُ مِنْ حَيْثُ هِيَ .
وَإِذَا انْقَطَعَتْ مِنْ حَيْثُ هِيَ لَمْ يَبْقَ لَهَا اسْمٌ، وَالْوَلِيُّ اسْمٌ بَاقٍ لِلَّهِ تَعَالَى،
فَهُوَ لِعَبِيدِهِ تَخْلُقًا وَتَحَقُّقًا وَتَعْلُقًا .

فَقَوْلُهُ لِلْعُزَيْرِ لَنْ لَمْ تَنْتَهَ عَنِ السُّؤَالِ عَنْ مَا هِيَ الْقَدَرُ لِأَمْحُورٍ اسْمَكَ

مِنْ دِيوَانِ النُّبُوَّةِ فَيَأْتِيكَ الْأَمْرُ عَلَى الْكَشْفِ بِالتَّجَلِّي وَيَزُولُ عَنْكَ اسْمُ النَّبِيِّ
وَالرُّسُولِ، وَتَبْقَى لَهُ وَلَايَتُهُ.

إِلَّا أَنَّهُ لَمَّا دَلَّتْ قَرِينَتُهُ الْحَالِ أَنَّ هَذَا الْخِطَابَ جَرَى مَجْرَى الْوَعْدِ عَلِمَ
مَنْ افْتَرَنْتَ عَنْدهُ هَذِهِ الْحَالَةُ مَعَ الْخِطَابِ أَنَّهُ وَعِيدٌ بِانْقِطَاعِ خُصُوصِ بَعْضِ
مَرَاتِبِ الْوَلَايَةِ فِي هَذِهِ الدَّارِ، إِذِ النُّبُوَّةُ وَالرِّسَالَةُ خُصُوصُ رُتَبَةٍ فِي الْوَلَايَةِ
عَلَى بَعْضِ مَا تَجْرِي عَلَيْهِ الْوَلَايَةُ مِنَ الْمَرَاتِبِ، فَيَعْلَمُ أَنَّهُ أَعْلَى مِنَ الْوَلِيِّ
الَّذِي لَا نُبُوَّةَ تَشْرِيعٍ عَنْدهُ وَلَا رِسَالَةَ.

وَمَنْ افْتَرَنْتَ عَنْدهُ حَالَةً أُخْرَى تَقْتَضِيهَا أَيْضاً مَرْتَبَةُ النُّبُوَّةِ يثبتُ عندهُ أَنَّ
هَذَا وَعْدٌ لَا وَعِيدٌ فَإِنْ سَأَلَهُ (وَأَنَّ سُؤَالَهُ - خ) عَلَيْهِ السَّلَامُ مَقْبُولٌ إِذِ النَّبِيُّ
هُوَ الْوَلِيُّ الْخَاصُّ.

وَيَعْرِفُ (وَيُعْرِفُ - خ) بِقَرِينَةِ الْحَالِ أَنَّ النَّبِيَّ مِنْ حَيْثُ لَهُ (مِنْ حَيْثُ
مَالِهِ - خ) فِي الْوَلَايَةِ هَذَا الْاِخْتِصَاصُ مُحَالٌ أَنْ يُقَدِّمَ عَلَى مَا يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ
يَكْرَهُهُ مِنْهُ أَوْ يُقَدِّمَ عَلَى مَا يَعْلَمُ أَنَّ حُصُولَهُ مُحَالٌ.

فَإِذَا افْتَرَنْتَ هَذِهِ الْأَحْوَالَ عِنْدَ مَنْ افْتَرَنْتَ عَنْدهُ وَتَقَرَّرَتْ (تَقَرَّرَتْ عَنْدهُ
- خ) أَخْرَجَ هَذَا الْخِطَابَ الْإِلَهِي عَنْدهُ فِي قَوْلِهِ: «لَا مُحَوَّنَ اسْمُكَ مِنْ دِيوَانِ
النُّبُوَّةِ» مَخْرَجَ الْوَعْدِ، وَصَارَ (فَصَارَ - خ) خَبَرًا يَدُلُّ عَلَى عُلُوِّ مَرْتَبَةِ بَاقِيَةِ
(رُتَبَةِ بَاقِيَةِ - خ) وَهِيَ الْمَرْتَبَةُ الْبَاقِيَةُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ
الَّتِي لَيْسَتْ بِمَحَلٍّ لِّلشَّرْعِ (لِلشَّرْعِ - خ) يَكُونُ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ فِي جَنَّةٍ
وَلَا نَارٍ بَعْدَ الدُّخُولِ فِيهِمَا.

وَإِنَّمَا قَيَّدْنَاهُ بِالدُّخُولِ فِي الدَّارَيْنِ - الْجَنَّةِ وَالنَّارِ - لِمَا شُرِعَ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ لِأَصْحَابِ الْفَتَرَاتِ وَالْأَطْفَالِ الصِّغَارِ وَالْمَجَانِينَ فَيَحْشُرُ هَؤُلَاءِ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ لِإِقَامَةِ الْعَدْلِ وَالْمُؤَاخَذَةِ بِالْجَرِيمَةِ وَالثَّوَابِ الْعَمَلِيِّ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ. فَإِذَا حُشِرُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ بِمَغْزِلٍ عَنِ النَّاسِ بُعِثَ فِيهِمْ نَبِيٌّ مِنْ أَفْضَلِهِمْ وَتُمَثَّلَ لَهُمْ نَارٌ يَأْتِي بِهَا هَذَا النَّبِيُّ الْمَبْعُوثُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ فَيَقُولُ لَهُمْ أَنَا رَسُولُ اللَّهِ (رسول الحق - خ) إِلَيْكُمْ، فَيَقَعُ عِنْدَهُمُ التَّصْدِيقُ بِهِ وَيَقَعُ التَّكْذِيبُ عِنْدَ بَعْضِهِمْ. وَيَقُولُ لَهُمْ افْتَحُوا هَذِهِ النَّارَ بِأَنْفُسِكُمْ، فَمَنْ أَطَاعَنِي نَجَا وَدَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي وَخَالَفَ أَمْرِي هَلَكَ، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ. فَمَنْ امْتَثَلَ أَمْرَهُ مِنْهُمْ وَرَمَى بِنَفْسِهِ فِيهَا سَعَدَ وَنَالَ الثَّوَابَ الْعَمَلِيِّ وَوَجَدَ تِلْكَ النَّارَ بَرْدًا وَسَلَامًا. وَمَنْ عَصَاهُ اسْتَحَقَّ الْعُقُوبَةَ فَدَخَلَ النَّارَ وَنَزَلَ فِيهَا بِعَمَلِهِ الْمُخَالِفِ لِيَقُومَ الْعَدْلُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فِي عِبَادِهِ.

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢] أَي عَظِيمٍ (أَي أمر عظيم - خ) مِنْ أُمُورِ الْآخِرَةِ ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى الشُّجُودِ﴾ [القلم: ٤٢] فَهَذَا (وهذا - خ) تَكْلِيفٌ وَتَشْرِيعٌ فِيهِمْ. فَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَطِيعُ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ، وَهُمْ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ: ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى الشُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢] كَمَا لَمْ يَسْتَطِيعْ (كما لا يستطيع - خ) فِي الدُّنْيَا امْتِثَالَ أَمْرِ اللَّهِ بَعْضُ الْعِبَادِ كَأَيِّ جَهْلٍ وَغَيْرِهِ. فَهَذَا قَدْرُ مَا يَقَعُ (ما يبقى - خ) مِنَ الشَّرْعِ فِي الْآخِرَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَبْلَ دُخُولِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَلِهَذَا قَيَّدْنَاهُ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.



«فُسْ حكمة قدرية في كلمة عزيرية»

«فأشهد الله في نفسه وحمارة ذلك بأمانتهما وإحيائهما كما قال: ﴿قَامَاتُهُ
اللَّهُ يَأْتِي عَارِ ثُمَّ يَمُوتُ﴾ [البقرة: ٢٥٩] - ص ٢٩٧ - .

قوله: باماتتهما وإحيائهما . . . الخ، قال شيخنا العارف الكامل مد
ظله يمكن أن يقال أن علاقة الروح بعد الموت باقية بالنسبة إلى البدن فإنه دار
قراره ونشوه ومادة ظهوره فعلية فلا إشكال في إحياء الموتى في هذا العالم
ويمكن أن يقال إن الأحياء عبارة عن التمثيل ببدنه الحسي أو المثالي المنتقل
معه في هذا العالم كما الأمر كذلك في الرجعة أي تصحيحه بإحدى
الوجهين .

أقول: ما ذكره أولاً قد أشار إليه السيد المحقق الداماد قدس الله نفسه
في رسالة فارسية منسوبة إليه راجعة إلى سر زيارة الأموات فقال على ما ببالي
ما ترجمته أن للنفس علاقتين بالبدن علاقة صورية وعلاقة مادية والموت
يوجب سلب العلاقة الصورية لا المادية ولهذا شرع زيارة الأموات .

«قد مر في المقدمات أن العلم في المرتبة الأحدية عين الذات مطلقاً
فالعالم والمعلوم والعلم شيء واحد لا مغايرة فيها» - ص ٢٩٨ - .

قوله: العلم في المرتبة الأحدية . . . الخ، إن كان المراد بالمرتبة
الأحدية ما هي المعروف من مرتبة الذات الغيبية فهي لا اسم لها ولا رسم فلا
يعتبر في هذه المرتبة صفة حتى يقال عين أو غير وما مر في المقدمات أيضاً
كذلك فإن الوجود بشرط لا لا يتصف بالعلم ولا بغيره من الصفات نعم
المرتبة الأحدية في اصطلاح آخر غير مرتبة الذات من حيث هي التي لا
تتصف بصفة كما أشار إليه صاحب مصباح الأنس في أول كتابه وعليه تكون
مرتبة الأحدية هي مرتبة الذات مع تعيينها بالأسماء الذاتية ويمكن جعل العلم
بالذات منها .

«وهذا هو عين سر القدر الذي يظهر لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو
شاهد» - ص ٢٩٨ - .

قوله: له قلب أي قلب أحدي جمعي متصل بعالم الأسماء مطلع بالأعيان الثابتة في الحضرة العلمية.

«والطلب والالحاق على معرفة سر القدر من الأنبياء ﷺ إنما كان للاحتجاب فإن النبي إذا أطلع عليه لا يقدر على الدعوة وإجراء أحكام الشريعة» - ص ٢٩٩ -.

قوله: لا يقدر على الدعوة... الخ، ليس الاطلاع على سر القدر مانعاً عن الدعوة وإجراء أحكام الشريعة فإن ذلك أيضاً من سر القدر فعين العاصي تقتضي العصيان وتقتضي إجراء الحد عليها وعين النبي تقتضي الدعوة وتبليغ الحجة فالنبي يبلغ الحجة بمقتضى عينه الثابتة والعاصي يعصي بمقتضى عينه الثابتة وتقتضي عينه إجراء الحدود عليه.

قال الشيخ في المتن: «فلا يقع فيها تجل ولا كشف إذ لا قدرة ولا فعل إلا الله خاصة. قال الشارح بعد كلام: فضمير فيها عائد إلى القدرة» - ص ٣٠٥ -.

لا وجه لعود الضمير إلى القدرة كما لا يخفى ولعله من سهو قلم الناسخ ويمكن إرجاع الضمير إلى غير الله باعتبار عينه الثابتة.

«ولكون الولاية عامة شاملة على الأنبياء والأولياء لم ينقطع أي ما دام الدنيا باقية» - ص ٣٠٧ -.

قوله: ولكون الولاية عامة... الخ، أقول لما كان مدار الرسالة على الاحتياجات الملكية من السياسات والمعاملات والعبادات وهي من الأمور الكونية منقطعة بانقطاعه فلا محالة تنقطع هي أيضاً بل بالتشريع التام المتكفل لجميع الاحتياجات كتشريع نبينا ﷺ بخلاف الولاية فإن حقيقتها تحصل بالقرب أو نفس القرب التام وهو غير منقطع كما لا يخفى.

«وهذا الحديث قصم ظهور أولياء الله فإنه يتضمن انقطاع ذوق العبودية الكاملة التامة» - ص ٣٠٧ -.

قوله: وهذا الحديث قصم... الخ، أعلم أن الأولياء الكاملين مع كون مقام ولايتهم أتم وأكمل من مقام عبوديتهم فإن الولاية التامة إفناء رسوم

العبودية فهي الربوبية التي هي كنه العبودية إلا أن الظهور بالربوبية التي هي من مختصات الحق جل وعلا كان من أصعب الأمور عليهم فإن مقام العبد الكامل هو التذلل بين يدي سيده وإظهار المعجزات في بعض الأحيان في الحقيقة إظهار ربوبية الحق في المظهر الكامل .

«ولا تجتمع هذه النبوة العامة والتشريع الموروث في شخص واحد»

- ص ٣٠٨ - .

قوله : ولا تجتمع هذه النبوة . . . الخ ، أي لا تجتمع النبوة العامة التي هي الانباء عن الحقائق والمعارف بمرتبها الكاملة المنطبقة على الولي الخاص مع التشريع الموروث الذي هو الاجتهاد في شخص واحد فإن الولي الخاص يأخذ الأحكام عن معدن أخذ النبي منه وتكشف الأحكام عنده بواسطة التبعية والنبي تنكشف لديه بالأصالة .

الفصل العيسوي

فص حكمة نبوية في كلمة عيسوية

عَنْ مَاءٍ مَزِيَمٍ أَوْ عَنْ تَفْخِجِ جَبْرِينَ فِي صُورَةِ الْبَشَرِ الْمَوْجُودِ مِنْ طِينِ
تَكُونُ الرُّوحُ فِي ذَاتِ مُطَهَّرَةٍ
مِنَ الطَّبِيعَةِ تَدْعُوهَا (يَدْعُوهَا - مَعاً) بِسَجِّينِ
لَأَجْلِ ذَلِكَ قَدْ طَالَتْ إِقَامَتُهُ فِيهَا فَزَادَ عَلَى أَلْفِ بَتَغِيينِ
رُوحٌ مِنَ اللَّهِ لَا مِنْ غَيْرِهِ فَلِذَا أَحْيَا الْمَوَاتَ وَأَنْشَأَ الطَّيْرَ مِنْ طِينِ
حَتَّى يَصِحَّ لَهُ مِنْ رَبِّهِ نَسَبٌ بِهِ يُؤَثَّرُ فِي الْعَالِي وَفِي الدُّونِ
اللَّهُ طَهَّرَهُ جَسَماً وَنَزَّهَهُ رُوحاً وَصَيَّرَهُ مِثْلاً بِتَكْوِينِ
أَعْلَمَ أَنَّ مِنْ خَصَائِصِ الْأَرْوَاحِ أَنَّهَا لَا تَطَأُ شَيْئاً إِلَّا حَيَّيَ ذَلِكَ الشَّيْءُ
وَسَرَّتِ الْحَيَاةَ فِيهِ. وَلِهَذَا قَبِضَ السَّامِرِيُّ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ الَّذِي هُوَ
جَبْرِئِيلُ (جبريل - خ) عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ الرُّوحُ. وَكَانَ السَّامِرِيُّ عَالِماً بِهَذَا الْأَمْرِ.
فَلَمَّا عَرَفَ أَنَّهُ جَبْرِئِيلُ (جبريل - خ)، عَرَفَ أَنَّ الْحَيَاةَ قَدْ مَرَتْ فِيهِمَا وَطِئَ
عَلَيْهِ، فَقَبِضَ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ بِالضَّادِ أَوْ بِالضَّادِ أَيْ بِمِلْءِ يَدِهِ أَوْ
بِأَطْرَافِ أَصَابِعِهِ، فَتَبَدَّهَا فِي الْعَجَلِ فَخَارَ الْعَجَلُ، إِذْ صَوْتُ الْبَقْرِ (إِذْ صَوْتُ
العجل والبق - خ) إِنَّمَا هُوَ خَوَارٌ، وَلَوْ أَقَامَهُ صُورَةً أُخْرَى لَنُسِبَ إِلَيْهِ اسْمُ
الصَّوْتِ الَّذِي لَتَنَكَ الصُّورَةُ كَالرُّغَاءِ لِلْإِبِلِ وَالتَّوْاجِ (والتواج - خ) لِلنَّكَاشِ
وَالْبُعَارِ (الغيار - خ) لِلنَّشِيَاءِ وَالصَّوْتِ لِلْإِنْسَانِ أَوْ الثَّطْقِ أَوْ الْكَلَامِ.

فَذَلِكَ الْقَدْرُ مِنَ الْحَيَاةِ السَّارِيَةِ فِي الْأَشْيَاءِ يُسَمَّى لَاهُوتًا، وَالتَّاسُوتُ
هُوَ الْمَحَلُّ الْقَائِمُ بِهِ ذَلِكَ الرُّوحُ فَسُمِّيَ (فَيُسَمَّى - خ) التَّاسُوتُ رُوحًا بِمَا قَامَ
بِهِ .

فَلَمَّا تَمَثَّلَ الرُّوحُ الْأَمِينُ الَّذِي هُوَ جِبْرِئِيلُ (جبريل - خ) لِمَرْيَمَ عَلَيْهَا
السَّلَامُ (عليها وعليه السلام - خ) بَشَرًا سَوِيًّا تَخَيَّلَتْ أَنَّهُ بَشَرٌ يُرِيدُ مُوَاقَعَتَهَا،
فَاسْتَعَاذَتْ بِاللَّهِ مِنْهُ اسْتِعَاذَةً بِجَمْعِيَّةٍ مِنْهَا لِيُخَلِّصَهَا اللَّهُ مِنْهُ لِمَا تَعَلَّمَ أَنَّ ذَلِكَ
مِمَّا لَا يَجُوزُ . فَحَصَلَ لَهَا حُضُورٌ تَامٌ مَعَ اللَّهِ وَهُوَ الرُّوحُ الْمَغْنُوي .
فَلَوْ نُفِّخَ فِيهَا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ لَخَرَجَ عَيْنِي عَلَيْهِ
السَّلَامُ لَا يُطِيقُهُ أَحَدٌ لِسَكَاسَةِ خُلُقِهِ لِحَالِ أُمِّهِ .

فَلَمَّا قَالَ لَهَا: ﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ﴾ [مريم: ١٩] جِئْتُ ﴿لَأَهْبَ لَكَ
عُلْمًا زَكِيًّا﴾ [مريم: ١٩] انْبَسَطَتْ عَنْ ذَلِكَ الْقَبْضِ وَانْشَرَحَ صَدْرُهَا فَتَفَنَّحَ
فِيهَا فِي ذَلِكَ الْحِينِ فَخَرَجَ عَيْسَى .

وَكَانَ (فكان - خ) جِبْرِئِيلُ نَاقِلًا كَلِمَةَ اللَّهِ لِمَرْيَمَ كَمَا يَنْقُلُ الرَّسُولُ
كَلَامَ اللَّهِ لِأُمَّتِهِ .

وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ [النساء: ١٧١] .

فَسَرَبَتِ الشَّهْوَةُ فِي مَرْيَمَ فَخُلِقَ (وَخُلِقَ - خ) جِسْمُ عَيْنِي مِنْ مَاءٍ
مُحَقَّقٍ مِنْ مَرْيَمَ، وَمِنْ مَاءٍ مُتَوَهِّمٍ مِنْ جِبْرِئِيلَ، سَرَى فِي رُطُوبَةِ ذَلِكَ التَّفْنَحِ
لَأَنَّ التَّفْنَحَ مِنَ الْجِسْمِ الْحَيَوَانِيِّ رَطْبٌ لِمَا فِيهِ مِنْ رُكْنِ الْمَاءِ .

فَتَكُونُ جِسْمُ عَيْنِي مِنْ مَاءٍ مُتَوَهِّمٍ وَمِنْ مَاءٍ مُحَقَّقٍ، وَخَرَجَ عَلَى
ضُورَةِ الْبَشَرِ مِنْ أَجْلِ أُمِّهِ، وَمِنْ أَجْلِ تَمَثُّلِ جِبْرِئِيلَ (تمثيل جبريل - خ) عَلَى

صُورَةَ (في صورة - خ) الْبَشَرِ حَتَّى لَا يَقَعَ التَّكْوِينُ فِي هَذَا النَّوعِ الْإِنْسَانِي
إِلَّا عَلَى الْحَكَمِ الْمُغْتَادِ.

فَخَرَجَ عَيْسَى يُخَيِّ الْمَوْتَى لِأَنَّهُ رُوحٌ إِلَهِي، وَكَانَ الْإِحْيَاءُ لِلَّهِ وَالْتَّفُخُ
لِعَيْسَى كَمَا كَانَ التَّفُخُ لِجِبْرِئِيلَ وَالْكَلِمَةُ لِلَّهِ.

وَكَانَ (فَكَانَ - خ) إِحْيَاءُ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلْأَمْوَاتِ إِحْيَاءً مُحَقَّقاً مِنْ
حَيْثُ مَا ظَهَرَ عَنْ نَفْخِهِ كَمَا ظَهَرَ هُوَ عَنْ صُورَةِ أُمَّهِ. وَكَانَ إِحْيَاؤُهُ أَيْضاً
مُتَوَهِّماً أَنَّهُ مِنْهُ وَإِنَّمَا كَانَ لِلَّهِ. فَجَمَعَ لِحَقِيقَتِهِ (بِحَقِيقَتِهِ - خ) الَّتِي خُلِقَ
عَلَيْهَا كَمَا قُلْنَا إِنَّهُ مَخْلُوقٌ مِنْ مَاءٍ مَتَوَهِّمٍ وَمَاءٍ مُحَقَّقٍ يُنسَبُ إِلَيْهِ الْإِحْيَاءُ
بِطَرِيقِ التَّخْفِيقِ (التَّحَقُّق - خ) مِنْ وَجْهِهِ وَبِطَرِيقِ التَّوَهِّمِ مِنْ وَجْهِهِ.

فَقِيلَ فِيهِ مِنْ طَرِيقِ التَّخْفِيقِ ﴿وَأَنِّي أَلْمُوتُ﴾ [آل عمران: ٤٩] وَقِيلَ فِيهِ مِنْ
طَرِيقِ التَّوَهِّمِ ﴿فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٤٩] فَالْعَامِلُ فِي
الْمَجْرُورِ فَيَكُونُ، لَا أَنْفُخَ. وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْعَامِلُ فِيهِ أَنْفُخُ فَيَكُونُ طَيْرًا،
مِنْ حَيْثُ صُورَتِهِ الْحِسِّيَّةُ الْجَسَمِيَّةُ.

وَكَذَلِكَ ﴿وَتَتَرَى الْأَكْشَمَ وَالْأَبْرَصَ﴾ [المائدة: ١١٠] وَجَمِيعُ مَا يُنسَبُ
إِلَيْهِ وَإِلَى إِذْنِ اللَّهِ.

وَإِذَا أَوْ إِذْنِ (وَإِذْن - خ) الْكِنَايَةُ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ بِإِذْنِي وَإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا
تَعَلَّقَ الْمَجْرُورُ بِتَنْفُخٍ، فَيَكُونُ التَّانِفُخُ مَأْدُوناً لَهُ فِي التَّفُخِ وَيَكُونُ الطَّائِرُ عَنِ
التَّانِفِخِ بِإِذْنِ اللَّهِ. وَإِذَا كَانَ التَّانِفُخُ نَافِخاً لَا عَنِ الْإِذْنِ، فَيَكُونُ التَّكْوِينُ
(التَّكْوِين - خ) لِلطَّائِرِ. (فَيَكُونُ التَّكْوِينُ لِلطَّائِرِ طَائِراً بِإِذْنِ اللَّهِ - خ).

فَيَكُونُ الْعَامِلُ عِنْدَ ذَلِكَ فَيَكُونُ فَلَوْلَا أَنَّ فِي الْأَمْرِ تَوَهُماً وَتَحَقُّقاً مَا

قِيلَتْ هَذِهِ الصُّورَةُ هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ. بَلْ لَهَا هَذَانِ الْوَجْهَانِ لِأَنَّ النَّشْأَةَ
الْعَيْسَوِيَّةَ تُعْطِي ذَلِكَ.

وَوَخَّرَجَ عَيْسَى مِنَ التَّوَاضُّعِ إِلَى أَنْ شُرِّعَ (شُرِّعَ - معاً) لَأُمَّتِهِ أَنْ ﴿يُعْطُوا
الْحِزْبَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩] وَأَنْ أَحَدَهُمْ إِذَا لُطِمَ فِي خَدِّهِ وَضَعَ
الْخَدَّ الْآخَرَ لِمَنْ لَطَمَهُ (يَلْطُمُهُ - خ) وَلَا يَرْتَفِعُ (وَلَا يَرْفَعُ - خ) عَلَيْهِ وَلَا
يَطْلُبُ الْقِصَاصَ مِنْهُ. هَذَا لَهُ مِنْ جِهَةِ أُمِّهِ إِذِ الْمَرْأَةُ لَهَا السُّفْلُ، فَلَهَا التَّوَاضُّعُ
لِأَنَّهَا تَحْتَ الرَّجُلِ حُكْماً وَجِسْماً.

وَمَا كَانَ فِيهِ مِنْ قُوَّةِ الْإِحْيَاءِ وَالْإِبْرَاءِ فَمِنْ جِهَةِ نَفْخِ جِبْرِئِيلَ (جبريل -
خ) فِي صُورَةِ الْبَشَرِ فَكَانَ عَيْسَى يُخَيِّي الْمَوْتَى بِصُورَةِ الْبَشَرِ.

وَلَوْ لَمْ يَأْتِ جِبْرِئِيلُ (جبريل - خ) فِي صُورَةِ الْبَشَرِ وَأَتَى فِي صُورَةِ
غَيْرِهَا (فِي صُورَةِ غَيْرِهَا - معاً) مِنْ صُورِ الْأَكْوَانِ الْعُنْصُرِيَّةِ مِنْ حَيَوَانَ أَوْ
نَبَاتٍ أَوْ جَمَادٍ لَكَانَ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا يُخَيِّي الْمَوْتَى إِلَّا حِينَ يَتَلَبَّسُ
بِتِلْكَ الصُّورَةِ وَيَظْهَرُ فِيهَا (وَوَظَّهَرُ فِيهَا - خ).

وَلَوْ أَتَى جِبْرِئِيلُ (جبريل - خ) بِصُورَتِهِ الثُّورِيَّةِ الْخَارِجَةِ عَنِ الْعَنَاصِرِ
وَالْأَرْكَانِ - إِذْ لَا يَخْرُجُ عَنْ طَبِيعَتِهِ - لَكَانَ عَيْسَى لَا يُخَيِّي الْمَوْتَى إِلَّا حِينَ
ظَهَرَ (يَظْهَرُ - خ) فِي تِلْكَ الصُّورَةِ الطَّبِيعِيَّةِ الثُّورِيَّةِ لَا الْعُنْصُرِيَّةِ مَعَ الصُّورَةِ
الْبَشَرِيَّةِ مِنْ جِهَةِ أُمِّهِ فَكَانَ يُقَالُ فِيهِ عِنْدَ إِحْيَائِهِ الْمَوْتَى هُوَ لَا هُوَ.

وَتَقَعُ الْحَيَازَةُ فِي النَّظَرِ إِلَيْهِ كَمَا وَقَعَتْ فِي الْعَاقِلِ عِنْدَ النَّظَرِ الْفِكْرِيِّ إِذَا
رَأَى شَخْصاً بَشَرِيّاً مِنَ الْبَشَرِ يُخَيِّي الْمَوْتَى، وَهُوَ مِنَ الْخِصَالِ الْإِلَهِيَّةِ،
إِحْيَاءُ الطَّلُقِ لَا إِحْيَاءُ الْحَيَوَانِ بَقِيَ النَّاطِرُ حَائِراً، إِذْ يَرَى الصُّورَةَ بَشَراً (بَشَرِيّاً
- خ) بِالْأَثَرِ الْإِلَهِيِّ.

فَأَدَّى بَعْضُهُمْ فِيهِ إِلَى الْقَوْلِ بِالْحُلُولِ، وَأَنَّهُ هُوَ اللَّهُ بِمَا أَحْيَا بِهِ
الْمَوْتَى، وَلِذَلِكَ نُسِبُوا إِلَى الْكُفْرِ وَهُوَ السُّنْزُ لِأَنَّهُمْ سَتَرُوا اللَّهَ الَّذِي أَحْيَا
الْمَوْتَى بِصُورَةِ بَشَرِهِ عِيسَى.

فَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ
مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧] فَجَمَعُوا بَيْنَ الْخَطَا وَالْكُفْرِ فِي تَمَامِ الْكَلَامِ كُلِّهِ (كله لأنه
- خ) لَا يَقُولُهُمْ هُوَ اللَّهُ وَلَا يَقُولُهُمْ ابْنُ مَرْيَمَ.

فَعَدَّلُوا بِالتَّضْمِينِ مِنَ اللَّهِ مِنْ حَيْثُ أَحْيَا الْمَوْتَى (من حيث إحياء
الموتى - خ) إِلَى الصُّورَةِ النَّاسُوتِيَّةِ الْبَشَرِيَّةِ يَقُولُهُمْ ابْنُ مَرْيَمَ وَهُوَ ابْنُ مَرْيَمَ
بِلَا شَكٍّ.

فَتَحَيَّلَ السَّامِعُ أَنَّهُمْ نَسَبُوا الْأُلُوهِيَّةَ لِلصُّورَةِ (إلى الصورة - خ)
وَجَعَلُوهَا عَيْنَ الصُّورَةِ وَمَا فَعَلُوا (وَمَا جَعَلُوا - خ) بَلْ جَعَلُوا الْهُوِيَّةَ الْإِلَهِيَّةَ
ابْتِدَاءً فِي صُورَةِ بَشَرِيَّةٍ هِيَ ابْنُ مَرْيَمَ، فَفَصَّلُوا بَيْنَ الصُّورَةِ وَالْحُكْمِ.
لَا أَنَّهُمْ جَعَلُوا الصُّورَةَ عَيْنَ الْحُكْمِ.

كَمَا كَانَ جِبْرِيلُ (جبريل - خ) فِي صُورَةِ الْبَشَرِ وَلَا تَفْخُ، ثُمَّ تَفْخُ،
فَفَصَّلَ بَيْنَ الصُّورَةِ وَالتَّفْخِ وَكَانَ التَّفْخُ مِنْ صُورَةِ (الصورة - خ)، فَقَدْ كَانَتْ
وَلَا تَفْخُ.

فَمَا هُوَ التَّفْخُ مِنْ حَدِّهَا الذَّاتِي؟

فَوَقَعَ الْخِلَافُ بَيْنَ أَهْلِ الْمِلَلِ فِي عِيسَى مَا هُوَ؟ فَمَنْ نَاطَرَ فِيهِ مِنْ
حَيْثُ صُورَتِهِ الْإِنْسَانِيَّةِ الْبَشَرِيَّةِ فَيَقُولُ هُوَ ابْنُ مَرْيَمَ وَمَنْ نَاطَرَ فِيهِ مِنْ حَيْثُ
الصُّورَةِ الْمُثَمِّلَةِ الْبَشَرِيَّةِ فَيَنْسِبُهُ لَجِبْرِيلَ (لجبريل - خ) عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ وَمَنْ
نَاطَرَ فِيهِ مِنْ حَيْثُ مَا ظَهَرَ عَنْهُ مِنْ إِحْيَاءِ الْمَوْتَى فَيَنْسِبُهُ إِلَى اللَّهِ بِالرُّوحِيَّةِ

فَيَقُولُ رُوحَ اللَّهِ، أُنِي بِهِ ظَهَرَتِ الْحَيَاةُ فَيَمْنُ نَفَخَ فِيهِ . فَتَارَةً يَكُونُ الْحَقُّ فِيهِ مَتَوَهُمًا - اسم مفعول - وتَارَةً يَكُونُ الْمَلَكُ فِيهِ مَتَوَهُمًا، وتَارَةً تَكُونُ الْبَشَرِيَّةُ الْإِنْسَانِيَّةُ فِيهِ مَتَوَهُمَةً: فَيَكُونُ عِنْدَ كُلِّ نَاطِلٍ بِحَسَبِ مَا يَغْلِبُ عَلَيْهِ، فَهُوَ كَلِمَةُ اللَّهِ وَهُوَ رُوحُ اللَّهِ وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ .

وَلَيْسَ ذَلِكَ فِي الصُّورَةِ الْجَسَدِيَّةِ لِغَيْرِهِ، بَلْ كُلُّ شَخْصٍ مَنسُوبٌ إِلَى أَبِيهِ الصُّورِيِّ لَا إِلَى النَّافِخِ رَوْحَهُ فِي الصُّورَةِ الْبَشَرِيَّةِ .

فَإِنَّ اللَّهَ إِذَا سَوَّى الْجِسْمَ الْإِنْسَانِيَّ كَمَا قَالَ: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾ [الحجر: ٢٩] نَفَخَ فِيهِ هُوَ تَعَالَى مِنْ رُوحِهِ .

فَنَسَبَ الرُّوحَ فِي كَوْنِهِ وَعَيْنِهِ إِلَيْهِ تَعَالَى . وَعِيسَى لَيْسَ كَذَلِكَ، فَإِنَّهُ ائْتَرَجَتِ تَسْوِيَةُ جِسْمِهِ وَصُورَتِهِ الْبَشَرِيَّةُ بِالنَّفْخِ الرُّوحِيِّ، وَغَيْرُهُ كَمَا ذَكَرْنَاهُ لَمْ يَكُنْ مِثْلَهُ .

فَالْمَوْجُودَاتُ كُلُّهَا كَلِمَاتُ اللَّهِ الَّتِي لَا تَنفَدُ، فَإِنَّهَا عَنْ «كُن» وَكُنْ كَلِمَةُ اللَّهِ .

فَهَلْ تُنْسَبُ الْكَلِمَةُ إِلَيْهِ بِحَسَبِ مَا هُوَ عَلَيْهِ فَلَا تُعْلَمُ مَا هِيَئُهَا (فلا تعلم نفس ما هيئتها - خ) أَوْ يَنْزِلُ هُوَ تَعَالَى إِلَى صُورَةٍ مِنْ يَقُولُ (يقول له - خ) «كُن» فَيَكُونُ قَوْلُ كُنْ حَقِيقَةً لِتِلْكَ الصُّورَةِ الَّتِي نَزَلَ إِلَيْهَا وَظَهَرَ فِيهَا؟

فَبَعْضُ الْعَارِفِينَ يَذْهَبُ إِلَى الطَّرَفِ الْوَاحِدِ، وَبَعْضُهُمْ إِلَى الطَّرَفِ الْآخَرِ، وَبَعْضُهُمْ يَحَارُ فِي الْأَمْرِ وَلَا يَدْرِي .

وهذه مَسْأَلَةٌ لَا يُمَكِّنُ أَنْ تُعْرَفَ إِلَّا دَوْقًا كَأَنِّي يَرِيدُ حِينَ نَفَخَ فِي الثَّمَلَةِ الَّتِي قَبْلَهَا فَحَيَّتْ فَعَلِمَ عِنْدَ ذَلِكَ بِمَنْ يَنْفُخُ فَتَفْخُ فَكَانَ عِيسَى الْمَشْهَدُ . وَأَمَّا الْإِحْيَاءُ الْمَعْنَوِيُّ بِالْعِلْمِ فَتِلْكَ الْحَيَاةُ الْإِلَهِيَّةُ الذَّاتِيَّةُ الْعَلِيَّةُ التَّوْرِيَّةُ

التي قَالَ اللَّهُ فِيهَا: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ [الأنعام: ١٢٢] فَكُلُّ مَنْ يُحْيِي (أحيا - خ) نَفْسًا مَيِّتَةً بِحَيَاةٍ عِلْمِيَّةٍ فِي مَسْأَلَةٍ خَاصَّةٍ مُتَعَلِّقَةٍ بِالْعِلْمِ بِاللَّهِ، فَقَدْ أَحْيَاهُ بِهَا فَكَانَتْ (وكانت - خ) لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ أَيْ بَيْنَ أَشْكَالِهِ فِي الصُّورَةِ.

فَلَوْلَاهُ وَلَوْلَانَا لَمَا كَانَ الَّذِي كَانَا
فإِنَّا أَعْبُدُ حَقًّا وَإِنَّ اللَّهَ مُوَلَّانَا
وإِنَّا عَيْنُهُ فَأَعْلَمُ إِذَا مَا قُلْتُ إِنْسَانَا
فَلَا تُخَجِّبْ (فَلَا تَخْجُبْ - معاً)

فَقَدْ أَعْطَاكَ بُرْهَانَا
فَكُنْ حَقًّا وَكُنْ خَلْقًا تَكُنْ بِاللَّهِ رَحْمَانَا
وَعِدُّ خَلْقُهُ مِنْهُ تَكُنْ رَوْحًا وَرَزِيحَانَا
فَأَعْطَيْنَاهُ مَا يَبْدُو بِهِ فِينَا وَأَعْطَانَا
مُضَارَّ الْأَمْرِ مُقْسُومًا بِإِيَّاهُ وَإِيَّانَا
فَأَحْيَاهُ الَّذِي يَدْرِي بِقَلْبِي حِينَ أَحْيَانَا
فَكُنَّا فِيهِ أَكْوَانَا وَأَعْيَانَا وَأَزْمَانَا
وَلَيْسَ بِدَائِمٍ فِينَا وَلَكِنْ ذَاكَ أَحْيَانَا

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ أَمْرٍ (مَا ذَكَرْنَاهُ فِي أَمْرٍ - خ) التَّفَخُّ
الرُّوحَانِي مَعَ صُورَةِ الْبَشَرِ الْعُنْصُرِيِّ هُوَ أَنَّ الْحَقَّ وَصَفَ نَفْسَهُ بِالنَّفْسِ
الرَّحْمَانِي وَلَا بَدْلَ لِكُلِّ مَوْصُوفٍ بِصِفَةٍ أَنْ يَتَّبَعَ الصِّفَةَ جَمِيعًا مَا تَسْتَلْزِمُهُ تِلْكَ
الصِّفَةُ، وَقَدْ عَرَفَتْ أَنَّ النَّفْسَ فِي الْمُتَنَفِّسِ مَا يَسْتَلْزِمُهُ فَلِذَلِكَ قَبْلَ النَّفْسِ
الْإِلَهِيِّ صُورَ الْعَالَمِ. فَهُوَ لَهَا كَالْجَوْهَرِ الْهَيُولَانِيِّ، وَلَيْسَ إِلَّا عَيْنَ الطَّبِيعَةِ.

فَالْعَنَاصِرُ صُورَةٌ مِنْ صُورِ الطَّبِيعَةِ وَمَا فَوْقَ الْعَنَاصِرِ وَمَا تَوَلَّدَ عَنْهَا فَهُوَ
أَيْضاً مِنْ صُورِ الطَّبِيعَةِ، وَهِيَ الْأَرْوَاحُ الْعُلَوِيَّةُ الَّتِي فَوْقَ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ .
وَأَمَّا أَرْوَاحُ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَأَعْيَانُهَا فَهِيَ غُنْصِرِيَّةٌ، فَإِنَّهَا مِنْ دُخَانِ
الْعَنَاصِرِ الْمُتَوَلَّدِ عَنْهَا.

وَمَا تَكُونُ (وَمَا يَكُون - معاً) مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فَهُوَ مِنْهَا،
فَهُمْ غُنْصِرِيُّونَ وَمَنْ فَوْقَهُمْ طَبِيعِيُّونَ، وَلِهَذَا وَصَفَهُمُ اللَّهُ بِالْإِخْتِصَامِ - أَعْنِي
الْمَلَائِكَةَ الْأَعْلَى - لِأَنَّ (فَإِنَّ - خ) الطَّبِيعَةُ مُتَقَابِلَةٌ.

وَالْتَقَابُلُ الَّذِي فِي الْأَسْمَاءِ الْإِلَهِيَّةِ الَّتِي هِيَ النَّسَبُ (النَّسَبُ - خ)، إِنَّمَا
أَعْطَاهُ النَّفْسُ.

أَلَا تَرَى الذَّاتَ الْخَارِجَةَ عَنْ هَذَا الْحُكْمِ كَيْفَ جَاءَ فِيهَا الْغِنَى عَنْ
الْعَالَمِينَ؟

فَلِهَذَا خَرَجَ (أَخْرَجَ - خ) الْعَالَمُ عَلَى صُورَةٍ مِنْ أَوْجَدِهِمْ، وَلَيْسَ إِلَّا
النَّفْسُ الْإِلَهِيَّةُ.

فَبِمَا فِيهِ مِنَ الْحَرَارَةِ عَلا، وَبِمَا فِيهِ مِنَ الْبُرُودَةِ وَالرُّطُوبَةِ سَفَلَ، وَبِمَا
فِيهِ مِنَ الْيُبُوسَةِ ثَبَتَ وَلَمْ يَنْزَلْزَلْ، فَالرُّسُوبُ لِلْبُرُودَةِ وَالرُّطُوبَةُ؛ أَلَا تَرَى
الطَّبِيبَ إِذَا أَرَادَ سَفْيَ دَوَاءٍ لِأَحَدٍ يَنْظُرُ فِي قَارُورَةِ مَائِهِ، فَإِذَا رَأَاهُ رَسَبَ (رَاسَباً
- خ) عَلِمَ أَنَّ التُّضَجَّ قَدْ كَمَلَ فَيَسْقِيهِ الدَّوَاءَ لِيُسْرَعَ فِي النَّجْحِ. وَإِنَّمَا يَرُسَبُ
لِرُّطُوبَتِهِ وَبُرُودَتِهِ الطَّبِيعِيَّةِ.

ثُمَّ إِنَّ هَذَا الشَّخْصَ الْإِنْسَانِي عَجَنَ طِينَتَهُ بِيَدَيْهِ وَهُمَا مُتَقَابِلَتَانِ وَإِنْ
كَانَتْ كُلُّمَا يَدِيهِ يَمِيناً فَلَا خَفَاءَ بِمَا بَيْنَهُمَا (لَمَّا بَيْنَهُمَا - خ) مِنْ (فِي - خ)
الْفُرْقَانِ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا كَوْنُهُمَا اثْنَتَيْنِ أَعْنِي يَدَيْنِ.

لأنه لا يؤثر في الطبيعة إلا ما يناسبها وهي مُتقابِلَةٌ، فجاء باليدَيْنِ .
ولَمَّا (فَلَمَّا - خ) أوجده باليدَيْنِ سَمَاهُ بشراً لِلْمُبَاشَرَةِ اللَّائِقَةِ بِذَلِكَ
الجنابِ باليدَيْنِ الْمُضَافَتَيْنِ إِلَيْهِ .

وَجَعَلَ ذَلِكَ مِنْ عِنَايَتِهِ بِهَذَا النَّوعِ الْإِنْسَانِيِّ فَقَالَ لِمَنْ أَبَى عَنِ السُّجُودِ
لَهُ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي أَسْتَكْبِرْتَ﴾ [ص: ٧٥] عَلَى مَنْ هُوَ مِثْلَكَ
- يَعْنِي عُضْصِرِيًّا - ﴿أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ [ص: ٧٥] عَنِ الْعُنْصُرِ وَلَسْتَ
كَذَلِكَ . وَيُعْنَى (ونعني - خ) بِالْعَالِينَ مَنْ عَلَا بِذَاتِهِ عَنْ أَنْ يَكُونَ فِي نَشْأَتِهِ
الثَّوَرِيَّةَ عُضْصِرِيًّا وَإِنْ كَانَ طَبِيعِيًّا .

فَمَا فَضَّلَ الْإِنْسَانُ غَيْرَهُ مِنَ الْأَنْوَاعِ الْعُنْصُرِيَّةِ إِلَّا بِكَوْنِهِ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ؛
فَهُوَ أَفْضَلُ نَوْعٍ مِنْ كُلِّ مَا خُلِقَ مِنَ الْعُنْصُرِ مِنْ غَيْرِ مُبَاشَرَةٍ .
فَالْإِنْسَانُ (وَالْإِنْسَان - خ) فِي الرُّتْبَةِ فَوْقَ الْمَلَائِكَةِ الْأَرْضِيَّةِ
وَالسَّمَاوِيَّةِ ؛ وَالْمَلَائِكَةُ الْعَالُونَ خَيْرٌ مِنْ هَذَا النَّوعِ الْإِنْسَانِيِّ بِالنَّصِّ الْإِلَهِيِّ .
فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ النَّفْسَ الْإِلَهِيَّةَ فَلْيَعْرِفِ الْعَالَمَ .

فَإِنَّهُ مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ الَّذِي ظَهَرَ فِيهِ أَيْ الْعَالَمَ ظَهَرَ فِي
نَفْسِ الرَّحْمَنِ (النَّفْسُ الرَّحْمَانِيَّةُ - خ) الَّذِي نَفْسُ اللَّهِ تَعَالَى بِهِ عَنِ الْأَسْمَاءِ
الْإِلَهِيَّةِ مَا تَجَدُّهُ مِنْ عَدَمِ ظُهُورِ آثَارِهَا، فَامْتَنَ عَلَى نَفْسِهِ بِمَا أَوْجَدَهُ فِي
نَفْسِهِ .

فَأَوَّلُ أَثَرٍ كَانَ لِلنَّفْسِ الرَّحْمَانِيَّةِ إِنَّمَا كَانَ فِي ذَلِكَ الْجَنَابِ ثُمَّ لَمْ يَزَلْ
الْأَمْرُ يَنْزِلُ بِتَتَفِينِ الْعُمُومِ إِلَى آخِرِ مَا وَجِدَ .

فَالْكُلُّ فِي عَيْنِ النَّفْسِ كَالضُّوءِ فِي ذَاتِ الْعِلْسِ
وَالْعِلْمُ بِالْبُرْهَانِ فِي سَلَخِ النَّهَارِ لِمَنْ نَعَسَ

فِرَى الَّذِي قَدْ قُلْتُهُ رُؤْيَا تَدُلُّ عَلَى الثَّقَنِ
فِيْرِيْحُهُ مِنْ كُلِّ عَمٍّ فِي تِلَاوَتِهِ عَبَسَ
وَلَقَدْ تَجَلَّى لِلَّذِي قَدْ جَاءَ فِي طَلَبِ الْقَبَسِ
فَإِذَا فَهَمْتَ مَقَالَتِي تَعْلَمُ (فَاعْلَمْ - خ) بِأَنَّكَ مُبْتَلَسٌ
لَوْ كَانَ يَطْلُبُ غَيْرَنَا لَرَأَاهُ فِيهِ وَمَا نَكَّسُ
وَأَمَّا هَذِهِ الْكَلِمَةُ الْعَيْسَوِيَّةُ لَمَّا قَامَ لَهَا الْحَقُّ فِي مَقَامٍ «حَتَّى تَعْلَمَ
وَيَعْلَمَ» إِسْتَفْهَمَ (إِسْتَفْهَمَا - خ) عَمَّا نَسَبَ إِلَيْهَا هَلْ هُوَ حَقٌّ أَمْ لَا مَعَ عِلْمِهِ
الْأَوَّلِ يَهْلُ وَقَعَ ذَلِكَ الْأَمْرُ لَا.

فَقَالَ لَهُ: ﴿مَأْتِ قُلْتَ لِلنَّاسِ أَخَذُونِي وَأُمِّي إِلَهَتَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦].

فَلَا بُدَّ فِي الْأَدَبِ مِنَ الْجَوَابِ لِلْمُسْتَفْهِمِ.

لأنَّهُ لَمَّا تَجَلَّى لَهُ فِي هَذَا الْمَقَامِ وَهَذِهِ الصُّورَةِ افْتَضَّتِ الْحِكْمَةُ
الْجَوَابَ فِي التَّفْرِيقَةِ بَيْنِ الْجَمْعِ.

فَقَالَ وَقَدْ مَ التَّنْزِيَةَ ﴿سُبْحَنَكَ﴾ [المائدة: ١١٦] فَحَدَّدَ بِالْكَافِ الَّتِي
تَقْتَضِي الْمُوَاجَهَةَ وَالْخِطَابَ.

﴿مَا يَكُونُ لِحَ﴾ [المائدة: ١١٦] مِنْ حَيْثُ أَنَا لِنَفْسِي دُونَكَ ﴿أَنَ أَقُولَ مَا
لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ [المائدة: ١١٦] أَيُّ مَا تَقْتَضِيهِ هَوِيَّتِي وَلَا ذَاتِي.

﴿إِن كُنْتُ قُلْتُمْ فَقَدْ عَلِمْتُمْ﴾ [المائدة: ١١٦] لِأَنَّكَ أَنْتَ الْقَائِلُ فِي
صُورَتِي، وَمَنْ قَالَ أَمْراً فَقَدْ عَلِمَ مَا قَالَ، وَأَنْتَ اللُّسَانُ الَّذِي أَتَكَلَّمُ بِهِ كَمَا
أَخْبَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ رَبِّهِ فِي الْخَبَرِ الْإِلَهِيِّ فَقَالَ:

«كُنْتُ لِسَانَهُ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ». فَجَعَلَ هُوِيَّتُهُ عَيْنَ لِسَانِ الْمُتَكَلِّمِ؛ وَنَسَبَ الْكَلَامَ إِلَى عَبْدِهِ.

ثُمَّ تَمَّمَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ الْجَوَابَ بِقَوْلِهِ: «تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي» [المائدة: ١١٦].
وَالْمُتَكَلِّمُ الْحَقُّ (هو الحق - خ).

وَلَا أَعْلَمُ مَا فِيهَا فَتَنَى الْعِلْمَ عَنْ هُوِيَّةِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ حَيْثُ هُوِيَّتِهِ لَا مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ قَائِلٌ وَذُو أَثَرٍ.

«إِنَّكَ أَنْتَ» [المائدة: ١١٦] فَجَاءَ بِالْفَصْلِ وَالْعِمَادِ تَأْكِيداً لِلْبَيَانِ وَاعْتِمَاداً عَلَيْهِ، إِذْ لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ.

فَفَرَّقَ وَجَمَعَ وَوَحَّدَ وَكَثَّرَ، وَوَسَّعَ وَضَيَّقَ.

ثُمَّ قَالَ مُتَمِّمًا لِلْجَوَابِ «مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ» [المائدة: ١١٧] فَتَنَى أَوَّلًا مُشِيرًا إِلَى أَنَّهُ مَا هُوَ ثَمَّةً. ثُمَّ (ما هو. ثُمَّ - خ) أَوْجَبَ الْقَوْلَ أَدْبًا مَعَ الْمُسْتَفْهِمِ، وَلَوْ لَمْ يَفْعَلْ كَذَلِكَ (ذلك - خ) لَاتَّصَفَ بِعَدَمِ عِلْمِ الْحَقَائِقِ وَحَاشَاهُ مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: «إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ» [المائدة: ١١٧] وَأَنْتَ الْمُتَكَلِّمُ عَلَى لِسَانِي وَأَنْتَ لِسَانِي.

فَانْظُرْ إِلَى هَذِهِ التَّنْبِيَةِ الرُّوحِيَّةِ الْإِلَهِيَّةِ مَا أَلْفَظَهَا وَأَدَقَّهَا «إِنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ» [المائدة: ١١٧] فَجَاءَ بِالِاسْمِ «اللَّهُ» لِاخْتِلَافِ الْعِبَادِ فِي الْعِبَادَاتِ وَاخْتِلَافِ الشَّرَائِعِ؛ وَلَمْ يَخْصُ اسْمًا خَاصًّا دُونَ اسْمٍ، بَلْ جَاءَ بِالِاسْمِ الْجَامِعِ لِلْكُلِّ.

ثُمَّ قَالَ: «رَبِّ وَرَبُّكُمْ» [المائدة: ١١٧] وَمَعْلُومٌ أَنَّ نِسْبَتَهُ إِلَى مَوْجُودٍ مَا بِالرُّبُوبِيَّةِ لَيْسَتْ عَيْنَ نِسْبَتِهِ إِلَى مَوْجُودٍ آخَرَ، فَلِذَلِكَ فَصَّلَ بِقَوْلِهِ: «رَبِّ وَرَبُّكُمْ» [المائدة: ١١٧] بِالْكِتَابَتَيْنِ كِنَايَةً الْمُتَكَلِّمِ وَكِنَايَةً الْمَخَاطَبِ.

﴿إِلَّا مَا أَمَرَنِي بِهِ﴾ [المائدة: ١١٧] فَأَثْبَتَ نَفْسَهُ مَأْمُوراً وَلَيْسَتْ سِوَى
عُودِيَّتِهِ، إِذْ لَا يُؤْمَرُ إِلَّا مَنْ يَتَصَوَّرُ مِنْهُ الْإِمْتِثَالَ وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ.

وَلَمَّا كَانَ الْأَمْرُ يَتَنَزَّلُ بِحُكْمِ الْمَرَاتِبِ، لِذَلِكَ يَنْصَبُ كُلُّ مَنْ ظَهَرَ فِي
مَرْتَبَةٍ مَا بِمَا تُعْطِيهِ حَقِيقَةُ تِلْكَ الْمَرْتَبَةِ. فَمَرْتَبَةُ الْمَأْمُورِ لَهَا حُكْمٌ يَظْهَرُ فِي
كُلِّ مَأْمُورٍ. وَمَرْتَبَةُ الْأَمْرِ لَهَا حُكْمٌ يَبْدُو فِي كُلِّ أَمْرٍ.

فَيَقُولُ الْحَقُّ ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣] فَهُوَ الْأَمْرُ، وَالْمُكَلَّفُ
الْمَأْمُورُ. وَيَقُولُ الْعَبْدُ ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾ [الأعراف: ١٥١] فَهُوَ الْأَمْرُ وَالْحَقُّ
الْمَأْمُورُ. فَمَا يَطْلُبُ الْحَقُّ مِنَ الْعَبْدِ بِأَمْرِهِ هُوَ بِعَيْنِهِ يَطْلُبُهُ الْعَبْدُ مِنَ الْحَقِّ
بِأَمْرِهِ.

وَلِهَذَا كَانَ كُلُّ دُعَاءٍ (كُلِّ دَاعٍ - خ) مُجَاباً.

وَلَا بُدَّ وَإِنْ تَأَخَّرَ كَمَا تَتَأَخَّرُ (يَتَأَخَّرُ - خ) بَغْضَ الْمُكَلَّفِينَ مِمَّنْ أُقِيمَ
مُخَاطَباً بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ فَلَا يُصَلِّي فِي وَقْتِ فَيُؤَخَّرُ الْإِمْتِثَالَ وَيُصَلِّي فِي وَقْتِ
آخَرَ إِنْ كَانَ مُتِمِّكناً مِنْ (عَنْ - خ) ذَلِكَ. فَلَا بُدَّ مِنَ الْإِجَابَةِ وَلَوْ بِالْقَصْدِ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧] وَلَمْ يَقُلْ عَلَى نَفْسِي مَعَهُمْ كَمَا
قَالَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ ﴿شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧] لِأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ شُهَدَاءُ عَلَى
أُمَمِهِمْ مَا دَامُوا فِيهِمْ.

﴿ثَلَاثًا تَوَقَّيْتَنِي﴾ [المائدة: ١١٧] أَنِّي رَفَعْتَنِي إِلَيْكَ وَحَجَبْتَهُمْ عَنِّي
وَحَجَبْتَنِي عَنْهُمْ ﴿كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبُ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧] فِي غَيْرِ مَا دَتِي،
بَلْ فِي مَوَادِّهِمْ.

إِذْ كُنْتُ بَصَرَهُمُ الَّذِي يَقْتَضِي الْمُرَاقَبَةَ. فَشُهُودُ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ شُهُودُ

الْحَقَّ إِيَّاهُ . وَجَعَلَهُ بِالْإِسْمِ الرَّقِيبِ لِأَنَّهُ جَعَلَ الشُّهُودَ لَهُ . فَأَرَادَ أَنْ يُفَضِّلَ بَيْنَهُ
وَبَيْنَ رَبِّهِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّهُ هُوَ لِكُونِهِ عَبْدًا فِي الْوَاقِعِ وَأَنَّ الْحَقَّ هُوَ الْحَقُّ لِكُونِهِ
رَبًّا لَهُ ، فَجَاءَ لِنَفْسِهِ بِأَنَّهُ شَهِيدٌ ، وَفِي الْحَقِّ بِأَنَّهُ رَقِيبٌ .

وَقَدَّمَهُمْ فِي حَقِّ نَفْسِهِ فَقَالَ : ﴿عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧]
إِثَارًا لَهُمْ فِي التَّقَدُّمِ وَأَدْبَا ، وَأَخْرَجَهُمْ فِي جَانِبِ الْحَقِّ عَنِ الْحَقِّ فِي قَوْلِهِ :
﴿الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧] لِمَا يَسْتَحِقُّهُ الرَّبُّ مِنَ التَّقَدُّمِ (التقديم - خ)
بِالرُّتْبَةِ .

ثُمَّ أَعْلَمَ أَنَّ لِلْحَقِّ الرَّقِيبِ الْإِسْمَ الَّذِي جَعَلَهُ عِنْسَى لِنَفْسِهِ وَهُوَ الشَّهِيدُ
فِي قَوْلِهِ ﴿عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [المائدة: ١١٧] فَقَالَ : ﴿وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾
[المائدة: ١١٧] فَجَاءَ بِـ ﴿كُلِّ﴾ [المائدة: ١١٧] لِلْعُمُومِ وَ﴿بَيْنَهُ﴾ [المائدة: ١١٧]
لِكُونِهِ أَتَكَرَّرَ التَّكْرَارَ وَجَاءَ بِالْإِسْمِ الشَّهِيدِ ، فَهُوَ الشَّهِيدُ عَلَى كُلِّ مَشْهُودٍ
بِحَسَبِ مَا تَقْتَضِيهِ حَقِيقَةُ ذَلِكَ الْمَشْهُودِ .

فَتَبَّهَ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى هُوَ الشَّهِيدُ عَلَى قَوْمِ عِيسَى حِينَ قَالَ : ﴿وَكُنْتُ
عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧] فَهِيَ شَهَادَةُ الْحَقِّ فِي مَادَّةِ عِيسَى
كَمَا ثَبَتَ أَنَّهُ لِسَانُهُ وَسَمْعُهُ وَبَصَرُهُ .

ثُمَّ قَالَ كَلِمَةً عِيسَوِيَّةً وَمُحَمَّدِيَّةً : أَمَا كُونُهَا عِيسَوِيَّةً فَإِنَّهَا قَوْلُ عِيسَى
بِإِخْبَارِ اللَّهِ تَعَالَى عَنْهُ فِي كِتَابِهِ ؛ وَأَمَا كُونُهَا مُحَمَّدِيَّةً فَلِمَوْقَعِهَا مِنْ مُحَمَّدٍ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَكَانِ الَّذِي وَقَعَتْ مِنْهُ ، فَقَامَ بِهَا لَيْلَةٌ كَامِلَةٌ يَرُدُّهَا
لَمْ يَعِدِلْ إِلَى غَيْرِهَا حَتَّى مَظْلَعُ الْفَجْرِ (حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ - خ) . ﴿إِنْ تَعَذَّرْتُمْ
فَأَيْتُكُمْ عِبَادًا وَإِنْ تَغَيَّرَ لَهُمْ فَأِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨] .

و«هُمْ» ضَمِيرُ الغَائِبِ كَمَا أَنَّ «هُوَ» ضَمِيرُ الغَائِبِ . كَمَا قَالَ : ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الفتح : ٢٥] يَضْمُرُ الغَائِبَ ، فَكَانَ (وكان - خ) الغَيْبُ سِتْرًا لَهُمْ عَمَّا يُرَادُ بِالْمَشْهُودِ الْحَاضِرِ . فَقَالَ : ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ﴾ [المائدة : ١١٨] يَضْمُرُ الغَائِبَ .

وَهُوَ عَيْنُ الْحِجَابِ الَّذِي هُمْ فِيهِ عَنِ الْحَقِّ .

فَدَكَّرَهُمُ اللَّهُ قَبْلَ حُضُورِهِمْ حَتَّى إِذَا حَضَرُوا تَكُونُ الْخَمِيرَةُ قَدْ تَحَكَّمَتْ فِي الْعَجِينِ فَصَيَّرَتْهُ مِثْلَهَا .

﴿فَإِنَّهُمْ عِبَادٌ﴾ [المائدة : ١١٨] فَأَفْرَدَ الْخِطَابَ لِلتَّوْحِيدِ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ . وَلَا ذِلَّةَ أَغْظَمَ مِنْ ذِلَّةِ الْعَبِيدِ .

لَأَنَّهُمْ لَا تَصَرَّفَ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ فَهُمْ بِحُكْمِ مَا يُرِيدُهُ بِهِمْ سَيِّدُهُمْ وَلَا شَرِيكَ لَهُ فِيهِمْ فَإِنَّهُ قَالَ : ﴿عِبَادُكَ﴾ [المائدة : ١١٨] فَأَفْرَدَ . وَالْمُرَادُ بِالْعَذَابِ إِذْلَالُهُمْ وَلَا أَذْلَ مِنْهُمْ لَكُونِهِمْ عِبَادًا . فَذَوَاتِهِمْ تَقْتَضِي أَنَّهُمْ أَذْلَاءُ فَلَا تُذِلُّهُمْ فَإِنَّكَ لَا تُذِلُّهُمْ بِأَدْوَنِ مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنْ كُونِهِمْ عَبِيدًا . ﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [المائدة : ١١٨] أَي تَسْتَرْهُمْ عَنْ إِيقَاعِ الْعَذَابِ الَّذِي يَسْتَحِقُّونَهُ بِمُخَالَفَتِهِمْ أَي تَجْعَلْ لَهُمْ غَفْرًا يَسْتَرْهُمْ عَنْ ذَلِكَ وَيَمْنَعُهُمْ مِنْهُ .

﴿فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾ [المائدة : ١١٨] أَي الْمَنِيْعُ الْجَمِي .

وَهَذَا الْاسْمُ إِذَا أُعْطَاهُ الْحَقُّ (الْحَقُّ لِمَنْ أُعْطَاهُ - خ) مِنْ عِبَادِهِ يُسَمَّى الْحَقُّ بِالْمَعَزِ ، وَالْمُعْطَى لَهُ هَذَا الْاسْمُ بِالْعَزِيزِ . فَيَكُونُ مَنِيْعُ الْجَمِي عَمَّا يُرِيدُ بِهِ الْمُتَنَقِّمُ وَالْمُعَذِّبُ مِنَ الْإِنْتِقَامِ وَالْعَذَابِ .

وَجَاءَ بِالْفَصْلِ وَالْعِمَادِ أَيْضًا تَأْكِيدًا لِلْبَيَانِ وَلِتَكُونَ الْآيَةُ عَلَى مَسَاقٍ وَاحِدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة : ١١٦] وَقَوْلِهِ : ﴿كَنتَ أَنْتَ

الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴿[المائدة: ١١٧] فَجَاءَ أَيْضاً: ﴿فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]. فَكَانَ سُؤلاً مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْحَاحَ مِنْهُ عَلَى رَبِّهِ فِي الْمَسْأَلَةِ لِيَنْتَهَ الْكَامِلَةَ (لَيْلَةُ الْكَامِلَةِ - خ) إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ يُرَدِّدُهَا طَلَباً لِلْإِجَابَةِ فَلَوْ سَمِعَ الْإِجَابَةَ فِي أَوَّلِ سُؤَالٍ مَا كَرَّرَ. فَكَانَ الْحَقُّ يَعْزِضُ عَلَيْهِ فُضُولَ مَا اسْتَوْجَبُوا بِهِ الْعَذَابَ عَرْضاً مُفَصَّلاً فَيَقُولُ لَهُ فِي كُلِّ عَرْضٍ عَرْضٍ وَعَيْنٍ عَيْنٍ ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَلَهُمْ عَذَابُهُمْ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨].

فَلَوْ رَأَى فِي ذَلِكَ الْعَرْضِ مَا يُوجِبُ تَقْدِيمَ الْحَقِّ وَإِثَارَ جَنَابِهِ لِدَعَا عَلَيْهِمْ لَا لَهُمْ.

فَمَا عَرَضَ عَلَيْهِ إِلَّا مَا اسْتَحَقُّوا بِهِ مَا تُعْطِيهِ هَذِهِ الْآيَةُ مِنَ التَّسْلِيمِ لِلَّهِ وَالتَّعْرِضِ لِعَفْوِهِ.

وَقَدْ وَرَدَ أَنَّ الْحَقَّ إِذَا أَحَبَّ صَوَّتَ عَبْدِهِ فِي دُعَائِهِ إِيَّاهُ آخِرَ الْإِجَابَةِ عَنْهُ حَتَّى يَتَكَرَّرَ ذَلِكَ مِنْهُ حُبّاً فِيهِ لَا إِغْرَاضاً عَنْهُ، وَلِذَلِكَ جَاءَ بِالِاسْمِ الْحَكِيمِ؛ وَالْحَكِيمُ هُوَ الَّذِي يَضَعُ الْأَشْيَاءَ فِي مَوَاضِعِهَا وَلَا يَعْدِلُ بِهَا عَمَّا تَقْتَضِيهِ وَتَطْلُبُهُ حَقَائِقُهَا بِصِفَاتِهَا.

فَالْحَكِيمُ هُوَ الْعَلِيمُ بِالتَّرْتِيبِ. فَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَرَدَادِهِ هَذِهِ الْآيَةَ عَلَى عِلْمٍ عَظِيمٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى. فَمَنْ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ فَهَكَذَا يَتْلُو، وَإِلَّا فَالسُّكُوتُ أَوْلَى بِهِ.

وَإِذَا وَفَّقَ اللَّهُ عَبْدًا إِلَى الطُّطْقِ بِأَمْرِ مَا فَمَا وَفَّقَهُ إِلَيْهِ إِلَّا وَقَدْ أَرَادَ إِجَابَتَهُ فِيهِ وَقَضَاءَ حَاجَتِهِ فَلَا يَسْتَبْطِئُ أَحَدٌ مَا يَتَضَمَّنُهُ مَا وَفَّقَ لَهُ، وَلِيُثَابِرَ مُثَابَرَةً رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ، حَتَّى

يَسْمَعُ بِأُذُنِهِ أَوْ بِسَمْعِهِ، كَيْفَ شِئْتَ أَوْ كَيْفَ أَسْمَعَكَ اللَّهُ الْإِجَابَةَ، فَإِنْ جَاذَاكَ بِسُؤَالِ اللِّسَانِ أَسْمَعَكَ بِأُذُنِكَ، وَإِنْ جَاذَاكَ بِالْمَعْنَى أَسْمَعَكَ بِسَمْعِكَ.



«فصُّ حكمة نبوية في كلمة عيسوية»

«كما أن نبينا ﷺ نبي أزلًا بالنبوة التشريعية وغيره من الأنبياء لا يكون إلا عند البعثة» - ص ٣١٢ - .

قوله: كما أن نبينا نبي أزلًا... الخ، فإن عينه الثابتة جامعة لجميع أعيان الموجودات منهم المشرعين ﷺ فأعيانهم مظاهر عينه ﷺ في الحضرة العلمية وأعيانهم الخارجية مظاهر هويته التي هي الفيض المقدس والنفس الرحماني وكل الشرائع مظاهر شريعته فهو خليفة الله أزلًا وأبدًا كما أنه نبي ورسول كذلك ولقد أفردنا بحمد الله رسالة في تحقيق سريان الخلافة والنبوة وتفردنا فيها بتحقيقات أنيقة فضلاً من الله تعالى ولي الهداية .

«واعلم أن الأرواح المهمة التي منها العقل الأول وأرواح الأفراد والكُلُمَل كلها صف واحد» - ص ٣١٥ - .

ليس العقل الأول من الأرواح المهمة فإن الملائكة المهممين مستغرقون في بحار أنوار جمال المحبوب لا يفترون عنه طرفة عين ولا يعلمون أن الله خلق خلقاً بل لا ينظرون إلى أنفسهم وكمالات أنفسهم ولا بد في صيرورة العقل واسطة للإفاضة أن لا يكون بهذه المثابة كما هو المقرر في محله .

«فلما قال لها إنما أنا رسول ربك جئت لأهب لك غلاماً زكياً انبسطت عن ذلك القلب وانشرح صدرها» - ص ٣١٧ - .

قوله: انبسطت عن ذلك... الخ، وإنما قبلت مريم ﷺ قوله

بمجرد الإظهار وانبسطت من قوله إما لما ذكره الشارح أو لحصول الزّوج المعنوي لها منه أو لكليهما .

«لما كان وجود عيسى ﷺ بالتفخ الجبريلي بلا واسطة أب بشري وروحه فائضاً من الحضرة الإلهية بلا واسطة روح من الأرواح أو اسم من الأسماء حصل في الوجود الخارجي متصفاً بالصفة الإلهية وهو إحياء الموتى» - ص ٣٢٠ - .

قوله : أو اسم من الأسماء ، أي اسم خاص من الأسماء بل بتوسط الاسم الجامع وإلا فالفيض من الحضرة الإلهية بلا توسط اسم مطلقاً غير مفاض فإن الذات من حيث هي بل من حيث مقامها الأحدي غير مربوطة بالخلق ولم تكن منشأ للآثار والفيوضات وقد أشبعنا التحقيق في ذلك في رسالتنا الموسومة بمصباح الهداية .

«وإذن الله لعبده في الاتيان بخوارق العادات قسمان ذاتي قديم وعرضي حادث» - ص ٣٢١ - .

قوله : ذاتي قديم . . . الخ ، قال شيخنا الأستاذ : الذاتي القديم كإذن الله للعين الثابتة الأحمدية لإحاطته بجميع الأعيان وكون سائر الأعيان مندكة فيه فانية في حضرته والعرض غير ذلك أقول : ليس المراد ذلك بل المراد أن القابليات لما كانت بالفيض الأقدس في النشأة العلمية كما قال الشيخ والقابل من فيضه الأقدس كان الاذن في تلك النشأة أذنًا ذاتيًا قديمًا تبعاً للتجلي الذاتي القديم وأما الوجود المفاض بالفيض المقدس على الأعيان في النشأة العينية فعارض حادث فالأذن عرض حادث تابع والفرق بين ما ذكرنا وبين ما أفاد شيخنا دام ظله واضح كما لا يخفى .

«وذلك لأن ما هو ثابت في علم الله أن يكون فهو بمنزلة ما كان وتحقق وفيه سر آخر يظهر لمن عرف أحوال الكُمُل ودرجاتهم» - ص ٣٢٢ - .

قوله : وفيه سر آخر ، فإن عيسى ﷺ لما بلغ مدارج الكمالات

المعنوية حتى اتصل قوسه بقوس ولاية رسول الله ﷺ يكون تشريع رسول الله ﷺ الذي هو ظهور الولاية ورفقتها تشريعه ﷺ فصيح أن يقال شرع عيسى ﷺ الجزية وأيضاً لما كان لرسول الله ﷺ مقام جمعي إحاطي أحدي تكون شريعته كل الشرائع فيكون تشريعه تشريع عيسى ﷺ فلذا يكون الإيمان به إيماناً بكل الأنبياء روحاً وهذا أحد الاحتمالات في الآية الشريفة الآمرة بالإيمان بالأنبياء وجعله من أركان الإيمان فإن الإيمان بالأنبياء ليس مجرد العلم بوجودهم والتصديق بكونهم صاحب الشريعة بل الظاهر منه تحمل شريعتهم كما لا يخفى.

«... فلا يعلم مهية كلمة كن لأن كلامه عين ذاته ومهية الذات غير معلومة لبشر...» - ص ٣٢٦ - .

قوله: لأن كلامه عين ذاته... الخ، قال شيخنا العارف الكامل الشاه آبادي دام ظله العالي ليس هذا الكلام القولي عين الذات بل الكلام الذي هو عين وهو كلام نفسي عبارة عن إعرابه تعالى عما في غيب أحديته تقدس وتعالى بالتجلي الذاتي على الحضرة الواحدية كما أن كن الذي وقع في قوله تعالى هو كن الوجود الذي هو الفيض المنبسط فقول الشارح في صدر الصفحة أيضاً مردود.

أقول هذا مسلك الحكيم وأما ذوق العارف فيقتضي غير ذلك فإن الكلمات القولية أيضاً تجلّي الذات باسمه الظاهر المتكلم كما أن الكلام القولي الأمري له والإطاعة الوجودية لنفس الأعيان لا أن الإيجاد له تعالى على مسلكه كما مر وبالجملّة بين كلماتهم وإن كان وجه جمع كما جمع بينها صدر المتألّهين قدس الله نفسه وذكرنا سر الاختلاف بينها في بعض الرسائل إلا أن مسلكهم أدق وأحلى ولكن بشرط سلامة الفطرة وعدم اعوجاج السليقة.

«فكن حقاً وكن خلقاً تكن بالله رحمانا
وغذ خلقه منه تكن روحاً وربحمانا

فأعطيناه ما يبدو به فينا وأعطانا» - ص ٣٢٩ - .

قوله : وأعطانا، ليس المراد ما أفاده الشارح بل المراد هو البقاء بعد الفناء أي فأعطيناه ما أعطانا أولاً فحل الفناء في المقامات الثلاثة فإذا أعطيناه أرجعنا إلى مملكتنا فصرنا حقاً وخلقاً فقله فكن حقاً وكن خلقاً إشارة إلى هذا المقام وفي المصراعين الذين بعده أشار إلى كيفية السلوك والوصول فيكون حاصل المعنى كن حقاً وخلقاً بحيث لا تحجبك الحقيقة عن الخلقية ولا الخلقية عن الحقيقة فتصير رحمتك رحمة بالله وبالبوجود الحقاني وطريق الوصول إلى هذا المقام الشامخ أن نجعل بالمجاهدات الحق غذاء الخلق متخللاً فيه تخلل الغذاء في المتغذى فإن الحق باطن والخلق ظهور الحق أي ترى أن الخلق مقام الظهور فارجع الظهور إلى البطون فاعطه ما أعطاك فتصير صاحب القلب الجمعي الأحدي .

«فالكل في عين النفس كالضوء في ذات الغلس الغلس ظلمة آخر الليل»
- ص ٣٣٦ - .

قوله : فالكل ، والشارح الجامي جعل التشبيه مركباً أي كما أن النور غير مشهود إلا في الظلمة واختلاطه بها كذلك النفس لا شاهد إلا بالتعينات وهذا أقرب بالاعتبار مما ذكره الشارح وإن كان له وجه أيضاً باعتبار أن النفس الرحماني في حجاب التعينات فهو محجوب دائماً بالأسماء والصفات التي هي أعيان الموجودات .

قال الشيخ في المتن : «لأنه جعل الشهود له» قال الشارح «أي لأن عيسى عليه السلام جعل الشهود للحق بقوله كنت أنت الرقيب عليهم» - ص ٣٤٣ - .

قوله : لأنه جعل الشهود له ، أي لأن عيسى عليه السلام جعل الشهود لنفسه بقوله وكنت عليهم شهيداً وجعله للحق بقوله كنت أنت الرقيب عليهم هذا مناسب للتفريع بقوله فأراد أن يفصل . . . الخ لا ما ذكره الشارح من عود الضمير إلى الحق، تدبر .

«وأيضاً التقديم يفيد الحصر فهو في حق الحق صادق إذ معناه أنت
الرقيب عليهم لا غيرك وفي حق نفسه لم يصدق لأنه ليس هو الشهيد
عليهم فقط» - ص ٣٤٣ - .

قوله: وأيضاً التقديم يفيد الحصر . . . الخ، هذا منه غريب فإن تقديم
ما حقه التأخير يفيد الحصر والمتعلق حقه التأخير نعم يستفاد الحصر من
ضمير الفصل ومن قوله كنت عليهم شهيداً أي لا على غيرهم كما لا يخفى .

الفص السليمانى

فص حكمة رحمانية في كلمة سليمانىة

﴿إِنَّهُ﴾ [النمل: ٣٠] يَعْنِي الْكِتَابَ ﴿مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ﴾ [النمل: ٣٠] أَيْ مَضْمُونُهُ (أَي مضمون الكتاب - خ) ﴿يَسْمِي اللَّهُ الرَّجُلَ الَّذِي﴾ [النمل: ٣٠]. فَأَخَذَ بَعْضُ النَّاسِ فِي تَقْدِيمِ اسْمِ سُلَيْمَانَ عَلَى اسْمِ اللَّهِ وَلَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ. وَتَكَلَّمُوا فِي ذَلِكَ بِمَا لَا يَنْبَغِي مِمَّا لَا يَلِيْقُ بِمَعْرِفَةِ سُلَيْمَانَ بِرَبِّهِ. وَكَيْفَ يَلِيْقُ مَا قَالُوهُ وَبَلَقِيْسُ تَقُولُ فِيهِ: ﴿إِنِّي أُلْقِي إِلَيْكَ كِتَابًا كَرِيمًا﴾ [النمل: ٢٩] أَيْ مُكْرَّمٌ عَلَيْهَا (يكرم عليها - خ) وَإِنَّمَا حَمَلَهُمْ عَلَى ذَلِكَ رُبَّمَا تَمْزِيْقٌ (تخریق - خ) كَسَرَى كِتَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وَمَا مَزَقَهُ (وما خرّقه - خ) حَتَّى قَرَأَهُ كُلُّهُ وَعَرَفَ مَضْمُونَهُ. فَكَذَلِكَ كَانَتْ تَفْعُلُ بِلَقِيْسٍ لَوْ لَمْ تُوفَّقْ لَمَا وَفَّقَتْ لَهُ فَلَمْ يَكُنْ يَحْمِي الْكِتَابَ عَنِ الْإِخْرَاقِ لِحُرْمَةِ صَاحِبِهِ تَقْدِيمُ اسْمِهِ عَلَيْهِ السَّلَامَ عَلَى اسْمِ اللَّهِ تَعَالَى وَلَا تَأْخِيْرُهُ (ولا تأخير عنه - خ).

فَأَتَى سُلَيْمَانُ بِالرَّحْمَتَيْنِ: رَحْمَةُ الْاِمْتِنَانِ وَرَحْمَةُ الْوُجُوبِ اللَّتَانِ هُمَا الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (كذا - اللتين هما الرحمن الرحيم ظ). فَاِمْتَنَنَّ بِالرَّحْمَنِ وَأَوْجَبَ بِالرَّحِيمِ. وَهَذَا الْوُجُوبُ مِنَ الْاِمْتِنَانِ. فَدَخَلَ الرَّحِيمُ فِي الرَّحْمَنِ دُخُولَ تَضَمُّنٍ.

فَإِنَّهُ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ سُبْحَانَهُ لِيَكُونَ ذَلِكَ لِلْعَبْدِ بِمَا ذَكَرَهُ الْحَقُّ

مِنَ الْأَعْمَالِ الَّتِي يَأْتِي بِهَا هَذَا الْعَبْدُ، حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَوْجَبُهُ لَهُ عَلَى نَفْسِهِ
يَسْتَحِقُّ بِهَا هَذِهِ الرَّحْمَةَ أَغْنِي رَحْمَةَ الْوُجُوبِ .

وَمَنْ كَانَ مِنَ الْعَبِيدِ بِهِذِهِ الْمَثَابَةِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ مَنْ هُوَ الْعَامِلُ مِنْهُ .
وَالْعَمَلُ مُتَقَسِّمٌ (ينقسم - مقسم - خ) عَلَى ثَمَانِيَةِ أَعْضَاءٍ مِنَ
الْإِنْسَانِ .

وَقَدْ أَخْبَرَ الْحَقُّ (الله - خ) أَنَّهُ تَعَالَى هُوِيَّتُهُ كُلُّ غُضْوٍ مِنْهَا، فَلَمْ يَكُنْ
الْعَامِلُ غَيْرَ الْحَقِّ، وَالصُّورَةُ لِلْعَبْدِ، وَالْهُوِيَّةُ مُنْدرِجَةٌ (مدرجة - خ) فِيهِ، أُنِيَ
فِي اسْمِهِ لَا غَيْرَ .

لأنه تعالى عَيْنَ مَا ظَهَرَ وَسُمِّيَ خَلْقًا وَبِهِ كَانَ الْإِسْمُ الظَّاهِرُ وَالْآخِرُ
لِلْعَبْدِ؛ وَبِكَوْنِهِ لَمْ يَكُنْ ثُمَّ كَانَ .

وَبِتَوْقُفِ ظُهُورِهِ عَلَيْهِ وَضُورِ الْعَمَلِ مِنْهُ كَانَ الْإِسْمُ الْبَاطِنُ وَالْأَوَّلُ .
فَإِذَا رَأَيْتَ الْخَلْقَ رَأَيْتَ الْأَوَّلَ وَالْآخِرَ وَالظَّاهِرَ وَالْبَاطِنَ .

وهذه مغرقة لا يغيب عنها سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، بَلْ هِيَ مِنَ الْمُلْكِ
الَّذِي لَا يَتَّبِعِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ، يَعْنِي الظُّهُورَ بِهِ فِي عَالَمِ الشَّهَادَةِ .

فَقَدْ أُوتِيَ مُحَمَّدٌ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَا أُوتِيَهُ سُلَيْمَانُ، وَمَا ظَهَرَ
بِهِ: فَمَكَّنَهُ اللَّهُ تَعَالَى تَمَكِّينَ قَهْرٍ مِنَ الْعِفْرِيتِ الَّذِي جَاءَهُ بِاللَّيْلِ لِيَفْتِكَ بِهِ
(ليضل به - خ) فَهَمَّ بِأَخْذِهِ وَزَبَطَهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ حَتَّى يُضْبِحَ
فَتَلَعَّبَ بِهِ وَلَدَانِ الْمَدِينَةِ، فَذَكَرَ دَعْوَةَ سُلَيْمَانَ قَرَدَةَ اللَّهُ خَاسِتًا. فَلَمْ يَظْهَرْ
عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمَا أَقْبَرَ عَلَيْهِ وَظَهَرَ بِذَلِكَ سُلَيْمَانُ .

ثُمَّ قَوْلُهُ: ﴿مَلِكًا﴾ [النساء: ٥٤] فَلَمْ يَعْمَ، فَعَلِمْنَا أَنَّهُ يُرِيدُ مُلْكًا مَا .
وَرَأَيْنَاهُ قَدْ شُورِكَ فِي كُلِّ جُزْءٍ مِنَ الْمُلْكِ الَّذِي أُعْطَاهُ اللَّهُ، فَعَلِمْنَا أَنَّهُ مَا

اِخْتَصَّ إِلَّا بِالْمَجْمُوعِ مِنْ ذَلِكَ، وَبِحَدِيثِ الْعِفْرِيتِ، أَنَّهُ مَا اخْتَصَّ إِلَّا بِالظُّهُورِ، وَقَدْ يَخْتَصُّ بِالْمَجْمُوعِ وَالظُّهُورِ.

وَلَوْ لَمْ يَقُلْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَدِيثِ الْعِفْرِيتِ: «فَأَمَكْنِي اللَّهُ مِنْهُ» لَقُلْنَا إِنَّهُ لَمَّا هَمَّ بِأَخْذِهِ ذَكَرَهُ اللَّهُ دَعْوَةَ سُلَيْمَانَ لِيَعْلَمَ أَنَّهُ لَا يَقْدِرُهُ اللَّهُ عَلَى أَخْذِهِ. فَرَدَّهُ اللَّهُ خَاسِئًا. فَلَمَّا قَالَ فَأَمَكْنِي اللَّهُ مِنْهُ عَلِمْنَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ وَهَبَهُ التَّصَرُّفَ فِيهِ. ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ ذَكَرَهُ فَتَذَكَّرَ دَعْوَةَ سُلَيْمَانَ فَتَأَدَّبَ مَعَهُ، فَعَلِمْنَا مِنْ هَذَا أَنَّ الَّذِي لَا يَتَّبَعِي لِأَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ بَعْدَ سُلَيْمَانَ الظُّهُورُ بِذَلِكَ فِي الْعُمُومِ.

وَلَيْسَ غَرَضُنَا مِنْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ إِلَّا الْكَلَامُ وَالتَّنْبِيْهُ عَلَى الرَّحْمَتَيْنِ اللَّتَيْنِ ذَكَرَهُمَا سُلَيْمَانُ فِي الْأَسْمَنِ الَّذِينَ تَفْسِيرُهُمَا بِلِسَانِ الْعَرَبِ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ.

فَقَيْدَ رَحْمَةِ الْوُجُوبِ وَأَطْلَقَ رَحْمَةَ الْإِثْنَانِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦] حَتَّى الْأَسْمَاءِ الْإِلَهِيَّةِ، أَغْنَى حَقَائِقُ النَّسَبِ.

فَأَمَتَّنَ عَلَيْهَا بِنَا. فَتَحْنُ نَتِيْجَةَ رَحْمَةِ الْإِثْنَانِ بِالْأَسْمَاءِ الْإِلَهِيَّةِ وَالنَّسَبِ الرَّبَّانِيَّةِ.

ثُمَّ أَوْجَبَهَا عَلَى نَفْسِهِ بِظُهُورِنَا لَنَا وَأَعْلَمْنَا أَنَّهُ هُوَ إِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّهُ مَا أَوْجَبَهَا عَلَى نَفْسِهِ إِلَّا لِنَفْسِهِ. فَمَا خَرَجَتِ الرَّحْمَةُ عَنْهُ. فَعَلَى مَنْ أَمَتَّنَ وَمَا تَمَّ (وما نَمَّة) إِلَّا هُوَ؟

إِلَّا أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ حُكْمٍ لِسَانِ التَّفْصِيلِ لِمَا ظَهَرَ مِنْ تَفَاضُلِ الْخَلْقِ فِي الْعُلُومِ؛ حَتَّى يُقَالَ إِنَّ هَذَا أَغْلَمُ مِنْ هَذَا مَعَ أَحَدِيَّةِ الْعَيْنِ.

وَمَعْنَاهُ مَعْنَى نَقَصِ تَعَلُّقِ الْإِرَادَةِ عَنِ تَعَلُّقِ الْعِلْمِ، فَهَذِهِ مُفَاضَلَةٌ فِي الصِّفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ؛ وَكَمَالِ تَعَلُّقِ الْإِرَادَةِ وَفُضْلِهَا وَزِيَادَتِهَا عَلَى تَعَلُّقِ الْقُدْرَةِ. وَكَذَلِكَ السَّنْعُ الْإِلَهِيُّ وَالْبَصَرُ وَجَمِيعُ الْأَسْمَاءِ الْإِلَهِيَّةِ عَلَى دَرَجَاتٍ فِي تَفَاضُلٍ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ. كَذَلِكَ تَفَاضُلُ مَا ظَهَرَ فِي الْخَلْقِ مِنْ أَنْ يُقَالَ هَذَا أَعْلَمُ مِنْ هَذَا مَعَ أَحَدِيَّةِ الْعَيْنِ.

وَكَمَا أَنَّ كُلَّ اسْمٍ إِلَهِيٍّ إِذَا قَدِّمْتَهُ سَمَّيْتَهُ بِجَمِيعِ الْأَسْمَاءِ وَنَعْتَهُ بِهَا، كَذَلِكَ فِيمَا ظَهَرَ (يظهر - خ) مِنَ الْخَلْقِ فِيهِ أَهْلِيَّةُ كُلِّ مَا فُوضِلَ بِهِ، فَكُلُّ جُزْءٍ مِنَ الْعَالَمِ مَجْمُوعُ الْعَالَمِ، أَيْ هُوَ قَابِلٌ لِحَقَائِقِ مُتَفَرِّقَاتِ الْعَالَمِ كُلِّهِ؛ فَلَا يَفْدَحُ قَوْلُنَا إِنَّ زَيْدًا دُونَ عَمْرٍو فِي الْعِلْمِ أَنْ تَكُونَ هُوِيَّةُ الْحَقِّ غَيْرَ زَيْدٍ وَعَمْرٍو، وَيَكُونُ (وتكون - خ) فِي عَمْرٍو أَكْمَلُ وَأَعْلَمُ مِنْهُ فِي زَيْدٍ، كَمَا تَفَاضَلَتِ الْأَسْمَاءُ الْإِلَهِيَّةُ وَلَيْسَتْ غَيْرَ الْحَقِّ.

فَهُوَ تَعَالَى مِنْ حَيْثُ هُوَ عَالِمٌ أَعْمُ فِي التَّعَلُّقِ مِنْ حَيْثُ مَا هُوَ مَزِيدٌ (مُزِيدٌ - خ) وَقَادِرٌ، وَهُوَ هُوَ لَيْسَ غَيْرَهُ. فَلَا تَعْلَمُهُ يَا وَلِيِّي هُنَا وَتَجْهَلُهُ هُنَا وَتُثْبِتُهُ هُنَا وَتَنْفِيهِ هُنَا.

إِلَّا أَنْ أُثْبِتَهُ بِالْوَجْهِ الَّذِي أَثْبَتَ نَفْسَهُ، وَنَفَيْتُهُ عَنْ كَذَا بِالْوَجْهِ الَّذِي نَفَى نَفْسَهُ كَالْآيَةِ الْجَامِعَةِ لِلنَّفْيِ وَالْإثْبَاتِ فِي حَقِّهِ. جَبْنَ قَالَ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] فَتَنَى؛ ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] فَأَثْبَتَ بِصِفَةٍ تَعَمُّ كُلِّ سَامِعٍ بَصِيرٍ مِنْ حَيَوَانَ.

وَمَا تُمُّ (ثمة - خ) إِلَّا حَيَوَانٌ إِلَّا أَنَّهُ بَطْنٌ فِي الدُّنْيَا عَنْ إِدْرَاكِ بَعْضِ النَّاسِ، وَظَهَرَ فِي الْآخِرَةِ لِكُلِّ النَّاسِ، فَإِنَّهَا الدَّارُ الْحَيَوَانُ، وَكَذَلِكَ الدُّنْيَا

إِلَّا أَنَّ حَيَاتَهَا مُسْتَوْرَةٌ عَنْ بَعْضِ الْعِبَادِ لِيُظْهَرَ الْإِخْتِنَاصُ وَالْمُفَاضَلَةُ بَيْنَ عِبَادِ اللَّهِ بِمَا يَدْرِكُونَهُ مِنْ حَقَائِقِ الْعَالَمِ.

فَمَنْ عَمَّ إِدْرَاكُهُ كَانَ الْحَقُّ فِيهِ أَظْهَرَ فِي الْحُكْمِ مِمَّنْ لَيْسَ لَهُ ذَلِكَ الْعُمُومُ.

فَلَا تُحْجَبُ بِالتَّضَاضِلِ وَتَقُولُ لَا يَصِحُّ كَلَامٌ مَنْ يَقُولُ إِنَّ الْخَلْقَ هُوِيَّةُ الْحَقِّ بَعْدَمَا أَرَيْتُكَ التَّضَاضِلَ فِي الْأَسْمَاءِ الْإِلَهِيَّةِ الَّتِي لَا تَشْكُ أَنْتَ أَنَّهَا هِيَ الْحَقُّ وَمَذْلُولُهَا الْمُسَمَّى بِهَا وَلَيْسَ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى.

ثُمَّ إِنَّهُ كَيْفَ يَقْدُمُ سَلِيمَانُ اسْمُهُ عَلَى اسْمِ اللَّهِ كَمَا زَعَمُوا وَهُوَ مِنْ جُمْلَةٍ مَنْ أَوْجَدْتُهُ الرَّحْمَةَ.

فَلَا بُدَّ أَنْ يَتَقَدَّمَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ لِيَصِحَّ اسْتِنَادُ الْمَرْحُومِ.

هَذَا عَكْسُ الْحَقَائِقِ: تَقْدِيمُ مَنْ يَسْتَحِقُّ التَّأْخِيرَ وَتَأْخِيرُ مَنْ يَسْتَحِقُّ التَّقْدِيمَ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي يَسْتَحِقُّهُ.

وَمِنْ حِكْمَةٍ بَلْقَيْسَ وَعُلُوِّ عِلْمِهَا كَوْنُهَا لَمْ تَذْكُرْ مَنْ أَلْقَى إِلَيْهَا الْكِتَابَ؛ وَمَا عَمِلْتَ ذَلِكَ إِلَّا لِتُعَلِّمَ أَصْحَابَهَا أَنَّ لَهَا إِتِّصَالَ إِلَى أُمُورٍ لَا يَعْلَمُونَ طَرِيقَهَا، وَهَذَا مِنَ التَّدْبِيرِ الْإِلَهِيِّ فِي الْمَلِكِ، لِأَنَّهُ إِذَا جُهِلَ طَرِيقُ الْإِخْبَارِ الْوَاصِلِ لِلْمَلِكِ خَافَ أَهْلُ الدَّوْلَةِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ فِي تَصَرُّفَاتِهِمْ، فَلَا يَتَصَرَّفُونَ إِلَّا فِي أَمْرِ إِذَا وَصَلَ إِلَى سُلْطَانِهِمْ عَنْهُمْ يَأْمَنُونَ غَائِلَةَ ذَلِكَ التَّصَرُّفِ. فَلَوْ تَعَيَّنَ لَهُمْ عَلَى يَدَيَّ مَنْ تَصِلُ الْأَخْبَارُ إِلَى مَلِكِهِمْ لَصَانَعُوهُ وَأَعْطَوْا لَهُ الرِّشَا حَتَّى يَفْعَلُوا مَا يُرِيدُونَ وَلَا يَصِلُ ذَلِكَ إِلَى مَلِكِهِمْ. فَكَانَ قَوْلُهَا: ﴿أَلْقَى إِلَيَّ﴾ [النمل: ٢٩] وَلَمْ تَسْمَعْ مِنَ الْقَاءِ سِيَاسَةً مِنْهَا أَوْرَثْتَ الْخَذَرَ مِنْهَا فِي أَهْلِ مَمْلَكَتِهَا وَخَوَاصِ مُدَبِّرِيهَا وَبِهَذَا اسْتَحَقَّتِ التَّقَدُّمَ عَلَيْهِمْ.

وَأَمَّا فَضْلُ الْعَالِمِ مِنَ الصَّنَفِ الْإِنْسَانِيِّ عَلَى الْعَالِمِ مِنَ الْجِنِّ بِأَسْرَارِ
التَّضَرُّيفِ وَخَوَاصِّ الْأَشْيَاءِ، فَمَعْلُومٌ بِالْقَدْرِ الزَّمَانِيِّ: فَإِنَّ رُجُوعَ الطَّرْفِ إِلَى
التَّائِثِ بِهِ أَسْرَعُ مِنْ قِيَامِ الْقَائِمِ مِنْ مَجْلِسِهِ، لِأَنَّ حَرَكَةَ الْبَصَرِ فِي الْإِذْرَاكِ إِلَى
مَا يُذَرِكُهُ أَسْرَعُ مِنْ حَرَكَةِ الْجِسْمِ فِيمَا يَتَحَرَّكُ مِنْهُ، فَإِنَّ الزَّمَانَ الَّذِي يَتَحَرَّكُ
فِيهِ الْبَصَرُ عَيْنَ الزَّمَانِ الَّذِي يَتَعَلَّقُ بِمُبْصَرِهِ مَعَ بَعْدِ الْمَسَافَةِ بَيْنَ التَّائِثِ
وَالْمَنْظُورِ (وَالْمَنْظُورُ إِلَيْهِ - خ): فَإِنَّ زَمَانَ فَتْحِ الْبَصَرِ زَمَانٌ تَعَلُّقُهُ بِفَلَكَ
الْكَوَاكِبِ الثَّابِتَةِ وَزَمَانٌ رُجُوعِ طَرَفِهِ إِلَيْهِ عَيْنَ (هُوَ عَيْنَ - خ) زَمَانٌ عَدَمِ
إِذْرِكِهِ. وَالْقِيَامُ مِنْ مَقَامِ الْإِنْسَانِ لَيْسَ كَذَلِكَ: أَيْ لَيْسَ لَهُ هَذِهِ السَّرْعَةُ.
فَكَانَ أَصْفُ بْنُ بَرِّخِيَا أَتَمَّ فِي الْعَمَلِ مِنَ الْجِنِّ، فَكَانَ عَيْنَ قَوْلِ أَصْفَ بْنِ
بَرِّخِيَا عَيْنَ الْفِعْلِ فِي الزَّمَنِ (الزَّمَان - خ) الْوَاحِدِ. فَرَأَى فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ
بِعَيْنِهِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَرْشَ بَلْقَيْسَ مُسْتَقَرّاً عِنْدَهُ لَيْلًا يَتَحَيَّلُ أَنَّهُ أَذْرَكَهُ
وَهُوَ فِي مَكَانِهِ مِنْ غَيْرِ انْتِقَالٍ.

وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَنَا بِاتِّحَادِ الزَّمَانِ انْتِقَالٌ، وَإِنَّمَا كَانَ إِعْدَامٌ وَإِبْجَادٌ مِنْ
حَيْثُ لَا يَشْعُرُ أَحَدٌ بِذَلِكَ إِلَّا مَنْ عَرَفَهُ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ
خَلْقِ جَدِيدٍ﴾.

وَلَا يَمْضِي عَلَيْهِمْ وَقْتُ لَا يَزُونَ فِيهِ مَا هُمْ رَاوُونَ لَهُ.

وَإِذَا كَانَ هَذَا كَمَا ذَكَرْنَاهُ، فَكَانَ زَمَانُ عَدَمِهِ، (أَعْنِي عَدَمَ الْعَرْشِ) مِنْ
مَكَانِهِ عَيْنَ وَجُودِهِ عِنْدَ سُلَيْمَانَ مِنْ تَجْدِيدِ الْخَلْقِ مَعَ الْأَنْفَاسِ. وَلَا عِلْمَ
لأَحَدٍ بِهَذَا الْقَدْرِ بَلِ الْإِنْسَانُ لَا يَشْعُرُ بِهِ مِنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ فِي كُلِّ نَفْسٍ لَا يَكُونُ
ثُمَّ يَكُونُ.

وَلَا تَقُلْ «ثُمَّ» تَقْتَضِي الْمُهْلَةَ، فَلَيْسَ ذَلِكَ بِصَحِيحٍ، وَإِنَّمَا «ثُمَّ» (وَإِنَّمَا)

هي - خ) تَقْضِي تَقْدَمُ الرُّثْبَةُ الْعَلِيَّةُ (الْعَلِيَّةُ مَعاً) عِنْدَ الْعَرَبِ فِي مَوَاضِعَ
مَخْصُوصَةٍ كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

كَهَزَ الرُّذَيْنِي ثُمَّ اضْطَرَبَ

وَرَمَانُ الْهَرُ عَيْنُ زَمَانٍ اضْطَرَابِ الْمَهْزُوزِ بِلا شَكٍّ. وَقَدْ جَاءَ بِثُمَّ وَلَا
مُهَلَّةً. كَذَلِكَ تَجْدِيدُ الْخَلْقِ مَعَ الْأَنْفَاسِ: زَمَانُ الْعَدَمِ زَمَانُ وُجُودِ الْمِثْلِ
كَتَجْدِيدِ الْأَعْرَاضِ فِي دَلِيلِ الْأَشَاعِرَةِ.

فَإِنَّ مَسْأَلَةَ حُصُولِ عَرْشِ بَلْقَيْسَ مِنْ أَشْكَالِ الْمَسَائِلِ إِلَّا مَنْ عَرَفَ مَا
ذَكَرْنَاهُ آتِئاً فِي قِصَّتِهِ.

فَلَمْ يَكُنْ لَأَصْفَ مِنَ الْفَضْلِ فِي ذَلِكَ إِلَّا حُصُولُ التَّجْدِيدِ فِي مَجْلِسِ
سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فَمَا قَطَعَ الْعَرْشَ مَسَافَةً، وَلَا زُوِيَتْ لَهُ أَرْضٌ وَلَا خَرَقَهَا لِمَنْ فِيهِمْ مَا
ذَكَرْنَاهُ.

وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى يَدَيِ بَعْضِ أَصْحَابِ سُلَيْمَانَ لِيَكُونَ أَغْظَمَ لِسُلَيْمَانَ
فِي نُفُوسِ الْحَاضِرِينَ مِنْ بَلْقَيْسٍ وَأَصْحَابِهَا.

وَسَبَبُ ذَلِكَ كَوْنُ سُلَيْمَانَ هِبَةً لِهَيْبَةِ اللَّهِ تَعَالَى لِذَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ مِنْ قَوْلِهِ
تَعَالَى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ﴾ [ص: ٣٠]. وَالْهَيْبَةُ عَطَاءُ الْوَاهِبِ بِطَرِيقِ
الْإِنْعَامِ لَا بِطَرِيقِ الْجَزَاءِ الْوَفَاقِ أَوْ الْاسْتِحْقَاقِ.

فَهُوَ النِّعْمَةُ السَّابِعَةُ وَالْحِجَّةُ الْبَالِغَةُ وَالضَّرْبَةُ الدَّامِغَةُ.

وَأَمَّا عِلْمُهُ فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾ [الأنبياء: ٧٩] مَعَ تَقْيِضِ
الْحُكْمِ، ﴿وَكَلَّمَآءَآئِنَّا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٩] (وَكَلَّمَآءَآئِنَّا اللَّهُ حُكْمًا
وَعِلْمًا - خ). فَكَانَ عِلْمُ دَاوُدَ عِلْمًا مُؤْتَى آتَاهُ اللَّهُ، وَعِلْمُ سُلَيْمَانَ عِلْمُ اللَّهِ

فِي الْمَسْأَلَةِ إِذْ كَانَ هُوَ الْحَاكِمُ بِلَا وَاسِطَةٍ. فَكَانَ سُلَيْمَانُ تَرْجَمَانُ حَقٍّ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ. كَمَا أَنَّ الْمُجْتَهِدَ الْمُصْنِبَ لِحُكْمِ اللَّهِ الَّذِي يَحْكُمُ بِهِ اللَّهُ فِي الْمَسْأَلَةِ أَوْ تَوَلَّاهَا بِنَفْسِهِ أَوْ بِمَا يُوحَى بِهِ لِرَسُولِهِ (إِلَى رَسُولِهِ - خ) لَهُ أَجْرَانِ، وَالْمُخْطِئُ لِهَذَا الْحُكْمِ لَهُ أَجْرٌ مَعَ كَوْنِهِ عِلْمًا وَحُكْمًا.

فَأُعْطِيَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ رُبَّةُ سُلَيْمَانَ - عَلَيْهِ السَّلَام - فِي الْحُكْمِ، وَرُبَّةُ دَاوُدَ - عَلَيْهِ السَّلَام - . فَمَا أَفْضَلُهَا مِنْ أُمَّةٍ.

وَلَمَّا رَأَتْ بَلْقِيسُ عَرْشَهَا مَعَ عِلْمِهَا بِبُعْدِ الْمَسَافَةِ وَاسْتِحَالَةِ انْتِقَالِهِ فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ عِنْدَهَا ﴿قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ [النمل: ٤٢] وَصَدَقَتْ (وَصَدَقَتْ - خ) بِمَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ تَجْدِيدِ الْخَلْقِ بِالْأَمْثَالِ، وَهُوَ هُوَ، وَصَدَقَ (وَصَدَقَ - خ) الْأَمْرُ، كَمَا أَنَّكَ فِي زَمَانِ التَّجْدِيدِ عَيْنُ مَا أَنْتَ فِي الزَّمَنِ الْمَاضِي.

ثُمَّ إِنَّهُ مِنْ كَمَالِ عِلْمِ سُلَيْمَانَ التَّنْبِيهِ الَّذِي ذَكَرَهُ فِي الصَّرْحِ. ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ﴾ [النمل: ٤٤] وَكَانَ صَرْحًا أَمْلَسَ لَا أَمَتْ فِيهِ مِنْ رُجَاجٍ. فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةَ أَيِّ مَاءٍ، ﴿وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا﴾ [النمل: ٤٤]. حَتَّى لَا يُصْنِبَ الْمَاءُ ثَوْبَهَا. فَتَنَّبَهَا بِذَلِكَ عَلَى أَنْ عَرَّشَهَا الَّذِي رَأَتْهُ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ وَهَذَا غَايَةُ الْإِنْصَافِ. فَإِنَّهُ أَعْلَمَهَا بِذَلِكَ إِصَابَتَهَا فِي قَوْلِهَا: ﴿كَأَنَّهُ هُوَ﴾ [النمل: ٤٢].

فَقَالَتْ عِنْدَ ذَلِكَ: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَشْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ﴾ [النمل: ٤٤] أَيِ إِسْلَامٍ (بِاسْلَامٍ - خ) سُلَيْمَانَ ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

فَمَا انْفَادَتْ لِسُلَيْمَانَ وَإِنَّمَا انْفَادَتْ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَسُلَيْمَانُ مِنَ الْعَالَمِينَ. فَمَا تَقَيَّدَتْ فِي انْقِيَادِهَا كَمَا لَا تَقَيَّدُ الرُّسُلُ فِي اعْتِقَادِهَا فِي اللَّهِ.

بِخِلَافِ فِرْعَوْنَ فَإِنَّهُ قَالَ: ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ [الشعراء: ٤٨] وَإِنْ كَانَ

يلحق بهذا الانقياد البلقيسي مِنْ وَجْهِ، لَكِنْ لَا يَقْوَى قُوَّتُهُ فَكَانَتْ أَفْقَهُ مِنْ
فِرْعَوْنَ فِي الانقياد لِلَّهِ .

وَكَانَ فِرْعَوْنُ تَحْتَ حُكْمِ الْوَقْتِ حَيْثُ قَالَ: (آمَنْتُ بِالَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو
إِسْرَائِيلَ) فَخَصَّصَ، وَإِنَّمَا خَصَّصَ لِمَا رَأَى السَّحْرَةَ قَالُوا فِي إِيْمَانِهِم بِاللَّهِ:
﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ [الشعراء: ٤٨].

فَكَانَ إِسْلَامُ بَلْقِيسَ إِسْلَامَ سُلَيْمَانَ إِذْ قَالَتْ: ﴿مَعَ سُلَيْمَانَ﴾ [النمل: ٤٤] فَتَبِعَتْهُ .

فَمَا يَمُرُّ بِشَيْءٍ مِنَ الْعَقَائِدِ إِلَّا مَرَّتْ بِهِ مُعْتَقِدَةً ذَلِكَ . كَمَا نَحْنُ عَلَى
الصُّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ الَّذِي الرَّبُّ تَعَالَى عَلَيْهِ لِكُونَ نَوَاصِينَا فِي يَدِهِ . وَيَسْتَجِيبُ
مُفَارَقَتَنَا إِيَّاهُ .

فَنَحْنُ مَعَهُ بِالتَّضَمُّينِ (بِالتَّضَمَّنِ - خ) وَهُوَ مَعَنَا بِالتَّضَرِّيحِ، فَإِنَّهُ قَالَ:
﴿وَهُوَ مَعَكُ أَيَّنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤] وَنَحْنُ مَعَهُ بِكَوْنِهِ (لِكُونِهِ - خ) آخِذًا
بِنَوَاصِينَا .

فَهُوَ اللَّهُ تَعَالَى مَعَ نَفْسِهِ حَيْثُمَا مَشَى بِنَا مِنْ صِرَاطِهِ، فَمَا أَخَذَ مِنْ
الْعَالَمِ إِلَّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَهُوَ صِرَاطُ الرَّبِّ تَعَالَى .

وَكَذَلِكَ عَلِمْتَ (وَكَذَا عَلِمْتَ - خ) بَلْقِيسُ مِنْ سُلَيْمَانَ فَقَالَتْ: ﴿لِلَّهِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤] وَمَا خَصَّصْتَ عَالَمًا مِنْ عَالَمٍ .

وَأَمَّا التَّسْخِيرُ الَّذِي اخْتَصَّ بِهِ سُلَيْمَانُ وَفُضِّلَ بِهِ عَلَى غَيْرِهِ وَجَعَلَهُ اللَّهُ
لَهُ مِنَ الْمُلْكِ الَّذِي لَا يَنْتَعِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ فَهُوَ كَوْنُهُ عَنْ أَمْرِهِ . فَقَالَ:
﴿فَسَحَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ﴾ [ص: ٣٦] . فَمَا هُوَ مِنْ كَوْنِهِ تَسْخِيرًا، فَإِنَّ اللَّهَ

يَقُولُ فِي حَقِّنا كُلِّنا مِنْ غَيْرِ تَخَصُّصٍ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾ [الباقية: ١١٣]. وَقَدْ ذَكَرَ تَسْخِيرَ الرِّيحِ وَالتَّجْوِمِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَلَكِنْ لَا عَنْ أَمْرنا بَلْ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ. فَمَا اخْتَصَّ سُلَيْمَانُ - إِنْ عَقَلْتُ - إِلَّا بِالْأَمْرِ مِنْ غَيْرِ جَمْعِيَّةٍ وَلَا هِمَّةٍ، بَلْ بِمُجَرَّدِ الْأَمْرِ. وَإِنَّمَا قُلْنَا ذَلِكَ لِأَنَّا نَعْرِفُ أَنَّ أَجْرَامَ الْعَالَمِ تَتَفَعَّلُ لَهُمْ الثُّفُوسُ إِذَا أُقِيمَتْ فِي مَقَامِ الْجَمْعِيَّةِ. وَقَدْ عَايَنَّا ذَلِكَ فِي هَذَا الطَّرِيقِ. فَكَانَ مِنْ سُلَيْمَانَ مُجَرَّدُ التَّلْفُظِ بِالْأَمْرِ لِمَنْ أَرَادَ تَسْخِيرَهُ مِنْ غَيْرِ هِمَّةٍ وَلَا جَمْعِيَّةٍ.

وَأَعْلَمُ - أَيُّدُنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ بِرُوحِ مِنْهُ - أَنَّ مِثْلَ هَذَا الْعَطَاءِ إِذَا حَصَلَ لِلْعَبْدِ أَيِّ عَبْدٍ كَانَ فَإِنَّهُ لَا يَنْقُصُهُ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِ آخِرَتِهِ، وَلَا يُحَسِبُ عَلَيْهِ، مَعَ كَوْنِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ طَلَبَهُ مِنْ رَبِّهِ تَعَالَى. فَيَقْتَضِي ذَوْقُ الطَّرِيقِ أَنْ يَكُونَ قَدْ عَجَّلَ لَهُ مَا أَذْخَرَ لِغَيْرِهِ وَيُحَاسِبُ بِهِ إِذَا أَرَادَهُ فِي الْآخِرَةِ.

فَقَالَ اللَّهُ لَهُ: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا﴾ [ص: ٣٩] وَلَمْ يَقُلْ لَكَ وَلَا لِغَيْرِكَ ﴿فَأَمْتَنَّ﴾ [ص: ٣٩] أَيْ أَلْطَفَ ﴿أَوْ أَمْسَكَ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ص: ٣٩].

فَعَلِمْنَا مِنْ ذَوْقِ الطَّرِيقِ أَنَّ سُؤَالَ ذَلِكَ كَانَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ. وَالطَّلَبُ إِذَا وَقَعَ عَنِ الْأَمْرِ الْإِلَهِيِّ كَانَ الطَّالِبُ لَهُ الْأَجْرُ النَّامُ عَلَى طَلَبِهِ. وَالْبَارِي تَعَالَى إِنْ شَاءَ قَضَى حَاجَتَهُ فِيمَا طَلَبَ مِنْهُ وَإِنْ شَاءَ أَمْسَكَ، فَإِنَّ الْعَبْدَ قَدْ وَفَى مَا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ امْتِثَالِ أَمْرِهِ فِيمَا سَأَلَ رَبَّهُ فِيهِ؛ فَلَوْ سَأَلَ ذَلِكَ عَنْ نَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ أَمْرِ رَبِّهِ لَهُ بِذَلِكَ لِحَاسِبَتِهِ بِهِ.

وَهَذَا سَارٍ فِي جَمِيعِ مَا يُسْأَلُ فِيهِ اللَّهُ كَمَا قَالَ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]. فَأَمْتَثَلَ أَمْرَ رَبِّهِ فَكَانَ يَطْلُبُ الزِّيَادَةَ مِنَ الْعِلْمِ حَتَّى كَانَ إِذَا سِيقَ لَهُ لَبَنٌ يَتَأَوَّلُهُ بِالْعِلْمِ كَمَا تَأَوَّلَ رُؤْيَاهُ لَمَّا

رَأَى فِي النَّوْمِ أَنَّهُ أُتِيَ إِلَيْهِ بِقَدَحٍ لَبَنٍ فَشَرِبَهُ وَأَعْطَى فَضْلَهُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ .
قَالُوا فَمَا أَوَّلَتْهُ قَالَ الْعِلْمُ . وَكَذَلِكَ لَمَّا أُسْرِيَ بِهِ أَنَاهُ الْمَلِكُ بِإِنَاءٍ فِيهِ لَبَنٌ وَإِنَاءٌ
فِيهِ خَمْرٌ فَشَرِبَ اللَّبَنُ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ أَصَبْتَ الْفِطْرَةَ أَصَابَ اللَّهُ بِكَ أَمْتَكُ .
فَاللَّبَنُ مَتَى ظَهَرَ فَهُوَ صُورَةُ الْعِلْمِ ، فَهُوَ الْعِلْمُ تَمَثَّلَ فِي صُورَةِ اللَّبَنِ كَجَبْرِئِيلَ
(كجبريل - خ) تَمَثَّلَ فِي صُورَةِ بَشَرٍ سَوِيٍّ لِمَرْيَمَ .

وَلَمَّا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : «النَّاسُ نِيَامٌ فَإِذَا مَاتُوا انْتَبَهُوا» نَبَّهَ عَلَى أَنَّهُ كُلُّ
مَا يَرَاهُ الْإِنْسَانُ فِي حَيَاتِهِ الدُّنْيَا إِنَّمَا هُوَ بِمَنْزِلَةِ الرَّؤْيَا لِلنَّائِمِ خِيَالٌ فَلَا بُدَّ مِنْ
تَأْوِيلِهِ .

إِنَّمَا الْكَوْنُ خِيَالٌ وَهُوَ حَقٌّ فِي الْحَقِيقَةِ
وَالَّذِي يَفْهَمُهُ هَذَا خَازِ أَسْرَارَ الطَّرِيقَةِ

فَكَانَ (وكان - خ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قُدِّمَ لَهُ لَبَنٌ قَالَ : «اللَّهُمَّ
بَارِكْ لَنَا فِيهِ وَزِدْنَا مِنْهُ» لِأَنَّهُ كَانَ يَرَاهُ صُورَةَ الْعِلْمِ ، وَقَدْ أُمِرَ بِطَلَبِ الزِّيَادَةِ مِنَ
الْعِلْمِ ؛ وَإِذَا قُدِّمَ لَهُ غَيْرُ اللَّبَنِ قَالَ : «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ وَأَطْعِمْنَا خَيْرًا مِنْهُ» .
فَمَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا أَعْطَاهُ بِسُؤَالٍ عَنْ أَمْرِ إِلَهِي فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحَاسِبُهُ بِهِ فِي الدَّارِ
الْآخِرَةِ ، وَمَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا أَعْطَاهُ بِسُؤَالٍ عَنْ غَيْرِ أَمْرِ إِلَهِي فَلَا مُمْرَ فِيهِ إِلَى
اللَّهِ ، إِنْ شَاءَ حَاسِبُهُ بِهِ ، وَإِنْ شَاءَ لَمْ يُحَاسِبْهُ . وَأَزْجُو مِنَ اللَّهِ فِي الْعِلْمِ
خَاصَّةً أَنَّهُ لَا يُحَاسِبُهُ بِهِ .

فَإِنَّ أَمْرَهُ لِيَتَّبِعِهِ بِطَلَبِ الزِّيَادَةِ مِنَ الْعِلْمِ غَيْرُ أَمْرِهِ لِأَمْتِهِ فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ :
﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب : ٢١] . وَأَيُّ أُسْوَةٍ أَعْظَمُ
مِنْ هَذَا النَّاسِي لِمَنْ عَقَلَ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى .

وَلَوْ نَبَهْنَا عَلَى الْمَقَامِ السُّلَيْمَانِيِّ عَلَى تَمَامِهِ لَرَأَيْتُمْ أَمْرًا يَهُولُكُمْ (يَهُولُكُمْ

- معاً) الإِطْلَافُ عَلَيْهِ فَإِنَّ أَكْثَرَ عُلَمَاءِ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ جَهِلُوا حَالَةَ سُلَيْمَانَ -
عَلَيْهِ السَّلَام - وَمَكَاتَهُ وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمُوا. (وَاللَّهُ الْمُوقِفُ - خ).



«فصلُ حكمةِ رحمانية في كلمةِ سليمان»

«المراد بالحكمة الرحمانية بيان أسرار الرحمتين الصفاتيتين الناشئتين من
الرحمتين الذاتيتين المشار إليهما بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ
اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٣٠] - ص ٣٤٨ - .

قوله: المشار إليهما بقوله تعالى . . . الخ، قال شيخنا العارف الكامل
الشاه أبادي مد ظله إن الرحمن الرحيم في قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ
الرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٣٠] صفتان للاسم لا الله تعالى وهما ليستا من الرحمتين
الذاتيتين فإنهما مندرجتان في اسم الجلالة فحاصل مفاد التسمية أنه بالمشية
الرحمانية والرحيمية من الله تعالى ظهر الحمد أي عالم الحمد الذي هو
العالم العقلي العجبروتي فإن حقيقتها محامد إلهية وبمشيته الربوبية ظهر
العالمون أي العالم الملك الذي يكون في صراط التربية والترقي وغاية الترقي
هو الوصول إلى المشية الرحمانية والرحيمية ولذا أعادهما الله تعالى في
الفاتحة وأما المشية المالكية فهي في مقابلة المشية الرحمانية فإنها لقبض
الوجود كما أن الرحمانية لبسطه وتفسير باقي السورة ليس هنا محل ذكره .

«وأصل هذا الوجوب قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ﴾ [الأنعام:
١٢] أي أوجبها على نفسه» - ص ٣٤٩ - .

قوله: وأصل هذا . . . الخ، أي الإيجاب من ذاته تعالى لا بتأثير من
العبد فإنه كتب على نفسه الرحمة من دون سبق تأثير من العبد .

« . . . بل هو حيوان بالفعل وإن كان باقي صفاته بالقوة وظهر في الآخرة
كونه حيواناً لكل الناس» - ٣٥٦ - .

قوله: وإن كان باقي صفاته بالقوة... الخ، سريان الحقيقة الوجودية والهوية الإلهية المستجمعة لجميع الصفات الكمالية في الأشياء يقتضي أن يكون جميع الأشياء مستجمعاً لجميعها بالفعل وإن كان المحجوب لا يدركها بل كل موجود عند الكُمَل اسم أعظم ولذا ورد عن مولانا أمير المؤمنين أو الصادق عليه السلام ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله ومعه والله هو الاسم الجامع لجميع الأسماء والصفات وفي هذا المقام لا تفاضل بين الموجودات ولقد حققنا ذلك في شرحنا لبعض الأدعية.

قول الشيخ في المتن: «وما علمت ذلك إلا لتعلم أصحابها أن لها اتصالاً إلى أمور لا يعلمون طريقها» قال الشارح «أي إلى أسرار ومعان من عالم الجبروت والملكوت» - ص ٣٥٨ - .

ليس المراد من تلك الأمور أسرار الملكوت والجبروت كما لا يخفى بل المراد ما أفاد الشيخ نفسه بقوله وهذا من التدبير الإلهي... الخ.

«وإنما كان اعدام وإيجاد من حيث لا يشعر أحد بذلك إلا من عرفه أي أعدمه في سبأ وأوجده عند سليمان عليه السلام» - ص ٣٥٨ - .

قوله: وإنما كان إعدام وإيجاد... الخ، ليس هذا الإعدام إعداماً مطلقاً حتى يكون الإيجاد من قبيل إعادة المعدوم بل الإعدام هو الإدخال تحت الأسماء الباطنة المناسبة والإيجاد هو الإظهار من الأسماء الظاهرة المناسبة وليس هذا البطون والظهور بطريق الانتقال فإن أفعال الكُمَل التي هي أفعال الله أجل من أن يكون للزمان والحركة سلطنة عليها ويمكن أن يكون أمثال هذه الأفاعيل بطي المكان كما أنه يمكن أن يكون بيسط الزمان فإن العوالم كلها خاضعة للولي الكامل الذي عنده من الاسم الأعظم شيء وقد ورد عن موالينا أن عند آصف حرفاً واحداً من الاسم الأعظم فتكلم به فانخرقت له الأرض فيما بينه وبين سبأ فتناول عرش بلقيس حتى صيره إلى سليمان ثم انبسطت الأرض في أقل من طرفة عين وأنه أي الاسم الأعظم ثلاثة وسبعون حرفاً وعندهم عليه السلام منه اثنان وسبعون حرفاً وحرف عند الله

استأثر به في علم الغيب وقد بسطنا الكلام والتحقيق في بعض الرسائل في أطراف الحديث الشريف .

«فإن مسألة حصول عرش بلقيس من أشكال المسائل إلا عند من عرف ما ذكرناه» - ص ٣٦٠ - .

أقول : ولكونها من أشكال المسائل اشتبه على الشيخ وزعم أنه بطريق الإيجاد والإعدام فحسب أي لا يمكن حصول أمثالها إلا بهذا الطريق فقيد قدرة الولي الذي له من الاسم الأعظم نصيب فهذا مقدار معرفة هذا العارف وكشفه وأما الكشف المحمدي ﷺ الكاشف عنه أهل بيته صلى الله عليه وعليهم أجمعين فهو يقتضي أن لا يقيد القدرة الإلهية ويحكم بصحة الانتقال من مسافات بعيدة قبل ارتداد الطرف وأقل منه ألا ترى أن النور الحسي مع كونه من عالم الملك والقوى الملكية لا يقاس بالقوى الروحانية يقطع في ثانية واحدة من المسافة قريباً من ستين ألف فرسخ على ما عينه أهل الهيئة الجديدة فاجعل هذا مقياساً لما لا يقاس بالعالم الطبيعي وقواه .

«قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ﴾ [ص: ٣٠] والهبه عطاء الواهب بطريق الانعام لا بطريق الجزاء الوفاق» - ص ٣٦٠ - .

قوله : الجزاء الوفاق ، أي الجزاء الذي يكون بحسب الأعمال وهو جنة الأعمال لقول تعالى: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ [الكهف: ٤٩] كما أن الاستحقاق هو جنة الصفات والأخلاق التي يحصل بحصول الملكات الحسنة والهيئات النورية وأشير إليه في الكتاب الإلهي بقوله فيها ما تشتهيهِ الأنفس وتلذ الأعين .

«أما رتبة سليمان فبالإصابة في الحكم كما أصاب فيه وأما رتبة داود فبالاجتهاد وإن وقع خلاف ما في علم الله تعالى» - ص ٣٦١ - .

قوله : وأما رتبة داود فبالاجتهاد . ليس علم الأنبياء بالأحكام من قبيل الاجتهاد فإنهم ﷺ يستكشفون الحقائق من الاطلاع على ما في علم الحق واللوح المحفوظ حسب مراتبهم وليس النسخ من قبيل كشف خطأ النبي

السابق بل الحكم في زمن النبي السابق كان بالنسبة إلى الأمة ما حكم به ذلك النبي والنسخ عبارة عن استكشاف حد الحكم السابق لا رفع الحكم المطلق إلا أن كشف الشيخ يقتضي أن يكون داوود بل الأنبياء المرسلون مخطئين في أحكامهم وقوم نوح وسائر الكفار كفرعون عرفاء شامخين .

«لما رأى في النوم أنه أتى إليه بقدر لبن فشربه وأعطى فضله عمر»

- ص ٣٦٥ - .

قد عرفت سابقاً تعبير ذلك .

فص حكمة وجودية في كلمة داودية

اعْلَمَ أَنَّهُ لَمَّا كَانَتِ النَّبُوءَةُ وَالرَّسَالَةُ اخْتِصَاصًا إِلَهِيًّا لَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ
الْاِكْتِسَابِ أَعْنِي ثُبُوءَ التَّشْرِيعِ، كَانَتْ عَطَايَاهُ تَعَالَى لَهُمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مِنْ
هَذَا الْقَبِيلِ مَوَاهِبَ لَيْسَتْ جَزَاءً، وَلَا يُطْلَبُ عَلَيْهَا مِنْهُمْ جَزَاءٌ فَإِعْطَاؤُهُ إِيَّاهُمْ
عَلَى طَرِيقِ الْإِنْعَامِ وَالْإِفْضَالِ.

فَقَالَ (فَقَالَ تَعَالَى - خ) ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [الأنعام: ٨٤]
يَعْنِي لِإِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَقَالَ فِي أَيُّوبَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -
﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾ [ص: ٤٣]؛ وَقَالَ فِي حَقِّ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ -
﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥٣] إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ. فَالَّذِي
تَوَلَّاهُمْ أَوَّلًا هُوَ الَّذِي تَوَلَّاهُمْ [آخِرًا] فِي عُمُومِ أَحْوَالِهِمْ أَوْ أَكْثَرِهَا، وَلَيْسَ
إِلَّا اسْمُهُ الْوَهَّابُ.

وَقَالَ فِي حَقِّ دَاوُدَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا﴾ [سبأ:
١٠] فَلَمْ يَقْرُنْ بِهِ جَزَاءً يُطْلَبُ مِنْهُ، وَلَا أَخْبَرَ أَنَّهُ أُعْطَاهُ هَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ جَزَاءً.
وَلَمَّا طَلَبَ الشُّكْرَ عَلَى ذَلِكَ بِالْعَمَلِ (عَلَى ذَلِكَ الْعَمَلِ - خ) طَلَبَهُ مِنْ آلِ
دَاوُدَ وَلَمْ يَتَعَرَّضْ لِذِكْرِ دَاوُدَ لِيَشْكُرَهُ الْآلَ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَى دَاوُدَ.

فَهُوَ فِي حَقِّ دَاوُدَ عَطَاءُ نِعْمَةٍ وَإِفْضَالٍ، وَفِي حَقِّ آلِهِ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ
لِطَلَبِ الْمُعَاوَضَةِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿اعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ

الشُّكُورُ ﴿سبا: ١٣﴾. وَإِنْ كَانَتْ الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قَدْ شَكَرُوا لِلَّهِ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ وَوَهَبَهُمْ، فَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ عَلَى طَلَبٍ مِنَ اللَّهِ، بَلْ تَبَرَّعُوا بِذَلِكَ مِنْ نَفْسِهِمْ كَمَا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى تَوَرَّعَتْ قَدَمَاهُ شُكْرًا لِمَا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ. فَلَمَّا قِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ قَالَ: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شُكُورًا؟» وَقَالَ فِي نُوحٍ: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شُكُورًا﴾ [الإسراء: ٣]. وَالشُّكُورُ (فالشكور - خ) مِنْ عِبَادِ اللَّهِ تَعَالَى قَلِيلٌ. فَأَوَّلُ نِعْمَةٍ أَنْعَمَ اللَّهُ بِهَا عَلَى دَاوُدَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَنْ أَعْطَاهُ اسْمًا لَيْسَ فِيهِ حَرْفٌ مِنْ حُرُوفِ الْإِتِّصَالِ.

فَقَطَّعَهُ عَنِ الْعَالَمِ بِذَلِكَ إِخْبَارًا لَنَا عَنْهُ بِمُجَرَّدِ هَذَا الْاسْمِ، وَهِيَ الدَّالُّ وَالْأَلِفُ وَالْوَاوُ.

وَسَمَّى (وَسَمَّى اللَّهُ - خ) مُحَمَّدًا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِحُرُوفِ الْإِتِّصَالِ وَالْإِنْفِصَالِ، فَوَصَّلَهُ بِهِ وَفَصَّلَهُ عَنِ الْعَالَمِ فَجَمَعَ لَهُ بَيْنَ الْحَالَتَيْنِ (الْحَالِينَ - خ) فِي اسْمِهِ كَمَا جَمَعَ لِدَاوُدَ بَيْنَ الْحَالَتَيْنِ (الْحَالِينَ - خ) مِنْ طَرِيقِ الْمَعْنَى، وَلَمْ يَجْعَلْ ذَلِكَ فِي اسْمِهِ، فَكَانَ ذَلِكَ اخْتِصَاصًا لِمُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى دَاوُدَ (لِمُحَمَّدٍ عَلَى دَاوُدَ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا - خ) أَعْنِي التَّنْبِيَةَ عَلَيْهِ بِاسْمِهِ. فَتَمَّ لَهُ الْأَمْرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ (فَتَمَّ لَهُ الْأَمْرُ أَي لِمُحَمَّدٍ - ص - خ) مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِ، وَكَذَلِكَ فِي اسْمِهِ «أَحْمَدُ»، فَهَذَا مِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى.

ثُمَّ قَالَ فِي حَقِّ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فِيمَا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ عَلَى طَرِيقِ الْإِنْعَامِ عَلَيْهِ، تَرْجِيْعَ الْجِبَالِ مَعَهُ التَّنْبِيْحَ، فَتُسَبِّحُ لِتُسَبِّحُوهُ لِيَكُونَ لَهُ عَمَلُهَا، وَكَذَلِكَ الطَّيْرِ.

وَأَعْطَاهُ الْقُوَّةَ وَنَعَتَهُ بِهَا، وَأَعْطَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضَلَ الْخِطَابِ .

ثُمَّ الِإِمْنَةُ الْكُبْرَى وَالْمَكَانَةُ الزُّلْفَى الَّتِي خَصَّهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا التَّنْصِيفُ عَلَى خِلَافَتِهِ . وَلَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مَعَ أَحَدٍ مِنْ أُنْبَاءِ جَنْسِهِ وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ خُلَفَاءُ فَقَالَ : ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى﴾ [ص: ٢٦] أَيُّ مَا يَخْطُرُ لَكَ فِي حُكْمِكَ مِنْ غَيْرِ وَخِي مَتِي ﴿فَبُيِّضَ لَكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦] أَيُّ عَنِ الطَّرِيقِ الَّذِي أُوجِئَ بِهِ إِلَى رُسُلِي .

ثُمَّ تَأَذَّبَ سُبْحَانَهُ مَعَهُ فَقَالَ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَمَّا سَوَوْا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦] وَلَمْ يَقُلْ لَهُ : «إِنْ ضَلَلْتَ عَنْ سَبِيلِي فَلَكَ عَذَابٌ شَدِيدٌ» .

فَإِنْ قُلْتَ وَآدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ نَصَّ عَلَى خِلَافَتِهِ، قُلْنَا مَا نَصَّ مِثْلَ التَّنْصِيفِ عَلَى دَاوُدَ، وَإِنَّمَا قَالَ لِلْمَلَائِكَةِ ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، وَلَمْ يَقُلْ إِنِّي جَاعِلٌ آدَمَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ وَلَوْ قَالَ أَيْضاً مِثْلَ ذَلِكَ، لَمْ يَكُنْ لِمِثْلِ قَوْلِهِ : ﴿إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً﴾ [ص: ٢٦] فِي حَقِّ دَاوُدَ، فَإِنَّ هَذَا مُحَقَّقٌ وَذَلِكَ لَيْسَ كَذَلِكَ . وَمَا يَدُلُّ ذِكْرُ آدَمَ فِي الْقِصَّةِ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ عَيْنُ ذَلِكَ الْخَلِيفَةِ الَّذِي نَصَّ اللَّهُ عَلَيْهِ فَاجْعَلْ بِالكَ لِإِخْبَارَاتِ الْحَقِّ عَنْ عِبَادِهِ إِذَا أَخْبَرَ .

وَكَذَلِكَ فِي حَقِّ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ : ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤] وَلَمْ يَقُلْ خَلِيفَةً، وَإِنْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّ الْإِمَامَةَ هُنَا خِلَافَةٌ، وَلَكِنْ مَا هِيَ مِثْلُهَا، لِأَنَّهُ مَا ذَكَرَهَا بِأَخْصِ أَسْمَائِهَا وَهِيَ الْخِلَافَةُ .

ثُمَّ فِي دَاوُدَ مِنَ الْإِخْتِصَاصِ بِالْخِلَافَةِ أَنْ جَعَلَهُ خَلِيفَةً حُكْمَ، وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا عَنِ اللَّهِ تَعَالَى فَقَالَ لَهُ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ، وَخِلَافَةُ آدَمَ قَدْ لَا

تَكُونُ مِنْ هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ فَتَكُونُ خِلَافَتُهُ أَنْ يَخْلُفَ مَنْ كَانَ فِيهَا قَبْلَ ذَلِكَ، لَا أَنَّهُ نَائِبٌ عَنِ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ بِالْحُكْمِ الْإِلَهِيِّ فِيهِمْ، وَإِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ وَقَعَ، وَلَكِنْ لَيْسَ كَلَامُنَا إِلَّا فِي التَّنْصِيفِ عَلَيْهِ وَالتَّضَرُّيحِ بِهِ.

وَلِلَّهِ (وَإِنَّهُ وَلِلَّهِ - خ) فِي الْأَرْضِ خِلَافَتُ عَنِ اللَّهِ، وَهُمْ الرُّسُلُ. وَأَمَّا الْخِلَافَةُ الْيَوْمَ فَعَنِ الرُّسُلِ لَا عَنِ اللَّهِ.

فَإِنَّهُمْ مَا يَخْكُمُونَ إِلَّا بِمَا شَرَعَ لَهُمُ الرُّسُلُ لَا يَخْرُجُونَ عَنْ ذَلِكَ. غَيْرَ أَنَّ هَهُنَا دَقِيقَةً لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا أَمْثَلُنَا. وَذَلِكَ فِي اخْتِذَا مَا يَخْكُمُونَ بِهِ وَمَا هُوَ شَرَعٌ لِلرُّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فَالْخَلِيفَةُ عَنِ الرُّسُولِ مَنْ يَأْخُذُ الْحُكْمَ بِالثَّقَلِ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ بِالْإِجْتِهَادِ الَّذِي أَضْلَهُ أَيْضاً مَنْقُولٌ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَفِينَا مَنْ يَأْخُذُهُ عَنِ اللَّهِ بِعَيْنِ ذَلِكَ الْحُكْمِ، فَتَكُونُ الْمَادَّةُ لَهُ مِنْ حَيْثُ كَانَتْ الْمَادَّةُ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَهُوَ فِي الظَّاهِرِ مُتَّبِعٌ لِعَدَمِ مُخَالَفَتِهِ فِي الْحُكْمِ كَعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا نَزَلَ فَحَكَمَ، وَكَالْتَبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْهُمْ أَقْسَدُ﴾ [الأنعام: ٩٠].

وَهُوَ فِي حَقِّ مَا يَعْرِفُهُ مِنْ صُورَةِ الْأَخْذِ مُخْتَصَّ مُوَافِقٌ، هُوَ فِيهِ بِمَنْزِلَةِ مَا قَرَّرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ شَرَعٍ مَنْ تَقَدَّمَ مِنَ الرُّسُلِ بِكُونِهِ (لِكُونِهِ - خ) قَرَّرَهُ فَاتَّبَعْنَاهُ مِنْ حَيْثُ تَقَرَّرَ لَا مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ شَرَعَ لِغَيْرِهِ قَبْلَهُ.

وَكَذَلِكَ أَخَذَ الْخَلِيفَةُ عَنِ اللَّهِ عَيْنَ مَا أَخَذَهُ مِنْهُ الرُّسُلُ فَتَقُولُ فِيهِ بِلِسَانِ الْكُشْفِ خَلِيفَةُ اللَّهِ وَبِلِسَانِ الظَّاهِرِ خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ. وَلِهَذَا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا نَصَّ بِخِلَافَةٍ عَنْهُ إِلَى أَحَدٍ. وَلَا عَيْنَهُ لِعِلْمِهِ أَنَّ فِي أَمْتِهِ مَنْ يَأْخُذُ الْخِلَافَةَ عَنْ رَبِّهِ فَيَكُونُ خَلِيفَةً عَنِ اللَّهِ مَعَ

المُوافَقَةِ فِي الْحُكْمِ الْمَشْرُوعِ. فَلَمَّا عَلِمَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَحْجِرِ الْأَمْرَ.

فَلِلَّهِ خُلَفَاءُ فِي خَلْقِهِ يَأْخُذُونَ مِنْ مَعْدِنِ الرَّسُولِ وَالرُّسُلِ مَا أَخَذَتْهُ الرُّسُلُ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ.

وَيَعْرِفُونَ فَضْلَ الْمُتَقَدِّمِ هُنَاكَ لِأَنَّ الرَّسُولَ قَابِلٌ لِلزِّيَادَةِ: وَهَذَا الْخَلِيفَةُ لَيْسَ بِقَابِلٍ لِلزِّيَادَةِ الَّتِي لَوْ كَانَ الرَّسُولُ قَبْلِهَا.

فَلَا يُعْطَى مِنَ الْعِلْمِ وَالْحُكْمِ فِيمَا شَرَعَ إِلَّا مَا شَرَعَ لِلرَّسُولِ خَاصَّةً، فَهُوَ فِي الظَّاهِرِ مُتَّبِعٌ غَيْرُ مُخَالِفٍ، بِخِلَافِ الرُّسُلِ.

أَلَا تَرَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا تَحَلَّلَتِ الْيَهُودُ أَنَّهُ لَا يَزِيدُ عَلَى مُوسَى، مِثْلَ مَا قُلْنَا (قَدْ مَنَاهُ - خ) فِي الْخِلَافَةِ الْيَوْمَ مَعَ الرَّسُولِ، آمَنُوا بِهِ وَأَقْرَبُوهُ، فَلَمَّا زَادَ حُكْمًا أَوْ سَخَّ حُكْمًا كَانَ قَدْ قَرَّرَهُ مُوسَى - لِكُونَ عِيسَى رَسُولًا - لَمْ يَحْتَمِلُوا ذَلِكَ لِأَنَّهُ خَالَفَ اعْتِقَادَهُمْ فِيهِ؟ وَجَهِلَتِ الْيَهُودُ الْأَمْرَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ.

فَطَلَبْتُ قَتْلَهُ، فَكَانَ مِنْ قِصَّتِهِ مَا أَخْبَرَنَا اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ عَنْهُ وَعَنْهُمْ. فَلَمَّا كَانَ رَسُولًا قَبْلَ الزِّيَادَةِ، إِمَّا بِنَقْصِ حُكْمٍ قَدْ تَقَرَّرَ، أَوْ زِيَادَةِ حُكْمٍ، عَلَى أَنَّ النُّقْصَ زِيَادَةُ حُكْمٍ بِلَا شَكٍّ.

وَالْخِلَافَةُ الْيَوْمَ لَيْسَ لَهَا هَذَا الْمَنْصِبُ وَإِنَّمَا تَزِيدُ وَتَنْقُصُ عَلَى الشَّرْعِ الَّذِي قَدْ تَقَرَّرَ بِالْاجْتِهَادِ لَا عَلَى الشَّرْعِ الَّذِي شُوفِي بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَقَدْ يَظْهَرُ مِنَ الْخَلِيفَةِ مَا يُخَالِفُ حَدِيثًا مَا فِي الْحُكْمِ فَيُتَحَيَّلُ أَنَّهُ مِنْ

الاجتهادِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ وَإِنَّمَا هَذَا الْإِمَامُ لَمْ يَثْبُتْ عِنْدَهُ مِنْ جِهَةِ الْكَشْفِ ذَلِكَ
 الْخَبْرُ عَنِ النَّبِيِّ ؛ وَلَوْ ثَبُتَ لَحُكْمُ بِهِ . وَإِنْ كَانَ الطَّرِيقُ فِيهِ الْعَدْلَ عَنِ الْعَدْلِ
 فَمَا هُوَ مَعْصُومٌ مِنَ الْوَهْمِ وَلَا مِنَ الثَّقَلِ عَلَى الْمَعْنَى . فَمِثْلُ هَذَا يَقَعُ مِنْ
 الْخَلِيفَةِ الْيَوْمَ ، وَكَذَلِكَ يَقَعُ مِنْ عِنْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَإِنَّهُ إِذَا نَزَلَ يَرْفَعُ كَثِيرًا
 مِنْ شَرْعِ الْاجْتِهَادِ الْمُقَرَّرِ قَبِيلِيٍّ يَرْفَعُهُ صُورَةُ الْحَقِّ الْمَشْرُوعِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ
 السَّلَامُ عَلَيْهِ .

وَلَا سِيَّما إِذَا تَعَارَضَتْ أَحْكَامُ الْأَيْمَةِ فِي النَّازِلَةِ الْوَاحِدَةِ . فَتَعْلَمُ قَطْعًا
 أَنَّهُ لَوْ نَزَلَ وَحْيٌ لَنَزَلَ بِأَحَدِ الْوُجُوهِ فَذَلِكَ هُوَ الْحُكْمُ الْإِلَهِيُّ . وَمَا عَدَاهُ وَإِنْ
 قَرَّرَهُ الْحَقُّ فَهُوَ شَرْعٌ تَقْرِيرٌ لِرَفْعِ الْحَرَجِ عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَاتِّسَاعِ الْحُكْمِ فِيهَا .
 وَأَمَّا قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا بُويعَ لِخَلِيفَتَيْنِ فَاقْتُلُوا الْآخِرَ ، (الْأَخِيرَ - خ)
 مِنْهُمَا فَهَذَا فِي الْخِلَافَةِ الظَّاهِرَةِ الَّتِي لَهَا السَّيْفُ . وَإِنْ اتَّفَقَا فَلَا بُدَّ مِنْ قَتْلِ
 أَحَدِهِمَا بِخِلَافِ الْخِلَافَةِ الْمَغْنَوِيَّةِ فَإِنَّهُ لَا قَتْلَ فِيهَا .

وَإِنَّمَا جَاءَ الْقَتْلُ فِي الْخِلَافَةِ الظَّاهِرَةِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِذَلِكَ الْخَلِيفَةِ هَذَا
 الْمَقَامُ وَهُوَ خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنْ عَدَلَ .

فَمِنْ حُكْمِ الْأَصْلِ الَّذِي بِهِ تُخَيَّلُ وَجُودُ الْهَيْنِ .

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلُهَا إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] .

وَإِنْ اتَّفَقَا فَتَحُنْ نَعْلَمُ أَنَّهُمَا لَوْ اخْتَلَفَا تَقْدِيرًا لَتَقَدَّ حُكْمُ أَحَدِهِمَا ،
 فَالْتَأَفُذُ الْحُكْمِ هُوَ اللَّهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ ، وَالَّذِي لَمْ يَنْفُذْ (لَمْ يَنْفُذْ - خ) حُكْمَهُ
 لَيْسَ بِإِلَهِ .

وَمِنْ هُنَا نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ حُكْمٍ يَنْفُذُ الْيَوْمَ فِي الْعَالَمِ أَنَّهُ حُكْمُ اللَّهِ عَزَّ

وَجَلَّ، وَإِنْ خَالَفَ الْحُكْمَ الْمُقَرَّرَ فِي الظَّاهِرِ الْمُسَمًّى شَرْعاً إِذْ لَا يَنْفُذُ حُكْمٌ إِلَّا لِلَّهِ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، لِأَنَّ الْأَمْرَ الْوَاقِعَ فِي الْعَالَمِ إِنَّمَا هُوَ عَلَى حُكْمِ الْمَشِئَةِ الْإِلَهِيَّةِ لَا عَلَى حُكْمِ الشَّرْعِ الْمُقَرَّرِ.

وَإِنْ كَانَ تَقْرِيرُهُ مِنَ الْمَشِئَةِ. وَلِذَلِكَ نَفَذَ تَقْرِيرُهُ خَاصَّةً.

وَأَنَّ الْمَشِئَةَ لَيْسَ لَهَا فِيهِ إِلَّا التَّقْرِيرُ، لَا الْعَمَلُ بِمَا جَاءَ بِهِ.

فَالْمَشِئَةُ (والمشيئة - خ) سُلْطَانُهَا عَظِيمٌ، وَلِهَذَا جَعَلَهَا أَبُو طَالِبٍ عَرْشَ الذَّاتِ.

لَأَنَّهَا لِذَاتِهَا تَقْتَضِي الْحُكْمَ. فَلَا يَقَعُ فِي الْوُجُودِ شَيْءٌ وَلَا يَرْتَفِعُ خَارِجاً عَنِ الْمَشِئَةِ فَإِنَّ الْأَمْرَ الْإِلَهِيَّ إِذَا خُولِفَ هُنَا بِالْمُسَمًّى مَعْصِيَةً فَلَيْسَ إِلَّا الْأَمْرَ بِالْوَاسِطَةِ (فليس الأمر إلا بالواسطة - خ). لَا الْأَمْرَ التَّكْوِينِيَّ.

فَمَا خَالَفَ اللَّهَ أَحَدٌ قَطُّ فِي جَمِيعِ مَا يَفْعَلُهُ مِنْ حَيْثُ أَمَرَ الْمَشِئَةُ؛ فَوَقَعَتِ الْمُخَالَفَةُ مِنْ حَيْثُ أَمَرَ الْوَاسِطَةَ فَافْهَمَ.

وَعَلَى الْحَقِيقَةِ فَأَمْرُ الْمَشِئَةِ إِنَّمَا يَتَوَجَّهُ عَلَى إِيجَادِ عَيْنِ الْفِعْلِ لَا عَلَى مَنْ ظَهَرَ عَلَى يَدَيْهِ، فَيَسْتَحِيلُ أَنْ لَا يَكُونَ؛ وَلَكِنْ فِي هَذَا الْمَحَلِّ الْخَاصِّ.

فَوَقْتًا يُسَمًّى بِهِ مُخَالَفَةُ لِأَمْرِ اللَّهِ، وَوَقْتًا يُسَمًّى مُوَافَقَةً وَطَاعَةً لِأَمْرِ اللَّهِ، وَتَبِعُهُ لِسَانُ الْحَمْدِ وَالذَّمُّ عَلَى حَسَبِ مَا يَكُونُ.

وَلَمَّا كَانَ الْأَمْرُ فِي نَفْسِهِ عَلَى مَا قُرْزَنَاهُ لِذَلِكَ كَانَ مَالُ الْخَلْقِ إِلَى السَّعَادَةِ عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهَا.

فَعَبَّرَ عَنِ هَذَا الْمَقَامِ بِأَنَّ الرَّحْمَةَ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وَأَنَّهَا سَبَقَتْ الْغَضَبَ الْإِلَهِيَّ.

وَالسَّابِقُ مُتَقَدِّمٌ، فَإِذَا لَحِقَهُ هَذَا الَّذِي حَكَمَ عَلَيْهِ الْمُتَأَخِّرُ حَكَمَ عَلَيْهِ
الْمُتَقَدِّمُ فَتَأَلَّاهُ الرَّحْمَةُ إِذْ لَمْ يَكُنْ غَيْرَهَا سَبَقَ .
فَهَذَا مَعْنَى سَبَقَتْ رَحْمَتُهُ غَضَبُهُ .

لِتَحْكُمَ عَلَى مَنْ مَا وَصَلَ إِلَيْهَا لِأَنَّهَا (على ما وصل إليها فإنها - خ)
فِي الْغَايَةِ وَقَفَتْ .

وَالْكُلُّ سَالِكٌ إِلَى الْغَايَةِ . فَلَا بُدَّ مِنَ الْوُضُولِ إِلَيْهَا، فَلَا بُدَّ مِنَ
الْوُضُولِ إِلَى الرَّحْمَةِ وَمُفَارَقَةِ الْغَضَبِ .

فَيَكُونُ الْحُكْمُ لَهَا فِي كُلِّ وَاصِلٍ إِلَيْهَا بِحَسَبِ مَا تُعْطِيهِ حَالُ الْوَاصِلِ
إِلَيْهَا .

فَمَنْ كَانَ ذَا فَهَمٍ يُشَاهِدُ مَا قُلْنَا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَهَمٌ فَيَأْخُذُهُ عَنَّا
فَمَا نَمُ إِلَّا مَا ذَكَرْنَاهُ فَأَعْتَمِدَ عَلَيْهِ وَكُنْ بِالْحَالِ فِيهِ كَمَا كُنَّا
فَمِنْهُ إِلَيْنَا مَا تَلَوْنَا عَلَيْكُمْ وَمِنَّا إِلَيْكُمْ مَا وَهَبْنَاكُمْ مِنَّا
وَأَمَّا تَلَيُّنُ الْحَدِيدِ فَقُلُوبٌ قَاسِيَةٌ يُلَيِّنُهَا الزُّجْرُ وَالْوَعِيدُ تَلَيِّنُ (كَتَلَيْنَ -
خ) النَّارِ الْحَدِيدِ .

وَأَمَّا الصَّعْبُ قُلُوبٌ أَشَدُّ قَسَاوَةً مِنَ الْحِجَارَةِ، فَإِنَّ الْحِجَارَةَ تُكْسِرُهَا
وَتُكَلِّسُهَا النَّارُ وَلَا تُلَيِّنُهَا :

وَمَا أَلَانَ لَهُ الْحَدِيدَ إِلَّا لِعَمَلِ الذُّرُوعِ الْوَاقِيَةِ تَنْبِيْهَا مِنَ اللَّهِ: أَيِ لَا
يُتَّقَى الشَّيْءُ إِلَّا بِنَفْسِهِ، فَإِنَّ (لأن - خ) الدَّرْعَ يُتَّقَى بِهَا السَّنَانُ وَالسَّيْفُ
وَالسَّكِينُ وَالتَّضَلُّ، فَاتَّقَيْنِ الْحَدِيدَ بِالْحَدِيدِ .
فَجَاءَ الشَّرْعُ الْمُحَمَّدِيُّ بِأَعْوَدُ بِكَ مِنْكَ .

فأفهم، فهذا رُوحٌ تَلِينِ الحَدِيدِ فَهُوَ الْمُتَتَقِمُ الرَّحِيمُ .
وَاللَّهُ الْمُوفِيُّ .



«فصُّ حكمة وجودية في كلمة داوودية»

«واتصال ما قبله من الحروف به واتصاله بما قبله في غير هذا الاسم لا
يوجب كونه من حروف الاتصال مطلقاً» - ص ٣٦٨ - .

قوله : واتصال ما قبله من الحروف . . . الخ ، فإن الاتصال بما قبله هو
الاتصال بالحقيقة الغيبية التي كل دابة متصلة، بها و ﴿مَّا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ
بِأَصْبَافِهَا﴾ [هود: ٥٦] أو الاتصال بالحق مقامه الأسماوي وهو كمال العبد
ويوجب الانقطاع عما بعده ولولا الانقطاع عما بعده من الحروف لم يتصل
بما قبله وأما المقام المحمدي فهو مقام البرزخية الكبرى والجامعة للوحدة
والكثرة والحق والخلق وهو الأول والآخر والظاهر والباطن واسمه
المحمدي ملكي ولهذا تكون حروف الاتصال فيه أكثر واسمه الأحمدي
ملكوتي ولهذا احتف بحروف الانفصال وفي كون حرف الاتصال آخر اسمه
المحمدي سر بل أسرار .

وما نص بخلافته منه على أحد ولا عينه لعلمه أن في أمته من يأخذ
الخلافة عن ربه فيكون خليفة عن الله» - ص ٣٧٢ - .

قوله : وما نص بخلافته منه ، الخلافة المعنوية التي هي عبارة عن
المكاشفة المعنوية للحقائق بالاطلاع على عالم الأسماء أو الأعيان لا يجب
النص عليها وأما الخلاف الظاهرة التي هي من شؤون الأنباء والرسالة التي
هي تحت الأسماء الكونية فهي واجبٌ إظهارها ولهذا نص رسول الله ﷺ
على الخلفاء الظاهرة والخلافة الظاهرة كالنبوة تكون تحت الأسماء الكونية
فكما تكون النبوة من المناصب الإلهية التي من آثارها الأولوية على الأنفس
والأموال فكذا الخلافة الظاهرة والمنصب الإلهي أمر خفي على الخلق لا بد

من إظهاره بالتنصيص ولعمر الحبيب يكون التنصيص على الخلافة من أعظم الفرائض على رسول الله ﷺ فإن تضييع هذا الأمر الخطير الذي بتضييعه يتشتت أمر الأمة ويختل أساس النبوة وتضمحل آثار الشريعة من أقبح القبائح التي لا يرضى أحد أن ينسبها إلى أوسط الناس فضلاً عن نبي مكرم ورسول معظم نعوذ بالله من شرور أنفسنا، تدبر.

«فيرفون فضل المتقدم هناك لأن الرسول قابل للزيادة» - ص ٣٧٢ .

قوله : قابل للزيادة، أي أن مكاشفة الرسول يمكن أن تكون زائدة على مكاشفة خليفته دون العكس فإن خليفة الرسول يكون على قلبه فلا يمكن الزيادة عنه وأما ما ذكره الشارح في توجيه عدم الزيادة في الخليفة فليس في محله كما لا يخفى، تدبر.

«... فمن حكم الأصل الذي به يخيل وجود إلهين» - ص ٣٧٤ .

فإن الخليفة الظاهر لما كان منصوباً من قبل الله تعالى ومجرباً لأحكام الله وبالأخرة له شأن الرسالة لا يمكن أن يكون الإثنين إلا أن يكون الناصب اثنين كما الأمر كذلك في الحكومات الظاهرة وما ذكره الشارح حق أن رجع إلى ما ذكرنا .

«فالمشيئة سلطانها عظيم ولهذا جعلها أبو طالب عرش الذات» - ص

٣٧٥ .

إن كان المراد بها هي المشيئة الذاتية التي يعبر عنها غالباً بالإرادة تكون عرش الذات الأحدي الجمعي ومستواه وإن كان المراد بها المشيئة المصطلحة أي الفيض المقدس الإطلاقي تكون عرش الذات الإلهي وبالأول يظهر الوجود العلمي في النشأة العلمية وحضرة الأعيان وبالثاني الوجود العيني في النشأة الكونية وحضرة الإمكان .

الفصل اليونسي

فص حكمة نفسية في كلمة يونسية

إِغْلَمْ أَنَّ هَذِهِ النَّشْأَةُ الْإِنْسَانِيَّةَ بِكَمَالِهَا رُوحاً وَنَفْساً وَجِسْماً وَنَفْساً خَلَقَهَا اللَّهُ عَلَى صُورَتِهِ، فَلَا يَتَوَلَّى حَلَّ نِظَامِهَا إِلَّا مَنْ خَلَقَهَا، إِمَّا بِيَدِهِ - وَلَيْسَ إِلَّا ذَلِكَ - أَوْ بِأَمْرِهِ. وَمَنْ تَوَلَّاهَا بِغَيْرِ أَمْرِ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَتَعَدَّى حَدَّ اللَّهِ فِيهَا وَسَعَى فِي خَرَابٍ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ (مَنْ أَمَرَهُ اللَّهُ - خ) بِعِمَارَتِهِ. وَاعْلَمْ أَنَّ الثَّقَفَةَ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ أَحَقُّ بِالرُّعَايَةِ مِنَ الْغَيْرَةِ فِي اللَّهِ.

أَرَادَ دَاوُدُ بُنْيَانَ النَّبِيِّ الْمَقْدِسِ (الْمَقْدَس - خ) قَبْنَاهُ مِرَاراً، فَكُلَّمَا فَرَعَ مِنْهُ تَهَدَّم، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ أَنَّ بَيْتِي هَذَا لَا يَقُومُ عَلَى يَدَيَّ مَنْ سَفَكَ الدَّمَاءَ، فَقَالَ دَاوُدُ يَا رَبُّ أَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ فِي سَبِيلِكَ؟ قَالَ: بَلَى وَلَكِنَّهُمْ أَلْسُوا عِبَادِي؟ فَقَالَ (قَالَ - خ): يَا رَبُّ فَأَجْعَلْ بُنْيَانَهُ عَلَى يَدَيَّ مَنْ هُوَ مِنِّي، فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ أَنَّ ابْنَكَ سُلَيْمَانَ بَيْنِيهِ. فَالْعَرَضُ مِنْ هَذِهِ الْحِكَايَةِ مُرَاعَاةُ هَذِهِ النَّشْأَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَأَنَّ إِقَامَتَهَا أُولَى مِنْ هَدْمِهَا. أَلَا تَرَى عَدُوَّ الدِّينِ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ فِي حَقِّهِمُ الْجَزِيَّةَ وَالصَّلْحَ إِقْبَاءً عَلَيْهِمْ، وَقَالَ: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْتَنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦١]؟.

أَلَا تَرَى مَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْقِصَاصُ كَيْفَ شَرَعَ لَوْلِي الدَّمِ أَخْذُ الْفِدْيَةِ أَوْ الْعَفْوُ؟ فَإِنْ أَبَى فَحِثْنِذٍ (حِثْنِذٍ - خ) يُقْتَلُ؟ أَلَا تَرَاهُ سُبْحَانَهُ إِذَا كَانَ أَوْلِيَاءُ الدَّمِ جَمَاعَةً فَرَضِي وَاحِدٌ بِالدِّيَةِ أَوْ عَفَا (أَوْ عَفَا - خ)، وَبَاقِي الْأَوْلِيَاءِ لَا

يُرِيدُونَ إِلَّا الْفَتْلَ، فَكَيْفَ يُرَاعَى مَنْ عَفَا وَرُجِّحَ عَلَى مَنْ لَمْ يَغْفُ فَلَا يُقْتَلُ
 قِصَاصًا؟ أَلَا تَرَاهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ فِي صَاحِبِ النُّسْعَةِ «إِنْ قَتَلَهُ كَانَ مِثْلُهُ»؟
 أَلَا تَرَاهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠]؟ فَجَعَلَ
 الْقِصَاصَ سَيِّئَةً، أَيْ يَسُوءُ ذَلِكَ الْفِعْلُ (القتل - خ) مَعَ كَوْنِهِ مَشْرُوعًا. ﴿فَمَنْ
 عَفَا وَأَمْلَحَ فَلَا خَيْرَ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠] لَأَنَّهُ عَلَى صُورَتِهِ. فَمَنْ عَفَا عَنْهُ وَلَمْ
 يَفْتُلْهُ. فَأَجْرُهُ عَلَى مَنْ هُوَ عَلَى صُورَتِهِ لَأَنَّهُ أَحَقُّ بِهِ إِذْ أَنْشَأَهُ لَهُ.

وَمَا ظَهَرَ بِالاسْمِ الظَّاهِرِ إِلَّا بِوُجُودِهِ فَمَنْ رَاعَاهُ إِنَّمَا يُرَاعِي الْحَقَّ وَمَا
 يُدْمُ الْإِنْسَانُ لِعَيْنٍ وَإِنَّمَا يُدْمُ الْفِعْلُ مِنْهُ، وَالْفِعْلُ (وإنما يذم لفعله وفعله -
 خ) لَيْسَ عَيْنُهُ، وَكَلَامُنَا فِي عَيْنِهِ. وَلَا فِعْلٌ إِلَّا لِلَّهِ؛ وَمَعَ هَذَا دُمَّ مِنْهَا مَا دُمَّ
 وَحُمِدَ مَا حُمِدَ.

وَلِسَانُ الدَّمِّ عَلَى جِهَةِ الْغَرَضِ مَذْمُومٌ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى.

فَلَا مَذْمُومٌ إِلَّا مَا دَمَهُ الشَّرْعُ، فَإِنَّ دَمَ الشَّرْعِ لِحَكْمَةٍ يَغْلُمُهَا اللَّهُ أَوْ مَنْ
 أَعْلَمَهُ اللَّهُ كَمَا شَرَعَ الْقِصَاصُ لِلْمَصْلَحَةِ إِبْقَاءَ لِهَذَا النَّوعِ وَإِرْدَاعًا لِلْمُعْتَدِي
 خُدُودَ اللَّهِ فِيهِ ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٧٩] وَهُمْ أَهْلُ
 لُبِّ الشَّيْءِ الَّذِينَ عَثَرُوا عَلَى سِرِّ النَّوَامِيسِ الْإِلَهِيَّةِ وَالْحَكْمِيَّةِ.

وَإِذَا (وَإِذَا - خ) عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ رَاعَى هَذِهِ النَّشْأَةَ وَإِقَامَتَهَا وَإِدَامَتَهَا
 فَأَنْتَ أُولَى بِمُرَاعَاتِهَا إِذْ لَكَ بِذَلِكَ السَّعَادَةُ، فَإِنَّهُ مَا دَامَ الْإِنْسَانُ حَيًّا، يُرَجَى
 لَهُ تَحْصِيلُ صِفَةِ الْكَمَالِ الَّذِي خُلِقَ لَهُ.

وَمَنْ سَعَى فِي هَذِمِهَا فَقَدْ سَعَى فِي مَنْعِ وُضُولِهِ لِمَا خُلِقَ لَهُ.

وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا أُتَبِّحُكُمْ بِمَا

هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَفْضَلُ مِنْ أَنْ تُلْفُوا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا رِقَابَهُمْ وَيَضْرِبُوا رِقَابَكُمْ؟
ذَكَرَ اللَّهُ» .

وَذَلِكَ أَنَّهُ (لأنه - خ) لَا يَعْلَمُ قَدْرَ هَذِهِ النُّشَاءِ الْإِنْسَانِيَّةِ إِلَّا مَنْ ذَكَرَ اللَّهَ
الذَّكَرَ الْمَطْلُوبَ مِنْهُ، فَإِنَّهُ تَعَالَى جَلِيسٌ مِنْ ذَكَرِهِ، وَالْجَلِيسُ مَشْهُودُ الذَّاكِرِ
(مَشْهُودٌ لِلذَّاكِرِ - خ) وَمَتَى لَمْ يُشَاهِدِ الذَّاكِرُ الْحَقَّ الَّذِي هُوَ جَلِيسُهُ فَلَيْسَ
بِذَّاكِرٍ .

فَإِنَّ ذَكَرَ اللَّهَ سَارٍ فِي جَمِيعِ الْعَبْدِ .

لَا مَنْ ذَكَرَهُ بِلِسَانِهِ خَاصَّةً . فَإِنَّ الْحَقَّ لَا يَكُونُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ إِلَّا
جَلِيسَ اللِّسَانِ خَاصَّةً، فَيَرَاهُ اللِّسَانُ مِنْ حَيْثُ لَا يَرَاهُ الْإِنْسَانُ بِمَا هُوَ رَاءِ .
فَأَفْهَمَ هَذَا السَّرَّ فِي ذِكْرِ الْغَافِلِينَ .

فَالذَّاكِرُ مِنَ الْغَافِلِ حَاضِرٌ بِلَا شَكٍّ، وَالْمَذْكُورُ جَلِيسُهُ فَهُوَ يُشَاهِدُهُ
وَالْغَافِلُ مِنْ حَيْثُ غَفَلَتْهُ لَيْسَ بِذَّاكِرٍ فَمَا هُوَ جَلِيسُ الْغَافِلِ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ
(فَالْإِنْسَانَ - خ) كَثِيرٌ مَا هُوَ أَحَدِي الْعَيْنِ، وَالْحَقُّ أَحَدِي الْعَيْنِ كَثِيرٌ
بِالْأَسْمَاءِ الْإِلَهِيَّةِ: كَمَا أَنَّ الْإِنْسَانَ كَثِيرٌ بِالْأَجْزَاءِ: وَمَا يَلْزَمُ مِنْ ذِكْرِ جُزْءٍ مَا
ذَكَرَ جُزْءَ آخَرَ .

فَالْحَقُّ جَلِيسُ الْجُزْءِ الذَّاكِرِ مِنْهُ وَالْآخَرُ مُتَّصِفٌ بِالْعَقْلَةِ مِنَ الذَّكَرِ . فَلَا
بَدَّ أَنْ يَكُونَ فِي (عَنِ الذَّاكِرِ وَلَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ - خ) الْإِنْسَانِ جُزْءٌ يَذْكُرُ بِهِ
فَيَكُونُ (وَيَكُونُ - خ) الْحَقُّ جَلِيسَ ذَلِكَ الْجُزْءِ فَيَحْفَظُ بَاقِيَ الْأَجْزَاءِ
بِالْعَيْنَايَةِ .

وَمَا يَتَوَلَّى الْحَقُّ هَذِهِ النُّشَاءَ بِالمَسْمَى مَوْتًا وَلَيْسَ بِإِعْدَامٍ كُلِّيٍّ

وَأِنَّمَا هُوَ تَفَرُّقٌ، فَيَأْخُذُهُ إِلَيْهِ، وَلَيْسَ المرادُ إِلَّا أَنْ يَأْخُذَهُ الْحَقُّ إِلَيْهِ، ﴿وَالَيْهِ
يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ [هود: ١٢٣] فَإِذَا أَخَذَهُ إِلَيْهِ سَوَّى لَهُ مَرْكَبًا غَيْرَ هَذَا الْمَرْكَبِ
مِنْ جِنْسِ الدَّارِ الَّتِي يَنْتَقِلُ (يُنْتَقِلُ - معاً) إِلَيْهَا، وَهِيَ دَارُ الْبَقَاءِ لَوْجُودِ
الاعتدال .

فَلَا يَمُوتُ أَبَداً، أَيْ لَا تَفَرُّقُ (لَا تَفَرُّقُ - معاً) أَجْزَاؤُهُ.

وَأَمَّا أَهْلُ النَّارِ فَمَأْلُهُمْ إِلَى النَّعِيمِ، وَلَكِنْ فِي النَّارِ إِذْ لَا بُدَّ لِمُصَوِّرَةِ النَّارِ
بَعْدَ انْتِهَاءِ مَدَّةِ الْعِقَابِ أَنْ تَكُونَ بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى مَنْ فِيهَا، وَهَذَا نَعِيمُهُمْ .

فَنَعِيمُ أَهْلِ النَّارِ بَعْدَ اسْتِيفَاءِ الْحُقُوقِ نَعِيمٌ خَلِيلِ اللَّهِ حِينَ الْقِيَامَةِ فِي
النَّارِ فَإِنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ تُعَذِّبُ بِرُؤْيَيْهَا وَبِمَا تَعَوَّدَ فِي عِلْمِهِ وَتَقَرَّرَ مِنْ أَنَّهَا
صُورَةٌ تُولَدُ مَنْ جَاوَرَهَا مِنَ الْحَيَوَانِ وَمَا عِلِمَ مُرَادُ اللَّهِ فِيهَا وَمِنْهَا فِي حَقِّهِ .

فَبَعْدَ وُجُودِ هَذِهِ الْأَلَامِ وَجَدَ بَرْدًا وَسَلَامًا مَعَ شُهُودِ الصُّورَةِ اللَّوْنِيَّةِ
(الْكُونِيَّةِ - النَّادِيَةِ - خ) فِي حَقِّهِ وَهِيَ نَارٌ فِي عُيُونِ النَّاسِ . فَالْشَّيْءُ الْوَاحِدُ
يَتَنَوَّعُ فِي عُيُونِ النَّاظِرِينَ: هَكَذَا هُوَ التَّجَلِّيُ الْإِلَهِيُّ .

فَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ إِنَّ اللَّهَ تَجَلَّى مِثْلَ هَذَا الْأَمْرِ، وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ إِنَّ
الْعَالَمَ فِي النَّظَرِ إِلَيْهِ وَفِيهِ مِثْلُ (مِثْلُ - معاً) الْحَقِّ فِي التَّجَلِّيِ .

فَيَتَنَوَّعُ فِي عُيُونِ النَّاظِرِ بِحَسَبِ مَزَاجِ النَّاظِرِ أَوْ يَتَنَوَّعُ مَزَاجُ النَّاظِرِ لِتَنَوُّعِ
التَّجَلِّيِ وَكُلُّ هَذَا سَائِعٌ فِي الْحَقَائِقِ .

فَلَوْ (ولو - خ) أَنَّ الْمَيِّتَ - وَالْمَقْتُولَ - أَيْ مَيِّتَ كَانٍ، أَوْ أَيْ، (وَأَيَّ
- خ) مَقْتُولٍ كَانٍ - إِذَا مَاتَ أَوْ قُتِلَ لَا يَرْجِعُ إِلَى اللَّهِ، لَمْ يَقْضِ اللَّهُ بِمَوْتِ
أَحَدٍ وَلَا شَرَعَ (ولا يشرع - خ) قَتْلَهُ .

فَالْكُلُّ فِي قَبْضَتِهِ فَلَا فِقْدَانٌ فِي حَقِّهِ .

فَشَرَعَ الْقَتْلَ وَحَكَّمَ بِالْمَوْتِ لِعِلْمِهِ بِأَنَّ عَبْدَهُ لَا يَقُوتُهُ : فَهُوَ رَاجِعٌ إِلَيْهِ .
عَلَى أَنَّ قَوْلَهُ : ﴿وَالَّذِي يُرْجِعُ الْأَمْرَ كُلَّهُ﴾ [هود: ١٢٣] أَيْ فِيهِ يَقَعُ التَّصَرُّفُ ،
وَهُوَ الْمُتَصَرِّفُ ، فَمَا خَرَجَ عَنْهُ شَيْءٌ لَمْ يَكُنْ عَيْنُهُ ، بَلْ هُوَ بَيْنَهُ هُوَ عَيْنُ ذَلِكَ
الشَّيْءِ .

وَهُوَ الَّذِي يُعْطِيهِ الْكَشْفُ فِي قَوْلِهِ : ﴿وَالَّذِي يُرْجِعُ الْأَمْرَ كُلَّهُ﴾ [هود:
١٢٣] .

(والتَّوْفِيقُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى - خ) .



«فَضْ حِكْمَةِ نَفْسِيَةِ فِي كَلِمَةِ يُونُسِيَةِ»

«فَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ إِنَّ اللَّهَ تَجَلَّى مِثْلَ هَذَا الْأَمْرِ وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ إِنَّ الْعَالَمَ فِي
النَّظَرِ إِلَيْهِ وَفِيهِ مِثْلُ الْحَقِّ فِي التَّجَلِّيِ» - ص ٣٨٥ - .

قَوْلُهُ : وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ ، أَيْ إِنْ نَظَرْتَ إِلَى ظُهُورِ الْوَحْدَةِ فِي الْكَثَرَاتِ
تَحْكُمُ بِأَنَّ الْحَقَّ تَجَلَّى مِثْلَ ذَلِكَ وَإِنْ نَظَرْتَ إِلَى ظُهُورِهِ الْكَثَرَاتِ فِي الْوَحْدَةِ
تَحْكُمُ بِأَنَّ الْعَالَمَ تَجَلَّى مِثْلَ الْحَقِّ بِصُورٍ مُخْتَلِفَةٍ .

«أَيُّ بَتْنُوعِ التَّجَلِّيِ فِي عَيُونِ النَّاظِرِينَ بِحَسَبِ أَمْرَجَتِهِمُ الرُّوحَانِيَةِ
وَاسْتِعْدَادَاتِهِمْ فَتَظْهَرُ بِصُورِهَا لَكِنْ بَتْنُوعِ الاسْتِعْدَادَاتِ وَالْأَمْرَجَةِ أَيْضاً
عَلَى حَسَبِ التَّجَلِّيِ» - ص ٣٨٥ - .

أَيُّ كَمَا أَنَّ تَنْوَعِ التَّجَلِّيَّاتِ قَدْ يَكُونُ بِحَسَبِ اخْتِلَافِ الاسْتِعْدَادَاتِ
كَذَلِكَ قَدْ يَكُونُ اخْتِلَافُ الاسْتِعْدَادَاتِ حَسَبِ تَنْوَعِ التَّجَلِّيَّاتِ وَيُمْكِنُ أَنْ
يَكُونَ الْأَوَّلُ بِحَسَبِ الْفَيْضِ الْمُقَدَّسِ وَالثَّانِي بِحَسَبِ الْفَيْضِ الْأَقْدَسِ كَمَا قَالَ
الشَّيْخُ وَالْقَابِلُ مِنْ فَيْضِهِ الْأَقْدَسِ .

«قد مر في الفصّ الشّبي من أن الله تجليين تجلي غيب وتجلي شهادة
فبالتجلي الفيني يهب للقلب الاستعداد فيتسع فيتجلى على حسب ذلك
الاستعداد» - ص ٣٨٥ - .

قوله: فيتسع . . . الخ، كما في شيخ الأنبياء إبراهيم صلوات الله عليه
فإن اختلاف التجليات جعل قلبه متسعاً قابلاً للتجلي باسمه الإطلاقي فقال
﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ٧٩].

الفصل الأيوبي

فص حكمة غيبية في كلمة أيوبية

إِغْلَمْ (واعلم - خ) أَنَّ سِرَّ الْحَيَاةِ سَرَى فِي الْمَاءِ فَهُوَ أَضْلُ الْعُنَاصِرِ
وَالْأَزْكَانِ، وَلِذَلِكَ جَعَلَ اللَّهُ ﴿وَيَنْ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠] وَمَا تَمَّ
(ثُمَّ - خ) شَيْءٌ إِلَّا وَهُوَ حَيٌّ، فَإِنَّهُ مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَهُوَ يُسَبِّحُ بِحَمْدِ اللَّهِ
(بحمده - خ) وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُ تَسْبِيحَهُ (لَا يَفْقَهُ تَسْبِيحَهُ - معاً) إِلَّا بِكَشْفِ
إِلَهِيٍّ. وَلَا يُسَبِّحُ إِلَّا حَيٌّ.

فَكُلُّ شَيْءٍ حَيٍّ فَكُلُّ شَيْءٍ الْمَاءِ أَضْلُهُ. أَلَا تَرَى الْعَرْشَ كَيْفَ كَانَ عَلَى
الْمَاءِ لِأَنَّهُ مِنْهُ تَكُونُ فَطْفًا عَلَيْهِ فَهُوَ يَحْفَظُهُ مِنْ تَحْتِهِ، كَمَا أَنَّ الْإِنْسَانَ خَلَقَهُ
اللَّهُ عَبْدًا فَتَكَبَّرَ عَلَى رَبِّهِ وَعَلَا عَلَيْهِ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ مَعَ هَذَا يَحْفَظُهُ مِنْ تَحْتِهِ
بِالنَّظَرِ إِلَى غُلُوِّ هَذَا الْعَبْدِ الْجَاهِلِ بِنَفْسِهِ.

وَهُوَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَوْ دُلِّيتُمْ بِحَبْلِ لَهَبٍ عَلَى اللَّهِ» فَأَشَارَ إِلَى
نِسْبَةِ التَّحْتِ إِلَيْهِ كَمَا أَنَّ نِسْبَةَ الْفَوْقِ إِلَيْهِ فِي قَوْلِهِ: «يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْفِهِمْ»
[النحل: ٥٠]، «وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ» [الأنعام: ١٨] فَلَهُ الْفَوْقُ وَالتَّحْتُ.
وَلِهَذَا مَا ظَهَرَتْ الْجِهَاتُ السُّتُّ إِلَّا بِالْإِنْسَانِ وَهُوَ عَلَى صُورَةِ
الرَّخْمَنِ.

وَلَا مُطْعِمَ إِلَّا اللَّهُ، وَقَدْ قَالَ فِي حَقِّ طَائِفَةٍ: «وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوَرَّةَ
وَالْإِنْجِيلَ» [المائدة: ٦٦] ثُمَّ نَكَرَ وَعَمَّمَ (وَعَمَّ - خ) فَقَالَ: «وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ

رَبِّهِمْ ﴿[المائدة: ٦٦] فَدَخَلَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [المائدة: ٦٦] كُلُّ حُكْمٍ مُنْزَلٍ عَلَى لِسَانِ رَسُولٍ أَوْ مُلْهِمٍ، ﴿لَا تَكُلُوا مِنْ قَوْعِهِمْ﴾ [المائدة: ٦٦] وَهُوَ الْمُطْعِمُ مِنَ الْفَقِيَّةِ الَّتِي نُسِبَتْ إِلَيْهِ، ﴿وَمِنْ تَحْتِ أَرْطُلِهِمْ﴾ [المائدة: ٦٦] وَهُوَ الْمُطْعِمُ مِنَ التَّخَيُّبِ الَّتِي نُسِبَهَا إِلَى نَفْسِهِ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ الْمُتَرْجِمِ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَلَوْ لَمْ يَكُنِ الْعَرْشُ عَلَى الْمَاءِ مَا انْحَفَظَ وَجُودُهُ، فَإِنَّهُ بِالْحَيَاةِ يَنْحَفِظُ وَجُودُ الْحَيِّ. أَلَا تَرَى أَنَّ الْحَيَّ إِذَا مَاتَ الْمَوْتُ الْعُزْفِيُّ تَنَحَّلَ أَجْزَاءَ نِظَامِهِ وَتَتَعَدَّمُ قُوَاهُ عَنْ ذَلِكَ النِّظَمِ الْخَاصِّ؟

قَالَ تَعَالَى لِأَيُّوبَ: ﴿اَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ﴾ [ص: ٤٢] - يَعْنِي مَاءً بَارِدًا - وَشَرَابٌ لِمَا كَانَ (هَذَا مُغْتَسَلٌ - يَعْنِي مَاءً بَارِدًا - لِمَا كَانَ - خ) عَلَيْهِ مِنْ إِفْرَاطِ حَرَارَةِ الْأَلَمِ فَسَكَّنَهُ اللَّهُ بِبَرْدِ الْمَاءِ.

وَلِهَذَا كَانَ الطَّبُّ النُّقْصَ مِنَ الزَّائِدِ، وَالزَّيَادَةُ فِي التَّاقِصِ. وَالْمَقْصُودُ طَلَبُ الْاِغْتِدَالِ، وَلَا سَبِيلَ إِلَيْهِ إِلَّا أَنَّهُ يُقَارِبُهُ.

وَأِنَّمَا قُلْنَا وَلَا سَبِيلَ إِلَيْهِ أَعْنِي الْاِغْتِدَالَ مِنْ أَجْلِ أَنَّ الْحَقَائِقَ وَالشُّهُودَ تُعْطِي التَّكْوِينَ مَعَ الْأَنْفَاسِ عَلَى الدَّوَامِ، وَلَا يَكُونُ التَّكْوِينُ إِلَّا عَنْ مِثْلِ يُسَمَّى فِي الطَّبِيعَةِ انْحِرَافًا (عَنْ مِثْلِ فِي الطَّبِيعَةِ يُسَمَّى انْحِرَافًا - خ) أَوْ تَعْفِينًا، وَفِي حَقِّ الْحَقِّ إِرَادَةً وَهِيَ مِثْلٌ إِلَى الْمُرَادِ الْخَاصِّ دُونَ غَيْرِهِ. وَالْاِغْتِدَالُ يُؤَدِّنُ بِالسَّوَاءِ فِي الْجَمِيعِ وَهَذَا لَيْسَ بِوَاقِعٍ فَلِهَذَا مَتَعْنَا مِنْ حُكْمِ الْاِغْتِدَالِ.

وَقَدْ وَرَدَ فِي الْعِلْمِ الْإِلَهِيِّ النَّبَوِيِّ اتِّصَافُ الْحَقِّ بِالرِّضَا وَالْغَضَبِ، وَبِالضَّغَاتِ. وَالرِّضَا مُزِيلٌ لِلْغَضَبِ، وَالْغَضَبُ مُزِيلٌ لِلرِّضَا عَنِ الْمَرْضِي

عَنْهُ وَالْإِعْدَالُ أَنْ يَتَسَاوَى الرِّضَا وَالْغَضَبُ؛ فَمَا غَضِبَ الْغَاضِبُ عَلَى مَنْ غَضِبَ عَلَيْهِ وَهُوَ عَنْهُ رَاضٍ. فَقَدْ اتَّصَفَ بِأَحَدِ الْحُكْمَيْنِ فِي حَقِّهِ وَهُوَ مِثْلٌ. وَمَا رَضِيَ الْحَقُّ عَمَّنْ رَضِيَ عَنْهُ وَهُوَ غَاضِبٌ عَلَيْهِ؛ فَقَدْ اتَّصَفَ بِأَحَدِ الْحُكْمَيْنِ فِي حَقِّهِ وَهُوَ مِثْلٌ.

وَإِنَّمَا قُلْنَا هَذَا مِنْ أَجْلِ مَنْ يَرَى أَنَّ أَهْلَ النَّارِ لَا يَزَالُ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ دَائِمًا أَبَدًا فِي رِغْمِهِ فَمَا لَهُمْ حُكْمُ الرِّضَا مِنَ اللَّهِ فَصَحَّ الْمَقْصُودُ.

فَإِنْ كَانَ كَمَا قُلْنَا مَالُ أَهْلِ النَّارِ إِلَى إِزَالَةِ الْآلَامِ وَإِنْ سَكَنُوا النَّارَ، فَذَلِكَ رِضَا: فَرَأَى الْغَضَبُ لِرَوَالِ الْآلَامِ، إِذْ عَيْنُ الْأَلَمِ عَيْنُ الْغَضَبِ إِنْ فَهِمْتَ.

فَمَنْ غَضِبَ فَقَدْ تَأَذَى، فَلَا يَسْعَى فِي انْتِقَامِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِ بِإِيْلَامِهِ (بانتقامه - خ) إِلَّا لِيَجِدَ الْغَاضِبُ الرَّاحَةَ بِذَلِكَ، فَيَنْتَقِلُ الْأَلَمَ الَّذِي كَانَ عَنْدهُ إِلَى الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِ. وَالْحَقُّ إِذَا أَفْرَدَتْهُ عَنِ الْعَالَمِ يَتَعَالَى عُلُوًّا كَبِيرًا عَنْ هَذِهِ الصِّفَةِ عَلَى هَذَا الْحَدِّ. وَإِذَا كَانَ الْحَقُّ هُوِيَّةَ الْعَالَمِ، فَمَا ظَهَرَتْ الْأَحْكَامُ كُلُّهَا إِلَّا مِنْهُ وَفِيهِ.

وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالِلَّهِ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ [هود: ١٢٣] حَقِيقَةً وَكَشْفًا ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣] حِجَابًا وَاسْتِرَاءً.

فَلَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ أَبَدُغٌ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ لِأَنَّهُ عَلَى صُورَةِ الرَّحْمَنِ. أَوْجَدَهُ اللَّهُ أَنَّى ظَهَرَ وُجُودُهُ تَعَالَى (أَيِ أَظْهَرَ وَجُودَهُ تَعَالَى - خ) بِظُهُورِ الْعَالَمِ كَمَا ظَهَرَ الْإِنْسَانُ بِوُجُودِ الصُّورَةِ الطَّبِيعِيَّةِ. فَتَحْنُ صُورَتُهُ الظَّاهِرَةُ وَهُوِيَّتُهُ تَعَالَى رُوحُ هَذِهِ الصُّورَةِ الْمُدْبِرَةُ لَهَا.

فَمَا كَانَ التَّنْذِيرُ إِلَّا فِيهِ كَمَا لَمْ يَكُنْ إِلَّا مِنْهُ. فَهُوَ ﴿الْأَوَّلُ﴾ [الحديد: ٣]
 بِالْمَعْنَى ﴿وَالْآخِرُ﴾ [الحديد: ٣] بِالصُّورَةِ وَهُوَ ﴿وَالظَّاهِرُ﴾ [الحديد: ٣] بِتَغْيِيرِ
 (بتغيير - خ) الْأَحْكَامِ وَالْأَحْوَالِ، ﴿وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣] بِالتَّنْذِيرِ، ﴿وَهُوَ
 بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣] فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ، لِيَعْلَمَ (لِيَعْلَمَ - معاً)
 عَنْ شُهُودٍ لَا عَنْ فِكْرٍ.

فَكَذَلِكَ عِلْمُ الْأَذْوَاقِ لَا عَنْ فِكْرٍ وَهُوَ الْعِلْمُ الصَّحِيحُ وَمَا عَدَاهُ
 فَحَدَسٌ وَتَخْمِينٌ لَيْسَ بِعِلْمٍ أَصْلًا.

ثُمَّ كَانَ لِأَيُّوبَ (لأَيُّوب - عَلَيْهِ السَّلَام - خ) ذَلِكَ الْمَاءَ شَرَابًا لِإِزَالَةِ
 أَلَمِ الْعَطَشِ الَّذِي هُوَ مِنَ النَّضْبِ وَالْعَذَابِ الَّذِي مَسَّهُ بِهِ الشَّيْطَانُ، أَيْ الْبُعْدِ
 عَنِ الْحَقَائِقِ أَنْ يَذَرَكَهَا عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ.

فَيَكُونُ بِإِدْرَاكِهَا فِي مَحَلِّ الْقُرْبِ. فَكُلُّ مَشْهُودٍ قَرِيبٌ مِنَ الْعَيْنِ وَلَوْ
 كَانَ بَعِيدًا بِالمَسَافَةِ، فَإِنَّ الْبَصَرَ يَتَّصِلُ بِهِ مِنْ حَيْثُ شُهُودُهُ وَلَوْ لَا ذَلِكَ لَمْ
 يَشْهَدْهُ، أَوْ يَتَّصِلُ الْمَشْهُودُ بِالْبَصَرِ. كَيْفَ كَانَ. فَهُوَ قُرْبٌ (قريب - خ) بَيْنَ
 الْبَصَرِ وَالْمُبْصَرِ.

وَلِهَذَا كَتَبَ أَيُّوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْمَسِّ، فَأَضَافَهُ إِلَى الشَّيْطَانِ مَعَ
 قُرْبِ الْمَسِّ فَقَالَ الْبَعِيدُ مَتَى قَرِيبٌ لِحِكْمَةِ فِيٍّ.

وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ الْقُرْبَ وَالْبُعْدَ (البعد والقرب - خ) أَمْرَانِ إِضَافِيَانِ،
 فَهُمَا يَنْسَبَتَانِ لَا وَجُودَ لَهُمَا فِي الْعَيْنِ مَعَ ثُبُوتِ أَحْكَامِهِمَا فِي الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ.
 وَاعْلَمْ أَنَّ سِرَّ اللَّهِ فِي أَيُّوبَ الَّذِي جَعَلَهُ عِبْرَةً لَنَا وَكِتَابًا مَسْطُورًا حَالِيًا
 (حَاكِيًا - خ) تَقَرُّوْهُ هَذِهِ الْأُمَّةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ لَتَعْلَمَ مَا فِيهِ فَتَلَحَّظَ بِصَاحِبِهِ تَشْرِيفًا
 لَهَا.

فَأَتَى اللَّهَ عَلَيْهِ - أَعْنَى عَلَى أَيُّوبَ - بِالصَّبْرِ مَعَ دُعَائِهِ فِي رَفْعِ الضَّرِّ عَنْهُ . فَعَلِمْنَا أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا دَعَا اللَّهَ فِي كَشْفِ الضَّرِّ عَنْهُ لَا يَقْدَحُ فِي صَبْرِهِ .
وَأَنَّهُ صَابِرٌ وَأَنَّهُ يَغْمُ الْعَبْدَ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ [ص: ١٧] أَي رَجَاعٌ إِلَى اللَّهِ لَا إِلَى الْأَسْبَابِ ، وَالْحَقُّ يَفْعَلُ عِنْدَ ذَلِكَ بِالسَّبَبِ لِأَنَّ (لَا أَنْ - خ) : الْعَبْدُ يَسْتَدُّ إِلَيْهِ ، إِذِ الْأَسْبَابُ الْمُزِيلَةُ لِأَمْرِ مَا كَثِيرَةٌ وَالْمُسَبَّبُ وَاحِدُ الْعَيْنِ . فَرُجُوعُ الْعَبْدِ إِلَى الْوَاحِدِ الْعَيْنِ الْمُزِيلِ بِالسَّبَبِ ذَلِكَ الْأَلَمُ أَوْلَى مِنَ الرُّجُوعِ إِلَى سَبَبٍ خَاصٍّ رُبَّمَا لَا يُوَافِقُ عِلْمَ اللَّهِ فِيهِ ، (رَبَّمَا لَا يُوَافِقُ ذَلِكَ عِلْمَ اللَّهِ يَقُولُ - خ) .

فَيَقُولُ إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَسْتَجِبْ لِي وَهُوَ مَا دَعَا ، وَإِنَّمَا جَنَحَ إِلَى سَبَبٍ خَاصٍّ لَمْ يَفْتَضِهِ الزَّمَانُ وَلَا الْوَقْتُ .

فَعَمِلَ أَيُّوبَ بِحِكْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى إِذْ كَانَ نَبِيًّا .

لَمَّا عَلِمَ أَنَّ الصَّبْرَ هُوَ حَبْسُ النَّفْسِ عَنِ الشَّكْوَى عِنْدَ طَائِفَةٍ (الطَّائِفَةِ - خ) وَلَيْسَ ذَلِكَ بِحَدِّ الصَّبْرِ (بِحَدِّ لِلصَّبْرِ - خ) عِنْدَنَا ، وَإِنَّمَا حَدُّهُ حَبْسُ النَّفْسِ عَنِ الشَّكْوَى لِغَيْرِ اللَّهِ لَا إِلَى اللَّهِ .

فَحَجَبَ الطَّائِفَةُ نَظَرَهُمْ فِي أَنَّ الشَّاكِيَ يَقْدَحُ بِالشَّكْوَى فِي الرِّضَا بِالْقَضَاءِ ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ ، فَإِنَّ الرِّضَا بِالْقَضَاءِ لَا يَقْدَحُ فِيهِ الشَّكْوَى إِلَى اللَّهِ وَلَا إِلَى غَيْرِهِ ، وَإِنَّمَا يَقْدَحُ فِي الرِّضَا بِالْمَقْضِيِّ (بِالْمُقْتَضَى - خ) وَنَحْنُ مَا خُوطَبْنَا بِالرِّضَا بِالْمَقْضِيِّ (بِالْمُقْتَضَى - خ) . وَالضَّرُّ هُوَ الْمَقْضِيُّ (الْمُقْتَضَى - خ) مَا هُوَ عَيْنُ الْقَضَاءِ .

وَعَلِمَ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ فِي حَبْسِ النَّفْسِ عَنِ الشَّكْوَى فِي دَفْعِ الضَّرِّ إِلَى اللَّهِ مُقَاوَمَةَ الْقَهْرِ الْإِلَهِيِّ وَهُوَ جَهْلٌ بِالشَّخْصِ إِذْ ابْتَلَاهُ اللَّهُ بِمَا

تَتَأَلَّمُ مِنْهُ نَفْسُهُ، فَلَا يَدْعُو اللَّهَ فِي إِزَالَةِ ذَلِكَ الْأَمْرِ الْمُؤَلَّمِ، بَلْ يَتَّبِعِي لَهُ عِنْدَ الْمُحَقِّقِ أَنْ يَنْصَرِّعَ وَيَسْأَلَ اللَّهَ فِي إِزَالَةِ ذَلِكَ عَنْهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ إِزَالَةٌ عَنْ جَنَابِ اللَّهِ عِنْدَ الْعَارِفِ وَصَاحِبِ الْكَشْفِ.

فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ وَصَفَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ يُؤْذِي فَقَالَ: ﴿إِنَّ اللَّيْنَ يُؤْذِيكَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ [الأحزاب: ٥٧]. وَأَيُّ أَذَى أَغْظَمَ مِنْ أَنْ يَتَّبِلِكَ بِلَاءٌ عِنْدَ غَفْلَتِكَ عَنْهُ أَوْ عَنْ مَقَامِ الْإِلَهِيِّ لَا تَعْلَمُهُ لِتَرْجِعَ إِلَيْهِ بِالشُّكْوَى فَيَرْفَعَهُ عَنْكَ، فَيَصِحُّ الْإِفْتِقَارُ الَّذِي هُوَ حَقِيقَتُكَ، فَيَرْتَفِعَ عَنِ الْحَقِّ الْأَذَى بِسُؤَالِكَ إِيَّاهُ فِي رَفْعِهِ عَنْكَ.

إِذْ أَنْتَ صُورَتُهُ الظَّاهِرَةُ، كَمَا جَاعَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ فَبَكَى فَقَالَ لَهُ فِي ذَلِكَ مَنْ لَا ذَوْقَ لَهُ فِي هَذَا الْفَنِّ مُعَاتِبًا لَهُ، فَقَالَ الْعَارِفُ: «إِنَّمَا جَوَّعَنِي لَا بُدَّكَ» يَقُولُ إِنَّمَا ابْتِلَانِي بِالضَّرِّ لِأَسْأَلَهُ فِي رَفْعِهِ عَنِّي، وَذَلِكَ لَا يَفْذَحُ فِي كَوْنِي (كُونِهِ - خ) صَابِرًا. فَعَلِمْنَا أَنَّ الصَّبْرَ إِنَّمَا هُوَ حَبْسُ النَّفْسِ عَنِ الشُّكْوَى لِغَيْرِ اللَّهِ.

وَأَعْنِي بِالْغَيْرِ وَجْهًا خَاصًّا مِنْ وَجْهِ اللَّهِ. وَقَدْ عَيَّنَ الْحَقُّ (وَقَدْ عَيَّنَ اللَّهُ الْحَقَّ) (وَقَدْ عَيَّنَ اللَّهُ الْحَقَّ - خ) وَجْهًا خَاصًّا مِنْ وَجْهِ اللَّهِ وَهُوَ الْمُسَمَّى وَجْهَ الْهُوِيَّةِ فَتَدْعُوهُ (فِيدَعُوهُ - خ) مِنْ ذَلِكَ الْوَجْهِ فِي رَفْعِ الضَّرِّ عَنْهُ لَا مِنْ الْوُجُوهِ الْأُخْرَى (الْأُخْرَى - ظ) الْمُسَمَّاةِ أَسْبَابًا، وَلَيْسَتْ إِلَّا هُوَ مِنْ حَيْثُ تَفْصِيلِ الْأَمْرِ فِي نَفْسِهِ.

فَالْعَارِفُ لَا يَحْجِبُهُ سُؤَالُهُ هُوِيَّةَ الْحَقِّ فِي رَفْعِ الضَّرِّ عَنْهُ عَنْ أَنْ تَكُونَ جَمِيعُ الْأَسْبَابِ عِنْتَهُ مِنْ حَيِّثِيَّةٍ خَاصَّةٍ. وَهَذَا لَا يَلْزَمُ طَرِيقَتَهُ إِلَّا الْأَدْبَاءُ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ الْأُمَنَاءِ عَلَى أَسْرَارِ اللَّهِ، فَإِنَّ لِلَّهِ أُمَنَاءَ لَا يَعْرِفُهُمْ إِلَّا اللَّهُ؛ وَيَعْرِفُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. وَقَدْ نَصَحْنَاكَ فَاعْمَلْ وَإِيَّاهُ سُبْحَانَهُ فَاسْأَلْ.



«فصّ حكمة غيبية في كلمة أيوبية» - ص ٣٨٩ - .

قوله: ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل... الخ، أي ولو أنهم اتبعوا الشريعة التي هي إقامة التوراة والإنجيل وغيرهما من الكتب المنزلة وأقاموها لحصل لهم الطريقة التي هي علم الأرجل وهو الطعام من تحت وعلم الحقيقة التي هي الطعام من فوق وهذا يدل على أن الطريقة والحقيقة لا يحصلان إلا من طريقة الشريعة فإن الظاهر طريق الباطن بل يفهم منه أن الظاهر غير منفك عن الباطن فمن رأى أن الباطن لم يحصل له مع الأعمال الظاهرة واتباع التكاليف الإلهية فليعلم أنه لم يقم على الظاهر على ما هو عليه ومن أراد أن يصل إلى الباطن من غير طريق الظاهر ك بعض عوام الصوفية فهو على غير بينة من ربه.

«ولهذا كان الطب النقص من الزايد والزيادة في الناقص والمقصود طلب الاعتدال ولا سبيل إليه إلا أنه يقاربه» - ص ٣٩٠ - .

قوله: إلا أنه يقاربه... الخ، هذا أي القرب بالاعتدال مختص بالمزاج وغير محقق في التكوين فإن أمر التكوين ليس إلا بالانحراف الصرف والإرادة المعينة لأحد الأطراف فإن الترجيح بالأولية محال لا سبيل إليه.

«وأما بالنسبة إلى أعيان تلك الصفات الحاصلة في الجناب الإلهي والحضرة الأسماوية فليس كذلك لأنه مقام الجمع ولا غلبة لأحدهما على الآخر وإن كان يسبق بعضها بعضاً كسبق الرحمة الغضب» - ص ٣٩١ - .

قوله: لأنه مقام الجمع ولا غلبة لأحدهما... الخ، ليس مقام الواحدية التي هي حضرة الأسماء مقام الجمع المطلق حتى لا يتصور الغلبة بل هي مقام الكثرة الأسماوية فللأسماء في تلك الحضرة محيطية ومحاطية وحاكمية ومحكومة وغالبية ومغلوبة نعم لا تكون تلك الكثرات في مقام الأحدية المطلقة وإن كان في ذاك المقام اعتبار الأسماء الذاتية وأما في مقام الذات من حيث هي فليس اسم وصفة ولا كثرة أصلاً.

«فكل مشهود قريب من العين ولو كان بعيداً بالمسافة فإن البصر متصل به من حيث شهوده ولولا ذلك الاتصال لم يشهده» - ص ٣٩٣ - .

قوله: فإن البصر متصل . . . الخ، يمكن تطبيق هذا على مسلك شيخ الإشراق في باب الأبصار فإن النفس باسمه البصير يحيط على المبصر على مذاقه وقوله أو يتصل المشهود بالبصر على مسلك صدر المتألهين قدس سره في باب الأبصار فإن المشهود متصل بالبصر على مذاقه اتصال المعلول بعلة والمظهر بظاهرة تأمل .

«وقد علمت أن القرب والبعد أمران إضافيان فهما نسبتان لا وجود لهما في العين مع ثبوت أحكامهما في القرب والبعيد» - ص ٣٩٤ - .

قوله: أمران إضافيان، أي يمكن أن يكون شيء قريباً من وجه بعيداً من وجه آخر وقريباً من شخص بعيداً عن شخص آخر أو قريباً في نظر بعيداً في نظر آخر .

قال الشيخ في المتن: «... فيصح الافتقار الذي هو حقيقتك» .

قال الشارح: «إنما جعل الافتقار الذي هو صفة العبد عين حقيقته لكونه لازماً ذاتياً له وبه يتميز العبد عن ربه» - ص ٣٩٦ - .

قوله: لكونه لازماً ذاتياً، ليس الافتقار لازم الحقيقة بل عينها فإن الحقيقة هي الوجود الذي عين الربط والافتقار اللهم إلا أن جعل الحقيقة هي المهمة فيكون الافتقار لازماً لها لا عينها فإن المهمات مناط الاستغناء لا الافتقار هذا على مسلك الحكيم المتأله وأما ذوق العرفان فيقتضي أن يكون المفتقر ذات المهمة فإنها المجعول وليس في الوجود جعل أبداً نعم له الظهور والبطون والأولوية والآخرية وليس هذا بجعل، تدبر تعرف وتحت ذاك سر لا يجوز إظهاره .

الفص الحيوي

فص حكمة جلالية في كلمة يحيوية

هَذِهِ حِكْمَةُ الْأَوَّلِيَّةِ فِي الْأَسْمَاءِ، فَإِنَّ اللَّهَ سَمَّاهُ أَيَّ يَحْيَى أَيَّ يَحْيَى بِهِ
ذَكَرَ زَكَرِيَّا وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا.

فَجَمَعَ بَيْنَ حُضُولِ الصِّفَةِ الَّتِي فِيْمَنْ غَبَرَ مِمَّنْ تَرَكَ وَلَدًا يَحْيَى بِهِ
ذِكْرُهُ، وَبَيَّنَّ اسْمُهُ بِذَلِكَ فَسَمَّاهُ يَحْيَى فَكَانَ اسْمُهُ يُحْيَى (يَحْيَى - خ) كَالْعِلْمِ
الذَّوْقِيِّ.

فَإِنَّ آدَمَ حَيَّيَ ذِكْرُهُ بِشَيْئٍ، وَنُوحًا حَيَّيَ ذِكْرُهُ بِسَامٍ، وَكَذَلِكَ الْأَنْبِيَاءُ
وَلَكِنْ مَا جَمَعَ اللَّهُ لِأَحَدٍ قَبْلَ يَحْيَى بَيْنَ الْأَسْمِ الْعِلْمِ مِنْهُ وَبَيْنَ الصِّفَةِ إِلَّا
لِزَكَرِيَّا عِنَايَةً مِنْهُ.

إِذْ قَالَ: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٥] فَقَدَّمَ الْحَقَّ عَلَى ذِكْرِ
وَلَدِهِ كَمَا قَدَّمَتْ آسِيَةُ ذِكْرَ الْجَارِ عَلَى الدَّارِ فِي قَوْلِهَا: ﴿عِنْدَكَ بَيْتًا فِي
الْجَنَّةِ﴾ [التحریم: ١١].

فَأَكْرَمَهُ اللَّهُ بِأَنْ قَضَى حَاجَتَهُ وَسَمَّاهُ بِصِفَتِهِ حَتَّى يَكُونَ اسْمُهُ تَذْكَارًا
لِمَا طَلَبَ مِنْهُ نَبِيُّهُ زَكَرِيَّا، لِأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَثَرُ بَقَاءِ ذِكْرِ اللَّهِ فِي عَقْبِهِ إِذْ الْوَلَدُ
سِرُّ أَبِيهِ، فَقَالَ: ﴿يَرْثِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ [مريم: ٦] وَلَيْسَ ثَمَّةَ (ثُمَّ - خ)
مَوْرُوثٌ فِي حَقِّ هَؤُلَاءِ إِلَّا مَقَامَ ذِكْرِ اللَّهِ وَالِدَعْوَةِ إِلَيْهِ.

ثُمَّ إِنَّهُ بَشَّرَهُ بِمَا قَدَّمَ مِنْ سَلَامِهِ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا. فَجَاءَ بِصِفَةِ الْحَيَاةِ وَهِيَ اسْمُهُ وَأَعْلَمَ بِسَلَامِهِ عَلَيْهِ، وَكَلَامُهُ صِدْقٌ فَهُوَ مَقْطُوعٌ بِهِ.

وَإِنْ كَانَ قَوْلُ الرُّوحِ: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ (مريم: ٣٣) أَكْمَلَ فِي الْإِتِّحَادِ، فَهَذَا أَكْمَلُ فِي الْإِتِّحَادِ وَالْإِغْتِقَادِ وَأَرْفَعُ لِلنَّارِ وَيَلَابِ.

فَإِنَّ الَّذِي انْخَرَقَتْ فِيهِ الْعَادَةُ فِي حَقِّ عَيْنِي إِنَّمَا هُوَ النُّطْقُ، فَقَدْ تَمَكَّنَ عَقْلُهُ وَتَكَمَّلَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ الَّذِي أَنْطَقَهُ اللَّهُ فِيهِ. وَلَا يَلْزَمُ لِلتَّمَكُّنِ مِنَ النُّطْقِ - عَلَى أَيْ حَالَةٍ كَانَ - الصَّدْقُ فِيمَا بِهِ يَنْطِقُ، بِخِلَافِ الْمَشْهُودِ لَهُ كَيْخِي.

فَسَلَامُ الْحَقِّ عَلَى يَخْيِي مِنْ هَذَا الْوَجْهِ أَرْفَعُ لِلْإِتِّبَاسِ الْوَاقِعِ فِي الْعِنَايَةِ الْإِلَهِيَّةِ بِهِ مِنْ سَلَامِ عَيْنِي عَلَى نَفْسِهِ، وَإِنْ كَانَتْ قَرَائِنُ الْأَحْوَالِ تَدُلُّ عَلَى قُرْبِهِ مِنَ اللَّهِ فِي ذَلِكَ وَصِدْقِهِ، إِذْ نَطَقَ فِي مَغْرَضِ الدَّلَالَةِ عَلَى بَرَاءَةِ أُمِّهِ فِي الْمَهْدِ، فَهُوَ (فَهَذَا - خ) أَخَذَ الشَّاهِدِينَ، وَالشَّاهِدُ الْآخِرُ هُوَ الْجِدْعُ الْيَابِسُ فَتَسْقَاطُ (فَسَقَطَ - خ) رُطْبًا جَنِيًّا مِنْ غَيْرِ فُخْلٍ وَلَا تَذْكِيرٍ، كَمَا وَلَدَتْ مَرِيْمُ عَيْنِي مِنْ غَيْرِ فُخْلٍ وَلَا ذَكْرٍ (وَلَا تَذْكِير - خ) وَلَا جِمَاعٍ عُرْفِي مُغْتَادٍ.

لَوْ قَالَ نَبِيٌّ آتِيٌّ وَمُعْجَزَتِي أَنْ يَنْطِقَ هَذَا الْحَائِطُ، فَنَطَقَ الْحَائِطُ وَقَالَ فِي نُطْقِهِ تَكْذِيبٌ مَا أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، لَصَحَّحَتِ الْآيَةُ وَثَبَّتْ بِهَا أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَلَمْ يُلْتَفَتْ إِلَى مَا نَطَقَ بِهِ الْحَائِطُ. فَلَمَّا دَخَلَ هَذَا الْإِخْتِمَالُ فِي كَلَامِ عَيْنِي بِإِشَارَةِ أُمِّهِ إِلَيْهِ وَهُوَ فِي الْمَهْدِ، كَانَ سَلَامُ اللَّهِ عَلَى يَخْيِي أَرْفَعُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.

فَمَوْضِعُ الدَّلَالَةِ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ مِنْ أَجْلِ مَا قِيلَ فِيهِ إِنَّهُ ابْنُ اللَّهِ - وَفَرَعَتْ

الدَّالَّةُ بِمُجَرَّدِ النُّطْقِ - وَأَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ عِنْدَ الطَّائِفَةِ الْأُخْرَى الْفَائِلَةُ بِالنُّبُوَّةِ.
وَبَقِيَ مَا زَادَ فِي حُكْمِ الْإِحْتِمَالِ فِي النَّظَرِ الْعَقْلِيِّ حَتَّى ظَهَرَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ
صِدْقُهُ فِي جَمِيعِ مَا أَخْبَرَ بِهِ فِي الْمَهْدِ فَتَحَقَّقَ مَا أَشْرْنَا إِلَيْهِ.
(وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ - خ).



الفص الزكرياوي

فص حكمة مالكية في كلمة زكرياوية

اَعْلَمَنَّ أَنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ وَجُوداً وَحُكْماً، وَأَنَّ وَجُودَ
الْغَضَبِ مِنَ رَحْمَةِ اللَّهِ بِالْغَضَبِ. فَسَبَقَتْ رَحْمَتُهُ غَضَبَهُ أَيْ سَبَقَتْ نِسْبَةُ
الرَّحْمَةِ إِلَيْهِ نِسْبَةَ الْغَضَبِ إِلَيْهِ.

وَلَمَّا كَانَ لِكُلِّ عَيْنٍ وَجُودٌ يَطْلُبُهُ مِنَ اللَّهِ، لِذَلِكَ عَمَّتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ
عَيْنٍ.

فَإِنَّهُ بِرَحْمَتِهِ الَّتِي رَحِمَهُ بِهَا قَبْلَ رَغْبَتِهِ فِي وَجُودِ عَيْنِهِ، فَأَوْجَدَهَا.
فَلِذَلِكَ قُلْنَا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ وَجُوداً وَحُكْماً.

وَالْأَسْمَاءُ الْإِلَهِيَّةُ مِنَ الْأَشْيَاءِ؛ وَهِيَ تَرْجِعُ إِلَى عَيْنٍ وَاحِدَةٍ. فَأَوَّلُ مَا
وَسِعَتْ رَحْمَةُ اللَّهِ شَيْئَةً تِلْكَ الْعَيْنِ الْمُوجِدَةِ لِلرَّحْمَةِ بِالرَّحْمَةِ، فَأَوَّلُ شَيْءٍ
وَسِعَتْهُ الرَّحْمَةُ نَفْسُهَا ثُمَّ السَّيِّئَةُ الْمُشَارُ إِلَيْهَا، ثُمَّ السَّيِّئَةُ كُلُّ مَوْجُودٍ يُوجَدُ
إِلَى مَا لَا يَتَنَاهَى ذَنْباً وَآخِرَةً وَعَرَضاً وَجَوْهَرًا، وَمُرَكَّبًا وَبَسِيطًا.

وَلَا يُعْتَبَرُ فِيهَا حُصُولُ عَرَضٍ وَلَا مُلَاءَمَةٌ طَبِيعٍ، بَلِ الْمُلَائِمُ وَغَيْرُ
الْمُلَائِمِ كُلُّهُ (بَلِ الْمُلَائِمُ وَغَيْرُ الْمُلَائِمِ كُلُّهُ - مَعًا) وَسِعَتْهُ الرَّحْمَةُ الْإِلَهِيَّةُ
وَجُوداً.

وَقَدْ ذَكَّرْنَا فِي التُّفُوحَاتِ أَنَّ الْأَثَرَ لَا يَكُونُ إِلَّا لِلْمَعْدُومِ لَا لِلْمَوْجُودِ،
وَإِنْ كَانَ لِلْمَوْجُودِ فَيُحْكَمُ الْمَعْدُومُ: وَهُوَ عَلِمٌ غَرِيبٌ وَمَسْأَلَةٌ نَادِرَةٌ، وَلَا

يَعْلَمُ (ولا يعرف - خ) تَحْقِيقُهَا (بحقيقتها - خ) إِلَّا أَصْحَابُ الْأَوْهَامِ،
فَذَلِكَ بِالذَّوْقِ عِنْدَهُمْ. وَأَمَّا مَنْ لَا يُؤْتِرُ الْوَهْمَ فِيهِ فَهُوَ بَعِيدٌ عَنْ هَذِهِ
الْمَسْأَلَةِ.

فَرَحْمَةُ اللَّهِ فِي الْأَكْوَانِ سَارِيَةٌ وَفِي الذَّوَاتِ وَفِي الْأَعْيَانِ جَارِيَةٌ
مَكَائِنُ الرَّحْمَةِ الْمُثَلَّى إِذَا عُلِمَتْ مِنْ الشُّهُودِ مَعَ الْأَفْكَارِ عَالِيَةً
فَكُلُّ مَنْ ذَكَرْتُهُ الرَّحْمَةُ فَقَدْ سَعِدَ، وَمَا تَمَّ (وما تَمَّ - خ) إِلَّا مَنْ ذَكَرْتُهُ
الرَّحْمَةُ. وَذِكْرُ الرَّحْمَةِ الْأَشْيَاءِ عَيْنُ إِيجَادِهَا إِيَّاهَا. فَكُلُّ مَوْجُودٍ مَرْحُومٌ.
وَلَا تُحْجَبُ يَا وَلِيُّ عَنْ إِدْرَاكِ مَا قُلْنَا بِمَا تَرَاهُ (بما ترى - خ) مِنْ أَصْحَابِ
الْبَلَاءِ وَمَا تُؤْمِنُ بِهِ مِنْ آلَامِ الْآخِرَةِ الَّتِي لَا تَفْتُرُ عَمَّنْ قَامَتْ بِهِ.

فَاعْلَمْ (وأعلم - خ) أَوَّلًا أَنَّ الرَّحْمَةَ إِنَّمَا هِيَ فِي الْإِيجَادِ عَامَّةٌ.
فَبِالرَّحْمَةِ بِالْآلَامِ أَوْجَدَ الْآلَامَ. ثُمَّ إِنَّ الرَّحْمَةَ لَهَا الْأَثَرُ (أثر - خ) بِوَجْهَيْنِ:
أَثَرٌ بِالذَّاتِ وَهُوَ إِيجَادُهَا (إيجاد - خ) كُلِّ عَيْنٍ مَوْجُودَةٍ.

وَلَا تَنْظُرْ إِلَى غَرَضٍ وَلَا إِلَى عَدَمٍ غَرَضٍ؛ وَلَا إِلَى مُلَانِمٍ وَلَا إِلَى غَيْرِ
مُلَانِمٍ: فَإِنَّهَا نَاطِرَةٌ فِي عَيْنِ كُلِّ مَوْجُودٍ قَبْلَ وُجُودِهِ، بَلْ تَنْظُرُهُ فِي عَيْنِ
نُبُوتِهِ.

وَلِهَذَا رَأَتْ الْحَقُّ الْمَخْلُوقُ فِي الْأَعْتِقَادَاتِ عَيْنًا ثَابِتَةً فِي الْعُيُونِ الثَّابِتَةِ
فَرَحْمَتُهُ بِنَفْسِهَا بِالْإِيجَادِ (في الإيجاد - خ).

وَلِذَلِكَ (وكذلك - خ) قُلْنَا إِنَّ الْحَقَّ الْمَخْلُوقَ فِي الْأَعْتِقَادَاتِ (بحسب
الاعتقادات - خ) أَوَّلُ شَيْءٍ مَرْحُومٍ بَعْدَ رَحْمَتِهَا بِنَفْسِهَا (نفسها - خ) فِي
تَعَلُّقِهَا بِإِيجَادِ الْمَرْحُومِينَ (بإيجاد الموجودين - خ).

وَلَهَا أَثَرٌ آخَرٌ بِالسُّؤَالِ، فَيَسْأَلُ الْمَحْجُوبُونَ الْحَقَّ أَنْ يَرْحَمَهُمْ فِي
اعْتِقَادِهِمْ، وَأَهْلُ الْكُشْفِ يَسْأَلُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ أَنْ تَقُومَ بِهِمْ، فَيَسْأَلُونَهَا بِاسْمِ
اللَّهِ فَيَقُولُونَ يَا اللَّهُ ارْحَمْنَا، وَلَا يَرْحَمُهُمْ إِلَّا بِقِيَامِ الرَّحْمَةِ بِهِمْ.

فَلَهَا الْحُكْمُ، لِأَنَّ الْحُكْمَ إِنَّمَا هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ لِلْمَعْنَى الْقَائِمِ بِالْمَحَلِّ.
فَهُوَ الرَّاحِمُ عَلَى الْحَقِيقَةِ. فَلَا يَرْحَمُ اللَّهُ عِبَادَهُ الْمُعْتَنَى بِهِمْ إِلَّا بِالرَّحْمَةِ.
فَإِذَا قَامَتْ بِهِمُ الرَّحْمَةُ وَجَدُوا حُكْمَهَا دَوَقًا.

فَمَنْ ذَكَرْتَهُ الرَّحْمَةُ فَقَدْ رُحِمَ. وَاسْمُ الْفَاعِلِ هُوَ الرَّجِيمُ وَالرَّاحِمُ.
وَالْحُكْمُ لَا يَتَّصِفُ بِالْخَلْقِ لِأَنَّهُ أَمْرٌ تُوجِبُهُ الْمَعَانِي لِذَوَاتِهَا. فَلَاخَوَالٍ
لَا مَوْجُودَةٌ وَلَا مَعْدُومَةٌ.

أَيُّ لَا عَيْنَ لَهَا فِي الْوُجُودِ لِأَنَّهَُا نَسَبٌ، وَلَا مَعْدُومَةٌ فِي الْحُكْمِ لِأَنَّ
الَّذِي قَامَ بِهِ الْعِلْمُ يُسَمَّى عَالِمًا وَهُوَ الْحَالُ.

فَعَالِمُ ذَاتٍ مَوْصُوفَةٌ بِالْعِلْمِ، مَا هُوَ عَيْنُ الذَّاتِ وَلَا عَيْنُ الْعِلْمِ، وَمَا
تَمَّ (ثَمَّة - خ) إِلَّا عِلْمٌ وَذَاتٌ قَامَ (قَائِم - خ) بِهَا هَذَا الْعِلْمُ. وَكَوْنُهُ عَالِمًا
حَالٌ لِهَذِهِ الذَّاتِ بِاتِّصَافِهَا بِهَذَا الْمَعْنَى فَحَدَّثَتْ نِسْبَةَ الْعِلْمِ إِلَيْهِ فَهُوَ الْمُسَمَّى
عَالِمًا.

وَالرَّحْمَةُ عَلَى الْحَقِيقَةِ نِسْبَةٌ مِنَ الرَّاحِمِ، وَهِيَ الْمُوجِبَةُ لِلْحُكْمِ، فَهِيَ
(وَهِيَ - خ) الرَّاحِمَةُ.

وَالَّذِي أَوْجَدَهَا فِي الْمَرْخُومِ مَا أَوْجَدَهَا لِيَرْحَمَهُ بِهَا وَإِنَّمَا أَوْجَدَهَا
لِيَرْحَمَ بِهَا مَنْ قَامَتْ بِهِ.

وَهُوَ سُبْحَانَهُ لَيْسَ بِمَحَلٍّ لِلْحَوَادِثِ، فَلَيْسَ بِمَحَلٍّ لِإِنْجَادِ الرَّحْمَةِ فِيهِ.

وَهُوَ الرَّاحِمُ وَلَا يَكُونُ الرَّاحِمُ رَاحِمًا إِلَّا بِقِيَامِ الرَّحْمَةِ بِهِ، فَتَبَّتْ أَنَّهُ عَيْنُ
الرَّحْمَةِ.

وَمَنْ لَمْ يَذُقْ هَذَا الْأَمْرَ وَلَا كَانَ لَهُ فِيهِ قَدَمٌ مَا اجْتَرَأَ أَنْ يَقُولَ إِنَّهُ عَيْنُ
الرَّحْمَةِ أَوْ عَيْنُ الصِّفَةِ، فَقَالَ مَا هُوَ عَيْنُ الصِّفَةِ وَلَا غَيْرُهَا. فَصِفَاتُ الْحَقِّ
عِنْدَهُ لَا هِيَ هُوَ وَلَا هِيَ غَيْرُهُ؛ لِأَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى نَفْيِهَا وَلَا يَقْدِرُ عَلَى أَنْ
يَجْعَلَهَا عَيْنَهُ، فَعَدَلَ إِلَى هَذِهِ الْعِبَارَةِ وَهِيَ عِبَارَةُ حَسَنَةٍ، وَغَيْرُهَا أَحَقُّ بِالْأَمْرِ
مِنْهَا وَأَرْفَعُ لِلْإِشْكَالِ.

وَهُوَ الْقَوْلُ بِنَفْيِ أَغْيَانِ الصِّفَاتِ وَجُوداً قَائِماً بِذَاتِ الْمُوصُوفِ وَإِنَّمَا
هِيَ نِسْبٌ وَإِضَافَاتٌ بَيْنَ الْمُوصُوفِ بِهَا وَبَيْنَ أَغْيَانِهَا الْمَعْقُولَةِ.

وَإِنْ كَانَتْ الرَّحْمَةُ جَامِعَةً فَإِنَّهَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى كُلِّ اسْمٍ إِلَهِي مُخْتَلِفَةٌ.
فَلِهَذَا يُسْأَلُ سُبْحَانَهُ أَنْ يَرْحَمَ بِكُلِّ اسْمٍ إِلَهِي. فَرَحْمَةُ اللَّهِ وَالْكِنَايَةُ هِيَ الَّتِي
وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ.

ثُمَّ لَهَا شُعَبٌ كَثِيرَةٌ تَتَعَدَّدُ بِتَعَدُّدِ الْأَسْمَاءِ الْإِلَهِيَّةِ. فَمَا تَعُمُّ بِالنِّسْبَةِ إِلَى
ذَلِكَ الْأِسْمِ الْخَاصِّ الْإِلَهِيِّ فِي قَوْلِ السَّائِلِ رَبِّ ارْحَمْنِي، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ
الْأَسْمَاءِ حَتَّى الْمُنْتَقِمِ لَهُ أَنْ يَقُولَ يَا مُنْتَقِمِ ارْحَمْنِي.

وَذَلِكَ لِأَنَّ هَذِهِ الْأَسْمَاءَ تَذُلُّ عَلَى الذَّاتِ الْمُسَمَّاءِ، وَتَذُلُّ بِحَقَائِقِهَا
عَلَى مَعَانٍ مُخْتَلِفَةٍ، فَيَدْعُو بِهَا فِي الرَّحْمَةِ مَنْ حَيْثُ دَلَالَتُهَا عَلَى الذَّاتِ
الْمُسَمَّاءِ بِذَلِكَ الْأِسْمِ لَا غَيْرَ.

لَا يَمَّا يُعْطِيهِ مَذْلُومٌ ذَلِكَ الْأِسْمَ الَّذِي يَنْفَصِلُ بِهِ عَنْ غَيْرِهِ وَيَتَمَيَّزُ، فَإِنَّهُ
لَا يَتَمَيَّزُ عَنْ غَيْرِهِ وَهُوَ عِنْدَهُ دَلِيلُ الذَّاتِ، وَإِنَّمَا يَتَمَيَّزُ بِنَفْسِهِ عَنْ غَيْرِهِ لِذَاتِهِ،
إِذِ الْمُضْطَلَّحُ عَلَيْهِ بِأَيِّ لَفْظٍ كَانَ، حَقِيقَةٌ مَتَمِّزَةٌ بِذَاتِهَا عَنْ غَيْرِهَا:

وَأِنْ كَانَ الْكُلُّ قَدْ سَقَى لِيَدُلَّ عَلَى عَيْنٍ وَاحِدَةٍ مُسَمَّاةٍ. وَلَا (فلا - خ)
خِلَافٍ فِي أَنَّهُ لِكُلِّ اسْمٍ حُكْمٌ لَيْسَ لِلْآخِرِ، فَذَلِكَ يَتَّبِعِي أَنْ يُعْتَبَرَ كَمَا تُعْتَبَرُ
دَلَالَتُهَا عَلَى الذَّاتِ الْمُسَمَّاةِ.

ولهذا قال أبو القاسم بن قسي في الأسماء الإلهية: إِنَّ كُلَّ اسْمٍ إِلَهِيٍّ
عَلَى انْفِرَادِهِ مُسَمًّى بِجَمِيعِ الْأَسْمَاءِ الْإِلَهِيَّةِ كُلِّهَا: إِذَا قَدَّمْتُهُ فِي الذِّكْرِ نَعْتُهُ
بِجَمِيعِ الْأَسْمَاءِ، وَذَلِكَ لِدَلَالَتِهَا عَلَى عَيْنٍ وَاحِدَةٍ، وَإِنْ تَكَثَّرَتِ الْأَسْمَاءُ
عَلَيْهَا وَاخْتَلَفَتْ حَقَائِقُهَا أَيْ حَقَائِقُ تِلْكَ الْأَسْمَاءِ.

ثُمَّ إِنَّ الرَّحْمَةَ تُنَالُ عَلَى طَرِيقَيْنِ، طَرِيقِ الْوُجُوبِ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى:
﴿فَسَاكَنَتُهَا لِلَّذِينَ يَنْفَقُونَ وِزْوَاتٍ الْزَكَاةَ﴾ [الأعراف: ١٥٦] وَمَا قَيَّدَهُمْ بِهِ مِنْ
الْصِّفَاتِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْعَمَلِيَّةِ.

وَالطَّرِيقُ الْآخَرُ الَّذِي تُنَالُ بِهِ هَذِهِ الرَّحْمَةُ طَرِيقُ الْإِمْتِنَانِ الْإِلَهِيِّ الَّذِي
لَا يَقْتَرِنُ بِهِ عَمَلٌ وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]
وَمِنْهُ قِيلَ: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢]. وَمِنْهَا قَوْلُهُ:
«أَعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ» فَاغْلَمْ ذَلِكَ.



فص حكمة إيناسية في كلمة إلياسية

إِلْيَاسُ وَهُوَ إِذْرِيسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ نَبِيًّا قَبْلَ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَرَفَعَهُ
اللَّهُ مَكَانًا عَلِيًّا، فَهُوَ فِي قَلْبِ الْأَفلاكِ سَاكِنٌ وَهُوَ فَلَكُ الشَّمْسِ، ثُمَّ بُعِثَ
إِلَى قَرْيَةٍ بَعْلَبَكْ، وَبَعْلُ اسْمُ صَنَمٍ، وَبَكَ هُوَ سُلْطَانُ تِلْكَ الْقَرْيَةِ. وَكَانَ هَذَا
الصَّنَمُ الْمُسَمَّى بَعْلًا مَخْصُوصًا بِالْمَلِكِ وَكَانَ إِلْيَاسُ الَّذِي هُوَ إِذْرِيسُ قَدْ مَثَلَ
لَهُ انْفِلَاقُ الْجَبَلِ الْمُسَمَّى لُبْنَانَ - مِنَ اللَّبَانَةِ (اللَّبَانَةِ - خ) وَهِيَ الْحَاجَةُ - عَنْ
فَرَسٍ مِنْ نَارٍ، وَجَمِيعُ آيَاتِهِ مِنْ نَارٍ. فَلَمَّا رَأَاهُ رَكِبَ عَلَيْهِ فَسَقَطَتْ عَنْهُ
الشَّهْوَةُ، فَكَانَ عَقْلًا بِلَا شَهْوَةٍ، فَلَمْ يَبْقَ لَهُ تَعَلُّقٌ بِمَا تَتَعَلَّقُ بِهِ الْأَغْرَاضُ
النَّفْسِيَّةُ.

فَكَانَ الْحَقُّ فِيهِ مُنْزَهًا، فَكَانَ عَلَى النُّصْفِ مِنَ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ، فَإِنْ
الْعَقْلُ إِذَا تَجَرَّدَ لِنَفْسِهِ مِنْ حَيْثُ أَخَذَهُ الْعُلُومَ عَنْ نَظَرِهِ، كَانَتْ مَعْرِفَتُهُ بِاللَّهِ
عَلَى التَّنْزِيهِ لَا عَلَى التَّشْبِيهِ.

وَإِذَا أَعْطَاهُ اللَّهُ الْمَعْرِفَةَ بِالتَّجَلِّيِ كَمَلَتْ مَعْرِفَتُهُ بِاللَّهِ، فَتَزَهَّ فِي مَوْضِعٍ
وَشَبَّهَ فِي مَوْضِعٍ.

وَرَأَى سِرْيَانَ الْحَقِّ (سِرْيَانُ الْحَقِّ بِالْوُجُودِ - خ) فِي الصُّورِ الطَّبِيعِيَّةِ
وَالْعَنْصُرِيَّةِ. وَمَا (فَمَا - خ) بَقِيَتْ لَهُ صُورَةٌ إِلَّا وَبَرَى عَيْنَ الْحَقِّ عَيْنَهَا.

وَهَذِهِ الْمَعْرِفَةُ التَّامَّةُ الَّتِي جَاءَتْ بِهَا الشَّرَائِعُ الْمُنَزَّلَةُ مِنْ عِنْدَ اللَّهِ
وَحَكَمَتْ بِهَذِهِ الْمَعْرِفَةِ الْأَوْهَامَ كُلَّهَا.

وَلِذَلِكَ كَانَتْ الْأَوْهَامُ أَقْوَى سُلْطَانًا فِي هَذِهِ النَّشْأَةِ مِنَ الْعُقُولِ، لِأَنَّ
الْعَاقِلَ لَوْ (وَإِنْ - خ) بَلَغَ مِنْ عَقْلِهِ مَا بَلَغَ لَمْ يَخُلْ عَنْ حُكْمِ الْوَهْمِ عَلَيْهِ
وَالْتَصُورِ فِيمَا عَقَلَ.

فَالْوَهْمُ هُوَ السُّلْطَانُ الْأَعْظَمُ فِي هَذِهِ النَّشْأَةِ الصُّورِيَّةِ (فِي هَذِهِ الصُّورَةِ
الْكَامِلَةِ - خ) الْإِنْسَانِيَّةِ، وَبِهِ جَاءَتْ الشَّرَائِعُ الْمُنَزَّلَةُ فَشَبَّهَتْ وَنَزَّهَتْ،
شَبَّهَتْ فِي التَّنْزِيهِ بِالْوَهْمِ، وَنَزَّهَتْ فِي التَّشْبِيهِ بِالْعَقْلِ. فَازْتَبَطَ الْكُلُّ بِالْكُلِّ،
فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَخْلُو تَنْزِيهِهُ عَنْ تَشْبِيهِهِ وَلَا تَشْبِيهِهُ عَنْ تَنْزِيهِهِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] فَتَرَهُ وَشَبَّهَهُ،
﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] فَشَبَّهَهُ.

وَهِيَ أَعْظَمُ آيَةٍ نَزَلَتْ فِي التَّنْزِيهِ وَمَعَ ذَلِكَ (وَهِيَ أَعْظَمُ آيَةٍ تَنْزِيهِ نَزَلَتْ
وَمَعَ ذَلِكَ - خ) لَمْ يَخُلْ عَنِ التَّشْبِيهِ بِالْكَافِ. فَهُوَ - (وَهُوَ - خ) أَعْلَمُ
الْعُلَمَاءِ بِنَفْسِهِ، وَمَا عَبَّرَ عَنْ نَفْسِهِ إِلَّا بِمَا ذَكَرْنَاهُ. ثُمَّ قَالَ: ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ
الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات: ١٨٠].

وَمَا يَصِفُونَهُ إِلَّا بِمَا تُعْطِيهِ عُقُولُهُمْ. فَتَرَهُ نَفْسَهُ عَنْ تَنْزِيهِهِمْ إِذْ حَدَدُوهُ
بِذَلِكَ التَّنْزِيهِ، وَذَلِكَ لِقُصُورِ الْعُقُولِ عَنْ إِدْرَاكِ مِثْلِ هَذَا.

ثُمَّ جَاءَتْ الشَّرَائِعُ كُلُّهَا بِمَا تَحْكُمُ بِهِ الْأَوْهَامُ. فَلَمْ تَخُلْ عَنْ صِفَةٍ
يُظْهَرُ فِيهَا. كَذَا قَالَتْ، وَبِذَا جَاءَتْ. فَعَمِلَتْ الْأَمَمُ عَلَى ذَلِكَ فَأَعْطَاهَا الْحَقَّ
التَّجَلِّيَ فَلَحِقَتْ بِالرُّسُلِ وَرَائِهِ، فَتَطَلَّعَتْ بِمَا تَطَلَّعَتْ بِهِ رُسُلُ اللَّهِ.

﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤] ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ﴾ [الأنعام: ١٢٤] مُوجَّهٌ لَهُ وَجْهٌ بِالْخَبَرِيَّةِ إِلَى رُسُلِ اللَّهِ، وَلَهُ وَجْهٌ بِالْإِبْتِدَاءِ إِلَى ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]. وَكِلَا الْوَجْهَيْنِ حَقِيقَةٌ فِيهِ، وَلِذَلِكَ (فَلِذَلِكَ - خ) قُلْنَا بِالشَّيْبَةِ فِي التَّنْزِيهِ وَبِالتَّنْزِيهِ فِي الشَّيْبَةِ.

وَبَعْدَ أَنْ تَقَرَّرَ هَذَا فَتَرْخِي السُّتُورَ وَتُسَدِّلُ الْحُجُبَ عَلَى عَيْنِ الْمُتَقَدِّدِ وَالْمُعْتَقِدِ، وَإِنْ كَانَا مِنْ بَعْضِ صُورٍ مَا تَجَلَّى فِيهَا الْحَقُّ.

وَلَكِنْ قَدْ أَمَرْنَا بِالسَّيْرِ لِيُظْهَرَ تَفَاضُلُ اسْتِعْدَادِ الصُّورِ، فَإِنَّ الْمُتَجَلِّيَ فِي صُورَةٍ بِحُكْمٍ (هُوَ بِحُكْمٍ - خ) اسْتِعْدَادِ تِلْكَ الصُّورَةِ، فَيُنَسَّبُ إِلَيْهِ مَا تُعْطِيهِ حَقِيقَتُهَا وَلَوَازِمُهَا وَلَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ.

مِثْلُ مَنْ يَرَى الْحَقَّ فِي النَّوْمِ وَلَا يُنْكِرُ هَذَا (تِلْكَ - خ) وَأَنَّهُ لَا شَكَّ الْحَقُّ عَيْنُهُ فَتَتْبَعُهُ لَوَازِمُ تِلْكَ الصُّورَةِ وَحَقَائِقُهَا الَّتِي تَجَلَّى فِيهَا فِي النَّوْمِ، ثُمَّ يَبْعَدُ ذَلِكَ يُعَبِّرُ أَيْ يُجَاوِزُ عَنْهَا إِلَى أَمْرٍ آخَرَ يَقْتَضِي التَّنْزِيَةَ عَقْلاً. فَإِنْ كَانَ الَّذِي يُعَبِّرُهَا ذَا كَشْفٍ أَوْ إِيمَانٍ، فَلَا يَجُوزُ عَنْهَا إِلَى تَنْزِيهِ فَقَطْ، بَلْ يُعْطِيهَا حَقَّقَهَا مِنَ التَّنْزِيهِ (فِي التَّنْزِيهِ - خ) وَمِمَّا ظَهَرَ فِيهِ.

فَاللَّهُ عَلَى التَّحْقِيقِ عِبَارَةً لِمَنْ فَهِمَ الْإِشَارَةَ.

وَرُوحُ هَذِهِ الْحِكْمَةِ وَقَضَاهَا أَنَّ الْأَمْرَ يَنْقَسِمُ إِلَى مُؤَثِّرٍ وَمُؤَثَّرٍ فِيهِ وَهُمَا عِبَارَتَانِ: فَالْمُؤَثِّرُ بِكُلِّ وَجْهِ وَعَلَى كُلِّ حَالٍ وَفِي كُلِّ حَضَرَةٍ هُوَ اللَّهُ، وَالْمُؤَثَّرُ فِيهِ بِكُلِّ وَجْهِ وَعَلَى كُلِّ حَالٍ وَفِي كُلِّ حَضَرَةٍ هُوَ الْعَالَمُ.

فَإِذَا وَرَدَ [أَيِ الْوَارِدِ الْإِلَهِيِّ] فَالْحَقُّ كُلُّ شَيْءٍ بِأَصْلِهِ الَّذِي يُنَاسِبُهُ، فَإِنَّ الْوَارِدَ أَبَدًا لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ قَرَعًا عَنْ أَصْلٍ.

كَمَا كَانَتِ الْمَحَبَّةُ الْإِلَهِيَّةُ عَنِ التَّوَافُلِ مِنَ الْعَبْدِ.

فَهَذَا أَثَرُ بَيْنَ مُؤَثَّرٍ (وَمُؤَثِّرٍ) فِيهِ (وَبَيْنَ مُؤَثَّرٍ فِيهِ - خ) كَانَ (كَمَا كَانَ -
(خ) الْحَقُّ سَمِعَ الْعَبْدَ وَبَصَرَهُ وَقَوَاهُ عَنْ هَذِهِ الْمَحَبَّةِ. فَهَذَا أَثَرُ مُفَرَّرٍ لَا تَقْدِرُ
عَلَى إِنْكَارِهِ لِثُبُوتِهِ شَرْعاً إِنْ كُنْتَ مُؤْمِناً.

وَأَمَّا الْعَقْلُ السَّلِيمُ فَهُوَ إِذَا صَاحِبٌ تَجَلَّى إِلَهِي فِي مَجْلَى طَبِيعِي فَيَعْرِفُ
مَا قُلْتَاهُ، وَإِنَّمَا مُؤْمِنٌ مُسْلِمٌ يُؤْمِنُ بِهِ كَمَا وَرَدَ فِي الصَّحِيحِ.

وَلَا بُدَّ مِنْ سُلْطَانِ الْوَهْمِ أَنْ يَخْضَعَ عَلَى الْعَاقِلِ الْبَاحِثِ فِيمَا جَاءَ بِهِ
الْحَقُّ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ لِأَنَّهُ مُؤْمِنٌ بِهَا.

وَأَمَّا غَيْرُ الْمُؤْمِنِ فَيَخْضَعُ عَلَى الْوَهْمِ بِالْوَهْمِ فَيَتَحَيَّلُ بِنَظَرِهِ الْفِكْرِي أَنَّهُ
قَدْ أَحَالَ عَلَى اللَّهِ مَا أَعْطَاهُ ذَلِكَ التَّجَلِّي فِي الرُّؤْيَا، وَالْوَهْمُ فِي ذَلِكَ لَا
يُفَارِقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ لِعَقْلَانِهِ (بِغَفْلَتِهِ - خ) عَنْ نَفْسِهِ.

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَدْعُوهُ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]. قَالَ
تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾
[البقرة: ١٨٦] إِذْ لَا يَكُونُ مُجِيباً إِلَّا إِذَا كَانَ مَنْ يَدْعُوهُ. (يَدْعُوهُ غَيْرُهُ - خ).

وَإِنْ كَانَ عَيْنُ الدَّاعِي عَيْنَ الْمُجِيبِ، فَلَا خِلَافَ فِي اخْتِلَافِ الصُّورِ،
فَهُمَا صُورَتَانِ بِلا شَكٍّ.

وَتِلْكَ الصُّورُ كُلُّهَا كَالْأَعْضَاءِ لَزِيدٍ: فَمَعْلُومٌ أَنَّ زَيْدًا حَقِيقَةً وَاحِدَةً
شَخْصِيَّةً، وَأَنَّ يَدَهُ لَيْسَتْ صُورَةً رِجْلِهِ وَلَا رَأْسِهِ وَلَا عَيْنِهِ وَلَا حَاجِبِهِ. فَهُوَ
الكَثِيرُ الْوَاحِدُ، الْكَثِيرُ بِالصُّورِ، الْوَاحِدُ بِالْعَيْنِ (وَالوَاحِدُ بِالْعَيْنِ - خ).

وَكَاالْإِنْسَانِ بِالْعَيْنِ وَاحِدٌ (وَكَاالْإِنْسَانِ وَاحِدٌ بِالْعَيْنِ - خ) بِلا شَكٍّ. وَلَا

شَكُّ أَنْ عَمراً مَا هُوَ زَيْدٌ وَلَا خَالِدٌ وَلَا جَعْفَرٌ، وَأَنَّ أَشْخَاصَ هَذِهِ الْعَيْنِ
الوَاحِدَةِ لَا تَتَنَاهَى وَجُوداً. فَهُوَ وَإِنْ كَانَ وَاحِداً بِالْعَيْنِ، فَهُوَ كَثِيرٌ بِالصُّورِ
وَالْأَشْخَاصِ.

وَقَدْ عَلِمْتَ قَطْعاً إِنْ كُنْتَ مُؤْمِناً أَنَّ الْحَقَّ عِنْدَهُ يَتَجَلَّى يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي
صُورَةٍ (بصورة - خ) فَيُعْرَفُ، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ فِي صُورَةٍ فَيُنْكَرُ، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ عَنْهَا
فِي صُورَةٍ فَيُعْرَفُ، وَهُوَ هُوَ الْمُتَجَلِّي - لَيْسَ غَيْرُهُ - فِي كُلِّ صُورَةٍ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ هَذِهِ الصُّورَةَ مَا هِيَ تِلْكَ الصُّورَةُ الْأُخْرَى: فَكَانَ الْعَيْنُ
الوَاحِدَةَ قَامَتْ مَقَامَ الْمِرَاةِ فَإِذَا نَظَرَ النَّاطِرُ فِيهَا إِلَى صُورَةٍ مُعْتَقِدِهِ فِي اللَّهِ
عَرَفَهُ فَأَثَرٌ بِهِ. وَإِذَا اتَّفَقَ أَنْ يَرَى فِيهَا مُعْتَقَدَ غَيْرِهِ أُنْكَرَهُ، كَمَا يَرَى فِي الْمِرَاةِ
صُورَتَهُ وَصُورَةَ غَيْرِهِ فَالْمِرَاةُ عَيْنٌ وَاحِدَةٌ وَالصُّورُ كَثِيرَةٌ فِي عَيْنِ الرَّائِي،
وَلَيْسَ فِي الْمِرَاةِ صُورَةٌ مِنْهَا جُمْلَةً وَاحِدَةً.

مَعَ كَوْنِ الْمِرَاةِ لَهَا أَثَرٌ فِي الصُّورِ بِوَجْهِهِ، وَمَا لَهَا أَثَرٌ بِوَجْهِهِ: فَلَا أَثَرَ
الَّذِي لَهَا كَوْنُهَا تَرُدُّ الصُّورَةَ مُتَغَيِّرَةً الشَّكْلَ مِنَ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ وَالطُّوْلِ
وَالْعَرْضِ؛ فَلَهَا أَثَرٌ فِي الْمَقَادِيرِ، وَذَلِكَ رَاجِعٌ إِلَيْهَا.

وَلَيْنَمَا كَانَتْ هَذِهِ التَّغْيِيرَاتُ مِنْهَا لاختِلَافِ مَقَادِيرِ الْمَرَائِي.

فَانْظُرْ فِي الْمِثَالِ مِرَاةً وَاحِدَةً مِنْ هَذِهِ الْمَرَائِي (المرايا - خ)، لَا تَنْظُرُ
الْجَمَاعَةُ، وَهُوَ نَظْرُكَ مِنْ حَيْثُ كَوْنِهِ ذَاتاً: فَهُوَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ؛ وَمِنْ
حَيْثُ الْأَسْمَاءِ الْإِلَهِيَّةِ فَذَلِكَ الْوَقْتُ يَكُونُ كَالْمَرَائِي (كالمرايا - خ).

فَأَيُّ اسْمٍ إِلَهِيٍّ نَظَرْتَ فِيهِ نَفْسُكَ (نَظَرْتَ فِيهِ نَفْسُكَ - خ) أَوْ مَنْ نَظَرَ،
فَلَيْنَمَا يَظْهَرُ لِلنَّاطِرِ (فِي النَّاطِرِ - خ) حَقِيقَةُ ذَلِكَ الْاسْمِ.

فَهَكَذَا هُوَ الْأَمْرُ إِنْ فَهِمْتَ.

فَلَا تَجْزَغْ وَلَا تَخَفْ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الشَّجَاعَةَ وَلَوْ عَلَى قَتْلِ حَيَّةٍ .
وَلَيْسَتْ الْحَيَّةُ سِوَى نَفْسِكَ . وَالْحَيَّةُ حَيَّةٌ لِنَفْسِهَا بِالصُّورَةِ وَالْحَقِيقَةِ .
وَالشَّيْءُ لَا يُقْتَلُ عَنْ نَفْسِهِ . وَإِنْ أُفْسِدَتِ الصُّورَةُ فِي الْجَسَدِ فَإِنَّ الْحَدَّ
يُضْبِطُهَا وَالْحَيَالُ لَا يُزِيلُهَا .

وإذا (فإذا - خ) كَانَ الْأَمْرُ عَلَى هَذَا فَهَذَا هُوَ الْأَمَانُ عَلَى الذَّوَاتِ
وَالْعِزَّةِ وَالْمَنْعَةِ، فَإِنَّكَ لَا تَقْدِرُ عَلَى إِفْسَادِ الْحُدُودِ . وَأَيُّ عِزَّةٍ أَعْظَمُ مِنْ هَذِهِ
الْعِزَّةِ؟

فَتَحْتَخِيلُ بِالْوَهْمِ أَنَّكَ قَتَلْتَ، وَبِالْعَقْلِ وَالْوَهْمِ لَمْ تَزَلِ الصُّورَةَ مُوجُودَةً
فِي الْحَدِّ .

وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّكَ اللَّهُ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧] .
وَالْعَيْنُ مَا أَدْرَكَتْ إِلَّا الصُّورَةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ الَّتِي ثَبَتَ لَهَا الرَّمْيُ فِي
الْجِسْنِ، وَهِيَ الَّتِي نَعَى اللَّهُ الرَّمْيَ عَنْهَا أَوَّلًا ثُمَّ أَثْبَتَهُ لَهَا وَسَطًا، ثُمَّ عَادَ
بِالْإِسْتِدْرَاكِ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّامِي فِي صُورَةِ مُحَمَّدِيَّةٍ، وَلَا بُدَّ مِنَ الْإِيمَانِ بِهَذَا .

فَأَنْظُرْ إِلَى هَذَا الْمُؤَثِّرِ حَتَّى أَنْزَلَ الْحَقُّ (الْحَقُّ - خ) فِي صُورَةِ
مُحَمَّدِيَّةٍ . وَأَخْبَرَ الْحَقُّ نَفْسَهُ عِبَادَهُ بِذَلِكَ، فَمَا قَالَ أَحَدٌ مَتَى عَنْهُ ذَلِكَ بَلْ هُوَ
قَالَ عَنْ نَفْسِهِ، وَخَبَرَهُ صِدْقٌ وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، سِوَاءِ أَدْرَكَتْ عِلْمٌ مَا قَالَ
أَوْ لَمْ تَدْرِكْهُ؛ فَإِمَّا عَالِمٌ، وَإِمَّا مُسْلِمٌ مُؤْمِنٌ .

وَمِمَّا يَذَلُّكَ عَلَى ضَعْفِ النَّظَرِ الْعَقْلِيِّ مِنْ خَيْفِ فِكْرِهِ، كَوْنُ الْعَقْلِ يَحْكُمُ
عَلَى الْعِلَّةِ أَنَّهَا لَا تَكُونُ مَعْلُولَةً لِمَنْ هِيَ عِلَّةٌ لَهُ هَذَا حُكْمُ الْعَقْلِ لَا خَفَاءَ بِهِ وَمَا
فِي عِلْمِ التَّجَلِّيِ إِلَّا هَذَا وَهُوَ أَنَّ الْعِلَّةَ تَكُونُ مَعْلُولَةً لِمَنْ هِيَ عِلَّةٌ لَهُ .

وَالَّذِي حَكَمَ بِهِ الْعَقْلُ صَحِيحٌ مَعَ التَّحْرِيرِ فِي النَّظَرِ؛ وَغَايَتُهُ فِي ذَلِكَ أَنْ يَقُولَ إِذَا رَأَى الْأَمْرَ عَلَى خِلَافٍ مَا أَعْطَاهُ الدَّلِيلُ النَّظَرِيُّ؛ إِنَّ الْعَيْنَ بَعْدَ أَنْ ثَبَتَ أَنَّهَا وَاحِدَةٌ فِي هَذَا الْكَثِيرِ، فَمِنْ حَيْثُ هِيَ عِلَّةٌ فِي صُورَةٍ مِنْ هَذِهِ الصُّوَرِ لِمَعْلُولٍ مَا، فَلَا تَكُونُ مَعْلُولَةً لِمَعْلُولِهَا، فِي حَالِ كَوْنِهَا عِلَّةً، بَلْ يَنْتَقِلُ الْحُكْمُ بِانْتِقَالِهَا فِي الصُّوَرِ، فَتَكُونُ مَعْلُولَةً لِمَعْلُولِهَا، فَيَصِيرُ مَعْلُولُهَا عِلَّةً لَهَا. هَذَا غَايَتُهُ إِذَا كَانَ قَدْ رَأَى الْأَمْرَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَقِفْ مَعَ نَظَرِهِ الْفِكْرِيِّ.

وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ فِي الْعِلِّيَّةِ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ، فَمَا ظَنُّكَ بِاتِّسَاعِ النَّظَرِ الْعَقْلِيِّ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَضِيِّ؟

فَلَا أَعْقَلَ مِنَ الرُّسُلِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَقَدْ جَاؤُوا بِمَا جَاؤُوا بِهِ فِي (من - خ) الْحَبَرِ عَنِ الْجَنَابِ الْإِلَهِيِّ، فَأُثْبِتُوا مَا أُثْبِتَهُ الْعَقْلُ وَزَادُوا بِمَا (في ما - خ، وزادوا ما - خ) لَا يَسْتَقِلُّ الْعَقْلُ بِإِدْرَاكِهِ وَمَا يُحِيلُهُ الْعَقْلُ رَأْسًا وَيُقِرُّ بِهِ فِي التَّجَلِّيِ الْإِلَهِيِّ.

فَإِذَا خَلَا بَعْدَ التَّجَلِّيِ بِنَفْسِهِ حَارٍ فِيمَا رَأَى: فَإِنْ كَانَ عَبْدٌ رَبٌّ رَدَّ الْعَقْلَ إِلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ عَبْدٌ نَظَرَ رَدَّ إِلَى حُكْمِهِ.

وَهَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا مَا دَامَ فِي هَذِهِ النِّشَاءِ الدُّنْيَاوِيَّةِ (الدُّنْيَاوِيَّةُ - خ) مَحْجُوبًا عَنْ نِشَائِهِ الْأُخْرَاوِيَّةِ (الأُخْرَاوِيَّةُ - خ) فِي الدُّنْيَا. فَإِنَّ الْعَارِفِينَ يَظْهَرُونَ هَهُنَا كَأَنَّهُمْ فِي الصُّوَرِ الدُّنْيَاوِيَّةِ (الدُّنْيَا - خ) لِمَا يَخْرِي عَلَيْهِمْ مِنْ أَحْكَامِهَا، وَاللَّهُ تَعَالَى قَدْ حَقَّ لَهُمْ (حَوْلَهُمْ - خ) فِي بَوَاطِنِهِمْ فِي النِّشَاءِ الْأُخْرَاوِيَّةِ (الأُخْرَاوِيَّةُ - خ)، لَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ. فَهُمْ بِالصُّورَةِ مَجْهُولُونَ إِلَّا لِمَنْ (إِلَّا مَنْ - خ) كَشَفَ اللَّهُ عَنْ بَصِيرَتِهِ فَأَذْرَكَ.

فَمَا مِنْ عَارِفٍ بِاللَّهِ مِنْ حَيْثُ التَّجَلَّى إِلَهِهِ إِلَّا وَهُوَ عَلَى الشَّأَةِ
الْآخِرَةِ: قَدْ حُشِرَ فِي دُنْيَاهُ وَنُشِرَ مِنْ قَبْرِهِ؛ فَهُوَ يَرَى مَا لَا يَرُونَ وَيَشْهَدُ مَا لَا
يَشْهَدُونَ، عِنَايَةً مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِبَعْضِ عِبَادِهِ فِي ذَلِكَ.

فَمَنْ أَرَادَ الْعُثُورَ عَلَى هَذِهِ الْحِكْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ الْإِدْرِيَّةِ الَّتِي أَنْشَأَهَا اللَّهُ
نَشْأَتَيْنِ، فَكَانَ نَبِيًّا قَبْلَ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ رُفِعَ وَنَزَلَ رَسُولًا بَعْدَ ذَلِكَ،
فَجَمَعَ اللَّهُ لَهُ بَيْنَ الْمُنْرَلَتَيْنِ فَلَيَزِلَّ عَنْ حُكْمِ عَقْلِهِ إِلَى شَهْوَتِهِ، وَلَيَكُنْ
(لِيَكُونَ - خ) حَيَوَانًا مُطْلَقًا حَتَّى يَكْثِفَ مَا تَكْثِفُهُ كُلُّ دَايَةٍ مَا عَدَا الثَّقَلَيْنِ؛
فَحَيَيْنِيذٍ يَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ تَحَقَّقَ بِحَيَوَانِيَّتِهِ.

وَعَلَامَتُهُ عَلَامَتَانِ الْوَاحِدَةُ هَذَا الْكَشْفُ، فَيَرَى مَنْ يُعَذَّبُ فِي قَبْرِهِ وَمَنْ
يُنْعَمُ، وَيَرَى الْمَيِّتَ حَيًّا وَالصَّامِتَ مُتَكَلِّمًا وَالْقَاعِدَ مَاشِيًّا. وَالْعَلَامَةُ الثَّانِيَّةُ
الْخُرْسُ بِحَيْثُ إِنَّهُ لَوْ أَرَادَ أَنْ يَنْطِقَ بِمَا رَأَى لَمْ يَقْدِرْ فَحَيَيْنِيذٍ يَتَحَقَّقُ
بِحَيَوَانِيَّتِهِ. وَكَانَ لَنَا تَلْمِيذٌ قَدْ حَصَلَ لَهُ هَذَا الْكَشْفُ غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يُحْفَظْ عَلَيْهِ
الْخُرْسُ فَلَمْ يَتَحَقَّقْ بِحَيَوَانِيَّتِهِ. وَلَمَّا أَقَامَنِي اللَّهُ فِي هَذَا الْمَقَامِ تَحَقَّقْتُ
بِحَيَوَانِيَّتِي تَحَقُّقًا كَلِيًّا. فَكُنْتُ أَرَى وَأُرِيدُ أَنْ أَنْطِقَ (الْطُّقْ - خ) بِمَا أَشَاهِدُهُ
فَلَا أَسْتَطِيعُ؛ فَكُنْتُ لَا أَفْرُقُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْخُرْسِ الَّذِينَ لَا يَتَكَلَّمُونَ.

فَإِذَا تَحَقَّقَ بِمَا ذَكَرْنَاهُ انْتَقَلَ إِلَى أَنْ يَكُونَ عَقْلًا مُجَرَّدًا فِي غَيْرِ مَادَّةٍ
طَبِيعِيَّةٍ، فَيَشْهَدُ أُمُورًا هِيَ أَصُولٌ لِمَا يَظْهَرُ فِي الصُّورِ الطَّبِيعِيَّةِ (صُورِ الطَّبِيعَةِ
- خ) فَيَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ ظَهَرَ (يَظْهَر - خ) هَذَا الْحُكْمُ فِي الصُّورِ الطَّبِيعِيَّةِ (صُورِ
الطَّبِيعَةِ - خ) عِلْمًا ذَوْقِيًّا.

فَإِنْ كُوشِفَ عَلَى أَنَّ الطَّبِيعَةَ عَيْنُ نَفْسِ الرَّحْمَنِ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا.

وَأِنْ افْتَصَرَ مَعَهُ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ فَهَذَا الْقَدْرُ يَكْفِيهِ مِنَ الْمَعْرِفَةِ الْحَاكِمَةِ
عَلَى عَقْلِهِ: فَيَلْحَقُ بِالْعَارِفِينَ وَيَعْرِفُ عِنْدَ ذَلِكَ ذَوْقًا: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنْ
اللَّهُ قَتَلَهُمْ﴾ [الأنفال: ١٧].

وَمَا قَتَلَهُمْ إِلَّا الْحَدِيدُ وَالضَّارِبُ وَالَّذِي خَلَفَ هَذِهِ الصُّوَرِ (خَلَفَ هَذِهِ
الصُّوَر - خ) فَبِالْمَجْمُوعِ وَقَعَ الْقَتْلُ وَالرَّمْيُ، فَيُشَاهِدُ الْأُمُورَ بِأُصُولِهَا
وَصُورِهَا.

فَيَكُونُ تَامًا. فَإِنْ شَهِدَ النَّفْسَ كَانَ مَعَ التَّمَامِ كَامِلًا: فَلَا يَرَى إِلَّا اللَّهَ
سُبْحَانَهُ عَيْنَ مَا يَرَى. فَيَرَى الرَّائِي عَيْنَ الْمَرِيئِي. وَهَذَا الْقَدْرُ كَافٍ، وَاللَّهُ
الْمَوْفُقُ الْهَادِي (والهادي - خ).

الفص اللقماني

فص حكمة إحسانية في كلمة لقمانية

إذا شاء الإله يُريدُ رزقاً له فالكَوْنُ أَجْمَعُهُ غِذاءٌ
وإن شاء الإله يُريدُ رزماً لنا فهو الغداء كما يَشَاءُ (نشاء - خ)
مَشِئَتُهُ إِرَادَتُهُ فَقُولُوا بها قد شَاءَهَا فَهِيَ الْمَشَاءُ
يُريدُ زيادةً وَيُريدُ نقصاً وَلَيْسَ مَشَاءَهُ إِلَّا الْمَشَاءُ
فهذا الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا فَحَقِّقْ وَمِنْ وَجْهِ فَعِيْثُهُمَا سَوَاءٌ
قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ [لقمان: ١٢] ﴿وَمَنْ يُؤْتَ
الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]. فَلُقْمَانُ بِالنِّصِّ ذُو الْخَيْرِ
الكَثِيرِ بِشَهَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ بِذَلِكَ. وَالْحِكْمَةُ قَدْ تَكُونُ مُتْلَفَظًا بِهَا وَقَدْ تَكُونُ
مَسْكُوتًا عَنْهَا.

مِثْلُ قَوْلِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ: ﴿يَبْنِيْ اِئْتِمًا إِنْ تَكُ مِنْقَالَ حَبْرٍ مِنْ خَرَدَلٍ فَتَكُنْ
فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَكِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِي بِهَا اللهُ﴾ [لقمان: ١٦]. فَهَذِهِ حِكْمَةٌ
مَنْطُوقٌ بِهَا، وَهِيَ أَنْ جَعَلَ اللهُ هُوَ الْآتِيَّ بِهَا، وَقَرَّرَ ذَلِكَ اللهُ فِي كِتَابِهِ، وَلَمْ
يَرُدَّ هَذَا الْقَوْلَ عَلَى قَائِلِهِ.

وَأَمَّا الْحِكْمَةُ الْمَسْكُوتُ عَنْهَا وَقَدْ عَلِمَتْ بِقَرِيْنَةِ الْحَالِ، فَكَوْنُهُ سَكَتٌ
عَنِ الْمُؤْتَى إِلَيْهِ بِتِلْكَ الْحَبَّةِ، فَمَا ذَكَرَهُ وَمَا قَالَ لِابْنِهِ يَأْتِي بِهَا اللهُ إِلَيْكَ وَلَا
إِلَى غَيْرِكَ، فَأَرْسَلَ الْإِثْنَانِ عَامًّا وَجَعَلَ الْمُؤْتَى بِهِ فِي السَّمَوَاتِ إِنْ كَانَ، أَوْ

فِي الْأَرْضِ تَنْبِيهَا لِيَنْظُرَ النَّاطِرُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾
[الأنعام: ٣].

فَتَبَّهَ لِقَمَانٍ بِمَا تَكَلَّمَ بِهِ وَبِمَا سَكَتَ عَنْهُ أَنَّ الْحَقَّ عَيْنُ كُلِّ مَعْلُومٍ، لِأَنَّ
الْمَعْلُومَ أَعْمُ مِنَ الشَّيْءِ فَهُوَ أَتَكَرَّرُ التَّكَرَّاتِ.

ثُمَّ تَمَّ الْحِكْمَةَ وَاسْتَوْفَاهَا لِتَكُونَ الشَّأَةُ كَامِلَةً (الشَّأَةُ الْكَامِلَةُ - خ)
فِيهَا فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ» فَمِنْ لُطْفِهِ وَلَطَافَتِهِ (فَمِنْ لُطَافَتِهِ وَلُطْفِهِ - خ) أَنَّهُ
فِي الشَّيْءِ الْمُسَمَّى بِكَذَا الْمَخْدُودِ بِكَذَا عَيْنُ ذَلِكَ الشَّيْءِ، حَتَّى لَا يُقَالَ فِيهِ
إِلَّا مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ اسْمُهُ بِالتَّوَاطُؤِ وَالِاضْطِلَاحِ. فَيُقَالُ هَذَا سَمَاءٌ وَأَرْضٌ
وَصَخْرَةٌ وَشَجَرٌ وَحَيَوَانٌ وَمَلَكٌ وَرِزْقٌ وَطَعَامٌ. وَالْعَيْنُ وَاحِدَةٌ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ
وَفِيهِ.

كَمَا تَقُولُ الْأَشَاعِرَةُ إِنَّ الْعَالَمَ كُلَّهُ مُتَمَاثِلٌ بِالْجَوْهَرِ: فَهُوَ جَوْهَرٌ
وَاحِدٌ، فَهُوَ عَيْنُ قَوْلِنَا الْعَيْنُ وَاحِدَةٌ. ثُمَّ قَالَتْ: وَيَخْتَلِفُ بِالْأَعْرَاضِ، وَهُوَ
قَوْلُنَا وَيَخْتَلِفُ وَيَتَكَثَّرُ بِالصُّورِ وَالنِّسْبِ حَتَّى يَتَمَيَّزَ فَيُقَالُ هَذَا لَيْسَ هَذَا مِنْ
حَيْثُ صُورَتِهِ أَوْ عَرَضِهِ أَوْ مَزَاجِهِ كَيْفَ شِئْتَ فَقُلْ. وَهَذَا عَيْنُ هَذَا مِنْ حَيْثُ
جَوْهَرِهِ.

وَلِهَذَا يُؤْخَذُ عَيْنُ الْجَوْهَرِ فِي حَدِّ كُلِّ (فِي كُلِّ حَدٍّ - خ) صُورَةٍ
وَمِزَاجٍ، فَتَقُولُ نَحْنُ إِنَّهُ لَيْسَ سِوَى الْحَقِّ؛ وَيَظُنُّ الْمُتَكَلِّمُ أَنَّ مُسَمَّى الْجَوْهَرِ
وَإِنْ كَانَ حَقًّا، مَا هُوَ عَيْنُ الْحَقِّ الَّذِي يَطْلُعُهُ (يُطْلِعُهُ - خ) أَهْلُ الْكَشْفِ
وَالْتَّجَلِّي، فَهَذَا جُكْمُهُ كَوْنُهُ لَطِيفًا.

ثُمَّ نَعَتْ فَقَالَ: ﴿حَايِرٌ﴾ [لقمان: ١٦] أَيِ عَالِمٍ عَنِ اخْتِبَارٍ وَهُوَ قَوْلُهُ:

﴿وَلَتَبْلُوَنَّهُمْ حَتَّى تَعْلَمَ﴾ [محمد: ٣١]. وهذا هُوَ عِلْمُ الْأَذْوَاقِ. فَجَعَلَ الْحَقُّ نَفْسَهُ مَعَ عِلْمِهِ بِمَا هُوَ الْأَمْرُ عَلَيْهِ مُسْتَفِيداً عِلْماً. وَلَا تَقْدُرُ عَلَى إنْكَارِ مَا نَصَّ الْحَقُّ عَلَيْهِ فِي حَقِّ نَفْسِهِ. فَفَرَّقَ تَعَالَى مَا بَيْنَ عِلْمِ الذَّوْقِ وَالْعِلْمِ الْمُطْلَقِ.

فَعِلْمُ الذَّوْقِ مُقَيَّدٌ بِالْقُوَى. وَقَدْ قَالَ عَنْ نَفْسِهِ إِنَّهُ عَيْنُ قُوَى عَبْدِهِ فِي قَوْلِهِ: «كُنْتُ سَمْعَهُ»، وَهُوَ قُوَّةٌ مِنْ قُوَى الْعَبْدِ، «وَبَصَرَهُ» وَهُوَ قُوَّةٌ مِنْ قُوَى الْعَبْدِ، «وَلِسَانَهُ» وَهُوَ غُضُوٌّ مِنْ أَعْضَاءِ الْعَبْدِ، «وَرَجْلَهُ وَيَدَهُ» فَمَا افْتَصَرَ فِي التَّعْرِيفِ عَلَى الْقُوَى فَحَسِبَ حَتَّى ذَكَرَ الْأَعْضَاءَ: وَلَيْسَ الْعَبْدُ بِغَيْرِ هَذِهِ الْأَعْضَاءِ وَالْقُوَى. فَعَيْنُ مُسَمًّى الْعَبْدِ هُوَ الْحَقُّ، لَا عَيْنُ الْعَبْدِ هُوَ السَّيِّدُ.

فَإِنَّ النَّسَبَ مُتَمَيِّزَةٌ لِذَاتِهَا؛ وَلَيْسَ الْمَنْسُوبُ إِلَيْهِ مُتَمَيِّزاً، فَإِنَّهُ لَيْسَ ثَمَّةً (ثُمَّ - خ) سِوَى عَيْنِهِ فِي جَمِيعِ النَّسَبِ. فَهُوَ عَيْنٌ وَاحِدَةٌ ذَاتُ نِسَبٍ وَإِضَافَاتٍ وَصِفَاتٍ.

فَمِنْ (ثُمَّ فَمِنْ - خ) تَمَامِ حِكْمَةِ لُقْمَانَ فِي تَعْلِيمِهِ ابْنَهُ مَا جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مِنْ هَذَيْنِ الْأَسْمَيْنِ الْإِلَهِيَّيْنِ لَطِيفٌ خَبِيرٌ سَمًى بِهِمَا اللَّهُ تَعَالَى. فَلَوْ جَعَلَ ذَلِكَ فِي الْكَوْنِ - وَهُوَ الْوُجُودُ - فَقَالَ: «كَانَ» لَكَانَ أَتَمٌّ فِي الْحِكْمَةِ وَأَبْلَغَ. فَحَكِيَ اللَّهُ تَعَالَى قَوْلَ لُقْمَانَ عَلَى الْمَعْنَى كَمَا قَالَ لَمْ يَزِدْ عَلَيْهِ شَيْئاً.

وَإِنْ كَانَ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّكَ لِلَّهِ لَظِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ١٦] مِنْ قَوْلِ اللَّهِ - فَلَمَّا عَلِمَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ لُقْمَانَ أَنَّهُ لَوْ نَطَقَ مُتَمَمّاً لَتَمَّمَ بِهِذَا.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ﴾ [لقمان: ١٦] لِمَنْ هِيَ لَهُ غِذَاءٌ، وَلَيْسَ إِلَّا الذَّرَّةُ الْمَذْكُورَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ

حَيْرًا يَرُهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ يَشْقَالَ ذَرَّةً شَرًّا يَرُهُ ﴿ [الزلزلة: ٧ - ٨] فَهِيَ أَصْغَرُ مُتَعَدِّدٌ وَالْحَبَّةُ مِنَ الْخَزْدَلِ أَصْغَرُ غِذَاءٍ .

وَلَوْ كَانَ ثَمَّةَ (ثُمَّ - خ) أَصْغَرُ لَجَاءَ بِهِ كَمَا جَاءَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَعِيزُ أَنْ يُضْرَبَ مِثْلًا مَّا بَعُوضَةٌ﴾ [البقرة: ٢٦] ثُمَّ لَمَّا عَلِمَ أَنَّهُ ثَمَّ مَا هُوَ أَصْغَرُ مِنَ الْبَعُوضَةِ قَالَ: ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة: ٢٦] يَغْنِي فِي الصِّغَرِ . وَهَذَا قَوْلُ اللَّهِ - وَالَّتِي فِي «الزَّلْزَلَةِ» قَوْلُ اللَّهِ أَيْضًا . فَاعْلَمْ ذَلِكَ فَتَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَا اقْتَصَرَ عَلَى وَزْنِ الذَّرَّةِ وَثَمَّ (وَتَمَّةٌ - خ) مَا هُوَ أَصْغَرُ مِنْهَا ، فَإِنَّهُ جَاءَ بِذَلِكَ عَلَى الْمُبَالَغَةِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَأَمَّا تَصْغِيرُهُ اسْمَ ابْنِهِ فَتَصْغِيرُ رَحْمَةٍ وَلِهَذَا وَصَّاهُ بِمَا فِيهِ سَعَادَتُهُ إِذَا عَمِلَ بِذَلِكَ .

وَأَمَّا حِكْمَةُ وَصِيَّتِهِ فِي نَهْيِهِ إِيَّاهُ أَنْ ﴿لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] .

وَالْمُظْلُومُ الْمَقَامُ حَيْثُ نَعْتُهُ بِالْإِنْقِسَامِ .

وَهُوَ عَيْنٌ وَاحِدَةٌ ، فَإِنَّهُ لَا يُشْرِكُ مَعَهُ إِلَّا عَيْنُهُ وَهَذَا غَايَةُ الْجَهْلِ . وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الشَّخْصَ الَّذِي لَا مَعْرِفَةَ لَهُ بِالْأَمْرِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ وَلَا بِحَقِيقَةِ الشَّيْءِ إِذَا اخْتَلَفَتْ عَلَيْهِ الصُّورُ فِي الْعَيْنِ الْوَاحِدَةِ ، وَهُوَ لَا يَعْرِفُ أَنَّ ذَلِكَ الْإِخْتِلَافَ فِي عَيْنٍ وَاحِدَةٍ ، جَعَلَ الصُّورَةَ مُشَارِكَةً لِلْأُخْرَى فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ فَجَعَلَ لِكُلِّ صُورَةٍ جُزْءًا مِنْ ذَلِكَ الْمَقَامِ .

وَمَعْلُومٌ فِي الشَّرِيكَ أَنَّ الْأَمْرَ الَّذِي يَخْصُهُ مِمَّا وَقَعَتْ فِيهِ الْمُشَارَكَةُ لَيْسَ عَيْنُ الْآخَرِ الَّذِي شَارَكَهُ إِذْ هُوَ لِلْآخَرِ . فَإِذَا مَا ثَمَّةَ (مَا ثَمَّ - خ) شَرِيكَ

عَلَى الْحَقِيقَةِ، فَإِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ عَلَى حَظِّهِ مِمَّا قِيلَ فِيهِ إِنْ بَيْنَهُمَا مُشَارَكَةٌ فِيهِ .
وَسَبَبُ ذَلِكَ، الشَّرَكَةُ الْمُشَاعَةُ، وَإِنْ كَانَتْ مُشَاعَةً فَإِنَّ التَّصَرُّفَ
(التَّصْرِيفَ - خ) مِنْ أَحَدِهِمَا يُزِيلُ الْإِشَاعَةَ .
﴿قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ [الإسراء: ١١٠] هَذَا رُوحُ الْمَسْأَلَةِ .



الفص الهاروني

فص حكمة إمامية في كلمة هارونية

﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤] أَي خَلِيفَةً عَلَيْهِمْ.

اعْلَمُ أَنَّ وُجُودَ هَارُونَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ مِنْ حَضْرَةِ الرَّحْمُوتِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَوَهَبْنَا لَكَ مِنْ رَحْمَتِنَا﴾ [مريم: ٥٣] يَغْنِي لِمُوسَى: ﴿أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥٣]. فَكَانَتْ نُبُوءَتُهُ مِنْ حَضْرَةِ الرَّحْمُوتِ.

فَإِنَّهُ أَكْبَرُ مِنْ مُوسَى سِتًّا، وَكَانَ مُوسَى أَكْبَرَ مِنْهُ نُبُوءَةً. وَلَمَّا كَانَتْ نُبُوءَةُ هَارُونَ مِنْ حَضْرَةِ الرَّحْمَةِ، لِذَلِكَ قَالَ لِأَخِيهِ مُوسَى - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ -: ﴿يَبْنُومُ﴾ [طه: ٩٤]، فَتَادَاهُ بِأَمِّهِ لَا بِأَبِيهِ إِذْ كَانَتْ الرَّحْمَةُ لِلْأُمِّ دُونَ الْأَبِ أَوْفَرَ فِي الْحُكْمِ.

وَلَوْلَا تِلْكَ الرَّحْمَةُ مَا صَبَرَتْ عَلَى مُبَاشَرَةِ التَّرْبِيَةِ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾ [طه: ٩٤] ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِكَ الْأَعْدَاءَ﴾ [الاعراف: ١٥٠] فَهَذَا كُلُّهُ نَفْسٌ مِنْ أَنْفَاسِ الرَّحْمَةِ. وَسَبَبُ ذَلِكَ عَدَمُ التَّنَبُّتِ فِي النَّظَرِ فِيمَا كَانَ فِي يَدَيْهِ مِنَ الْأَلْوِاحِ الَّتِي أَلْفَاها مِنْ يَدَيْهِ.

فَلَوْ نَظَرَ فِيهَا نَظَرَ تَنَبُّتٍ لَوَجَدَ فِيهَا الْهُدَى وَالرَّحْمَةَ. فَالْهُدَى بَيَانُ مَا وَقَعَ مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي أَعْضَبَهُ مِمَّا هُوَ هَارُونَ بَرِيءٌ مِنْهُ. وَالرَّحْمَةُ بِأَخِيهِ، فَكَانَ لَا يَأْخُذُ بِلِحْيَتِهِ بِمَرَأَى مِنْ قَوْمِهِ مَعَ كِبَرِهِ وَأَنَّهُ أَسَنُ مِنْهُ. فَكَانَ ذَلِكَ مِنْ

هَارُونَ شَفَقَهُ عَلَى مُوسَى لِأَنَّهُ ثُبُوءَ هَارُونَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، فَلَا يَصْدُرُ مِنْهُ إِلَّا مِثْلُ هَذَا. ثُمَّ قَالَ هَارُونَ لِمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [طه: ٩٤] فَتَجْعَلَنِي سَبَبًا فِي تَفْرِيقِهِمْ فَإِنَّ عِبَادَةَ الْعِجْلِ فَرَّقَتْ بَيْنَهُمْ، فَكَانَ مِنْهُمْ مَنْ عَبَدَهُ أَتْبَاعًا لِلْسَامِرِيِّ وَتَقْلِيدًا لَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَوَقَّفَ عَنْ عِبَادَتِهِ حَتَّى يَرْجِعَ مُوسَى إِلَيْهِمْ فَيَسْأَلُونَهُ فِي ذَلِكَ. فَخَشِيَ هَارُونَ أَنْ يُنْسَبَ ذَلِكَ الْفُرْقَانُ بَيْنَهُمْ إِلَيْهِ، فَكَانَ (وَكَانَ - بَخ) مُوسَى أَعْلَمَ مِنْ هَارُونَ لِأَنَّهُ عَلِمَ مَا عَبَدَهُ أَصْحَابُ الْعِجْلِ لِعِلْمِهِ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ قَضَى أَنْ لَا يُعْبَدَ إِلَّا إِيَّاهُ: وَمَا حَكَمَ اللَّهُ بِشَيْءٍ إِلَّا وَقَعَ. فَكَانَ عَتَبُ مُوسَى أَخَاهُ هَارُونَ لِمَا وَقَعَ الْأَمْرُ فِي إِنْكَارِهِ وَعَدَمِ إِتْسَاعِهِ، فَإِنَّ الْعَارِفَ مَنْ يَرَى الْحَقَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ، بَلْ يَرَاهُ عَيْنَ كُلِّ شَيْءٍ. فَكَانَ مُوسَى يُرَبِّي هَارُونَ تَرْبِيَةً عِلْمٍ وَإِنْ كَانَ أَضْعَفَ مِنْهُ فِي السَّنِّ. وَلِذَلِكَ (وَلِذَا - خ) لَمَّا قَالَ لَهُ هَارُونَ مَا قَالَ، رَجَعَ إِلَى السَامِرِيِّ فَقَالَ لَهُ: ﴿فَمَا خَطْبُكَ يَسْمِرِيُّ﴾ [طه: ٩٥]؟ يَعْنِي فِيمَا صَنَعْتَ مِنْ عُذُولِكَ إِلَى صُورَةِ الْعِجْلِ عَلَى الْإِخْتِصَاصِ، وَصُنْعِكَ هَذَا الشَّبَحِ مِنْ حُلِيِّ الْقَوْمِ حَتَّى أَخَذْتَ بِقُلُوبِهِمْ مِنْ أَجْلِ أَمْوَالِهِمْ. فَإِنَّ عِيسَى يَقُولُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: «يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَلْبُ كُلِّ إِنْسَانٍ حَيْثُ مَالُهُ، فَاجْعَلُوا أَمْوَالَكُمْ فِي السَّمَاءِ تَكُنْ قُلُوبُكُمْ فِي السَّمَاءِ».

وَمَا سُمِّيَ الْمَالُ مَالًا إِلَّا لِكَوْنِهِ بِالذَّاتِ تَمِيلُ الْقُلُوبُ إِلَيْهِ بِالْعِبَادَةِ. فَهُوَ الْمَفْضُودُ الْأَعْظَمُ الْمَعْظَمُ (الْمُعْظَم - مَعًا) فِي الْقُلُوبِ لِمَا فِيهَا مِنَ الْإِفْتِقَارِ إِلَيْهِ.

وَلَيْسَ لِلصُّورِ بَقَاءٌ، فَلَا بُدَّ مِنْ ذَهَابِ صُورَةِ الْعِجْلِ لَوْ لَمْ يَسْتَعْجَلْ مُوسَى بِحَرْقِهِ. فَغَلَبَتْ عَلَيْهِ الْغَيْرَةُ فَحَرَّقَهُ ثُمَّ نَسَفَ رِمَادَ تِلْكَ الصُّورَةِ فِي الْيَمِّ

تَسْفًا وَقَالَ لَهُ: ﴿وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ﴾ [طه: ٩٧] وَسَمَاهُ (فَسَمَاهُ - خ) إِلَهًا
يَطْرُقُ التَّنْبِيهُ لِلتَّعْلِيمِ، لِمَا عَلِمَ أَنَّهُ بَعْضُ الْمَجَالِي الْإِلَهِيَّةِ.

(لَاخِرَتُهُ) فَإِنَّ حَيَوَانِيَّةَ الْإِنْسَانِ لَهَا التَّصَرُّفُ فِي حَيَوَانِيَّةِ الْحَيَوَانِ لِكَوْنِ
اللَّهِ سَخَّرَهَا لِلْإِنْسَانِ، وَلَا سِيَّمًا وَأَصْلُهُ لَيْسَ مِنْ حَيَوَانٍ، فَكَانَ أَعْظَمَ فِي
التَّسْخِيرِ لِأَنَّ غَيْرَ الْحَيَوَانِ مَا لَهُ إِرَادَةٌ بَلْ هُوَ بِحُكْمٍ مَنِ يَتَصَرَّفُ فِيهِ مِنْ غَيْرِ
إِبَاءَةٍ. وَأَمَّا الْحَيَوَانُ فَهُوَ ذُو إِرَادَةٍ وَعَرَضِ فَقَدْ يَقَعُ مِنْهُ الْإِبَاءَةُ فِي بَعْضِ
التَّضَرُّفِ: فَإِنْ كَانَ فِيهِ قُوَّةٌ أَظْهَرَ ذَلِكَ ظَهَرَ مِنْهُ الْجُمُوحُ لِمَا يُرِيدُهُ مِنْهُ
الْإِنْسَانُ. وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ (يَكُن - خ) هَذِهِ الْقُوَّةُ. أَوْ يُصَادَفُ عَرَضُ الْحَيَوَانِ
انْقَادًا مُذَلَّلًا لِمَا يُرِيدُهُ مِنْهُ، كَمَا يَتَقَادُ الْإِنْسَانُ مِثْلَهُ (يَتَقَادُ مِثْلَهُ - خ) لِأَمْرِ فِيمَا
رَفَعَهُ اللَّهُ بِهِ - مِنْ أَجْلِ الْمَالِ الَّذِي يَرْجُوهُ مِنْهُ - الْمُعَبِّرُ عَنْهُ فِي بَعْضِ
الْأَحْوَالِ بِالْأَجْرَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ
بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف: ٣٢] فَمَا يُسَخَّرُ لَهُ مَنْ هُوَ مِثْلُهُ إِلَّا مِنْ حَيَوَانِيَّةٍ لَا مِنْ
إِنْسَانِيَّةٍ.

فَإِنَّ الْمِثْلَيْنِ ضِدَّانِ، فَيُسَخَّرُهُ الْأَرْفَعُ فِي الْمَنْزِلَةِ بِالْمَالِ أَوْ بِالْجَاهِ
بِإِنْسَانِيَّةٍ وَيَتَسَخَّرُ لَهُ ذَلِكَ الْآخَرُ - إِمَّا خَوْفًا أَوْ طَمَعًا - مِنْ حَيَوَانِيَّةٍ لَا مِنْ
إِنْسَانِيَّةٍ.

فَمَا يُسَخَّرُ لَهُ مَنْ هُوَ مِثْلُهُ أَلَا تَرَى مَا بَيَّنَّ الْبَهَائِمُ مِنَ التَّحْرِيشِ لِأَنَّهَا
أَمْثَالُ؟ فَالْمِثْلَانِ ضِدَّانِ وَلِذَلِكَ قَالَ: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾
[الزخرف: ٣٢].

فَمَا هُوَ مَعَهُ فِي دَرَجَتِهِ. فَوَقَعَ التَّسْخِيرُ مِنْ أَجْلِ الدَّرَجَاتِ. وَالتَّسْخِيرُ
عَلَى قِسْمَيْنِ: تَسْخِيرٌ مُرَادٌ لِلْمُسَخَّرِ، اسْمٌ فَاعِلٌ قَاهِرٌ فِي تَسْخِيرِهِ لِهَذَا

الشَّخْصِ الْمُسَخَّرِ كَتَسْخِيرِ السَّيِّدِ لِعَبْدِهِ، وَإِنْ كَانَ مِثْلُهُ فِي الْإِنْسَانِيَّةِ، وَكَتَسْخِيرِ السُّلْطَانِ لِرَعَايَاهُ، وَإِنْ كَانُوا أَمْثَالاً لَهُ فِي الْإِنْسَانِيَّةِ فَيَسَخَّرُهُمْ بِالذَّرَجَةِ. وَالْقِسْمُ الْآخَرُ تَسْخِيرُ بِالْحَالِ كَتَسْخِيرِ الرِّعَايَا لِلْمَلِكِ الْقَائِمِ بِأَمْرِهِمْ فِي الذَّبِّ عَنْهُمْ وَحِمَايَتِهِمْ وَقِتَالِ مَنْ عَادَاهُمْ وَحِفْظِهِ أَمْوَالَهُمْ وَأَنْفُسَهُمْ عَلَيْهِمْ. وَهَذَا كُلُّهُ تَسْخِيرٌ بِالْحَالِ مِنَ الرِّعَايَا يُسَخَّرُونَ بِذَلِكَ مَلِكَهُمْ (مَلِكَهُمْ - خ)، وَيُسَمَّى عَلَى الْحَقِيقَةِ تَسْخِيرَ الْمَرْتَبَةِ.

فَالْمَرْتَبَةُ حَكَمَتْ عَلَيْهِ بِذَلِكَ. فَمَنْ الْمُلُوكُ مَنْ سَعَى لِنَفْسِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ عَرَفَ الْأَمْرَ فَعَلِمَ أَنَّهُ بِالْمَرْتَبَةِ فِي تَسْخِيرِ رَعَايَاهُ، فَعَلِمَ قَدْرَهُمْ وَحَقَّهُمْ، فَآجَزَهُ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ أَجَرَ الْعُلَمَاءِ بِالْأَمْرِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ وَأَجَزُ مِثْلِ هَذَا يَكُونُ عَلَى اللَّهِ فِي كَوْنِ اللَّهِ فِي شُؤْنِ عِبَادِهِ.

فَالْعَالَمُ كُلُّهُ مُسَخَّرٌ بِالْحَالِ مَنْ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُطْلَقَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مُسَخَّرٌ. قَالَ تَعَالَى: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].

فَكَانَ عَدَمُ قُوَّةِ إِرْدَاعِ هَارُونَ بِالْفِعْلِ أَنْ يَنْقُذَ فِي أَصْحَابِ الْعِجْلِ بِالتَّسْلِيْطِ عَلَى الْعِجْلِ كَمَا سَلَّطَ مُوسَى عَلَيْهِ، حِكْمَةً مِنَ اللَّهِ ظَاهِرَةً فِي الْوُجُودِ، لِيُعْبَدَ فِي كُلِّ صُورَةٍ. وَإِنْ ذَهَبَتْ تِلْكَ الصُّورَةُ بَعْدَ ذَلِكَ فَمَا ذَهَبَتْ إِلَّا بَعْدَمَا تَلَبَّسَتْ عِنْدَ عَابِدِهَا بِالْأُلُوهِيَّةِ.

وَلِهَذَا مَا بَقِيَ نَوْعٌ مِنَ الْأَنْوَاعِ إِلَّا وَعُبِدَ إِمَّا عِبَادَةً تَأْلُهُ وَإِمَّا عِبَادَةً تَسْخِيرُ فَلَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ لِمَنْ عَقَلَ.

وَمَا عُبِدَ شَيْءٌ مِنَ الْعَالَمِ إِلَّا بَعْدَ التَّلَبُّسِ بِالرُّفْعَةِ عِنْدَ الْعَابِدِ وَالظُّهُورِ بِالذَّرَجَةِ فِي قَلْبِهِ: وَلِذَلِكَ يُسَمَّى الْحَقُّ لَنَا بِرَفِيعِ الدَّرَجَاتِ، وَلَمْ يَقُلْ رَفِيعٌ

الدَّرَجَةِ. فَكَثُرَ الدَّرَجَاتُ فِي عَيْنِ وَاحِدَةٍ. فَإِنَّهُ قَضَى أَنْ لَا تُعْبَدَ إِلَّا إِيَّاهُ فِي دَرَجَاتٍ كَثِيرَةٍ مُخْتَلِفَةٍ أَعْطَتْ كُلَّ دَرَجَةٍ مَجْلَى إِلَهِيًّا عَبْدٌ فِيهَا. وَأَعْظَمُ مَجْلَى عَبْدٌ فِيهِ وَأَعْلَاهُ «الهوى» كَمَا قَالَ: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ﴾ [الجاثية: ٢٣] فَهُوَ (وهو - خ) أَعْظَمُ مُعْبُودٍ، فَإِنَّهُ لَا يُعْبَدُ شَيْءٌ إِلَّا بِهِ، وَلَا يُعْبَدُ هُوَ إِلَّا بِذَاتِهِ.

وَفِيهِ أَقُولُ:

وَحَقُّ الْهَوَى إِنْ الْهَوَى سَبَبُ الْهَوَى وَلَوْلَا الْهَوَى فِي الْقَلْبِ مَا عَبْدَ الْهَوَى
أَلَا تَرَى عِلْمَ اللَّهِ بِالْأَشْيَاءِ مَا أَكْمَلَهُ، كَيْفَ تَمَّ فِي حَقِّ مَنْ عَبْدَ هَوَاهُ
وَاتَّخَذَهُ إِلَهًا فَقَالَ: ﴿وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْرٍ﴾ [الجاثية: ٢٣] وَالضَّلَالَةُ الْحَيْرَةُ،
وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا رَأَى هَذَا الْعَابِدَ مَا عَبْدَ إِلَّا هَوَاهُ بَانْتِقَايَهُ (لَانْتِقَايَهُ - خ) لِيُطَاعِيَهُ
فِيمَا يَأْمُرُهُ مِنْ عِبَادَةٍ مِنْ عَبْدَهُ مِنَ الْأَشْخَاصِ.

حَتَّى أَنْ عِبَادَتَهُ لِلَّهِ كَانَتْ عَنْ هَوَى أَيْضًا، لِأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَقَعْ لَهُ فِي ذَلِكَ
الْجَانِبِ الْمُقَدَّسِ هَوَى - وَهُوَ الْإِرَادَةُ بِمُحِبَّتِهِ (بِمُحَبَّةٍ - خ) - مَا عَبْدَ (مَا عِنْدَ
- خ) اللَّهَ وَلَا آثَرَهُ عَلَى غَيْرِهِ.

وَكَذَلِكَ كُلُّ مَنْ عَبْدَ صُورَةً مَا مِنْ صُورِ الْعَالَمِ وَاتَّخَذَهَا إِلَهًا مَا اتَّخَذَهَا
إِلَّا بِالْهَوَى فَالْعَابِدُ لَا يَزَالُ تَحْتَ سُلْطَانِ هَوَاهُ.

ثُمَّ رَأَى الْمَعْبُودَاتِ تَتَنَوَّعُ فِي الْعَابِدِينَ، فَكُلُّ عَابِدٍ أَمْرًا مَا يُكْفَرُ مَنْ
يَعْبُدُ سِوَاهُ؛ وَالَّذِي عِنْدَهُ أَذْنَى تَنْبِيهِ يَحَارُ لِاتِّحَادِ الْهَوَى، بَلْ لِأَحَدِيَّةِ الْهَوَى،
فَإِنَّهُ عَيْنٌ وَاحِدَةٌ فِي كُلِّ عَابِدٍ.

﴿وَأَصْلَهُ اللَّهُ﴾ [الجاثية: ٢٣] (فَأَصْلَهُ اللَّهُ - خ) أَيْ حَيْرُهُ ﴿عَلَى عِلْرٍ﴾ [الجاثية: ٢٣] بِأَنَّ كُلَّ عَابِدٍ مَا عَبْدَ إِلَّا هَوَاهُ وَلَا اسْتَعْبَدَهُ إِلَّا هَوَاهُ سِوَاهُ صَادَفَ

الْأَمْرِ الْمَشْرُوعِ أَوْ لَمْ يُصَادَفْ. وَالْعَارِفُ الْمَكْمَلُ مَنْ رَأَى كُلَّ مَعْبُودٍ مَجْلَى
لِلْحَقِّ يَعْبُدُ فِيهِ.

وَلِذَلِكَ سَمَّوْهُ كُلُّهُمْ إِلَهًا مَعَ اسْمِهِ الْخَاصِّ تَحَجَّرَ أَوْ شَجَرَ أَوْ حَيَّوَانٍ أَوْ
إِنْسَانٍ أَوْ كَوْكَبٍ أَوْ مَلَكٍ. هَذَا اسْمُ الشَّخْصِيَّةِ فِيهِ.

وَالْأُلُوهِيَّةُ مَرْتَبَةٌ تَحْتَ الْعَابِدِ لَهُ أَنَّهَا مَرْتَبَةُ مَعْبُودِهِ، وَهِيَ عَلَى الْحَقِيقَةِ
مَجْلَى لِلْحَقِّ (الْحَقُّ - خ) لِيَبْصُرَ هَذَا الْعَابِدِ الْخَاصِّ الْمُعْتَكِفِ عَلَى هَذَا
الْمَعْبُودِ فِي هَذَا الْمَجْلَى الْمُخْتَصِّ. وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُ مَنْ عَرَفَ مَقَالَةَ جِهَالَةَ
﴿مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣] مَعَ تَسْمِيَّتِهِمْ إِيَّاهُمْ آلِهَةً.

حَتَّى قَالُوا: ﴿اجْعَلْ آلِهَةً إِلَهًا وَجِدًا إِنَّا هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]، فَمَا
أَتَكْرَهُ بَلَّ تَعَبُّوْا مِنْ ذَلِكَ، فَإِنَّهُمْ وَقَفُوا مَعَ كَثْرَةِ الصُّوَرِ وَنِسْبَةِ الْأُلُوهِيَّةِ
(الْأُلُوهَةُ - خ) لَهَا.

فَجَاءَ الرَّسُولُ وَدَعَاهُمْ إِلَى وَاحِدٍ يُعْرَفُ وَلَا يُشْهَدُ، بِشَهَادَتِهِمْ أَنَّهُمْ
أَثْبَتُوا عَنْدَهُمْ وَاعْتَقَدُوا فِي قَوْلِهِمْ: ﴿مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾
[الزمر: ٣].

لِعَلِّمِهِمْ بِأَنَّ تِلْكَ الصُّوَرَ حِجَارَةٌ. وَلِذَلِكَ قَامَتِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ:
﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ [الرعد: ٣٣] فَمَا يُسَمُّوْنَهُمْ إِلَّا بِمَا يَعْلَمُونَ أَنَّ تِلْكَ الْأَسْمَاءَ لَهُمْ
حَقِيقَةٌ.

وَأَمَّا الْعَارِفُونَ بِالْأَمْرِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ فَيُظْهِرُونَ بِصُورَةِ الْإِنْكَارِ لِمَا عُبِدَ
مِنَ الصُّوَرِ لِأَنَّ مَرْتَبَتَهُمْ فِي الْعِلْمِ تُعْطِيهِمْ أَنْ يَكُونُوا بِحُكْمِ الْوَقْتِ لِحُكْمِ
الرَّسُولِ الَّذِي آمَنُوا بِهِ عَلَيْهِمُ الَّذِي بِهِ سُمُّوا مُؤْمِنِينَ.

فَهُمْ عِبَادُ الْوَقْتِ مَعَ عَلَيْهِمُ بِأَنَّهُمْ مَا عَبَدُوا مِنْ تِلْكَ الصُّورِ أَغْيَانَهَا،
وَإِنَّمَا عَبَدُوا اللَّهَ فِيهَا بِحُكْمِ سُلْطَانِ التَّجَلِّي الَّذِي عَرَفُوهُ مِنْهُمْ، وَجِهَلُهُ
الْمُنَكِّرُ الَّذِي لَا عِلْمَ لَهُ بِمَا تَجَلَّى.

وَسَتَرَهُ (ويستره - خ) العارفُ المُكَمَّلُ مِنْ نَبِيِّ وَرَسُولٍ وَوَارِثٍ عَنْهُمْ.
فَأَمَرَهُمْ بِالْإِنْتِزَاحِ عَنْ تِلْكَ الصُّورِ لِمَا انْتَزَحَ عَنْهَا رَسُولُ الْوَقْتِ اتِّبَاعاً
لِلرَّسُولِ طَمَعاً فِي مَحَبَّةِ اللَّهِ إِيَّاهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي
يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

فَدَعَا إِلَى إِلَهٍ يُضَمَدُ إِلَيْهِ وَيُعْلَمُ مِنْ حَيْثُ الْجُمْلَةِ، وَلَا يُشْهَدُ وَ﴿لَا
تُذِرْكُهُ الْآبَصَرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] بَلْ ﴿وَهُوَ يَذَرُكَ الْآبَصَرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]
لِلطُّفَةِ وَسِرْيَانِهِ فِي أَغْيَانِ الْأَشْيَاءِ. فَلَا تُذَرِكُهُ الْأَبْصَارُ كَمَا أَنَّهَا لَا تُذَرِكُ
أَرْوَاحَهَا الْمُدْبِرَةَ أَشْبَاحَهَا وَصُورَهَا الظَّاهِرَةَ.

فَهُوَ ﴿اللطيفُ الخبيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].
وَالْخَبِيرَةُ ذَوْقٌ، وَالذَّوْقُ تَجَلٍّ، وَالتَّجَلِّي فِي الصُّورِ. فَلَا بُدَّ مِنْهَا وَلَا
بُدَّ مِنْهُ.

فَلَا بُدَّ أَنْ يَعْبُدَهُ مَنْ رَأَاهُ بِهِوَاهُ إِنْ فَهِمَتْ.

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَصَدُّ السَّبِيلِ﴾ [النحل: ٩].



الفص الموسوي

فص حكمة علوية في كلمة موسوية

حِكْمَةُ قُتِلِ الْأَنْبَاءِ مِنْ أَجْلِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَتَعُودَ إِلَيْهِ بِالْإِمْدَادِ حَيَاةَ كُلِّ مَنْ قُتِلَ لِأَجْلِهِ (من أجله - خ) لِأَنَّهُ قُتِلَ عَلَى أَنَّهُ مُوسَى . وَمَا نَمَّ جَهْلٌ ، فَلَا بُدَّ أَنْ تَعُودَ حَيَاتُهُ عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَعْنِي حَيَاةَ الْمَقْتُولِ مِنْ أَجْلِهِ (لأجله - خ) وَهِيَ حَيَاةٌ طَاهِرَةٌ عَلَى الْفِطْرَةِ لَمْ تُدَسَّسْهَا الْأَغْرَاضُ النَّفْسِيَّةُ ، بَلْ هِيَ عَلَى فِطْرَةِ «بَلَى» . فَكَانَ مُوسَى مَجْمُوعَ حَيَاةٍ مَنْ قُتِلَ عَلَى أَنَّهُ هُوَ ؛ فَكُلُّ مَا كَانَ مُهَيِّئًا لِذَلِكَ الْمَقْتُولِ مِمَّا كَانَ اسْتِعْدَادَ رُوحِهِ لَهُ ، كَانَ فِي مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وَهَذَا اخْتِصَاصٌ إِلَهِيٌّ لِمُوسَى (بموسى - خ) لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ قَبْلَهُ . فَإِنَّ حِكْمَ مُوسَى كَثِيرَةٌ فَأَنَا (وَأَنَا - خ) إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى أَسْرُدُ مِنْهَا فِي هَذَا الْبَابِ عَلَى قَدْرِ مَا يَقَعُ بِهِ الْأَمْرُ الْإِلَهِيُّ فِي خَاطِرِي .

فَكَانَ (وكان - خ) هَذَا أَوَّلَ مَا شُوفَهُتُ بِهِ مِنْ هَذَا الْبَابِ . فَمَا وُلِدَ مُوسَى إِلَّا وَهُوَ مَجْمُوعُ أَرْوَاحٍ كَثِيرَةٍ وَجَمْعُ قُوَى فَعَالَةٍ لِأَنَّ الصَّغِيرَ يَفْعَلُ فِي الْكَبِيرِ (بالكبير - خ) .

أَلَا تَرَى الطُّفْلَ (أَنَّ الطفل - خ) يَفْعَلُ فِي الْكَبِيرِ (بالكبير - خ) بِالْخَاصِيَّةِ فَيَنْزِلُ الْكَبِيرُ مِنْ رِيَاسَتِهِ إِلَيْهِ فَيَلَاعِبُهُ وَيُزَفِّقُ لَهُ وَيُظَهِّرُ لَهُ بِعَقْلِهِ . فَهُوَ تَحْتَ تَسْخِيرِهِ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ ؛ ثُمَّ يَسْغَلُهُ (شغله - خ) بِتَرْبِيَّتِهِ

وَجَمَانِيَّتِهِ وَتَفَقُّدِ مَصَالِحِهِ وَتَأْنِيْسِهِ حَتَّى لَا يَضِيقَ صَدْرُهُ . هَذَا كُلُّهُ مِنْ فِعْلِ
الصَّغِيرِ بِالْكَبِيرِ وَذَلِكَ لِقُوَّةِ الْمَقَامِ ، فَإِنَّ الصَّغِيرَ حَدِيثُ عَهْدٍ بِرَبِّهِ لِأَنَّهُ حَدِيثُ
التَّكْوِينِ وَالْكَبِيرُ أَبْعَدُ . فَمَنْ كَانَ مِنَ اللَّهِ أَقْرَبَ سَخَرَ مَنْ كَانَ مِنَ اللَّهِ أَبْعَدَ .
كَخَوَاصِّ الْمَلِكِ لِلْقُرْبِ مِنْهُ يُسَخَّرُونَ الْأَبْعَدِينَ .

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبْرُزُ بِنَفْسِهِ لِلْمَطَرِ إِذَا أَنْزَلَ
وَيَكْشِفُ رَأْسَهُ لَهُ حَتَّى يُصِيبَ مِنْهُ وَيَقُولُ إِنَّهُ حَدِيثُ عَهْدٍ بِرَبِّهِ . فَأَنْظُرْ إِلَى
هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ مِنْ هَذَا النَّبِيِّ مَا أَجَلَّهَا وَمَا أَغْلَاهَا وَأَوْضَحَهَا . فَقَدْ سَخَرَ
الْمَطَرُ أَفْضَلَ الْبَشَرِ لِقُرْبِهِ مِنْ رَبِّهِ فَكَانَ مِثْلَ الرَّسُولِ الَّذِي يُنْزَلُ إِلَيْهِ بِالْوَحْيِ
(يُنْزَلُ بِالْوَحْيِ عَلَيْهِ - خ) فَدَعَاهُ بِالْحَالِ بِذَاتِهِ فَبَرَزَ إِلَيْهِ لِيُصِيبَ مِنْهُ مَا أَتَاهُ بِهِ
مِنْ رَبِّهِ .

فَلَوْلَا مَا حُصِّلَتْ لَهُ مِنْهُ الْفَائِدَةُ الْإِلَهِيَّةُ بِمَا أَصَابَ مِنْهُ ، مَا بَرَزَ بِنَفْسِهِ
إِلَيْهِ .

فَهَذِهِ رِسَالَةٌ مَاءٍ جَعَلَ اللَّهُ مِنْهُ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ فَافْهَمْ .

وَأَمَّا حِكْمَةُ إِقَائِهِ فِي التَّابُوتِ وَرَمِيهِ فِي الْيَمِّ : فَالتَّابُوتُ نَاسُوتُهُ ، وَالْيَمُّ
مَا حَصَلَ لَهُ مِنَ الْعِلْمِ بِوَاسِطَةِ هَذَا الْجِسْمِ مِمَّا أَعْطَتْهُ الْقُوَّةُ النَّظَرِيَّةُ الْفِكْرِيَّةُ
وَالْقُوَّةُ الْحَسِّيَّةُ وَالْخَيَالِيَّةُ الَّتِي لَا يَكُونُ شَيْءٌ مِنْهَا وَلَا مِنْ أَمْثَالِهَا لِهَذِهِ النَّفْسِ
الْإِنْسَانِيَّةِ إِلَّا بِوُجُودِ هَذَا الْجِسْمِ الْمُعْضَرِيِّ .

فَلَمَّا حَصَلَتْ النَّفْسُ فِي هَذَا الْجِسْمِ وَأُمِرَتْ بِالتَّصَرُّفِ فِيهِ وَتَذْيِيرِهِ ،
جَعَلَ اللَّهُ لَهَا هَذِهِ الْقُوَّةَ آلَاتٍ تَتَوَصَّلُ (لِتَتَوَصَّلَ ، يَتَوَصَّلُ - خ) بِهَا إِلَى مَا
أَرَادَهُ اللَّهُ مِنْهَا فِي تَذْيِيرِ هَذَا التَّابُوتِ الَّذِي فِيهِ سَكِينَتُهُ الرَّبِّ .

فَرَمِي بِهِ فِي الْيَمِّ لِيَحْضَلَ بِهِذِهِ الْقُوَى عَلَى فُنُونِ الْعِلْمِ .

فَاعْلَمْهُ بِذَلِكَ أَنَّهُ وَإِنْ كَانَ الرُّوحُ الْمُدَبِّرُ لَهُ هُوَ الْمَلَكُ ؛ فَإِنَّهُ لَا يُدَبِّرُهُ إِلَّا بِهِ ، فَأُصْحَبَهُ (فَأَصْبَحَهُ - خ) هَذِهِ الْقُوَى الْكَائِنَةُ فِي هَذَا النَّاسُوتِ الَّذِي عَبَّرَ (عَبَّرَ - معاً) عَنْهُ بِالتَّابُوتِ فِي بَابِ الْإِشَارَاتِ وَالْحُكَمِ .

كَذَلِكَ تَذْيِيرُ الْحَقِّ الْعَالَمِ فَإِنَّهُ مَا دَبَّرَهُ إِلَّا بِهِ أَوْ بِصُورَتِهِ .

فَمَا دَبَّرَهُ إِلَّا بِهِ كَتَوَفُّفِ الْوَلَدِ عَلَى إِيجَادِ الْوَالِدِ ، وَالْمُسْتَبَيَاتِ عَلَى أَسْبَابِهَا ، وَالْمُشْرُوطَاتِ عَلَى شُرُوطِهَا ، وَالْمَعْلُولَاتِ عَلَى عِلَلِهَا ، وَالْمَذْلُولَاتِ عَلَى أَدِلَّتِهَا ، وَالْمُحَقَّقَاتِ عَلَى حَقَائِقِهَا . وَكُلُّ ذَلِكَ مِنَ الْعَالَمِ .

وَهُوَ تَذْيِيرُ الْحَقِّ فِيهِ فَمَا دَبَّرَهُ إِلَّا بِهِ .

وَأَمَّا قَوْلُنَا أَوْ بِصُورَتِهِ - أَغْنَى صُورَةَ الْعَالَمِ - فَأَغْنَى بِهِ الْأَسْمَاءَ الْحُسْنَى وَالصِّفَاتِ الْعُلَى الَّتِي تَسْمَى الْحَقُّ بِهَا وَأَنْصَفَ بِهَا .

فَمَا وَصَلَ إِلَيْنَا مِنْ اسْمٍ يُسَمَّى (تَسْمَى - معاً) بِهِ إِلَّا وَجَدْنَا مَعْنَى ذَلِكَ الْأَسْمِ رُوحَهُ فِي الْعَالَمِ . فَمَا دَبَّرَ الْعَالَمَ أَيْضاً إِلَّا بِصُورَةِ الْعَالَمِ .

وَلِذَلِكَ قَالَ فِي آدَمَ الَّذِي هُوَ الْبَرْنَامُجُ الْجَامِعُ لِنُعُوتِ الْحَاضِرَةِ الْإِلَهِيَّةِ الَّتِي هِيَ الذَّاتُ وَالصِّفَاتُ وَالْأَفْعَالُ : «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ» وَلَيْسَتْ صُورَتُهُ سِوَى الْحَضَرَةِ الْإِلَهِيَّةِ . فَأَوْجَدَ فِي هَذَا الْمُخْتَصَرِ الشَّرِيفِ الَّذِي هُوَ الْإِنْسَانُ الْكَامِلُ جَمِيعَ الْأَسْمَاءِ الْإِلَهِيَّةِ وَحَقَائِقِ مَا خَرَجَ عَنْهُ فِي عَالَمِ الْكَبِيرِ الْمُتَفَصِّلِ ، وَجَعَلَهُ رُوحاً لِلْعَالَمِ فَتَسَخَّرَ لَهُ الْعِلْمُ وَالسُّفُلُ لِكَمَالِ الصُّورَةِ .

فَكَمَا أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ فِي الْعَالَمِ (مِنَ الْعَالَمِ - خ) إِلَّا وَهُوَ يُسَبِّحُ اللَّهَ

يَحْفِدِهِ، كَذَلِكَ لَيْسَ شَيْءٌ فِي الْعَالَمِ (من العالم - خ) إِلَّا وَهُوَ مُسَخَّرٌ لِهَذَا
الْإِنْسَانِ لِمَا تُعْطِيهِ حَقِيقَةُ صُورَتِهِ.

فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾ [الجنابة: ١٣] فَكُلُّ مَا فِي الْعَالَمِ تَحْتَ تَسْخِيرِ الْإِنْسَانِ عِلْمَ ذَلِكَ مَنْ عِلْمُهُ - وَهُوَ
الْإِنْسَانُ الْكَامِلُ - وَجَهْلُ ذَلِكَ مَنْ جَهْلُهُ، وَهُوَ الْإِنْسَانُ الْحَيَوَانُ.

فَكَانَتْ صُورَةُ إِلْقَاءِ مُوسَى فِي التَّابُوتِ، وَإِلْقَاءِ التَّابُوتِ فِي الْيَمِّ صُورَةُ
هَلَاكِ فِي الظَّاهِرِ وَفِي الْبَاطِنِ كَانَتْ نَجَاةً لَهُ مِنَ الْقَتْلِ. فَحَيَّيْ كَمَا تَحْيَا
(تُخَيِّ - معاً) النُّفُوسُ بِالْعِلْمِ مِنْ مَوْتِ الْجَهْلِ.

كَمَا قَالَ: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا﴾ [الأنعام: ١٢٢] يَعْنِي بِالْجَهْلِ ﴿فَأَحْيَيْنَاهُ﴾
[الأنعام: ١٢٢] يَعْنِي بِالْعِلْمِ، ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ [الأنعام: ١٢٢] وَهُوَ الْهُدَى، ﴿كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ [الأنعام: ١٢٢] وَهِيَ الضَّلَالُ
﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢] أَيْ لَا يَهْتَدِي أَبَدًا: فَإِنَّ الْأَمْرَ فِي نَفْسِهِ لَا
غَايَةَ لَهُ يُوقِفُ عِنْدَهَا.

فَالْهُدَى هُوَ أَنْ يَهْتَدِيَ الْإِنْسَانُ إِلَى الْحَيَرَةِ، فَيَعْلَمُ أَنَّ الْأَمْرَ حَيَرَةٌ.
وَالْحَيَرَةُ قَلَقٌ وَحَرَكَةٌ، وَالْحَرَكَةُ حَيَاةٌ، فَلَا سُكُونٌ، فَلَا مَوْتٌ؛
وَوُجُودٌ، فَلَا عَدَمٌ.

وَكَذَلِكَ فِي الْمَاءِ الَّذِي بِهِ حَيَاةُ الْأَرْضِ وَحَرَكَتُهَا، قَوْلُهُ تَعَالَى:
﴿أَمَرْتَنِي﴾ [الحج: ٥] وَحَفَلْتُهَا، قَوْلُهُ: ﴿وَرَبَّتْ﴾ [الحج: ٥] وَوَلَدْتُهَا قَوْلُهُ:
﴿وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهَيْجٍ﴾ [الحج: ٥]. أَيْ أَنَّهَا مَا وَلَدَتْ إِلَّا مَنْ (مَا -
خ) يُشَبِّهُهَا أَيْ طَبِيعِيًّا مِثْلَهَا. فَكَانَتْ الزَّوْجِيَّةُ الَّتِي هِيَ الشَّفَعِيَّةُ لَهَا بِمَا تَوْلَدُ
مِنْهَا وَظَهَرَ عَنْهَا.

كَذَلِكَ وَجُودَ الْحَقِّ كَانَتْ الْكَثْرَةُ لَهُ وَتَعَدُّ الْأَسْمَاءِ أَنَّهُ كَذَا وَكَذَا، بِمَا
ظَهَرَ عَنْهُ مِنَ الْعَالَمِ الَّذِي يَطْلُبُ بِنَشْأَتِهِ حَقَائِقَ الْأَسْمَاءِ الْإِلَهِيَّةِ.
فَبَيَّنَتْ (فِيئِت - خ) بِهِ وَبِخَالِقِهِ أَحَدِيَّةَ الْكَثْرَةِ.

وَقَدْ كَانَ أَحَدِيَّ الْعَيْنِ مِنْ حَيْثُ ذَاتِهِ كَالْجَوْهَرِ الْهَيُولَانِيِّ أَحَدِيَّ الْعَيْنِ
مِنْ حَيْثُ ذَاتِهِ كَثِيرٌ بِالصُّورِ الظَّاهِرَةِ فِيهِ الَّذِي هُوَ حَامِلٌ لَهَا بِذَاتِهِ.
كَذَلِكَ الْحَقُّ بِمَا ظَهَرَ مِنْهُ مِنْ صُورِ التَّجَلِّيِّ، فَكَانَ الْحَقُّ مَجْلَى صُورِ
الْعَالَمِ مَعَ الْأَحَدِيَّةِ الْمَعْقُولَةِ.

فَانْظُرْ مَا أَحْسَنَ هَذَا التَّعْلِيمَ الْإِلَهِيَّ الَّذِي خَصَّ اللَّهَ بِالْإِطْلَاعِ عَلَيْهِ مَنْ
شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ.

وَلَمَّا وَجَدَهُ آلُ فِرْعَوْنَ فِي الْيَمِّ عِنْدَ الشَّجَرَةِ سَمَاهُ فِرْعَوْنُ مُوسَى:
وَالْمَوْ هُوَ الْمَاءُ بِالْقَبْطِيَّةِ، وَالسَّاهُو الشَّجَرُ فَسَمَاهُ بِمَا وَجَدَهُ عِنْدَهُ، فَإِنَّ
التَّابُوتَ وَقَفَ عِنْدَ الشَّجَرَةِ فِي الْيَمِّ. فَأَرَادَ قَتْلَهُ فَقَالَتْ امْرَأَتُهُ - وَكَانَتْ مُنْطَلِقَةً
بِالنُّطْقِ الْإِلَهِيِّ - فِيمَا قَالَتْ لِفِرْعَوْنَ، إِذْ كَانَ اللَّهُ خَلَقَهَا لِلْكَمَالِ كَمَا قَالَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْهَا حَيْثُ شَهِدَ لَهَا وَلِمَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ بِالْكَمَالِ الَّذِي هُوَ
لِلذِّكْرَانِ، فَقَالَتْ لِفِرْعَوْنَ فِي حَقِّ مُوسَى: ﴿فَرَّثُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ﴾ [الفصص: ٩].

فَبِهِ قَرَّثَ عَيْنُهَا بِالْكَمَالِ الَّذِي حَصَلَ لَهَا كَمَا قُلْنَا؛ وَكَانَ قُرَّةَ عَيْنٍ
لِفِرْعَوْنَ بِالْإِيمَانِ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ عِنْدَ الْغَرَقِ.

فَقَبَضَهُ طَاهِرًا مُطَهَّرًا لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الْخُبْثِ لِأَنَّهُ قَبَضَهُ عِنْدَ إِيْمَانِهِ
قَبْلَ أَنْ يَكْتَسِبَ شَيْئًا مِنَ الْآثَامِ. وَالْإِسْلَامُ يُجِبُّ مَا قَبْلَهُ. وَجَعَلَهُ آيَةً عَلَى
عِبَادَتِهِ سُبْحَانَهُ لِمَنْ (بِئْسَ - خ) شَاءَ حَتَّى لَا يَبْأَسَ أَحَدٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ﴿إِنَّهُ
لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْفَقْرُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧] فَلَوْ كَانَ فِرْعَوْنُ مِمَّنْ

يَأْسُ مَا بَادَرَ إِلَى الْإِيمَانِ .

فَكَانَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَمَا قَالَتْ امْرَأَةٌ فِرْعَوْنَ فِيهِ : ﴿قُرْتُ عَيْنِي لِي
وَلَكَّ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَبْعَثَنَا﴾ [الفصص: ٩] . وَكَذَلِكَ وَقَعَ فَإِنَّ اللَّهَ نَفَعَهُمَا بِهِ
عَلَيْهِ السَّلَامُ وَإِنْ كَانَ مَا شَعَرَا بِأَنَّهُ هُوَ النَّبِيُّ الَّذِي يَكُونُ عَلَى يَدَيْهِ هَلَاكُ مُلْكِ
فِرْعَوْنَ وَهَلَاكُ آلِهِ . وَلَمَّا عَصَمَهُ اللَّهُ مِنْ فِرْعَوْنَ ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى
قَرِيضًا﴾ [الفصص: ١٠] مِنْ أَلَمِ الَّذِي كَانَ قَدْ أَصَابَهَا .

ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ حَتَّى أَقْبَلَ عَلَى تَذْيِ أُمِّهِ فَأَرْضَعَتْهُ
لِيُكْمَلَ اللَّهُ لَهَا سُرُورَهَا بِهِ .

كَذَلِكَ عِلْمُ الشَّرَائِعِ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً﴾
[المائدة: ٤٨] - أَيْ طَرِيقًا - ﴿وَمِنْهَا جَاءَ﴾ [المائدة: ٤٨] . وَمِنْهَا جَاءَ أَيْ مِنْ تِلْكَ
الطَّرِيقَةِ جَاءَ . فَكَانَ هَذَا الْقَوْلُ إِشَارَةً إِلَى الْأَصْلِ الَّذِي مِنْهُ جَاءَ .

فَهُوَ غِذَاؤُهُ كَمَا أَنَّ فَرْعَ الشَّجَرَةِ لَا يَتَغَذَّى إِلَّا مِنْ أَصْلِهِ .

فَمَا كَانَ حَرَامًا فِي شَرْعٍ يَكُونُ حَلَالًا فِي شَرْعٍ آخَرَ يَعْنِي فِي الصُّورَةِ :
أَغْنَى قَوْلِي يَكُونُ حَلَالًا ، وَفِي نَفْسِ الْأَمْرِ مَا هُوَ عَيْنُ مَا مَضَى ، لِأَنَّ الْأَمْرَ
خَلَقَ جَدِيدَ (خَلَقَ جَدِيدَ - مَعًا) وَلَا تَكَرَّرَ . فَلِهَذَا بَنَيْنَاكَ .

فَكَتَى عَنْ هَذَا فِي حَقِّ مُوسَى بِتَحْرِيمِ الْمَرَاضِعِ .

فَأَمُّهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ مَنْ أَرْضَعَتْهُ لَا مَنْ وَلَدَتْهُ ، فَإِنَّ أُمَّ الْوِلَادَةِ حَمَلَتْهُ
عَلَى جِهَةِ الْأَمَانَةِ فَتَكُونُ فِيهَا وَتَعْدَى بِدَمِ طَمُئِهَا مِنْ غَيْرِ إِرَادَةٍ لَهَا فِي ذَلِكَ
حَتَّى لَا يَكُونُ لَهَا عَلَيْهِ امْتِنَانٌ ، فَإِنَّهُ مَا تَعْدَى إِلَّا بِمَا لَوْ لَمْ يَتَعَدَّ بِهِ وَلَمْ يَخْرُجْ
عَنْهَا ذَلِكَ الدَّمُ لَاهْلَكَهَا . وَأَمْرُضَهَا ، فَلِلْجَنِينِ الْمِئْتَةُ عَلَى أُمِّهِ بِكَوْنِهِ تَعْدَى

بِذَلِكَ الدِّمِ فَوْقَهَا بِنَفْسِهِ مِنَ الضَّرَرِ الَّذِي كَانَتْ تَجِدُهُ لَوْ اَمْتَسَكَ هَذَا الدِّمُ عِنْدَهَا وَلَا يَخْرُجَ وَلَا يَتَغَدَّى بِهِ جَنِينُهَا وَالْمُرْضِعَةُ لَبَسَتْ كَذَلِكَ. فَإِنَّهَا قَصَدَتْ بِرِضَاعَتِهِ حَيَاتَهُ وَإِبْقَاءَهُ. فَجَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ لِمُوسَى فِي أُمِّهِ وَلَدَاتِهِ، فَلَمْ يَكُنْ لَامْرَأَةٍ عَلَيْهِ فَضْلٌ إِلَّا لَأُمِّهِ وَلَدَاتِهِ لَتَقَرَّ عَيْنُهَا أَيْضاً بِتَرْبِيَّتِهِ وَتُشَاهِدَ انْتِشَاءَهُ فِي حَجَرِهَا، ﴿وَلَا تَحْزَنْ﴾ [طه: ٤٠].

وَنَجَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ غَمِّ التَّابُوتِ، فَحَرَقَ ظُلْمَةَ الطَّبِيعَةِ بِمَا أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنَ الْعِلْمِ الْإِلَهِيِّ وَإِنْ لَمْ يَخْرُجْ عَنْهَا.

وَفَتَنَهُ فُتُوناً أَيْ اخْتَبَرَهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ لِيَتَحَقَّقَ فِي نَفْسِهِ صَبْرُهُ عَلَى مَا ابْتَلَاهُ اللَّهُ بِهِ.

فَأَوَّلُ مَا ابْتَلَاهُ اللَّهُ قَتْلَهُ الْقَبْطِيِّ بِمَا أَلْهَمَهُ اللَّهُ وَوَقَّعَهُ لَهُ فِي سِرِّهِ وَإِنْ لَمْ يَعْلَمْ بِذَلِكَ، وَلَكِنْ لَمْ يَجِدْ فِي نَفْسِهِ اكْتِرَاثاً يَقْتُلُهُ مَعَ كَوْنِهِ مَا تَوَقَّعَ حَتَّى يَأْتِيَهُ أَمْرُ رَبِّهِ بِذَلِكَ، لِأَنَّ النَّبِيَّ مَعْصُومَ الْبَاطِنِ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ حَتَّى يُنَبِّأَ أَيْ يُخْبَرَ بِذَلِكَ.

وَلِهَذَا أَرَاهُ الْخَضِرُ قَتَلَ الْغُلَامَ فَأَنْكَرَ عَلَيْهِ قَتْلَهُ وَلَمْ يَتَذَكَّرْ قَتْلَهُ الْقَبْطِيِّ فَقَالَ لَهُ الْخَضِرُ ﴿وَمَا فَعَلْتُمْ عَنْ أَمْرِي﴾ [الكهف: ٨٢] يُنَبِّئُهُ عَلَى مَرَاتِبِهِ قَبْلَ أَنْ يُنَبِّأَ أَنَّهُ كَانَ مَعْصُومَ الْحَرَكَةِ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ وَإِنْ لَمْ يَشْعُرْ بِذَلِكَ وَأَرَاهُ أَيْضاً خَرَقَ السِّفِينَةَ الَّتِي ظَاهِرُهَا هَلَاكٌ وَبَاطِنُهَا نَجَاةٌ مِنْ يَدِ الْغَاصِبِ. جَعَلَ لَهُ ذَلِكَ فِي مُقَابَلَةِ التَّابُوتِ الَّذِي (لَهُ الَّذِي - خ) كَانَ فِي الْيَمِّ مُطْبَقاً عَلَيْهِ. فَظَاهِرُهُ هَلَاكٌ وَبَاطِنُهُ نَجَاةٌ.

وَأَيْمًا (فَانَمَا - خ) فَعَلْتُ بِهِ أُمُّهُ ذَلِكَ خَوْفاً مِنْ يَدِ الْغَاصِبِ فِرْعَوْنَ أَنْ يَذْبَحَهُ صَبِراً (ضِيراً - خ) وَهِيَ تَنْظُرُ إِلَيْهِ.

مَعَ الْوَحْيِ الَّذِي أَلْهَمَهَا اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مِنْ حَيْثُ لَا تَشْعُرُ. فَوَجَدَتْ فِي نَفْسِهَا أَنَّهَا تُرَضِّعُهُ.

فَإِذَا خَافَتْ عَلَيْهِ أَلْفَتُهُ فِي الْيَمِّ فَإِنَّ (لَأَنَّ - خ) فِي الْمَثَلِ «عَيْنٌ لَا تَرَى قَلْبٌ لَا يَفْجَعُ» فَلَمْ تَخَفْ عَلَيْهِ خَوْفَ مُشَاهَدَةِ عَيْنٍ، وَلَا حَزَنْتَ عَلَيْهِ حُزْنَ رُؤْيَةِ بَصَرٍ، وَغَلَبَ عَلَى ظَنِّهَا أَنَّ اللَّهَ رَبُّهَا رَدَّهُ إِلَيْهَا لِحُسْنِ ظَنِّهَا بِهِ، فَعَاشَتْ بِهَذَا الظَّنِّ فِي نَفْسِهَا، وَالرَّجَاءِ بِقَابِلِ الْخَوْفِ وَالْيَأْسِ، وَقَالَتْ حِينَ أُلْهِمَتْ لِذَلِكَ لَعَلَّ هَذَا هُوَ الرَّسُولُ الَّذِي يُهْلِكُ فِرْعَوْنَ وَالْقَبِطُ عَلَى يَدَيْهِ. فَعَاشَتْ وَسُرَتْ بِهَذَا التَّوَهُّمِ وَالظَّنِّ بِالنَّظَرِ إِلَيْهَا؛ وَهُوَ عِلْمٌ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ.

ثُمَّ أَنَّهُ لَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِ الطَّلَبُ خَرَجَ فَارًا خَوْفًا فِي الظَّاهِرِ وَكَانَ فِي الْمَعْنَى حُبًّا فِي النِّجَاةِ (لِلنِّجَاةِ - خ) فَإِنَّ الْحَرَكَةَ أَبَدًا إِنَّمَا هِيَ حَيِّتُهَا، وَيُخَجَّبُ النَّاطِقُ فِيهَا بِأَسْبَابٍ أُخْرَى، وَلَيْسَتْ تِلْكَ.

وَذَلِكَ لِأَنَّ الْأَصْلَ حَرَكَةُ الْعَالَمِ مِنَ الْعَدَمِ الَّذِي كَانَ سَاكِنًا فِيهِ إِلَى الْوُجُودِ، وَلِذَلِكَ يُقَالُ إِنَّ الْأَمْرَ حَرَكَةً عَنْ سُكُونٍ: فَكَانَتِ الْحَرَكَةُ الَّتِي هِيَ وَجُودُ الْعَالَمِ حَرَكَةً حُبًّا. وَقَدْ نَبَّهَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: «كُنْتُ كَثْرًا مَخْفِيًا لَمْ أَعْرِفْ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُعْرِفَ».

فَلَوْلَا هَذِهِ الْمَحَبَّةُ مَا ظَهَرَ الْعَالَمُ فِي عَيْنِهِ. فَحَرَكَتُهُ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ حُبُّ الْمَوْجِدِ لِذَلِكَ: وَلِأَنَّ الْعَالَمَ أَيْضًا يُحِبُّ شُهُودَ نَفْسِهِ وَجُودًا كَمَا شَهِدَهَا ثُبُوتًا، فَكَانَتْ بِكُلِّ وَجْهِ حَرَكَتُهُ مِنَ الْعَدَمِ الثُّبُوتِي إِلَى الْوُجُودِ حَرَكَةً حُبًّا مِنْ جَانِبِ الْحَقِّ وَمِنْ جَانِبِهِ (وَجَانِبِهِ - خ) فَإِنَّ الْكَمَالَ مَحْبُوبٌ لِدَايَتِهِ.

وَعِلْمُهُ تَعَالَى بِنَفْسِهِ مِنْ حَيْثُ هُوَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ هُوَ لَهُ وَمَا بَقِيَ لَهُ

إِلَّا تَمَامٌ (وما بقي إلا تمام - خ) مَرْتَبَةُ الْعِلْمِ بِالْعِلْمِ الْحَادِثِ الَّذِي يَكُونُ مِنْ هَذِهِ الْأَعْيَانِ، أَعْيَانِ الْعَالَمِ، إِذَا وُجِدَتْ. فَتَظْهَرُ صُورَةُ الْكَمَالِ بِالْعِلْمِ الْمُخَدَّثِ وَالْقَدِيمِ فَتَكْمُلُ مَرْتَبَةُ الْعِلْمِ بِالْوَجْهَيْنِ.

وَكَذَلِكَ تَكْمُلُ مَرَاتِبُ الْوُجُودِ؛ فَإِنَّ الْوُجُودَ مِنْهُ أَزَلِّيٌّ وَغَيْرُ أَزَلِّيٍّ وَهُوَ الْحَادِثُ. فَلِلْأَزَلِّيِّ وَجُودَ الْحَقِّ لِنَفْسِهِ، وَغَيْرُ الْأَزَلِّيِّ وَجُودَ الْحَقِّ بِصُورٍ (بصورة - خ) الْعَالَمِ الثَّابِتِ. فَيَسْمَى حَدُوثًا لِأَنَّهُ ظَهَرَ بَعْضُهُ لِبَعْضِهِ وَظَهَرَ لِنَفْسِهِ بِصُورِ الْعَالَمِ (بصورة - خ) فَكَمُلَ الْوُجُودُ فَكَانَتْ حَرَكَةُ الْعَالَمِ حَيِّيةً لِلْكَمَالِ فَافْهَمُ.

أَلَا تَرَاهُ كَيْفَ نَفَسَ عَنِ الْأَسْمَاءِ الْإِلَهِيَّةِ مَا كَانَتْ تَجِدُهُ مِنْ عَدَمٍ ظُهُورِ آثَارِهَا فِي عَيْنِ مُسَمَّى الْعَالَمِ فَكَانَتْ الرَّاحَةُ مَحْبُوبَةً لَهُ.

وَلَمْ يُوَصَّلْ إِلَيْهَا إِلَّا بِالْوُجُودِ الصُّورِيِّ الْأَعْلَى وَالْأَسْفَلِ. فَتَبَّتْ أَنَّ الْحَرَكَةَ كَانَتْ لِلْحُبِّ، فَمَا تَمَّ (ثُمَّ - خ) حَرَكَةُ فِي الْكَوْنِ إِلَّا وَهِيَ حَيِّيةٌ. فَمِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ يَعْلَمُ ذَلِكَ وَمِنْهُمْ مَنْ يَحْجُبُهُ السَّبَبُ الْأَقْرَبُ لِحُكْمِهِ فِي الْحَالِ وَاسْتِيْلَائِهِ عَلَى النَّفْسِ.

فَكَانَ الْخَوْفُ لِمُوسَى مَشْهُودًا لَهُ بِمَا وَقَعَ مِنْ قَتْلِهِ الْقَيْطِيَّ، وَتَضَمَّنَ الْخَوْفُ حُبَّ النِّجَاةِ مِنَ الْقَتْلِ. فَقَرَّرَ لَمَّا خَافَ؛ وَفِي الْمَعْنَى فَقَرَّرَ لَمَّا أَحَبَّ النِّجَاةَ مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ بِهِ. فَذَكَرَ السَّبَبَ الْأَقْرَبَ الْمَشْهُودَ لَهُ فِي الْوَقْتِ الَّذِي هُوَ كَصُورَةِ الْجِسْمِ لِلنَّبَشْرِ. وَحُبُّ النِّجَاةِ مُضْمَنٌ فِيهِ تَضَمِينُ الْجَسَدِ لِلرُّوحِ الْمُدْبِرِ لَهُ.

وَالْأَنْبِيَاءُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ لَهُمْ لِسَانُ الظَّاهِرِ بِهِ يَتَكَلَّمُونَ لِعُمُومِ الْخِطَابِ، وَاعْتِمَادِهِمْ عَلَى فَهْمِ السَّامِعِ الْعَالِمِ. فَلَا يَغْتَبِرُ الرُّسُلُ إِلَّا الْعَامَّةُ

لِعِلْمِهِمْ بِمَرْتَبَةِ أَهْلِ الْفَهْمِ؛ كَمَا بَيَّنَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى هَذِهِ الرُّتْبَةِ (المرتبة - خ) فِي الْعَطَايَا فَقَالَ: «إِنِّي لِأَعْطِيَ الرَّجُلَ وَغَيْرَهُ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْهُ مَخَافَةً أَنْ يُكِبَّهُ اللَّهُ فِي النَّارِ».

فَاعْتَبَرَ الضَّعِيفَ الْعَقْلَ وَالنَّظَرَ الَّذِي غَلَبَ عَلَيْهِ الطَّمَعُ وَالطَّنْعُ.

فَكَذَا مَا جَاؤُوا بِهِ مِنَ الْعُلُومِ جَاؤُوا بِهِ وَعَلَيْهِ خِلْعَةٌ أَذْنَى الْفُهُومِ لِيَقِفَ مَنْ لَا غَوْصَ لَهُ عِنْدَ الْخِلْعَةِ، فَيَقُولَ مَا أَحَسَّنَ هَذِهِ الْخِلْعَةَ! وَيَرَاهَا غَايَةَ الدَّرَجَةِ. وَيَقُولُ صَاحِبُ الْفَهْمِ الدَّقِيقِ الْغَائِصُ عَلَى دُرَرِ الْحِكْمِ - بِمَا اسْتَوْجَبَ هَذَا - «هَذِهِ الْخِلْعَةُ مِنَ الْمَلِكِ». فَيَنْظُرُ فِي قَدْرِ الْخِلْعَةِ وَصِنْفِهَا مِنَ الثِّيَابِ، فَيَعْلَمُ مِنْهَا قَدْرَ مَنْ خُلِعَتْ عَلَيْهِ، فَيَعْتَزُّ عَلَى عِلْمٍ لَمْ يَحْصُلْ لغيرِهِ مِمَّنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِمِثْلِ هَذَا.

وَلَمَّا عِلِمَتِ الْأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ وَالْوَرَثَةُ أَنَّ فِي الْعَالَمِ وَفِي أُمَّتِهِمْ (وفي أممهم - خ) مَنْ هُوَ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ، عَمَدُوا فِي الْعِبَارَةِ إِلَى اللِّسَانِ الظَّاهِرِ الَّذِي يَقَعُ فِيهِ إِشْتِرَاكُ الْخَاصِّ وَالْعَامِّ، فَيَفْهَمُ مِنْهُ الْخَاصُّ مَا فَهَمَ الْعَامَّةُ مِنْهُ وَزِيَادَةً مِمَّا صَحَّ لَهُ بِهِ اسْمُهُ أَنَّهُ خَاصٌّ فَتَمَيَّزَ (فَيَتَمَيَّزُ - خ) بِهِ عَنِ الْعَامِيِّ. فَانْتَفَى الْمُبْلُغُونَ الْعُلُومِ بِهَذَا.

فَهَذَا حِكْمَةُ قَوْلِهِ: (عليه السلام - خ) ﴿فَفَرَزْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾

[الشعراء: ٢١] وَلَمْ يَقُلْ فَفَرَزْتُ مِنْكُمْ حُبًّا فِي السَّلَامَةِ وَالْعَافِيَةِ.

فَجَاءَ إِلَى مَدِينِ فَوَجَدَ الْجَارِيَتَيْنِ ﴿فَسَقَى لَهُمَا﴾ [القصص: ٢٤] مِنْ غَيْرِ أَجْرٍ، ﴿ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الْيَطْرِ﴾ [القصص: ٢٤] الْإِلَهِيِّ فَقَالَ: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤] فَجَعَلَ عَيْنَ عَمَلِهِ السَّقْيَ عَيْنَ الْخَيْرِ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ، وَوَصَفَ نَفْسَهُ بِالْفَقْرِ إِلَى اللَّهِ فِي الْخَيْرِ الَّذِي عِنْدَهُ.

فَأَرَاهُ الْخِضْرُ إِقَامَةَ الْجِدَارِ مِنْ غَيْرِ أَجْرِ فَعْتَبَهُ عَلَى ذَلِكَ فَذَكَرَهُ سِقَايَتِهِ (بِسِقَايَتِهِ - خ) مِنْ غَيْرِ أَجْرِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَمْ نَذْكُرْ حَتَّى تَمْتَلِ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنْ يَسْكُتَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَا يَعْتَرِضَ حَتَّى يَقْصُصَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِهِمَا، فَيَعْلَمُ بِذَلِكَ مَا وَفَّقَ إِلَيْهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ مِنْهُ.

إِذْ لَوْ كَانَ عَنْ عِلْمٍ مَا أَتَكَرَّ مِثْلُ ذَلِكَ عَلَى الْخِضْرِ الَّذِي قَدْ شَهِدَ اللَّهُ لَهُ عِنْدَ مُوسَى وَزَكَاهُ وَعَدَّلَهُ وَمَعَ هَذَا غَفَلَ مُوسَى عَنْ تَرْكِيبَةِ اللَّهِ وَعَمَّا شَرَطَهُ عَلَيْهِ فِي اتِّبَاعِهِ، رَحْمَةً بِنَا إِذْ نَسِينَا أَمْرَ اللَّهِ.

وَلَوْ كَانَ مُوسَى عَالِمًا بِذَلِكَ لَمَا قَالَ لَهُ الْخِضْرُ ﴿مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ [الكهف: ٦٨] أَيْ إِنِّي عَلَى عِلْمٍ لَمْ يَحْصُلْ لَكَ عَنْ ذَوْقٍ كَمَا أَنْتَ عَلَى عِلْمٍ لَا أَعْلَمُهُ أَنَا. فَأَنْصَفَ.

وَأَمَّا حِكْمُهُ فِرَاقِهِ فَلَأَنَّ الرَّسُولَ يَقُولُ اللَّهُ فِيهِ: ﴿وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧] فَوَقَّفَ الْعُلَمَاءُ بِاللَّهِ الَّذِينَ يَعْرِفُونَ قَدْرَ الرِّسَالَةِ وَالرَّسُولَ عِنْدَ هَذَا الْقَوْلِ. وَقَدْ عَلِمَ الْخِضْرُ أَنَّ مُوسَى رَسُولُ اللَّهِ فَأَخَذَ يَرْقُبُ مَا يَكُونُ مِنْهُ لِيُوفِيَ الْأَدَبَ حَقَّهُ مَعَ الرَّسُولِ.

فَقَالَ لَهُ: ﴿إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّحْهُ﴾ [الكهف: ٧٦] فَتَنَاهَا عَنْ صُحْبَتِهِ. فَلَمَّا وَقَعَتْ مِنْهُ الثَّالِثَةُ قَالَ: ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ [الكهف: ٧٨]. وَلَمْ يَقُلْ لَهُ مُوسَى لَا تَفْعَلْ وَلَا طَلَبَ صُحْبَتَهُ لِعِلْمِهِ بِقَدْرِ الرُّبُوبَةِ الَّتِي هُوَ فِيهَا الَّتِي أَنْطَقَتْهُ بِالنَّهْيِ عَنْ أَنْ يَصْحَبَهُ.

فَسَكَتَ مُوسَى وَوَقَعَ الْفِرَاقُ. فَانْظُرْ إِلَى كَمَالِ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ فِي الْعِلْمِ وَتَوْفِيقَةِ الْأَدَبِ الْإِلَهِيِّ حَقَّهُ.

وَأَنصَابِ الْخَضِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيمَا اعْتَرَفَ بِهِ عِنْدَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حَيْثُ قَالَ لَهُ: «أَنَا عَلَى عِلْمٍ عَلَّمَنِيهِ اللَّهُ لَا تَعْلَمُهُ أَنْتَ، وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ عَلَّمَكَهُ اللَّهُ لَا أَعْلَمُهُ أَنَا». فَكَانَ هَذَا الْإِغْلَامُ مِنَ الْخَضِرِ دَوَاءً لِمَا جَرَّحَهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ [الكهف: ٦٨] مَعَ عِلْمِهِ بِعُلُوِّ رُتْبَتِهِ بِالرَّسَالَةِ، وَلَيْسَتْ بِلَاكِ الرُّتْبَةِ لِلْخَضِرِ، وَظَهَرَ ذَلِكَ فِي الْأَمَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ فِي حَدِيثِ إِبَارِ التَّخْلِ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَصْحَابِهِ: «أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِمَصَالِحِ دُنْيَاكُمْ» وَلَا شَكَّ أَنَّ الْعِلْمَ بِالشَّيْءِ خَيْرٌ مِنَ الْجَهْلِ بِهِ: وَلِهَذَا مَدَحَ اللَّهُ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ. فَقَدْ اعْتَرَفَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّهُمْ أَعْلَمُ بِمَصَالِحِ دُنْيَاهُمْ مِنْهُ لِكُونِهِ لَا خَبْرَةَ لَهُ بِذَلِكَ فَإِنَّهُ عِلْمُ ذَوْقٍ وَتَجَرِبَةٍ وَلَمْ يَتَفَرَّغْ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِعِلْمِ ذَلِكَ، بَلْ كَانَ شُغْلُهُ بِالْأَهَمِّ فَلَا هُمْ.

فَقَدْ تَبَهَّنَكَ عَلَى أَدَبٍ عَظِيمٍ تَنْتَفِعُ بِهِ إِنْ اسْتَعْمَلْتَ نَفْسَكَ فِيهِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿قَوَّبَ لِي رَبِّي حُكْمًا﴾ [الشعراء: ٢١] يُرِيدُ الْخِلَافَةَ؛ ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ٢١] يُرِيدُ الرِّسَالَةَ: فَمَا كُلُّ رَسُولٍ خَلِيفَةٌ. فَالْخَلِيفَةُ صَاحِبُ السِّيفِ وَالْعَزْلِ وَالْوِلَايَةِ. وَالرُّسُولُ لَيْسَ كَذَلِكَ: إِنَّمَا عَلَيْهِ بِلَاغٌ مَا أُرْسِلَ بِهِ: فَإِنْ قَاتَلَ عَلَيْهِ وَحَمَاهُ بِالسِّيفِ فَذَلِكَ الْخَلِيفَةُ الرَّسُولُ. فَكَمَا أَنَّهُ مَا كُلُّ نَبِيٍّ رَسُولًا، كَذَلِكَ مَا كُلُّ رَسُولٍ خَلِيفَةٌ أَيْ مَا أُعْطِيَ الْمُلْكَ وَلَا التَّحْكُمَ فِيهِ.

وَأَمَّا حِكْمَةُ سُؤَالِ فِرْعَوْنَ عَنِ الْمَاهِيَةِ الْإِلَهِيَّةِ فَلَمْ يَكُنْ عَنْ جَهْلٍ، وَإِنَّمَا كَانَ عَنِ اخْتِبَارٍ حَتَّى يَرَى جَوَابَهُ مَعَ دَعْوَاهُ الرِّسَالَةَ عَنْ رَبِّهِ - وَقَدْ عِلِمَ فِرْعَوْنُ مَرْتَبَةَ الْمُرْسَلِينَ فِي الْعِلْمِ - فَيَسْتَدِلُّ بِجَوَابِهِ عَلَى صِدْقِ دَعْوَاهُ.

وَسَأَلَ سُؤَالِ إِيْهَامٍ مِنْ أَجْلِ الْحَاضِرِينَ حَتَّى يُعَرِّفَهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ بِمَا شَعَرَ هُوَ فِي نَفْسِهِ فِي سُؤَالِهِ.

فَإِذَا أَجَابَهُ جَوَابُ الْعُلَمَاءِ بِالْأَمْرِ، أَظْهَرَ فِرْعَوْنُ - إِنْقَاءَ لِمَنْصِبِهِ - أَنَّ
مُوسَى مَا أَجَابَهُ عَلَى سُؤَالِهِ.

فَتَبَيَّنَ (فَتَبَيَّنَ - خ) عِنْدَ الْحَاضِرِينَ - لِقُصُورِ فَهْمِهِمْ - أَنَّ فِرْعَوْنَ
أَعْلَمَ مِنْ مُوسَى. وَلِهَذَا لَمَّا قَالَ لَهُ فِي الْجَوَابِ مَا يَتَّبِعِي وَهُوَ فِي الظَّاهِرِ غَيْرُ
جَوَابٍ مَا سُئِلَ عَنْهُ (غَيْرُ جَوَابٍ عَلَى مَا سُئِلَ عَنْهُ - غَيْرُ جَوَابٍ عَمَّا سُئِلَ
عَنْهُ - خ).

وَقَدْ عَلِمَ فِرْعَوْنُ أَنَّهُ لَا يُجِيبُهُ إِلَّا بِذَلِكَ - فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ ﴿إِنَّ رَسُولَكُمْ
الَّذِي أُتْرِكَ لَمْ تَكُنْ لَمْ تَكُنْ﴾ [الشعراء: ٢٧] أَيِ مُسْتَوْرٍ عَنْهُ عِلْمُ مَا سَأَلْتَهُ عَنْهُ، إِذْ
لَا يَتَصَوَّرُ أَنْ يَعْلَمَ أَضْلًا.

فَالسُّؤَالُ صَحِيحٌ؛ فَإِنَّ السُّؤَالَ عَنِ الْمَاهِيَةِ سُؤَالٌ عَنِ حَقِيقَةِ
الْمَطْلُوبِ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ عَلَى حَقِيقَةٍ فِي نَفْسِهِ. وَأَمَّا الَّذِينَ جَعَلُوا الْحُدُودَ
مُرَكَّبَةً مِنْ جِنْسٍ وَفَضْلٍ، فَذَلِكَ فِي كُلِّ مَا يَقَعُ فِيهِ الْاِشْتِرَاكُ، وَمَنْ لَا جِنْسَ
لَهُ لَا يَلْزَمُ أَنْ لَا يَكُونَ عَلَى حَقِيقَةٍ فِي نَفْسِهِ لَا تَكُونُ لغيرِهِ. فَالسُّؤَالُ صَحِيحٌ
عَلَى مَذْهَبِ أَهْلِ الْحَقِّ وَالْعِلْمِ الصَّحِيحِ وَالْعَقْلِ السَّلِيمِ، وَالْجَوَابُ عَنْهُ لَا
يَكُونُ إِلَّا بِمَا أَجَابَ بِهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَهُنَا سِرٌّ كَبِيرٌ، فَإِنَّهُ أَجَابَ بِالْفِعْلِ لِمَنْ سَأَلَ عَنِ الْحَدِّ الذَّاتِيِّ، فَجَعَلَ
الْحَدَّ الذَّاتِيَّ عَيْنَ إِضَافَتِهِ إِلَى مَا ظَهَرَ بِهِ مِنْ صُورِ الْعَالَمِ، أَوْ إِلَى مَا ظَهَرَ فِيهِ
مِنْ صُورِ الْعَالَمِ. فَكَأَنَّهُ قَالَ لَهُ فِي جَوَابِ قَوْلِهِ: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾
[الشعراء: ٢٣] قَالَ الَّذِي يَظْهَرُ فِيهِ صُورُ الْعَالَمِينَ مِنْ عِلْوٍ (العلو - خ) - وَهُوَ
السَّمَاءُ - وَسِفْلٍ (السُّفْل - خ) - وَهُوَ الْأَرْضُ - ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾
[الشعراء: ٢٤]؛ أَوْ يَظْهَرُ هُوَ بِهَا.

فَلَمَّا قَالَ فِرْعَوْنُ لِأَصْحَابِهِ: ﴿إِنَّكُمْ لَمُجُنُونٌ﴾ [القلم: ٥١] كَمَا قُلْنَا فِي مَعْنَى
كَوْنِهِ مَجْنُونًا.

زَادَ مُوسَى فِي الْبَيَانِ لِيَعْلَمَ فِرْعَوْنُ مَرْتَبَتَهُ (رَبَّتَهُ - خ) فِي الْعِلْمِ الْإِلَهِيِّ
لِيَعْلَمَهُ بِأَن فِرْعَوْنَ يَعْلَمُ ذَلِكَ: فَقَالَ: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ [الشعراء: ٢٨]
فَجَاءَ بِمَا يَظْهَرُ وَيَسْتَتِرُ (وَيُسْتَرُ - خ) وَهُوَ الظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ، وَمَا بَيْنَهُمَا وَهُوَ
قَوْلُهُ: ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩]. ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَقُولُونَ﴾ [الشعراء: ٢٨] أَيْ
إِنْ كُنْتُمْ أَصْحَابُ تَقْيِيدٍ (تَقْيِيد - خ)؛ فَإِنَّ الْعَقْلَ يُقَيَّدُ. (فَإِنَّ لِلْعَقْلِ التَّقْيِيدَ -
فَإِنَّ الْعَقْلَ تَقْيِيد - خ).

فَالْجَوَابُ الْأَوَّلُ جَوَابُ الْمُوقِنِينَ وَهُمْ أَهْلُ الْكَشْفِ وَالْوُجُودِ. فَقَالَ
لَهُمْ: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢٤] أَيْ أَهْلُ كَشْفٍ وَوُجُودٍ، فَقَدْ أَعْلَمْتُمْكُمْ
بِمَا تَبَيَّنْتُمُوهُ فِي شُهُودِكُمْ وَوُجُودِكُمْ.

فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا مِنْ هَذَا الصَّنْفِ، فَقَدْ أَجَبْتَكُمْ فِي الْجَوَابِ الثَّانِي إِنْ
كُنْتُمْ أَهْلُ عَقْلٍ وَتَقْيِيدٍ وَحَصَرْتُمْ الْحَقَّ (وَحَصَرَ ثُمَّ الْحَقَّ - خ) فِيمَا تُعْطِيهِ أدِلَّةُ
عُقُولِكُمْ فَظَهَرَ مُوسَى بِالْوَجْهِينِ لِيَعْلَمَ فِرْعَوْنُ فَضْلَهُ وَصِدْقَهُ، وَعَلِمَ مُوسَى
أَنَّ فِرْعَوْنَ عَلِمَ ذَلِكَ - أَوْ يَعْلَمُ ذَلِكَ لِكَوْنِهِ سَأَلَ عَنِ الْمَاهِيَةِ، فَعَلِمَ أَنَّهُ لَيْسَ
سُؤَالُهُ (فَعَلِمَ أَنَّ سُؤَالَهُ لَيْسَ - خ) عَلَى اضْطِلَاحِ الْقُدَمَاءِ فِي السُّؤَالِ بِمَا،
فَلِذَلِكَ أَجَابَ قُلُوبَهُمْ مِنْهُ غَيْرَ ذَلِكَ لَخَطَأِهِ فِي السُّؤَالِ.

فَلَمَّا جَعَلَ مُوسَى الْمَسْئُولَ عَنْهُ عَيْنَ الْعَالَمِ، خَاطَبَهُ فِرْعَوْنُ بِهَذَا
اللسانِ وَالْقَوْمَ لَا يَشْعُرُونَ. فَقَالَ لَهُ: ﴿لَئِنْ أَخَذْتِ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ
الْمَسْجُورِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩].

وَالسَّيْنُ فِي «السَّجْنِ» مِنْ حُرُوفِ الزَّوَائِدِ: أَيُّ لَأَسْتَرْنَكَ فَإِنَّكَ أَجَبْتَنِي
(أَجَبْتَ - خ) بِمَا أَيْدَتْنِي بِهِ أَنْ أَقُولَ لَكَ مِثْلَ هَذَا الْقَوْلِ.

فَإِنْ قُلْتَ لِي: فَقَدْ جَهَلْتَ يَا فِرْعَوْنَ بِوَعِيدِكَ إِنِّي، وَالْعَيْنُ وَاحِدَةٌ،
فَكَيْفَ فَرَقْتَ فَيَقُولُ فِرْعَوْنُ إِنَّمَا فَرَقْتُ الْمَرَاتِبَ الْعَيْنَ مَا تَفَرَّقَتِ الْعَيْنُ وَلَا
انْقَسَمَتْ فِي ذَاتِهَا. وَمَرَبَّتِي الْآنَ التَّحَكُّمُ فَيْكَ يَا مُوسَى بِالْفِعْلِ، وَأَنَا أَنْتَ
بِالْعَيْنِ وَغَيْرِكَ بِالرُّثْبَةِ.

فَلَمَّا فِيهِمْ ذَلِكَ مُوسَى مِنْهُ أَعْطَاهُ حَقَّهُ فِي كَوْنِهِ يَقُولُ لَهُ لَا تَقْدِرُ عَلَى
ذَلِكَ، وَالرُّثْبَةُ تَشْهَدُ لَهُ بِالْقُدْرَةِ عَلَيْهِ وَإِظْهَارِ الْأَثَرِ فِيهِ: لِأَنَّ الْحَقَّ فِي رُثْبَةِ
فِرْعَوْنَ مِنَ الصُّورَةِ الظَّاهِرَةِ، لَهَا التَّحَكُّمُ عَلَى الرُّثْبَةِ الَّتِي كَانَ فِيهَا ظُهُورُ
مُوسَى فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ.

فَقَالَ لَهُ يُظْهِرُ لَهُ الْمَانِعَ مِنْ تَعْدِيهِ عَلَيْهِ، ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ﴾
[الشعراء: ٣٠]. فَلَمْ يَسْعَ فِرْعَوْنَ إِلَّا أَنْ يَقُولَ لَهُ: ﴿فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ
الصَّادِقِينَ﴾ [الشعراء: ٣١] حَتَّى لَا يَظْهَرَ فِرْعَوْنُ عِنْدَ الضَّعْفَاءِ الرَّأْيِ (ضَعْفَاءُ
الرَّأْيِ - خ) مِنْ قَوْمِهِ بِعَدَمِ الْإِنْصَافِ فَكَانُوا يَزْتَابُونَ فِيهِ، وَهِيَ الطَّائِفَةُ الَّتِي
اسْتَحَفَّهَا فِرْعَوْنُ فَأَطَاعُوهُ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٤] أَيُّ خَارِجِينَ
عَمَّا تُعْطِيهِ الْعُقُولُ الصَّحِيحَةَ مِنْ إنْكَارِ مَا ادَّعَاهُ فِرْعَوْنُ بِاللِّسَانِ الظَّاهِرِ فِي
الْعَقْلِ، فَإِنَّ لَهُ حَدًّا يَقِفُ عِنْدَهُ إِذَا جَاوَزَهُ صَاحِبُ الْكَشْفِ وَالْيَقِينِ.

وَلِهَذَا جَاءَ مُوسَى فِي الْجَوَابِ بِمَا يَقْبَلُهُ الْمُوقِنُ وَالْعَاقِلُ خَاصَّةً.
﴿فَأَلْفَى عَصَاهُ﴾ [الشعراء: ٣٢] وَهِيَ صُورَةٌ مَا عَصَى بِهِ فِرْعَوْنَ مُوسَى فِي
إِبَائِهِ عَنْ إِبَاجَةِ دَعْوَتِهِ ﴿فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ [الشعراء: ٣٢] أَيُّ حَيَّةٍ ظَاهِرَةٍ.

فَانْقَلَبَتِ الْمَغْصِيَةُ الَّتِي هِيَ السَّيِّئَةُ طَاعَةً أَيْ حَسَنَةً كَمَا قَالَ: ﴿يَدُلُّ اللَّهُ
سَيِّقَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ [الفرقان: ٧٠] يَعْنِي فِي الْحُكْمِ.

فَظَهَرَ الْحُكْمُ ههنا (هنا - خ) عَيْنًا مُتَمَيِّزَةً فِي جَوْهَرٍ وَاحِدٍ. فَهِيَ
العَصَا وَهِيَ الْحَيَّةُ وَالثُّعْبَانُ الظَّاهِرُ، فَالْتَقَمَ أَمثَالَهُ مِنَ الْحَيَاتِ مِنْ كَوْنِهَا حَيَّةً
وَالْعِصْيِ مِنْ كَوْنِهَا عَصَاً. فَظَهَرَتْ حُجَّةُ مُوسَى عَلَى حُجَجِ فِرْعَوْنَ فِي
صُورَةِ عِصْيِي وَحَيَاتٍ وَجِبَالٍ.

فَكَانَتْ لِلْسَّحَرَةِ جِبَالٌ (الجبال - خ) وَلَمْ يَكُنْ لِمُوسَى حَبْلٌ. وَالْحَبْلُ
الثَّلُ الصَّغِيرُ أَيْ مَقَادِيرُهُمْ بِالنِّسْبَةِ إِلَى قَدْرِ مُوسَى عِنْدَ اللَّهِ كِنْسَبَةِ الثَّلَالِ
الصَّغِيرَةِ إِلَى الْجِبَالِ الشَّامِخَةِ. (أَي مَقَادِيرِهِمْ بِالنِّسْبَةِ إِلَى قَدْرِ مُوسَى بِمَنْزِلَةِ
الجبال من الجبال الشامخة - خ).

فَلَمَّا رَأَتْ السَّحَرَةُ ذَلِكَ عَلِمُوا رُبَّةَ مُوسَى فِي الْعِلْمِ، وَأَنَّ الَّذِي رَأَوْهُ
لَيْسَ مِنْ مَقْدُورِ الْبَشَرِ وَإِنَّ كَانَ مِنْ مَقْدُورِ الْبَشَرِ (وإن كان مقدوراً لبشر -
خ) فَلَا يَكُونُ إِلَّا يَمُنُّ لَهُ تَمَيُّزٌ فِي الْعِلْمِ الْمُحَقِّقِ عَنِ التَّخَيُّلِ وَالْإِيْهَامِ. فَأَمَّنُوا
بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ: أَيِ الرَّبِّ الَّذِي يَدْعُو إِلَيْهِ مُوسَى
وَهَارُونَ، لِعِلْمِهِمْ بِأَنَّ الْقَوْمَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مَا دَعَا لِفِرْعَوْنَ.

وَلَمَّا كَانَ فِرْعَوْنُ فِي مَنْصِبِ التَّحْكُمِ صَاحِبَ الْوَقْتِ، وَأَنَّهُ الْخَلِيفَةُ
بِالسَّيْفِ - وَإِنْ جَارَ فِي الْعَرْشِ النَّامُوسَى - لِذَلِكَ قَالَ: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ أَيْ
وَإِنْ كَانَ الْكُلُّ أَرْبَابًا بِنِسْبَةِ مَا قَاتَا الْأَعْلَى مِنْهُمْ بِمَا أُعْطِيَتْهُ فِي الظَّاهِرِ مِنَ
التَّحْكُمِ فَيُنْكَمِ.

وَلَمَّا عَلِمَتِ السَّحَرَةُ صِدْقَهُ فِيمَا قَالَهُ (صدقه في مقاله - خ) لَمْ يُنْكِرُوهُ
وَأَقْرَأُوا لَهُ بِذَلِكَ فَقَالُوا لَهُ: ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾

[طه: ٧٢] فَالذُّوْلَةُ لَكَ . فَصَحَّ قَوْلُهُ : ﴿أَنَا رَبُّكُمْ أَتَعْلَمُ﴾ [النازعات: ٢٤] وَإِنْ كَانَ عَنِ الْحَقِّ فَالْصُّورَةُ لِفِرْعَوْنَ ، فَقَطَعَ الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلَ وَصَلَبَ بَعَيْنَ حَقٍّ فِي صُورَةٍ بَاطِلٍ لِنَتْلِ مَرَاتِبٍ لَا تُنَالُ إِلَّا بِذَلِكَ الْفِعْلِ . فَإِنَّ الْأَسْبَابَ لَا سَبِيلَ إِلَى تَعْطِيلِهَا لِأَنَّ الْأَعْيَانَ الثَّابِتَةَ افْتَضَتْهَا ؛ فَلَا تَظْهَرُ فِي الْوُجُودِ إِلَّا بِصُورَةٍ مَا هِيَ عَلَيْهِ فِي الثَّبُوتِ إِذْ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ . وَلَيْسَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ سِوَى أَغْيَانِ الْمَوْجُودَاتِ ، فَيُنَسَّبُ إِلَيْهَا الْقَدَمُ مِنْ حَيْثُ ثُبُوتُهَا وَيُنَسَّبُ إِلَيْهَا الْحُدُوثُ مِنْ حَيْثُ وُجُودُهَا وَظُهُورُهَا كَمَا تَقُولُ حَدَّثَ الْيَوْمَ عِنْدَنَا (حدث عندنا اليوم - خ) إِنْسَانٌ أَوْ ضَيْفٌ وَلَا يَلْزَمُ مِنْ حَدُوثِهِ أَنَّهُ مَا كَانَ لَهُ وَجُودٌ قَبْلَ هَذَا الْحُدُوثِ . وَلِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى فِي كَلَامِهِ الْعَزِيزِ أَيْ فِي إِثْبَانِهِ مَعَ قَدَمٍ كَلَامِهِ : ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا أَسْتَمِعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء: ٢] ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُّحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُّعْرِضِينَ﴾ [الشعراء: ٥] . وَالرَّحْمَنُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِالرَّحْمَةِ . وَمَنْ أَعْرَضَ عَنِ الرَّحْمَةِ اسْتَقْبَلَ الْعَذَابَ الَّذِي هُوَ عَدَمُ الرَّحْمَةِ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَاسًا سَنَتَ اللَّهُ آلِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ﴾ [غافر: ٨٥] إِلَّا قَوْمَ يُوسُفَ ، فَلَمْ يَدُلْ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ لَا يَنْفَعُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بِقَوْلِهِ فِي الْاسْتِثْنَاءِ إِلَّا قَوْمَ يُوسُفَ .

فَأَرَادَ أَنَّ ذَلِكَ لَا يَدْفَعُ (لا يرفع - خ) عَنْهُمْ الْأَخْذَ فِي الدُّنْيَا ، فَلِذَلِكَ أَخَذَ فِرْعَوْنَ مَعَ وَجُودِ الْإِيمَانِ مِنْهُ .

هَذَا إِنْ كَانَ أَمْرُهُ أَمْرٌ مِّن تَيَقُّنٍ بِالْإِنْتِقَالِ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ . وَقَرِئَتْهُ الْحَالِ تُعْطِي أَنَّهُ مَا كَانَ عَلَى يَقِينٍ (تَيَقُّنٍ - خ) مِّنَ الْإِنْتِقَالِ أَنَّهُ عَائِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَمْشُونَ عَلَى (يمشون في - خ) الطَّرِيقِ الْيَبَسِ الَّذِي ظَهَرَ بِضَرْبِ مُوسَى

بِعَصَاهُ الْبَحْرَ. فَلَمْ يَتَيَقَّنْ فِرْعَوْنُ بِالْهَلَاكِ إِذْ آمَنَ، بِخِلَافِ الْمُخْتَصِرِ حَتَّى لَا يُلْحَقَ بِهِ.

فَأَمَّنَ بِالَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ عَلَى التَّيَقُّنِ بِالنَّجَاةِ، فَكَانَ كَمَا تَيَقَّنَ لَكِنْ عَلَى غَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِي أَرَادَ، فَتَنَجَّاهُ اللَّهُ مِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ فِي نَفْسِهِ، وَنَجَّا بَذَنَهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً﴾ [يونس: ٩٢].

لأنَّهُ لَوْ غَاب بِصُورَتِهِ رَبُّمَا قَالَ قَوْمُهُ اخْتَجَبَ. فَظَهَرَ بِالصُّورَةِ الْمَعْهُودَةِ مَيِّتًا لِيُعْلَمَ أَنَّهُ هُوَ. فَقَدْ عَمَتَهُ النَّجَاةُ حِسًّا وَمَعْنَى.

وَمَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ الْأَخْرَائِيِّ (الْأَخْرَائِيِّ - خ) لَا يُؤْمِنُ وَلَوْ جَاءَتْهُ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ، أَيْ يَذُوقُوا الْعَذَابَ الْأَخْرَائِيِّ (الْأَخْرَائِيِّ - خ).

فَخَرَجَ فِرْعَوْنُ مِنْ هَذَا الصَّنْفِ. هَذَا هُوَ الظَّاهِرُ الَّذِي وَرَدَ بِهِ الْقُرْآنُ. ثُمَّ إِنَّا نَقُولُ بَعْدَ ذَلِكَ وَالْأَمْرُ فِيهِ إِلَى اللَّهِ، لِمَا اسْتَقَرَّ فِي نَفُوسِ عَامَّةِ الْخَلْقِ مِنْ شِقَائِهِ، وَمَا لَهُمْ نَصٌّ فِي ذَلِكَ يَسْتَنِدُونَ إِلَيْهِ. وَأَمَّا آلُهُ فَلَهُمْ حُكْمٌ آخَرُ لَيْسَ هَذَا مَوْضِعُهُ.

ثُمَّ لِيُعْلَمَ أَنَّهُ لَا يَقْبِضُ اللَّهُ أَحَدًا إِلَّا وَهُوَ مُؤْمِنٌ أَيْ مُصَدِّقٌ بِمَا جَاءَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ الْإِلَهِيَّةُ: وَأَعْنِي مِنَ الْمُخْتَصِرِينَ وَلِهَذَا يُكْرَهُ مَوْتُ الْفَجَاءَةِ (الْفَجَاءَةِ - خ) وَقَتْلُ الْغَفْلَةِ.

فَأَمَّا مَوْتُ الْفَجَاءَةِ (الْفَجَاءَةِ - خ) فَحَدُّهُ أَنْ يَخْرُجَ النَّفْسُ الدَّخِلُ وَلَا يَدْخُلَ النَّفْسُ الْخَارِجُ. فَهَذَا مَوْتُ الْفَجَاءَةِ. وَهَذَا غَيْرُ الْمُخْتَصِرِ. وَكَذَلِكَ قَتْلُ الْغَفْلَةِ بِضَرْبِ عُنُقِهِ مِنْ وَرَائِهِ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ: فَيَقْبِضُ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ

مِنْ إِيْمَانٍ وَكُفْرٍ . وَلِذَلِكَ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : «وَيُحْشَرُ عَلَى مَا عَلَيْهِ مَاتَ» .
كَمَا أَنَّهُ يُقْبَضُ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ : (وَلِذَلِكَ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : وَيَحْشَرُ
عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ كَمَا أَنَّهُ يُقْبَضُ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ - خ) .

وَالْمُحْتَضَرُ مَا يَكُونُ إِلَّا صَاحِبَ شُهُودٍ ، فَهُوَ صَاحِبُ إِيْمَانٍ بِمَا تَمَّ
(تَمَّة - خ) فَلَا يُقْبَضُ إِلَّا عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ ، لِأَنَّ «كَانَ» حَرْفٌ وَجُودِيٌّ لَا
يُتَجَرَّزُ مَعَهُ الزَّمَانُ إِلَّا بِقَرَائِنِ الْأَحْوَالِ : فَيُفَرِّقُ بَيْنَ الْكَافِرِ الْمُحْتَضَرِ فِي الْمَوْتِ
وَبَيْنَ الْكَافِرِ الْمَقْتُولِ عَقْلُهُ أَوْ الْمَيِّتِ فَجَاءَ كَمَا قُلْنَا (كَمَا قُلْنَا - خ) فِي حَدِّ
الْفَجَاءَةِ .

وَأَمَّا حِكْمَةُ التَّجَلِّي وَالْكَلامِ فِي صُورَةِ النَّارِ ، فَلِأَنَّهَا كَانَتْ بُغْيَةً مُوسَى
عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَتَجَلَّى لَهُ فِي مَطْلُوبِهِ لِيقْبَلَ عَلَيْهِ وَلَا يُعْرِضَ عَنْهُ . فَإِنَّهُ لَوْ
تَجَلَّى لَهُ فِي غَيْرِ صُورَةِ مَطْلُوبِهِ أَغْرَضَ عَنْهُ لِاجْتِمَاعِ هَمِّهِ عَلَى مَطْلُوبٍ
خَاصٍّ .

وَلَوْ أَغْرَضَ لَعَادَ عَمَلُهُ عَلَيْهِ فَأَغْرَضَ (وَأَعْرَضَ - خ) عَنْهُ الْحَقُّ ، وَهُوَ
مُضْطَفًى مُقَرَّبٌ ، فَمِنْ قُرْبِهِ أَنَّهُ تَجَلَّى لَهُ فِي مَطْلُوبِهِ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ .

كَنَارِ مُوسَى يَرَاهَا (رَأَاهَا - خ) عَيْنَ حَاجَتِهِ
وَهُوَ الْإِلَهُ وَلَكِنْ لَيْسَ يَذَرِيهِ



الفص الخالدي

فص حكمة صمدية في كلمة خالدية

وَأَمَّا حِكْمَةُ خَالِدِ بْنِ سِنَانٍ فَإِنَّهُ أَظْهَرَ بِدَعَاوِهِ الثُّبُوتَ الْبَرَزْجِيَّةَ .

فَإِنَّهُ مَا ادَّعَى الْإِخْبَارَ بِمَا هُنَالِكَ إِلَّا بَعْدَ الْمَوْتِ ، فَأَمَرَ أَنْ يُنْبَشَ عَلَيْهِ
(عنه - خ) وَيُسْأَلَ فَيُخْبِرَ أَنَّ الْحُكْمَ فِي الْبَرَزْخِ عَلَى صُورَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ،
فَيَعْلَمُ بِذَلِكَ صِدْقَ الرُّسُلِ كُلِّهِمْ فِيمَا أَخْبَرُوا بِهِ فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا .

فَكَانَ غَرَضُ خَالِدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِيمَانُ الْعَالَمِ كُلِّهِ بِمَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ
لِيَكُونَ رَحْمَةً لِلْجَمِيعِ : فَإِنَّهُ تَشَرَّفَ بِقُرْبِ نُبُوَّتِهِ مِنْ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ . وَلَمْ يَكُنْ خَالِدٌ بِرَسُولٍ ،
فَأَرَادَ أَنْ يَخْصُلَ مِنْ هَذِهِ الرَّحْمَةِ فِي الرِّسَالَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ عَلَى حَظٍّ وَافٍ . وَلَمْ
يُؤَمِّرْ بِالتَّبْلِيغِ ، فَإِذَا أَنْ يَخْطِئَ بِذَلِكَ فِي الْبَرَزْخِ لِيَكُونَ أَقْوَى فِي الْعِلْمِ فِي
حَقِّ الْخَلْقِ فَأَضَاعَهُ قَوْمُهُ . وَلَمْ يَصِفِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْمَهُ بِأَنَّهُمْ
ضَاعُوا وَإِنَّمَا وَصَفَهُمْ بِأَنَّهُمْ أَضَاعُوا نَبِيَّهُمْ حَيْثُ لَمْ يَلْبِغُوهُ مُرَادَهُ .

فَهَلْ بَلَغَهُ اللَّهُ أَجْرَ أُمْنِيَّتِهِ؟ فَلَا شَكَّ وَلَا خِلَافَ أَنَّ لَهُ أَجْرَ أُمْنِيَّتِهِ .
(الْأُمْنِيَّةُ - خ) وَإِنَّمَا الشُّكُّ وَالْخِلَافُ فِي أَجْرِ الْمَطْلُوبِ ؛ هَلْ يُسَاوِي تَمَنِّي
وُقُوعِهِ عَدَمَ وَقُوعِهِ بِالْوُجُودِ أَمْ لَا؟

فَإِنَّ فِي الشَّرْعِ مَا يُؤَيِّدُ التَّسَاوِيَّ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ : كَالْآتِي لِلصَّلَاةِ فِي
الْجَمَاعَةِ فَتَفَوُّتُهُ الْجَمَاعَةُ فَلَهُ أَجْرٌ مَنْ حَضَرَ الْجَمَاعَةَ ؛ وَكَالْمُتَمَتَّى مَعَ فَفْرِهِ مَا

هَمْ عَلَيْهِ أَصْحَابُ الثَّرْوَةِ وَالْمَالِ مِنْ فِعْلِ الْخَيْرَاتِ فَلَهُ مِثْلُ أَجُورِهِمْ . وَلَكِنْ
مِثْلُ أَجُورِهِمْ فِي نِيَّاتِهِمْ أَوْ فِي عَمَلِهِمْ فَإِنَّهُمْ جَمَعُوا بَيْنَ الْعَمَلِ وَالنِّيَّةِ؟ وَلَمْ
يُنْصَ النَّبِيُّ عَلَيْهِمَا وَلَا عَلَى وَاحِدٍ مِنْهُمَا . وَالظَّاهِرُ (فَالظَّاهِر - خ) أَنَّهُ لَا
تَسَاوِي بَيْنَهُمَا . وَلِذَلِكَ طَلَبَ خَالِدُ بْنُ سِنَانٍ الْإِبْلَاحَ حَتَّى يَصْحَ لَهُ مَقَامُ
الْجَمْعِ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ فَيَحْصُلُ عَلَى الْأَجْرَيْنِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .



الفص المحمدي

فص حكمة فردية في كلمة محمدية

إِنَّمَا كَانَتْ حِكْمَتُهُ فَرْدِيَّةٌ لِأَنَّهُ أَكْمَلُ مَوْجُودٍ فِي هَذَا النَّوعِ الْإِنْسَانِي، وَلِهَذَا بُدِيَ بِهِ الْأَمْرُ وَخُتِمَ، فَكَانَ نَبِيًّا وَآدَمُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطِّينِ، ثُمَّ كَانَ بِنِسَائِهِ الْعُنْصُرِيَّةِ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ (خاتم المرسلين - خ).

وَأَوَّلُ الْأَفْرَادِ الثَّلَاثَةِ، وَمَا زَادَ عَلَى هَذِهِ الْأَوَّلِيَّةِ مِنَ الْأَفْرَادِ فَإِنَّهَا عَنْهَا.

فَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (فكان - عليه السلام - خ) أَذْلَ دَلِيلٍ عَلَى رَبِّهِ، فَإِنَّهُ أُوتِيَ جَوَامِعَ الْكَلِمِ الَّتِي هِيَ مُسَمِّيَاتُ أَسْمَاءِ آدَمَ (عَلَيْهِ السَّلَام - خ). فَأَشْبَهَ الدَّلِيلُ فِي تَثْلِيثِهِ. وَالدَّلِيلُ دَلِيلٌ لِنَفْسِهِ.

وَلَمَّا كَانَتْ حَقِيقَتُهُ تُعْطِي الْفَرْدِيَّةَ الْأُولَى بِمَا هُوَ مُثَلُّكَ النِّشَاءِ (النشأ - خ) لِذَلِكَ قَالَ فِي بَابِ الْمَحَبَةِ الَّتِي هِيَ أَصْلُ الْوُجُودِ (أصل الموجودات - خ): «حُبَّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلَاثٌ» بِمَا فِيهِ مِنَ التَّثْلِيثِ.

ثُمَّ ذَكَرَ النِّسَاءَ وَالطِّيبَ وَجَعَلَتْ قُرَّةَ عَيْنِهِ فِي الصَّلَاةِ.

فَابْتَدَأَ بِذِكْرِ النِّسَاءِ وَأَخَّرَ الصَّلَاةَ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمَرْأَةَ جُزْءٌ مِنَ الرَّجُلِ فِي أَضْلٍ ظُهُورِ عَيْنِهَا.

وَمَعْرِفَةُ الْإِنْسَانِ بِنَفْسِهِ مُقَدَّمَةٌ عَلَى مَعْرِفَتِهِ بِرَبِّهِ، فَإِنَّ مَعْرِفَتَهُ بِرَبِّهِ نَتِيجَةٌ عَنْ مَعْرِفَتِهِ بِنَفْسِهِ لِذَلِكَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (قال عليه السلام - خ) «مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ».

فَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ بِمَنْعِ الْمَعْرِفَةِ فِي هَذَا الْخَبَرِ وَالْعَجَزِ عَنِ الْوُصُولِ فَإِنَّهُ سَائِغٌ فِيهِ، وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ بِثُبُوتِ الْمَعْرِفَةِ. فَلَا أَوَّلَ أَنْ تَعْرِفَ أَنَّ نَفْسَكَ لَا تَعْرِفُهَا فَلَا تَعْرِفُ رَبَّكَ؛ وَالثَّانِي أَنْ تَعْرِفَهَا فَتَعْرِفَ رَبَّكَ.

فَكَانَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْضَحَ دَلِيلٍ عَلَى رَبِّهِ، فَإِنْ كُلُّ جُزْءٍ مِنَ الْعَالَمِ دَلِيلٌ عَلَى أَصْلِهِ الَّذِي هُوَ رَبُّهُ فَافْهَمُ.

وَأَمَّا (فإنما - خ) حُبُّ إِلَهِهِ النِّسَاءِ فَحَنُّ إِلَهِنَّ لِأَنَّهُ مِنْ بَابِ حَنِينٍ الْكُلُّ إِلَى جُزْئِهِ، فَأَبَانَ بِذَلِكَ عَنِ الْأَمْرِ فِي نَفْسِهِ مِنْ جَانِبِ الْحَقِّ فِي قَوْلِهِ فِي هَذِهِ النِّسَاءِ الْإِنْسَانِيَّةِ الْعُنْصَرِيَّةِ ﴿وَفَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [الحجر: ٢٩].

ثُمَّ وَصَفَ نَفْسَهُ بِشِدَّةِ الشَّوْقِ إِلَى لِقَائِهِ فَقَالَ لِلْمُشْتَاقِينَ: «يَا دَاوُدُ إِنِّي أَشَدُّ شَوْقًا إِلَيْهِمْ» يَعْنِي لِلْمُشْتَاقِينَ إِلَيْهِ. (المشتاقين إليه - خ)، وَهُوَ لِقَاءُ خَاصٍّ.

فَإِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي حَدِيثِ الدَّجَالِ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَنْ يَرَى رَبَّهُ حَتَّى يَمُوتَ؛ فَلَا بُدَّ مِنَ الشَّوْقِ لِمَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ.

فَشَوَّقَ الْحَقَّ لِهَوْلَاءِ الْمُقَرَّبِينَ مَعَ كَوْنِهِ يَرَاهُمْ فَيَحِبُّ أَنْ يَرَوْهُ وَيَأْبَى الْمَقَامَ ذَلِكَ. فَأَشْبَهَ قَوْلَهُ: ﴿حَقٌّ نَعْلَمُ﴾ [محمد: ٣١] مَعَ كَوْنِهِ عَالِمًا فَهُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَشْتَاقُ لِهَذِهِ الصِّفَةِ الْخَاصَّةِ الَّتِي لَا وُجُودَ لَهَا إِلَّا عِنْدَ الْمَوْتِ.

فَقِيلَ بِهَا شَوْقُهُمْ إِلَيْهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي حَدِيثِ التَّرَدُّدِ وَهُوَ مِنْ هَذَا الْبَابِ: «مَا تَرَدَّدْتُ فِي شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ كَتَرَدَّدِي فِي قَبْضِ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ لِقَائِي» فَبَشَّرَهُ بِلِقَائِهِ.

وَمَا قَالَ لَهُ وَلَا بُدَّ لَهُ مِنَ الْمَوْتِ لِئَلَّا يَغْمُهُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ.

وَلَمَّا كَانَ لَا يَلْقَى الْحَقَّ إِلَّا بَعْدَ الْمَوْتِ كَمَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ لَا يَرَى رَبَّهُ حَتَّى يَمُوتَ» لِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى: «وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ لِقَائِي». فَاشْتِيَاقُ الْحَقِّ لُجُودِ هَذِهِ النُّسْبَةِ.

يَحِنُّ الْحَبِيبُ إِلَى رُؤْيَايَ وَإِنِّي إِلَيْهِ أَشَدُّ حَازِنًا
وَتَهْفُو النُّفُوسُ وَيَأْبَى الْقَضَا فَاشْكُوا الْأَنِينَ وَيَشْكُوا الْأَنِينَا
فَلَمَّا أَبَانَ أَنَّهُ نَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ، فَمَا اشْتَأَقَ إِلَّا لِنَفْسِهِ. أَلَا تَرَاهُ خَلَقَهُ
عَلَى صُورَتِهِ لِأَنَّهُ مِنْ رُوحِهِ؟

وَلَمَّا كَانَتْ نَشَأَتُهُ مِنْ هَذِهِ الْأَرْكَانِ الْأَرْبَعَةِ الْمُسَمَّاةِ فِي جَسَدِهِ أَخْلَاطًا،
حَدَّثَ عَنْ نَفْخِهِ اشْتِعَالَ بِمَا فِي جَسَدِهِ مِنَ الرُّطُوبَةِ، فَكَانَ رُوحُ الْإِنْسَانِ نَارًا
لَأَجْلِ نَشَأَتِهِ، وَلِهَذَا مَا كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى إِلَّا فِي صُورَةِ النَّارِ وَجَعَلَ حَاجَتَهُ
فِيهَا، فَلَوْ كَانَتْ نَشَأَتُهُ طَبِيعِيَّةً لَكَانَ رُوحُهُ نُورًا.

وَكُنِيَ عَنْهُ بِالنَّفْخِ يُبَيِّنُ إِلَى أَنَّهُ مِنْ نَفْسِ الرَّحْمَنِ، فَإِنَّهُ بِهَذَا النَّفْسِ
الَّذِي هُوَ النَّفْخَةُ ظَهَرَ عَيْنُهُ، وَبِاسْتِعْدَادِ الْمُنْفُوخِ فِيهِ كَانَ الْاِشْتِعَالُ نَارًا لَا
نُورًا، فَبَطَنَ نَفْسُ الْحَقِّ فِيمَا كَانَ بِهِ الْإِنْسَانُ إِنْسَانًا.

ثُمَّ اشْتَقَّ لَهُ شَخْصًا (ثُمَّ اشْتَقَّ لَهُ مِنْهُ شَخْصًا - خ) عَلَى صُورَتِهِ سَمَاهُ
امْرَأَةً، فَظَهَرَتْ بِصُورَتِهِ فَحَنَّ إِلَيْهَا حَيْنَ الشَّيْءِ إِلَى نَفْسِهِ وَحَنَّتْ إِلَيْهِ حَيْنَ
الشَّيْءِ إِلَى وَطَنِهِ.

فَحُبِّبَ إِلَيْهِ النِّسَاءَ، فَإِنَّ اللَّهَ أَحَبُّ مَنْ خَلَقَهُ عَلَى صُورَتِهِ وَأَسْجَدَ لَهُ
مَلَائِكَتُهُ الثَّوَرِيَّيْنَ عَلَى عِظَمِ قَدْرِهِمْ وَمَنْزِلَتِهِمْ وَعُلُوِّ نَشَأَتِهِمُ الطَّبِيعِيَّةِ. فَمِنْ
هُنَاكَ وَقَعَتِ الْمُنَاسَبَةُ.

وَالصُّورَةُ أَعْظَمُ مُنَاسَبَةٍ وَأَجْلَهَا وَأَكْمَلُهَا: فَإِنَّهَا زَوْجٌ أَنِي شَفَعْتُ وَجُودَ الْحَقِّ، كَمَا كَانَتْ الْمَرْأَةُ شَفَعَتْ بِوُجُودِهَا الرَّجُلَ فَصَيَّرَتْهُ زَوْجًا.
فَظَهَرَتِ الثَّلَاثَةُ: حَقٌّ وَرَجُلٌ وَامْرَأَةٌ؛ فَحَقُّ الرَّجُلِ إِلَى رَبِّهِ الَّذِي هُوَ أَضْلُهُ حَيْنِ الْمَرْأَةِ إِلَيْهِ. فَحَبَّبَ إِلَيْهِ رَبُّهُ النِّسَاءَ كَمَا أَحَبَّ اللَّهُ مَنْ هُوَ عَلَى صُورَتِهِ.

فَمَا وَقَعَ الْحُبُّ إِلَّا لِمَنْ تَكُونُ عَنْهُ، وَقَدْ كَانَ حُبُّهُ لِمَنْ تَكُونُ مِنْهُ وَهُوَ الْحَقُّ. فَلِهَذَا قَالَ: «حُبَّبَ» وَلَمْ يَقُلْ أَحَبَّتْ مِنْ نَفْسِهِ لِتَعْلُقِ حُبَّهُ بِرَبِّهِ الَّذِي هُوَ عَلَى صُورَتِهِ حَتَّى فِي مَحَبَّتِهِ لَامْرَأَتِهِ؛ فَإِنَّهُ أَحَبَّهَا بِحُبِّ اللَّهِ إِنَاءَهُ تَخْلُقًا إِلَهِيًّا.

وَلَمَّا أَحَبَّ الرَّجُلُ الْمَرْأَةَ طَلَبَ الْوَضْعَةَ أَيْ غَايَةَ (الوصلة إلى غاية - خ) الْوَضْعَةَ الَّتِي تَكُونُ فِي الْمَحَبَّةِ فَلَمْ يَكُنْ فِي صُورَةِ النِّسَاءِ الْعُنْصَرِيَّةِ أَعْظَمُ وَضْعَةً مِنَ النِّكَاحِ، وَلِهَذَا تَعَمَّ الشَّهْوَةُ أَجْزَاءَهُ كُلَّهَا، وَلِذَلِكَ أُمِرَ بِالْأَعْتِسَالِ مِنْهُ، فَعَمَّتِ الطَّهَارَةُ كَمَا عَمَّ الْفَنَاءُ فِيهَا عِنْدَ حُصُولِ الشَّهْوَةِ.

فَإِنَّ الْحَقَّ غَيَّرَ عَلَى عَبْدِهِ أَنْ يَغْتَفِدَ أَنَّهُ يَلْتَذُّ بِغَيْرِهِ. فَظَهَرَهُ بِالْغُسْلِ لِيَرْجِعَ بِالنَّظَرِ إِلَيْهِ فَيَمُنَّ فِيهِ، إِذْ لَا يَكُونُ إِلَّا ذَلِكَ.

فَإِذَا شَاهَدَ الرَّجُلُ الْحَقَّ فِي الْمَرْأَةِ كَانَ شَهِودًا فِي مُنْفَعِلٍ، وَإِذَا شَاهَدَهُ فِي نَفْسِهِ مِنْ حَيْثُ ظَهَرَ الْمَرْأَةُ عَنْهُ شَاهَدَهُ فِي فَاعِلٍ.

وَإِذَا شَاهَدَهُ فِي نَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ اسْتِحْضَارِ صُورَةٍ مَا تَكُونُ عَنْهُ كَانَ شَهِودَهُ فِي مُنْفَعِلٍ عَنِ الْحَقِّ بِلاَ وَاسِطَةٍ.

فَشَهِودُهُ لِلْحَقِّ فِي الْمَرْأَةِ أَتَمُّ وَأَكْمَلُ، لِأَنَّهُ يُشَاهِدُ الْحَقَّ مِنْ حَيْثُ هُوَ

فَاعِلٌ مُتَّفِعِلٌ (فاعل ومنفعل - خ)؛ وَمِنْ نَفْسِهِ مِنْ حَيْثُ هُوَ مُتَّفِعِلٌ خَاصَّةً .
فَلِهَذَا أَحَبَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النِّسَاءَ بِكَمَالِ (لِكَمَالِ) شُهُودِ الْحَقِّ
فِيهِنَّ، إِذْ لَا يُشَاهَدُ الْحَقُّ مُجَرَّدًا عَنِ الْمَوَادِّ أَبَدًا. فَإِنَّ اللَّهَ بِالذَّاتِ غَيِّ عَنِ
الْعَالَمِينَ .

فَإِذَا (وَإِذَا - خ) كَانَ الْأَمْرُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ مُمْتَنِعًا، وَلَمْ تَكُنِ الشَّهَادَةُ
إِلَّا فِي مَادَّةٍ، فَشُهُودُ الْحَقِّ فِي النِّسَاءِ أَغْظَمُ الشُّهُودِ وَأَكْمَلُهُ .

وَأَعْظَمُ الْوُضَلَةِ النِّكَاحُ وَهُوَ نَظِيرُ التَّوَجُّهِ الْإِلَهِيِّ عَلَى مَنْ خَلَقَهُ عَلَى
صُورَتِهِ لِيَخْلُقَهُ فَيَرَى فِيهِ صُورَتَهُ بَلْ نَفْسُهُ فَسَوَاهُ وَعَدْلُهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ
الَّذِي هُوَ نَفْسُهُ، فَظَاهَرَهُ خَلْقٌ وَبَاطِنُهُ حَقٌّ .

وَلِهَذَا وَصَفَهُ بِالتَّدْبِيرِ لِهَذَا الْهَيْكَلِ، فَإِنَّهُ تَعَالَى: ﴿يَدْبُرُ الْأُمُورَ مِنَ
أَسْمَاءِ﴾ [السجدة: ٥] وَهُوَ الْعُلُوُّ، ﴿إِلَى الْأَرْضِ﴾ [السجدة: ٥] وَهُوَ أَسْفَلُ
السَّافِلِينَ، لِأَنَّهَا أَسْفَلُ الْأَرْكَانِ كُلِّهَا .

وَسَمَّاهُنَّ بِالنِّسَاءِ وَهُوَ جَمْعٌ لَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ، وَلِذَلِكَ قَالَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ: «حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلَاثٌ: النِّسَاءُ» وَلَمْ يَقُلِ الْمَرْأَةُ .

فَرَاعَى تَأْخُرَهُنَّ فِي الْوُجُودِ عَنْهُ، فَإِنَّ الشُّنْأَةَ النِّسَاءُ هِيَ التَّأْخِيرُ قَالَ
تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا أَلِيتُهُ زِيَادَةً فِي الْكَفْرِ﴾ [التوبة: ٣٧] وَالْبَيْعُ بِنِسْيَتِهِ يَقُولُ
بِتَأْخِيرٍ . فَلِذَلِكَ (ولذلك - خ) ذَكَرَ النِّسَاءَ .

فَمَا أَحَبَّهُنَّ إِلَّا بِالْمَرْتَبَةِ وَأَنْهَنَ مَحَلَّ الْإِنْفِعَالِ . فَهُنَّ لَهُ كَالطَّبِيعَةِ لِلْحَقِّ
الَّتِي فَتَحَ فِيهَا صُورَ الْعَالَمِ بِالتَّوَجُّهِ الْإِرَادِيِّ وَالْأَمْرِ الْإِلَهِيِّ الَّذِي هُوَ نِكَاحٌ فِي
عَالَمِ الصُّورِ الْعَنْصُرِيَّةِ، وَهَمَّةٌ فِي عَالَمِ الْأَرْوَاحِ الثَّوْرِيَّةِ، وَتَرْتِيبٌ مُقَدِّمَاتٍ

فِي الْمَعَانِي لِلإِنْتاجِ . وَكُلَّ ذَلِكَ نِكَاحُ الْفَرْدِيَّةِ الْأُولَى فِي كُلِّ وَجْهِ مِنْ هَذِهِ
الْوُجُوهِ .

فَمَنْ أَحَبَّ النِّسَاءَ عَلَى هَذَا الْحَدِّ فَهُوَ حُبُّ إِلَهِيٍّ، وَمَنْ أَحَبَّهُنَّ عَلَى
جِهَةِ الشَّهْوَةِ الطَّبِيعِيَّةِ خَاصَّةً نَقَصَهُ عِلْمُ هَذِهِ الشَّهْوَةِ، فَكَانَ صُورَةَ بِلَا رُوحٍ
عِنْدَهُ، وَإِنْ كَانَتْ تِلْكَ الصُّورَةُ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ ذَاتِ رُوحٍ وَلَكِنَّهَا غَيْرُ
مَشْهُودَةٍ .

لِمَنْ جَاءَ امْرَأَتُهُ أَوْ أُتِيَ (لَامْرَأَتِهِ أَوْ لَانثَى - خ) حَيْثُ كَانَتْ لِمَجْرَدٍ
(بمجرد - خ) الإِلْتِذَاذِ وَلَكِنَّ لَا يَدْرِي لِمَنْ فَجْهَلُ مَنْ نَفْسِهِ مَا يَجْهَلُ الْغَيْرُ
مِنْهُ مَا لَمْ يُسَمِّهِ هُوَ بِلِسَانِهِ حَتَّى يَعْلَمَ كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ :

صَحَّ عِنْدَ النَّاسِ أَتَى عَاشِقٌ غَيْرَ أَنْ لَمْ يَعْرِفُوا عَشْقِي لِمَنْ
كَذَلِكَ هَذَا أَحَبُّ الإِلْتِذَاذِ فَأَحَبُّ الْمَحَلِّ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ وَهُوَ الْمَرْأَةُ،
وَلَكِنْ غَابَ عَنْهُ رُوحُ الْمَسْأَلَةِ، فَلَوْ عِلْمُهَا لَعَلِمَ بِمَنْ التَّدُّ وَمَنْ التَّدَّ . وَكَانَ
(فَكَانَ - خ) كَامِلًا .

وَكَمَا نَزَلَتِ الْمَرْأَةُ عَنْ دَرَجَةِ الرَّجُلِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَاللِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾
[البقرة: ٢٢٨] نَزَلَ الْمَخْلُوقُ عَلَى الصُّورَةِ عَنْ دَرَجَةِ مَنْ أَنْشَأَهُ عَلَى صُورَتِهِ مَعَ
كَوْنِهِ عَلَى صُورَتِهِ .

فَبِتِلْكَ الدَّرَجَةِ الَّتِي تَمَيَّزَ بِهَا عَنْهُ، بِهَا كَانَ غَنِيًّا عَنِ الْعَالَمِينَ وَفَاعِلًا
أَوَّلًا، فَإِنَّ الصُّورَةَ فَاعِلٌ ثَانٍ .

فَمَا لَهُ الْأَوَّلِيَّةُ الَّتِي لِلْحَقِّ . فَتَمَيَّزَتِ الْأَعْيَانُ بِالْمَرَاتِبِ : فَأُعْطِيَ كُلُّ ذِي
حَقٍّ حَقُّهُ كُلُّ عَارِفٍ .

فَلِهَذَا كَانَ حُبُّ النِّسَاءِ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ تَحِبِّ إِلَهِي
وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى: ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ [طه: ٥٠] وَهُوَ غَيْنٌ حَقُّهُ.

فَمَا أَعْطَاهُ إِلَّا بِاسْتِحْقَاقِ اسْتِحْقَاقِهِ (وَاسْتِحْقَاقُهُ - خ) بِمُسَمَّاهُ؛ أَيْ بِذَاتِ
ذَلِكَ الْمُسْتَحَقِّ.

وإنما قَدَّمَ النساءَ لِأَنَّهُنَّ مَحَلُّ الانْفِعَالِ، كما تَقَدَّمتِ الطَّبِيعَةُ عَلَى مَنْ
وَجَدَ مِنْهَا بِالصُّورَةِ.

وَلَيْسَتْ الطَّبِيعَةُ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِلَّا النَّفْسُ الرَّحْمَانِيَّةُ، فَإِنَّهُ فِيهِ انْفَتَحَتْ
صُورُ الْعَالَمِ أَغْلَاهُ وَأَسْفَلُهُ لِسِرْيَانِ التَّفَخُّعِ فِي الْجَوْهَرِ الْهَيُولَانِيِّ فِي عَالَمِ
الْأَجْرَامِ خَاصَّةً.

وَأَمَّا سِرْيَانُهَا لَوْجُودِ الْأَرْوَاحِ الثَّوَرِيَّةِ وَالْأَعْرَاضِ فَذَلِكَ سِرْيَانٌ آخِرٌ.
ثُمَّ إِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (عليه السلام - خ) غَلَبَ فِي هَذَا الْخَبَرِ
التَّائِيثَ عَلَى التَّذْكِيرِ لِأَنَّهُ قَصَدَ التَّهْمَمَ بِالنِّسَاءِ فَقَالَ: «ثَلَاثٌ» وَلَمْ يَقُلْ
«ثَلَاثَةٌ» بِالْهَاءِ الَّتِي هُوَ لِعَدَدِ الذَّكَرِ، إِذْ هُمُ فِيهَا.

ذَكَرَ الطَّبِيبُ وَهُوَ مُذَكَّرٌ. وَعَادَةُ الْعَرَبِ أَنْ تُغَلَّبَ التَّذْكِيرُ عَلَى التَّائِيثِ
فَتَقُولُ «الْفَوَاطِمُ وَزَيْدٌ خَرَجُوا» وَلَا تَقُولُ خَرَجْنَ. فَعَلُّبُوا التَّذْكِيرَ - وَإِنْ كَانَ
وَاحِدًا - عَلَى التَّائِيثِ وَإِنْ كُنَّ جَمَاعَةً؛ وَهُوَ عَرَبِيٌّ (وهو - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ - عَرَبِيٌّ - خ)، فَرَاعَى الْمَعْنَى الَّتِي قُصِدَ بِهِ فِي التَّحِبِّ مَا لَمْ يَكُنْ
يُؤَثِّرُ حُبَّهُ.

فَعَلَّمَهُ اللَّهُ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْهِ عَظِيمًا. فَعَلَّبَ التَّائِيثَ
عَلَى التَّذْكِيرِ بِقَوْلِهِ: «ثَلَاثٌ» بِغَيْرِ هَاءٍ فَمَا أَعْلَمَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بِالْحَقَائِقِ، وَمَا أَشَدَّ رِعَايَتَهُ لِلْحَقُوقِ!

ثُمَّ إِنَّهُ جَعَلَ الْخَاتِمَةَ نَظِيرَةَ الْأُولَى فِي التَّائِيثِ وَأَذْرَجَ بَيْنَهُمَا التَّذْكِيرَ،
 (المذكر - خ) فَبَدَأَ بِالنِّسَاءِ وَخَتَمَ بِالصَّلَاةِ وَكَلَّمَهُمَا تَأْنِيثًا، وَالطَّبِيبُ بَيْنَهُمَا
 كَهَوٍّ فِي وُجُودِهِ، فَإِنَّ الرَّجُلَ مَذْرُجٌ بَيْنَ ذَاتٍ ظَهَرَ عَنْهَا وَبَيْنَ امْرَأَةٍ ظَهَرَتْ
 عَنْهُ، فَهُوَ بَيْنَ مُؤَنَّثَيْنِ: تَأْنِيثُ ذَاتٍ وَتَأْنِيثُ حَقِيقِي. كَذَلِكَ النِّسَاءُ تَأْنِيثُ
 حَقِيقِي وَالصَّلَاةُ تَأْنِيثُ غَيْرِ حَقِيقِي وَالطَّبِيبُ مَذْكَرٌ بَيْنَهُمَا كَأَدَمَ بَيْنَ الذَّاتِ
 الْمَوْجُودِ هُوَ عَنْهَا (الموجود عنها - خ) وَبَيْنَ حَوَاءِ الْمَوْجُودَةِ عَنْهُ، وَإِنْ
 شِئْتَ قُلْتَ الصَّفَةَ مُؤَنَّثَةً أَيْضًا؛ وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ الْفُدرَةَ مُؤَنَّثَةً أَيْضًا، فَكُنْ
 عَلَى أَيِّ مَذْهَبٍ شِئْتَ، فَإِنَّكَ لَا تَجِدُ إِلَّا التَّائِيثَ يَتَقَدَّمُ حَتَّى عِنْدَ أَصْحَابِ
 الْعِلَّةِ الَّذِينَ جَعَلُوا الْحَقَّ عِلَّةً فِي وُجُودِ الْعَالَمِ وَالْعِلَّةُ مُؤَنَّثَةٌ.

وَأَمَّا حِكْمَةُ الطَّبِيبِ وَجَعْلِهِ بَعْدَ النِّسَاءِ فَلِمَا فِي النِّسَاءِ مِنْ رَوَائِحِ
 التَّكْوِينِ، فَإِنَّهُ أَطْيَبُ الطَّبِيبِ عِنَاقُ الْحَبِيبِ. كَذَا قَالُوا فِي الْمَثَلِ السَّائِرِ.

وَلَمَّا خُلِقَ عَبْدًا (ولما خُلِقَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) عَبْدًا - خ) بِالْأَصَالَةِ لَمْ
 يَرْفَعْ رَأْسَهُ قَطُّ إِلَى السِّيَادَةِ، بَلْ لَمْ يَزَلْ سَاجِدًا وَاقِفًا مَعَ كَوْنِهِ مُنْفَعِلًا حَتَّى
 كَوَّنَ اللَّهُ عَنْهُ مَا كَوَّنَ. فَأَعْطَاهُ رُتْبَةَ الْفَاعِلِيَّةِ فِي عَالَمِ الْأَنْفَاسِ الَّتِي هِيَ
 الْأَعْرَافُ الطَّيِّبَةُ. فَحُبِّبَ إِلَيْهِ الطَّبِيبُ: فَلِذَلِكَ جَعَلَهُ بَعْدَ النِّسَاءِ.

فَرَأَى الدَّرَجَاتِ الَّتِي لِلْحَقِّ فِي قَوْلِهِ: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾
 [غافر: ١٥] لَأَسْتَوَاهِ عَلَيْهِ بِاسْمِهِ الرَّحْمَنِ.

فَلَا يَبْقَى فِيمَنْ حَوَى عَلَيْهِ الْعَرْشُ مَنْ لَا تُصَيِّهُ الرِّحْمَةُ الْإِلَهِيَّةُ: وَهُوَ
 قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، وَالْعَرْشُ وَسِعَ
 كُلَّ شَيْءٍ.

وَالْمَسْتَوِي الرَّحْمَنُ فَبِحَقِيقَتِهِ يَكُونُ سَرِيَانُ الرِّحْمَةِ فِي الْعَالَمِ كَمَا قَدْ

بَيَّنَاهُ (كما بيناه - خ) فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ وَمِنْ الْفُتُوحِ الْمَكِّي (وفي الفتوح المكي - خ).

وَقَدْ جَعَلَ الطَّبِيبُ فِي هَذَا الْإِلْتِحَامِ النِّكَاحِي فِي بَرَاءَةِ عَائِشَةَ فَقَالَ:
﴿الْحَيْثُ لِلْخَيْثِ وَالْخَيْثُونَ لِلْخَيْثِ وَالطَّبِيبُ لِلطَّبِيبِينَ وَالطَّبِيبُونَ لِلطَّبِيبَاتِ
أُولَئِكَ مُبْرَوَاتٌ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ [النور: ٢٦].

فَجَعَلَ رَوَائِحَهُمْ طَبِيبَةً وَأَقْوَالَهُمْ صَادِقَةً لِأَنَّ الْقَوْلَ نَفْسٌ، وَهُوَ عَيْنُ
الرَّائِحَةِ فَيَخْرُجُ بِالطَّبِيبِ وَالْخَيْثِ عَلَى حَسَبِ مَا يَظْهَرُ فِي صُورَةِ التَّنْقِيطِ.
فَمِنْ حَيْثُ إِنَّهُ (ومن حيث هو - خ) إِلَهِي بِالْأَصَالَةِ كُلُّهُ طَبِيبٌ: فَهُوَ
طَبِيبٌ؛ وَمِنْ حَيْثُ مَا يُحْمَدُ وَيَذَمُّ فَهُوَ طَبِيبٌ وَخَيْثٌ.

فَقَالَ فِي حُبِّ الثُّومِ هِيَ شَجَرَةٌ أَكْرَهُ (شجرة خبيثة اكره - خ) رِيحَهَا
وَلَمْ يَقُلْ أَكْرَهُهَا. فَالْعَيْنُ لَا تُكْرَهُ (ما تُكْرَهُ - خ)، وَإِنَّمَا يُكْرَهُ مَا يَظْهَرُ مِنْهَا.
وَالْكِرَاهَةُ لِذَلِكَ إِمَّا عُزْفًا أَوْ بَعْدَ مَلَاءَمَةٍ طَبِيعٍ أَوْ غَرَضٍ أَوْ شَرِّعٍ، أَوْ نَقْصٍ
عَنْ كَمَالٍ مَطْلُوبٍ وَمَا تَمَّ (ثَمَّة - خ) غَيْرُ مَا ذَكَرْنَاهُ.

وَلَمَّا انْقَسَمَ الْأَمْرُ إِلَى خَبِيثٍ وَطَبِيبٍ كَمَا قَرَّرْنَاهُ، حُبُّ إِلَيْهِ الطَّبِيبِ
دُونَ الْخَبِيثِ وَوَصَفَ الْمَلَائِكَةُ بِأَنَّهَا تَتَأَذَى بِالرَّوَائِحِ الْخَبِيثَةِ لِمَا فِي هَذِهِ
النَّشْأَةِ الْعُنْصُرِيَّةِ مِنَ التَّعَفُّفِ (التعفف - خ) فَإِنَّهُ مَخْلُوقٌ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمٍّ
مَسْنُونٍ أَيْ مُتَغَيَّرِ الرِّيحِ، فَتَكَرَّهَ الْمَلَائِكَةُ بِالذَّاتِ.

كَمَا أَنَّ مِزَاجَ الْجُعَلِ يَتَضَرَّرُ بِرَائِحَةِ الْوَرْدِ وَهِيَ الرَّوَائِحُ الطَّيِّبَةُ. فَلَيْسَ
رِيحُ الْوَرْدِ (فليس الورد - خ) عِنْدَ الْجُعَلِ بِرِيحٍ طَبِيبَةٍ. وَمَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ
هَذَا الْمِزَاجِ مَعْنَى وَصُورَةٍ أَضَرَّ بِالْحَقِّ إِذَا سَمِعَهُ وَسُرَّ بِالْبَاطِلِ: وَهُوَ قَوْلُهُ:
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ﴾ [المنكوت: ٥٢]؛ وَوَصَفَهُمْ

بِالْخُسْرَانِ فَقَالَ: ﴿أَوَلَيْكَ هُمُ الْخَسِرُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٢] ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٢] فَإِنَّهُ مَنْ (فَإِنْ مِنْ - خ) لَمْ يُدْرِكِ الطَّيِّبَ مِنَ الْخَبِيثِ فَلَا إِذْرَاكَ لَهُ.

فَمَا حُبَّبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا الطَّيِّبَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَمَا ثَمَّةَ (وَمَا ثَمَّ - خ) إِلَّا هُوَ. وَهَلْ يَتَصَوَّرُ أَنْ يَكُونَ فِي الْعَالَمِ مِزَاجٌ لَا يَجِدُ إِلَّا الطَّيِّبَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا يَتَعَرَّفُ الْخَبِيثُ أَمْ لَا؟ قُلْنَا هَذَا لَا يَكُونُ: فَإِنَّا مَا وَجَدْنَاهُ فِي الْأَضْلَى الَّذِي ظَهَرَ الْعَالَمُ مِنْهُ وَهُوَ الْحَقُّ، فَوَجَدْنَاهُ يُكْرَهُ وَيُحِبُّ؛ وَلَيْسَ الْخَبِيثُ إِلَّا مَا يُكْرَهُ وَلَا الطَّيِّبُ إِلَّا مَا يُحِبُّ.

وَالْعَالَمُ عَلَى صُورَةِ الْحَقِّ وَالْإِنْسَانُ عَلَى الصُّورَتَيْنِ فَلَا يَكُونُ ثَمَّةَ (ثَمَّ - خ) مِزَاجٌ لَا يُدْرِكُ إِلَّا الْأَمْرَ الْوَاحِدَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، بَلْ ثَمَّةَ (ثَمَّ - خ) مِزَاجٌ يُدْرِكُ الطَّيِّبَ مِنَ الْخَبِيثِ، مَعَ عِلْمِهِ بِأَنَّهُ خَبِيثٌ بِالدُّوْقِ طَيِّبٌ بِغَيْرِ الدُّوْقِ، فَيَشْغَلُهُ إِذْرَاكَ الطَّيِّبِ مِنْهُ عَنِ الْإِحْسَاسِ بِخَبِيثِهِ.

هَذَا قَدْ يَكُونُ. وَأَمَّا رَفَعُ الْخَبِيثِ (الْخَبَثِ، الْخُبَثِ - خ) مِنَ الْعَالَمِ - أَيْ مِنَ الْكَوْنِ - فَإِنَّهُ لَا يَصِحُّ.

وَرَحْمَةُ اللَّهِ فِي الْخَبِيثِ وَالطَّيِّبِ. وَالْخَبِيثُ عِنْدَ نَفْسِهِ طَيِّبٌ وَالطَّيِّبُ عِنْدَهُ خَبِيثٌ. فَمَا ثَمَّةَ (ثَمَّ - خ) شَيْءٌ طَيِّبٌ إِلَّا وَهُوَ مِنْ وَجْهِ فِي حَقِّ مِزَاجٍ مَا خَبِيثٌ: وَكَذَلِكَ بِالْعَكْسِ.

وَأَمَّا الثَّالِثُ الَّذِي بِهِ كَمَلَتِ الْفَرْدِيَّةُ فَالصَّلَاةُ.

فَقَالَ: «وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ» لِأَنَّهَا مُشَاهِدَةٌ: وَذَلِكَ لِأَنَّهَا مُنَاجَاةٌ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ عَبْدِهِ كَمَا قَالَ: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وَهِيَ عِبَادَةٌ مَقْسُومَةٌ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ عَبْدِهِ بِنِصْفَيْنِ: فَنِصْفُهَا لِلَّهِ وَنِصْفُهَا لِعَبْدِهِ كَمَا وَرَدَ فِي الْخَبَرِ الصَّحِيحِ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «قَسِمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ: فَنِصْفُهَا لِي وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ. يَقُولُ الْعَبْدُ: ﴿يَسْمِ اللَّهُ الرَّخَى الرَّحِيمَ﴾ [الفاتحة: ١] يَقُولُ اللَّهُ ذَكَرَنِي عَبْدِي. يَقُولُ الْعَبْدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] يَقُولُ اللَّهُ حَمَدَنِي عَبْدِي. يَقُولُ الْعَبْدُ: ﴿الرَّخَى الرَّحِيمَ﴾ [الفاتحة: ٣] يَقُولُ اللَّهُ أَتْنِي عَلَيَّ عَبْدِي. يَقُولُ الْعَبْدُ: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] يَقُولُ اللَّهُ مَجَدَنِي عَبْدِي، فَوُضَّ إِلَيَّ عَبْدِي. فَهَذَا النِّصْفُ كُلُّهُ لِلَّهِ تَعَالَى (كَلَهُ لَهُ تَعَالَى - خ) خَالِصٌ. ثُمَّ يَقُولُ الْعَبْدُ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] يَقُولُ اللَّهُ هَذِهِ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ. فَأَوْقَعَ الْإِشْرَاقَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ. يَقُولُ الْعَبْدُ: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦ - ٧] يَقُولُ اللَّهُ فَهَؤُلَاءِ لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ. فَخَلَصَ هَؤُلَاءِ لِعَبْدِهِ كَمَا خَلَصَ الْأَوَّلُ لَهُ تَعَالَى. فَعَلِمَ مِنْ هَذَا وَجُوبَ قِرَاءَةِ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]. فَمَنْ لَمْ يَقْرَأْهَا فَمَا صَلَّى الصَّلَاةَ الْمَقْسُومَةَ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ عَبْدِهِ.

وَلَمَّا كَانَتْ (كَانَتِ الصَّلَاةُ - خ) مُنَاجَاةً فَهِيَ ذِكْرٌ، وَمَنْ ذَكَرَ الْحَقَّ فَقَدْ جَالَسَ الْحَقَّ وَجَالَسَهُ الْحَقُّ. فَإِنَّهُ صَحَّ فِي الْخَبَرِ الْإِلَهِيِّ أَنَّهُ تَعَالَى قَالَ: «أَنَا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنِي». وَمَنْ جَالَسَ مَنْ ذَكَرَهُ وَهُوَ ذُو بَصِيرٍ حَدِيدٍ رَأَى (ذُو بَصِيرٍ رَأَى - خ) جَلِيسَهُ.

فَهَذِهِ مُشَاهَدَةٌ وَرُؤْيَاةٌ. فَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَا بَصِيرٍ لَمْ يَرَهُ. فَمِنْ هَهُنَا يَغْلُمُ الْمُصَلِّي رُتْبَتَهُ هَلْ يَرَى الْحَقَّ هَذِهِ الرُّؤْيَاةُ فِي هَذِهِ الصَّلَاةِ، أَمْ لَا؟ فَإِنْ لَمْ يَرَهُ

فَلْيَعْبُدْهُ بِالْإِيمَانِ كَأَنَّهُ يَرَاهُ فَيَحْيِلُهُ فِي قِبَلَتِهِ عِنْدَ مُنَاجَاتِهِ، وَيُلْقَى السَّمْعَ لِمَا يَرُدُّ بِهِ عَلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ.

فَإِنَّ كَانَ إِمَامًا لِعَالَمِهِ الْخَاصِّ بِهِ وَلِلْمَلَائِكَةِ الْمَصْلُيْنَ مَعَهُ - فَإِنَّ كُلَّ مَصْلٍ فَهُوَ إِمَامٌ بِلَا شَكٍّ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تُصَلِّي خَلْفَ الْعَبْدِ؛ إِذَا صَلَّى وَخَدَهُ كَمَا وَرَدَ فِي الْخَبَرِ - فَقَدْ حَصَلَ لَهُ رُتْبَةُ الرَّسُولِ (الرُّسُل - خ) فِي الصَّلَاةِ. وَهِيَ النِّيَابَةُ عَنِ اللَّهِ. وَإِذَا قَالَ سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ. فَيُخَيَّرَ نَفْسُهُ وَمَنْ خَلَفَهُ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَهُ.

فتقول الملائكة وَالْحَاضِرُونَ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ. فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ عَلَى لِسَانِ عَبْدِهِ سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ. فَانْظُرْ عُلُوَّ رُتْبَتِهِ (مرتبة - خ) الصَّلَاةِ وَإِلَى أَيْنَ تَنْتَهِي بِصَاحِبِهَا. فَمَنْ لَمْ يُحْصَلْ دَرَجَةُ الرُّؤْيَةِ فِي الصَّلَاةِ فَمَا بَلَغَ غَايَتَهَا وَلَا كَانَ لَهُ فِيهَا قُرَّةٌ عَيْنٍ، لِأَنَّهُ لَمْ يَرِ مَنْ يُنَاجِيهِ.

فَإِنَّ لَمْ يَسْمَعْ مَا يَرُدُّ مِنَ الْحَقِّ عَلَيْهِ فِيهَا فَمَا هُوَ مِمَّنْ أُلْقِيَ السَّمْعَ. وَلَا سَمِعَهُ. وَمَنْ لَمْ يَحْضُرْ فِيهَا مَعَ رَبِّهِ مَعَ كَوْنِهِ لَمْ يَسْمَعْ وَلَمْ يَرِ، فَلَيْسَ بِمَصْلٍ أَصْلًا، وَلَا هُوَ مِمَّنْ أُلْقِيَ السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ.

وَمَا ثَمَّةَ (ثُمَّ - خ) عِبَادَةٌ تَمْنَعُ مِنَ التَّصَرُّفِ فِي غَيْرِهَا - مَا دَامَتْ - سِوَى الصَّلَاةِ. وَذَكَرَ اللَّهُ فِيهَا أَكْبَرُ مَا فِيهَا لِمَا تُشْتَمِلُ عَلَيْهِ مِنْ أَقْوَالٍ وَأَفْعَالٍ. وَقَدْ ذَكَرْنَا صِفَةَ الرَّجُلِ الْكَامِلِ فِي الصَّلَاةِ فِي الْفُتُوحَاتِ الْمَكِّيَّةِ كَيْفَ تَكُونُ (يَكُونُ - خ) لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿إِنَّ أَصْلَ الْكَلَامِ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، لِأَنَّهُ شَرَعَ لِلْمُصَلِّي أَنْ لَا يَتَصَرَّفَ فِي غَيْرِ هَذِهِ الْعِبَادَةِ مَا دَامَ فِيهَا وَيُقَالُ لَهُ مَصْلٍ.

﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥] يَعْنِي فِيهَا: أَيِ الذِّكْرِ الَّذِي

يَكُونُ مِنَ اللَّهِ لِعَبْدِهِ حِينَ يُجِيبُهُ فِي سُؤَالِهِ . وَالشَّاءُ عَلَيْهِ أَكْبَرُ مِنْ ذِكْرِ الْعَبْدِ رَبَّهُ فِيهَا ، لِأَنَّ الْكِبْرِيَاءَ لِلَّهِ تَعَالَى . وَلِذَلِكَ قَالَ : ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت : ٤٥] .

وَقَالَ : ﴿أَوْ أَلْفَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق : ٣٧] فَإِلْقَاؤُهُ السَّمْعَ هُوَ لَمَّا يَكُونُ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ إِيَّاهُ فِيهَا .

وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ الْوُجُودَ لَمَّا كَانَ عَنْ حَرَكَةٍ مَعْقُولَةٍ نَقَلَتِ الْعَالَمَ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ عَمَّتِ الصَّلَاةُ جَمِيعَ الْحَرَكَاتِ وَهِيَ ثَلَاثٌ : حَرَكَةُ مُسْتَقِيمَةٍ وَهِيَ حَالُ قِيَامِ الْمُصَلِّي ، وَحَرَكَةُ أَفْقِيَّةٍ وَهِيَ حَالُ رُكُوعِ الْمُصَلِّي ، وَحَرَكَةُ مَنْكُوسَةٍ ؛ وَهِيَ حَالُ سُجُودِهِ فَحَرَكَةُ الْإِنْسَانِ مُسْتَقِيمَةٌ وَحَرَكَةُ الْحَيَّوَانِ أَفْقِيَّةٌ وَحَرَكَةُ النَّبَاتِ مَنْكُوسَةٌ ؛ وَلَيْسَ لِلْجَمَادِ حَرَكَةٌ مِنْ ذَاتِهِ : فَإِذَا تَحَرَّكَ حَجَرَ فَإِنَّمَا يَتَحَرَّكُ بِغَيْرِهِ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : «وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ» - وَلَمْ يَنْسِبِ الْجُعْلَ إِلَى نَفْسِهِ - فَإِنَّ تَجَلِّيَ الْحَقِّ لِلْمُصَلِّي أَمَّا هُوَ رَاجِعٌ إِلَيْهِ تَعَالَى لَا إِلَى الْمُصَلِّي . فَإِنَّهُ لَوْ لَمْ يَذْكُرْ هَذِهِ الصِّفَةَ عَنْ نَفْسِهِ لِأَمْرِهِ بِالصَّلَاةِ عَلَى غَيْرِ تَجَلٍّ مِنْهُ لَهُ .

فَلَمَّا كَانَ مِنْهُ ذَلِكَ بِطَرِيقِ الْاِمْتِنَانِ ، كَانَتْ الْمُشَاهَدَةُ بِطَرِيقِ الْاِمْتِنَانِ . فَقَالَ : وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ .

وَلَيْسَتْ قُرَّةُ عَيْنِهِ إِلَّا مُشَاهَدَةُ الْمَحْبُوبِ (وَلَيْسَتْ إِلَّا مُشَاهَدَةُ الْمَحْبُوبِ - خ) الَّتِي تَقَرُّ بِهَا عَيْنُ الْمُحِبِّ ، مِنَ الْاِسْتِقْرَارِ فَتَسْتَقِرُّ الْعَيْنُ عِنْدَ رُؤْيَيْهِ فَلَا تَنْظُرُ مَعَهُ إِلَى شَيْءٍ غَيْرِهِ فِي شَيْءٍ وَفِي غَيْرِ شَيْءٍ .

وَلِذَلِكَ نُهَيَّ عَنِ الْاَلْتِفَاتِ فِي الصَّلَاةِ، فَإِنَّ الْاَلْتِفَاتَ شَيْءٌ يَخْتَلِسُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ صَلَاةِ الْعَبْدِ فَيَحْرِمُهُ مُشَاهَدَةً مَحْبُوبِهِ. بَلْ لَوْ كَانَ مَحْبُوبَ (محبوب - خ) هَذَا الْمُتَلَفِتِ، مَا التَفَّتْ فِي صَلَاتِهِ إِلَى غَيْرِ قِبَلَتِهِ بِوَجْهِهِ.

وَالْإِنْسَانُ يَعْلَمُ حَالَهُ فِي نَفْسِهِ هَلْ هُوَ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ فِي هَذِهِ الْعِبَادَةِ الْخَاصَّةِ أَمْ لَا، فَإِنَّ ﴿الْإِنْسَانَ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ * وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرُهُ ﴿الْقِيَامَةِ: ١٤ - ١٥﴾ فَهُوَ يَعْرِفُ كَذِبَهُ مِنْ صِدْقِهِ فِي نَفْسِهِ، لِأَنَّ الشَّيْءَ لَا يَجْهَلُ حَالَهُ فَإِنَّ حَالَهُ لَهُ ذَوْقِيٌّ.

ثُمَّ إِنَّ مُسَمَّى الصَّلَاةِ لَهُ قِسْمَةٌ أُخْرَى؛ فَإِنَّهُ تَعَالَى أَمَرَنَا أَنْ نُصَلِّيَ لَهُ وَأَخْبَرَنَا أَنَّهُ يُصَلِّيَ عَلَيْنَا. فَالصَّلَاةُ مِنَّا وَمِنْهُ.

فَإِذَا كَانَ هُوَ الْمُصَلِّي فَاتِّمَامُ يُصَلِّي بِاسْمِهِ الْآخِرِ، فَيَتَأَخَّرُ عَنْ وُجُودِ الْعَبْدِ: وَهُوَ عَيْنُ الْحَقِّ الَّذِي يَخْلُقُهُ الْعَبْدُ فِي قِبَلَتِهِ (قلبه - خ)، (يجعله العبد في قلبه - خ) يَنْظُرُهُ الْفِكْرِي أَوْ يَتَقَلَّبِيهِ وَهُوَ الْإِلَهَ الْمُعْتَقَدُ.

وَيَتَنَوَّعُ بِحَسَبِ مَا قَامَ بِذَلِكَ الْمَحَلِّ مِنَ الْاِسْتِعْدَادِ كَمَا قَالَ الْجُنَيْدُ حِينَ سُئِلَ عَنِ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ وَالْمَعَارِفِ. فَقَالَ لَوْ أَنَّ الْمَاءَ لَوُنُ إِنَّهُ. وَهُوَ جَوَابُ سَادِّ أَخْبَرَ عَنِ الْأَمْرِ بِمَا هُوَ عَلَيْهِ.

فَهَذَا هُوَ اللَّهُ (الإله - خ) الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْنَا.

وَإِذَا صَلَّيْنَا نَحْنُ كَانَ لَنَا الْإِسْمُ الْآخِرُ (الآخر - خ) فَكُنَّا فِيهِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ فِي حَالِ مَنْ لَهُ هَذَا الْاِسْمُ، فَتَكُونُ عِنْدَهُ بِحَسَبِ حَالِنَا، فَلَا يَنْظُرُ إِلَيْنَا إِلَّا بِصُورَةٍ مَا جِئْنَاهُ بِهَا فَإِنَّ الْمُصَلِّي هُوَ الْمُتَأَخَّرُ عَنِ السَّابِقِ فِي الْحَلَبَةِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كُلُّ قَدِّعِلَمَ صَلَانِهِ وَسَيِّجِهِ﴾ [النور: ٤١] أُنِي رُبَّتُهُ فِي التَّأخِرِ فِي عِبَادَتِهِ رَبَّهُ (فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ - خ)، وَتَسْبِيحِهِ الَّذِي يُعْطِيهِ مِنَ التَّنْزِيهِ اسْتِعْدَادُهُ. فَمَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَهُوَ يُسَبِّحُ بِحَمْدِ رَبِّهِ الْحَلِيمِ الْعَفُورِ. وَلِذَلِكَ لَا نَفَقَهُ تَسْبِيحُ (لَا يُفَقَّهُ تَسْبِيحُ - خ) الْعَالَمِ عَلَى التَّفْصِيلِ وَاحِدًا وَاحِدًا. وَثَمَّهُ (وَتَمَّهُ - خ) مَرْبَّةٌ يَعُودُ الضَّمِيرُ عَلَى الْعَبْدِ الْمُسَبِّحِ فِيهَا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤] أُنِي بِحَمْدِ ذَلِكَ الشَّيْءِ. فَالضَّمِيرُ الَّذِي فِي قَوْلِهِ ﴿بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤] يَعُودُ عَلَى الشَّيْءِ أُنِي بِالنَّشَاءِ الَّذِي يَكُونُ عَلَيْهِ.

كَمَا قُلْنَا فِي الْمُعْتَقِدِ إِنَّهُ إِنَّمَا يُثْنِي عَلَى الْإِلَهِ الَّذِي فِي مُعْتَقِدِهِ وَرَبَطَ (وِيرِطَ - خ) بِهِ نَفْسَهُ. وَمَا كَانَ مِنْ عَمَلٍ (مِنْ عَمَلِهِ - خ) فَهُوَ رَاجِعٌ إِلَيْهِ، فَمَا أَثْنَى إِلَّا عَلَى نَفْسِهِ، فَإِنَّهُ مَنْ مَدَحَ الصَّنْعَةَ فَإِنَّمَا مَدَحَ الصَّانِعَ بِلَا شَكٍّ، فَإِنْ حُسْنَهَا وَعَدَمَ حُسْنِهَا رَاجِعٌ إِلَى صَانِعِهَا. وَإِلَهُ الْمُعْتَقِدِ مَصْنُوعٌ لِلنَّاطِرِ فِيهِ، فَهُوَ صَنْعَتُهُ (صَنْعُهُ - خ) فَتَنَؤُهُ عَلَى مَا اعْتَقَدَهُ تَنَؤُهُ عَلَى نَفْسِهِ.

وَلِهَذَا يَذُمُّ مُعْتَقَدَ غَيْرِهِ، وَلَوْ أَنْصَفَ لَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ.

إِلَّا أَنَّ صَاحِبَ هَذَا الْمَعْبُودِ الْخَاصِّ جَاهِلٌ بِلَا شَكٍّ (لَا شَكَّ - خ) فِي ذَلِكَ لِإِغْتِرَاضِهِ عَلَى غَيْرِهِ فِيمَا اعْتَقَدَهُ فِي اللَّهِ.

إِذْ لَوْ عَرَفَ مَا قَالَ الْجَنِّيدُ لَوْنُ الْمَاءِ لَوْنُ إِنَائِهِ لَسَلَّمَ لِكُلِّ ذِي إِعْتِقَادٍ مَا اعْتَقَدَهُ، وَعَرَفَ اللَّهُ فِي كُلِّ صُورَةٍ وَكُلِّ مُعْتَقِدٍ.

فَهُوَ ظَانٌّ لَيْسَ بِعَالِمٍ، فَلِذَلِكَ (وَلِذَلِكَ - خ) قَالَ: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي» أُنِي لَا أَظْهَرُ لَهُ إِلَّا فِي صُورَةٍ مُعْتَقَدَةٍ: فَإِنْ شَاءَ أَطْلَقَ وَإِنْ شَاءَ قَيْدَ.

فَالِلهِ الْمُعْتَقَدَات تَأْخُذُهُ الْحُدُودُ وَهُوَ الْإِلَهُ الَّذِي وَسِعَهُ قَلْبُ عَبْدِهِ، فَإِنَّ
الْإِلَهَ الْمُطْلَقَ لَا يَسَعُهُ شَيْءٌ لِأَنَّهُ عَيْنُ الْأَشْيَاءِ وَعَيْنُ نَفْسِهِ: وَالشَّيْءُ لَا يُقَالُ
فِيهِ يَسَعُ نَفْسَهُ وَلَا لَا يَسَعُهَا فَافْهَم، ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾
[الأحزاب: ٤].



تعليقات على مصباح الأنس
لسماحة آية الله العظمى
الإمام الخميني (قدس سره)

بسم الله الرحمن الرحيم

قد شرعنا قراءة هذا الكتاب الشريف لدى الشيخ العارف الكامل
أستاذنا في المعارف الإلهية حضرة الميرزا محمد علي الشاه آبادي الأصفهاني
دام ظله في شهر رمضان المبارك سنة ١٣٥٠ هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله : فالحمد بالألسنة الخمسة ، التي هي لسان الذات من حيث هي
ولسان الأحدية الغيبية ولسان الواحدية الجمعية ولسان الأسماء الإلهية ولسان
الأعيان الثابتة ومعلوم أن الأعيان كونية قابلة والباقي فاعلة إلهية فهذا الحمد
على المولود منهما الذي هو الرقيقة وهو مقام المشية الكلية فتلك الألسن
الخمسة تحمد المولود جزاء عن إظهاره إياها مع أن نفس إيجاد حمله
وحمدها أنفسها كما أن المولود أيضاً بجميع تعيناته يحمد الحضرات جزاء
لإيجادها إياه مع أن نفس الوجود حمد لها كما أن الحضرات يحمد بعضها
بعضاً باعتبار الحقيقة والرقيقة والوحدة والكثرة والوحدة المحضة والكثرة
المحضّة فالكل حق فالحق حامد ومحمود والكل خلق والخلق حامد
ومحمود فالحق حق والخلق خلق فالحق محمود والخلق حامد وبالعكس
والحق خلق والخلق حق كذلك فقوله فالحمد إلى قوله على ما بينهما من
الرفائق ناظر إلى المرتبة الأولى التي ذكرنا أي حمد الحضرات للمولود وقوله
(مع أنه) إلى قوله (ولا ريب) إشارة إلى المرتبة الأخيرة أي حمد الحضرات
بعضها بعضاً بالاعتبارات ومنه إلى قوله أو طائفة إلى المرتبة المتوسطة أي
حمد المولود إياها .

«بل وقد ترقى فوق القربين إلى نقطة جامعة بين قرآنية المحاذاة بمعناه
وبين فرقانية المضاهاة لسيدته ومولاه» - ص ٢ - .

قوله : بل وقد ترقى . . . الخ ، فالمرتبة الجامعة بين القربين أن يحصل
له مقام الوحدة والكثرة وفوقهما أن لا يشغله شأن عن شأن لا الوحدة صارت
حجاب الكثرة ولا الكثرة حجاب الوحدة .

«... قال الشيخ في شرحه الرحم اسم لحقيقة الطبيعة وهي حقيقة جامعة بين الكيفيات الأربع بمعنى أنها عين كل واحدة وليس كل واحدة من كل وجه عينها بل من بعض الوجوه ووصلها بمعرفة مكانتها وتفخيم قدرها إذ لولا المزاج المتحصل من أركانها لم يظهر تعين الروح الإنساني...» - ص ٤ - .

قوله: ووصلها، بل وصلها عبارة عن إيصالها بمقامها الأصلي أي بالعالم العقلي وهو لا يحصل إلا بحفظها للارتياض وعبارة أخرى بالحفظ المقدمي الذي يخرج منها الحقيقة وأخرجت منها الأثقال وأما مذمة متأخري الحكماء فليست من جملة ازدهائها فإن الطبيعة إذا صارت مستقلة منظورة إليها في نفسها حجاب عن الحقيقة فيمكن أن يكون نظرهم الخلاص عن تلك الطبيعة لا الطبيعة التي صارت مرتاضة سائرة إلى الحقيقة.

«أما علم الأديان فقسمان علم الظاهر وعلم الباطن وكل منهما مع تشبههما من القرآن والحديث كان علومهما نهران ينصبان في حوض كوثر يتفرق منه جداول علوم الكسب من جانب وعلوم الوهب التي عبر عن مظاهرها في الجنة بالأنهار الأربعة من جانب آخر» - ص ٥ - .

قوله: حوص كوثر، وهو مقام الكثرة في الوحدة والوحدة في الكثرة وعلم التوحيد التفصيلي والوحدة غير المحتجبة بالكثرة والكثرة غير المحتجبة بالوحدة فهو الجامع بين الظاهر والباطن.

«كما أخبر ﷺ أن للقرآن ظهراً وبطناً وحداً ومطلعاً وفي رواية ولبطنه بطناً إلى سبعة أبطن وفي رواية إلى سبعين بطناً» - ص ٥ - .

إذا كان القرآن جميع صفحة الوجود يمكن أن يكون المراد بالمطلع هو الكلام الذاتي والتجلي الأعرابي في الحضرة الواحدية المشرف على التعينات الغيبية والشهادية اللاتقيين للفيض والحد هو الكلام الظلي الفيضي الفاصل بين الحضرة الواحدية والمظاهر الغيبية والشهادية المعبر عنه بالعماء والباطن هو العالم الغيبي إلى منتهى المثل النورية العرشية والظاهر هو عالم الشهادة وهذا أجمع مما ذكره كما لا يخفى كما أن المراد بالبطون السبعة هو

المراتب السبعة الكلية من مقام الأحذية الغيبية وحضرة الواحدية ومقام المشية والفيض المنبسط وعالم العقل وعالم النفوس الكلية. وعالم المثال المطلق وعالم الطبيعة وإن كان المراد بالقرآن هو الإنسان الكامل الذي هو الكون الجامع والكتاب المبين كان الظهر والبطن والحد والمطلع باعتبار مراتبه الأربعة والبطون السبعة باعتبار لطائفه السبعة بل عند أهل المشرب الأعلى الذوقي كل فرد من أفراد الوجود حتى الموجودات الخسيسة عند أهل الظاهر قرآن جامع له الظهر والبطن والحد والمطلع والمراتب السبعة بل السبعين وأما السبعة بالنسبة إلى ما في الدفتين من الكتاب المنزل فباعتبار كون الألفاظ موضوعة للمعاني العامة وكون الكتاب الإلهي النازل من مقام الأحذية إلى عالم اللفظ والصوت لائقاً لهداية كل طائفة من الطوائف فتفهم كل طائفة من أهل السلوك من كل آية ما لا يفهم منه الآخر مثلاً يفهم أهل الظاهر من قوله ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ [آل عمران: ١٤] . . . الخ معناه الظاهر وأما أهل القلوب وأصحاب السلوك الروحي فيفهمون منه مرتبة عالية فإن هيئات عالم النفس من الرتبة الدنيوية كما أن الأنوار القلبية والواردات القلبية من الزينة الدنيوية عند أهل الروح والمعارف الغيبية والتلويحات الروحية كذلك بالنسبة إلى أهل السر والخفي والأخفى فالآية الشريفة لها سبعة أبطن بالنسبة إلى سبع طوائف فتلطف .

«قوله : تفرّع الفقه عن الأصول» - ص ٦ - .

لا خفاء عند أهله أن تفرّع الفقه عن الأصول ليس من قبيل تفرّع الكبرى على الصغرى وإلا يلزم دخول بعض القواعد الفقهية مثل قاعدة ما لا يضمن بصحيحه لا يضمن بفاسده وغيرها في الأصول والميزان في المسألة الأصولية محقق في محله المناسب لها .

«ثم أيدهم بالمعجزات والنصرة التي يتضمنها أحكام نفوسهم الماضية وسيوفهم الباترة» - ص ٨ - .

هذه النصرة هي الفتح المطلق المشار إليه بقوله تعالى : ﴿إِذَا جَاءَ

نَصَرَ اللَّهُ وَالْفَتْحُ» [النصر: ١] والفتوحات ثلاثة: فتح قريب وفتح مبين وفتح مطلق وهذا الأخير وإن كان مختصاً بصاحب الولاية المطلقة إلا أن غيره من الرسل أيضاً له حظ بالتبع لا بالأصالة وأما الفتحة السابقتان فلا يختصان به ﷺ .

«فامتثلوا واعربوا عن بعض ما شاهدوا لكن بلسان التشويق والإيماء الجامع بين الكتم والإفشاء وفاء لحقوق الحكمة» - ص ٨ - .

فإن الأنبياء ﷺ أصحاب الأسرار وليس من شأنهم إفشاؤها لدى الأغيار ولذا تراهم في إظهار المعارف كان لسانهم غير لسان الحكماء والمحققون أيضاً تابعون لهم في ذلك .

ثم أسماء الذات قسمان أحدهما ما تعين حكمه وأثره في العالم فيعرف من خلف حجاب الأثر كما قلنا وذلك للعارفين الأبرار أو كشفاً وشهوداً وهو وصف الكُنل وثانيهما ما لم يتعين له أثر وهو المشار إليه بقوله أو استأثرت به في علم الغيب عندك» - ص ١٤ - .

قوله : ما لم يتعين له أثر . . . الخ ، قال شيخنا العارف الكامل دام ظله ان الإسم المستأثر هو الذات الأحدية المطلقة فإن الذات بما هي متعينة منشأ للظهور دون الذات المطلقة أي بلا تعين وإطلاق الإسم عليه بنحو من المسامحة والظاهر من كلام الشيخ وتقسيمه الأسماء الذاتية إلى ما تعين حكمه وما لم يتعين أنه من الأسماء الذاتية التي لا مظهر لها في العين . وعندني أن الإسم المستأثر أيضاً له أثر في العين إلا أن أثره أيضاً مستأثر فإن للأحدية الذاتية وجهة خاصة مع كل شيء هو سره الوجودي لا يعرفها أحد إلا الله كما قال تعالى : ﴿مَّا مِنْ دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ [هود: ٥٦] ﴿وَلِكُلِّ وِجْهٍ هُوَ مُوَلِّيًا﴾ [البقرة: ١٤٨] فالوجه الغيبية لها أثر مستأثر غيبي ، تدبر تعرف .

وذلك لأن الشؤون الإلهية أكثر من أن يكون له نهاية والتي تشتم رائحة الوجود متناهية وأي متناه يفرز من غير المتناهي فالباقي أكثر» - ص ١٤ - .

قوله: وذلك لأن الشؤون الإلهية، أقول ما ذكره الشارح غير مطابق للمتن فإن الظاهر منه أن الشؤون غير الظاهرة التي بصدد الظهور إلى ما لا يتناهى أبدأ هي الأسماء المستأثرة مع أن ظاهر كلام الشيخ أن الإسم المستأثر غير قابل للظهور لا لعدم تناهي الشؤون بل لكونه من المكنون الغيبي حتى لو فرض تناهي الشؤون الإلهية لم يظهر حكم الإسم المستأثر.

«وإنما عبرنا عن أسماء الذات بالأمهات لما يتفرع منها أسماء الصفات وهي التي يشعر بنوع تكثر محسوس أو معقول كالوحدة من حيث أنها نعت الواحد ونسب ارتباطها بالذات ثم أسماء الأفعال المشعة بنوع الفعل على اختلاف صوره كالخلق والبسط والقبض واللطف والقهر وغيرها ونسب ارتباطها ومساثلها ما يتضح بأسماء الذات وبما يليها من أسماء الصفات والأفعال...» - ص ١٤ - .

قوله: وبما يليها من أسماء الصفات... الخ، ظاهر كلام الشيخ أن المبادئ عبارة عن أمهات الأسماء أي الأسماء الذاتية والمسائل ما عداها مما يتضح بها فالأسماء والصفات والأفعال من المسائل لا المبادئ كما هو أيضاً ظاهر كلامه في المقام الرابع من الفصل الثاني للتمهيد الجملي فراجع.

«ونسب البين من حقائق متعلقاتها ومراتبها ومواطنها وتفصيل آثارها تعلقاً وتخلقاً وتحققاً» - ص ١٤ - .

تعلقاً بالنسبة إلى كل موجود وتخلقاً بالنسبة إلى السالكين المهذبين وتحققاً بالنسبة إلى الكاملين المتحققين.

«ومن الإلقاءات الملكية ما هو صحيح من حيث إنه ملكي لكن يمتزج بحديث نفس سابق أو تأويل قد انغمز المحل به قبل الورود أو قياس مستنبط من ذوق آخر احتج به السالك في هذا الإلقاء الملكي» - ص ١٥ - .

بل قد يشاهد السالك المرتاض نفسه وعينه الثابتة في مرآة المشاهد لصفاء عين المشاهد كرؤية بعض المرتاضين من العامة الرفضة بصورة الخنزير بخياله وهذا ليس مشاهدة الرفضة كذا بل لصفاء مرآة الراضي رأى

المرتاض نفسه التي هي على صورة الخنزير فيها فتوهم أنه رأى الرافضي وما رأى إلا نفسه .

متن : «والجميع يفتح بعضه بعضاً بالفتح الآلي والقدم الأصلي» - ص ١٦ .

قوله : الآلي ، وهو كل اسم إلهي مضاف إلى ملك جسماني أو روحاني كما في الاصطلاحات .

«والأدب ينتج مراعاة الحدود الشرعية وهو ينتج القرب المنتج للوصال المنتج للأنس مع الله تعالى المنتج للإدلال والانبساط وهو إرسال السجدة والتعاشي عن وحشة الحشمة» - ص ١٨ .

قوله : إرسال السجدة ، أي ترك الطبيعة على حالها من غير حصول الهيمن والوحشة الحاصلة في بدو الأمر عند ملاقة المحبوب فإن في ملاقة المعشوق وحشة وهيمنة ابتدءاً يرفع عند الانس .

«بل استهلك بالنسبة إلى بعض الأشخاص استهلاك الصورة في الممّوحين» .

قوله : في الممّوحين بالحاء المهملة أي الصورة التي محيت آثارها ويحتمل أن يكون بالمعجمة أي الممسوخة التي تبدلت عن صورتها الأصلية .

«وثالثة الرياضة وهي إزالة الشماس عن النفس بقطع مألوفاتها ومخالفة مراداتها وأعظم أركانها دوام الملازمة على ذكر لا إله إلا الله على العموم...» - ص ٢٠ .

أي ذكراً عاماً في جميع حالاته من غير أن يكون مقامه مقام هذا الذكر فإن هذا المقام لا يحصل له إلا في قسم النهايات والحاصل أن هذا الذكر في هذا المقام ليس ذكراً للذاكر بل وسيلة إلى إزالة الحجاب .

«... ثم وجدان السر أثر الألم والقهر من ذلك القلق بحيث يكاد يفنيه ذلك عن تعينه ثم الهيمن الذي هو تحقيق الغيبة من أثر الوجدان» - ص ٢٣ .

قوله: تحقيق الغيبة من أثر الوجدان، أي الفناء عن أثر الألم والقهر
الحاصل في حال الوجدان والفرق بين الوجدان والهيمان كالفرق بين الفناء
والفناء عن الفناء.

«فسمى بعضهم هذا التقوى قسم الولاية فيلحظ السر بتلك القوة عينه
بجميع كمالاته وتلحظ نهايته النسبية أو الحقيقية» - ص ٢٣ - .

قوله: فيلحظ السر، أي يلحظ السر بقوة نور الولاية عينه الثابتة بجميع
كمالاته ويلحظ نهايته النسبية التي هي الوجود الإضافي والفيض المقدس
الإطلاقي أو الحقيقة التي هي في الحضرة العلمية والواحدية أي يلاحظ عينه
الثابتة في الحضرة العلمية ويلحظ الحضرة العلمية من حيث ترتبها الوجودي
الترتبي الذاتي التي هي روح الترتب الواقعي في عالم الدهر الذي هو روح
الترتب الزماني والتغير والتصرم الكوني في العالم المادي والامتدادي وهو
وقته الذي يحصل التجلي له فيه .

«... والمحل الممنوي الذي يحصل للحظ فيه وهو باطن الزمان
المسمى بالوقت وهو الحال المتوسط بين الماضي والمستقبل وله
الدوام...» - ص ٢٣ - .

قوله: وهو الحال المتوسط، أي الزمان الحال المتوسط والضمير في
قوله وله الدوام يمكن أن يرجع إلى الحال وتكون هذه الجملة معترضة مفسرة
للزمان لا لروحه وضمير هو راجع إلى روحه الذي هو الوقت ويمكن أن
يكون المراد بالحال روح الزمان على أن يرجع الضمير إلى الوقت وعلى هذا
في إطلاق الماضي والمستقبل على الحقائق السابقة في الحضرة العلمية
واللاحقة فيها مسامحة من باب اتصاف مظهرها الذي هو الزمان بهما .

«وحينئذ يصفو حاله عن أقدار الأغيار فكان اللحظ والوقت والصفاء من
مقاماته» - ص ٢٣ - .

قوله: وحينئذ يصفو، أي في هذا الوقت الذي يستغرق في نهاية
الأطوار يصفو ويخلص عن الأغيار .

«واعلم أن الشاهد في هذا القسم سر وجودي ظاهري والمشهود سر وجودي باطني» - ص ٢٤ - .

قوله : سر وجودي ظاهري... الخ ، وهو عين العبد والمشهود هو الحق ولما وصل العبد إلى مقام المحبوبة بحصول جمعية الأسماء الظاهرة يصير سيره بأسراء الحق فيسير بقدمه فإن المحبوب مجذوب فتقع المكاشفة بين الحق والعبد برؤية كل منهما جميع الأحكام والآثار في الآخر ويصير كل مرآة الآخر إلا أن هذا السير والإسراء يكون في بادئ الأمر من وراء حجاب العقائد والتعلقات وغلبة بعض الأسماء فيكون المشهود أسماء مقيدة إلهية في مرآة خلقي أو حقي مجرد أو مادي كما أخبر الله تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام بقوله : ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا﴾ [الأنعام : ٧٦] الخ المراتب والتدرجات والكمالات ثم يخلصه عن المظاهر ويسيره في الظاهر إلا أنه مع تميز بين الحق والعبد فتقع المشاهدة ثم يسيره حتى يعاين كل منهما الآخر بلا وصف وتميز الأكون الحق ظاهراً بهوية العبد وباطناً إلى آخر المراتب والمقامات .

«... وثالثاً بالفناء عن شهود هذا الفناء وذلك عند ظهور كل من الإسمين الظاهر والباطن بكاملتهما إلى عين التعيين الثاني والبرزخية الثانية فيحكم البرزخية عليهما...» - ص ٢٥ - .

قوله : عين التعيين الثاني ، وهو مقام الواحدية كما أن التعيين الأول مقام الأحدية وإذا تولد القلب في هذا المقام من حكومة البرزخية عليهما يحصل مقام البقاء وأشار بقوله فيطلع من مشرق هذا القلب... الخ إلى مقام التحقيق .

«... فلم يبق عليه اسم ولا رسم ولا إشارة تؤذن بحقيقة تميز وإضافة إلا اثر خفي من حكم أحدية كليات الأصول من الأسماء فيتمكن السائر حيتنئذ من التلبس بأي لباس شاء وفي أي مظهر أراد» - ص ٢٥ - .

قوله : من الأسماء ، أي من الأسماء الذاتية التي هي مفاتيح الغيب فإنها لا تتجلى له في هذا المقام بل هي مختفية بمقام الخاتمية صاحب مقام أو أدنى .

«وهذا هو مقام التلبس وهو أعلى مراتب التمكين الذي هو التمكين في التلوين ثم يتحقق بحقيقة الوجود الجمعي الذي به يجد المقصود في كل شيء...» - ص ٢٥ - .

والفرق بين هذا المقام أي مقام الوجود ومقام التلبس بالجمع والتفصيل فإن التلبس من مقام التفصيل والوجود من مقام الجمع .

«والتحقيق أن كون الحق تعالى مختاراً من حيث ذاته الغنية عن العالمين لا ينافي الوجوب من حيث صفاته من حكمته وإرادته كمال الجلاء والاستجلاء» - ص ٢٦ - .

قوله: والتحقيق أن كون الحق تعالى مختاراً، أقول: هذا خلاف التحقيق جداً وإن صدّقه أستاذ مشايخنا العارف الجليل الميرزا هاشم قدس الله أسرارهم أما أولاً فلأن المراد من الحق من حيث ذاته الغنية إن كان مرتبة الذات من حيث هي فهي لا تتصف بصفة أصلاً حتى الأسماء الذاتية كما هو محقق عند أصحاب المدرج وإن كان المراد مرتبة الأحدية فهي وإن اتصفت بالأسماء الذاتية لكن الاختيار لا يكون من الأسماء الذاتية كما هو معلوم عند أرباب المعارج مع أن الوجوب إن كان منافياً للاختيار فاثباته للحق من حيث مرتبة الواحدية بل مرتبة الظهور والفيض المقدس باطل فاسد مع أن هذا تعطيل وإيجاب باطل مختلطاً مع أنه قوله ﷺ كان الله ولم يكن معه شيء لا يتوقف على هذا فإن الأشياء غير كائنة مع الحق حتى في مرتبة الظهور وإن كان الحق مع كل شيء والحق أن هذا الوجوب لا ينافي الاختيار بل يؤكد بل الاختيار غير الواجب ليس اختياراً عند التحقيق وليس ههنا محل البسط والتفصيل .

«...» والحق أن المستحيل داخل في دائرة هذا الثبوت فضلاً عن المعدومات الممكنة دون الوجود في نفسه فليس هذا ما يقوله المعتزلة بأن الممكنات المعدومة ثابتة في أنفسها من غير الوجود فإنه باطل قطعاً إذ لا واسطة بين الوجود والعدم» - ص ٢٧ - .

قوله: إذ لا واسطة بين الوجود والعدم، هذا التعليل عليل فإن القول

بشوت المهيئات غير القول بالواسطة بين الوجود والعدم التي يعبرون عنها بالحال والجواب عن قولهم هو ما ذكره الحكماء من أن ما ليس موجوداً يكون ليساً صرفاً إلى غير ذلك .

«أقول : المشهود المحقق أنه ما من موجود من الموجودات إلا وارتباطه بالحق من جهتين جهة السلسلة الترتيب التي أولها العقل الأول وجهة طرف وجوبه الذي يلي الحق وإنه من ذلك الوجه يصدق عليه أنه واجب وإن كان وجوبه بغيره ومراد المحققين من هذا الوجوب مخالف من وجه لمراد غيرهم» - ص ٢٨ - .

فإن مراد الحكماء من الوجوب الغيري هو الوجوب بعلمه وأسبابه والمحقق لا يرى الكثرة في هذا النظر وأيضاً الحكيم يقول بأن الوجوب الغيري صفة للممكن على وجه الاستقلال والعارف المحقق لا يستقل عنده وجود سوى الوجود القيوم المطلق .

«أقول الغرض من هذه النكتة الأخيرة أن كل ما يطلق عليه المؤثر في هذه الأصول فالمراد به المعد والمؤثر الحقيقي هو السر الإلهي» - ص ٢٨ - .
قوله : هذه الأصول ، أي الأصول الممهدة في هذا الكتاب .

«قلت ذكر الشيخ في تفسير الفاتحة قاعدة هي أن كل صفة من صفات الحق إنما يضاف إليه على الوجه الأتم الأكمل وكلامه صفة من صفاته فله الإحاطة كما قال تعالى : ﴿مَا قَرَّنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] . . . - ص ٢٩ - .

قوله : ذكر الشيخ في تفسير الفاتحة . . . الخ ، ليس الكلام من حيث ظهوره الملكي وخصوصاً الذي هو من مقولة اللفظ والصوت صفة للحق من حيث هويته الإحاطية حتى يتفرع عليه ما ذكر كما أن قوله تعالى : ﴿مَا قَرَّنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] لا يدل على مقصوده بوجه نعم الكلام الذاتي الذي هو التجلي بإظهار ما في الغيب على ذاته المقدسة صفة من صفاته في الحضرة الجمعية الكمالية والكلام الظهوري الوجودي الذي هو التجلي بالفيض المقدس لإظهار ما في الغيب على الحقائق التفصيلية صفة من صفاته

الفعلية ولهما الإحاطة والشمول ولهذا الكلام اللفظي أيضاً إحاطة بمعنى آخر وهو وجه السر الوجودي الذي يعرفه المحققون وهو غير الأوضاع اللفظية نعم لو كانت الألفاظ موضوعة لأرواح المعاني أو أرواح المعاني مرادة للحق من كلامه لكانت تلك الإحاطة حقاً كما الأمر كذلك .

«إن الصادر الأول هو العقل الأول فلوحدثه الذاتية صح صادراً ولاشتماله على تعقل موجدته وتعقل وجوبه بالغير وإمكانه في نفسه توسط لعقل آخر ونفس وجسم على الترتيب...» - ص ٣٠ - .

المراد من الإمكان هو الإمكان الذي من أوصاف الوجود لا الذي من أوصاف المهية فإن الأول يعتبر معه الغير دون الثاني، تأمل .

«... فهذا سقطت الاعتراضات بأسرها وثبت أنه كلما تكثر المعلول تكثر العلة فكلما اتحد المعلول اتحد العلة بعكس النقيض» - ص ٣٠ - .

قوله: فكلما اتحد المعلول اتحد العلة، هذه القضية تكون عكس النقيض للقضية السابقة باعتبار أن عكس النقيض لقوله كلما تكثر المعلول تكثر العلة هو أنه كلما لا تتكثر العلة لا يتكثر المعلول وهو في قوة قولنا كلما اتحدت العلة اتحد المعلول وعكس نقيضه كلما اتحد المعلول اتحدت العلة، تأمل .

«ثم اعلم أن الأصل مسلم عندنا لكن في تعريفهم أن الواحد الصادر الأول عن الحق تعالى هو العقل الأول منع ذكره الشيخ في الرسالة المفصلة...» - ص ٣٠ - .

قوله: ثم اعلم... الخ، قد حققنا في رسالتنا الموسومة بمشكاة الهداية إلى حقيقة الخلافة والولاية كيفية الصدور ووجه الجمع بين قول العرفاء الشامخين والحكماء المحققين بما لا مزيد عليه ونبهنا على أن سلوك المحقق القانوني على خلاف التحقيق الحقيقي فليراجع .

«... من أن أول متعين من الحضرة العمائية عالم المثال ثم عالم التهيم ثم القلم الأعلى فذلك والله أعلم باعتبار تقدمه في الجمعية...» - ص ٣٠-٣١ - .

قوله: فذلك والله أعلم... الخ، أقول يمكن أن يكون مراده من الحضرة العمائية مقام الواحدية كما هو أحد الاحتمالات منها وعلى هذا يكون عالم المثال مقام المشية والفيض المنبسط العام فإنه برزخ البرازخ وهو مقام الإنسان الكامل الحائر بين الخصلتين والجامع بين المقامين، تدبر.

«ومنها أن يبنى تفاوت امتزاج احكام جهتي هذا الوجوب الذي يقوله المحقق وجهة الإمكان وغلبة أحد الطرفين على مراتبهما وذلك بحسب تفاوت استعدادات المهيئات غير المجعولة الترتيب...» - ص ٣١ -

قوله: على مراتبهما، متعلق بقوله يبنى أي تفاوت امتزاج جهة يلي الحقي وجهة يلي الخَلقي مبني على مرتبة الوجود ومرتبة المهية فكلما قرب من المبدأ الفياض تكون الجهة الأولى أقوى وبالعكس العكس.

«وإنما قلنا من حيث هو سبب لأنه لا من تلك الحثية الكلية يتعين بالمظاهر وقلنا لا يتعين بظهور لأنه قد يتعين بذاته أو في بعض مراتب البطون مع كليته كالعقول والنفوس الكلية» - ص ٣٤ -

قوله: وإنما قلنا من حيث هو سبب... الخ، اعلم أن الفيض المنبسط والظل النوري الممتد على هياكل سكان الملك والملوك وقطآن الجبروت له اعتباران اعتبار الوحدة والبساطة وهو اعتبار اضمحلال الكثرات في ذاته وفناء الصورة والتعينات في حضرته وبهذا الاعتبار ليس له ظهور ولا تعين في مظهر من المظاهر وهذا مقام الباطنية والأولية الفعلية نعم هو متعين بذاته عند اعتبارها والنظر إليها استقلالاً وبالمعنى الأسمى وإن كان هذا النظر نظراً باطلاً شيطانياً والنظر المحقق الذي كان لأبينا آدم عليه السلام غير ذلك أي كان نظره إليه وإلى كل الأسماء نظراً ألياً إسمياً فإنه عليه السلام كان متعلماً بالتعليم الإلهي كما شهد الله بقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١] هذا أحد الاعتبارين والآخر اعتبار الكثرة والتركيب وهو اعتبار الظهور في المظاهر من التعينات الجبروتية والملكوتية الكلية والملكية الناسوتية الجزئية وبهذا الاعتبار ليس له تعين خاص بل يتعين بكل التعينات بل نسبته

إلى كل التعينات على حد سواء وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله ولو دليتم بحبل إلى الأرض السفلي لهبطتم على الله وبهذا الاعتبار ورد أن معراج يونس عليه السلام كان في بطن الحوت كما أن معراج نبينا ﷺ كان بالعروج إلى فوق اللاهوت ونظر المحقق الماتن إلى الاعتبار الثاني أي اعتبار الكثرة ولا يخفى أن كلام الشارح في هذا المقام غير منقح وفيه مواقع للنظر ليس لنا مجال التعرض له ولما فيه وقد أشبعنا الكلام في ذلك المقام في بعض رسائلنا .

« لا يقال المنفي في الأصل المذكور أن يتعين السبب من حيث اشتراكه لأن لا يقتضي التعين . . . » - ص ٣٤ - .

قوله : المنفي في الأصل . . . الخ ، حاصله أن الكلام في تعيين الظاهر في مظهر من المظاهر لا في اقتضائه التعين أو اعتبار الشركة وعدمها فليس التأييد بشيء والجواب ظاهر .

« . . . » لأننا نقول إذا تعين التجلي من تلك الحثية كان التعين صورته من حيث اشتراكه وكل صورة للشيء فهو أثره ومقتضاه في قاعدة التحقيق وتأييده قولهم الكلّي العقلي غير موجود في الخارج لأنه عبارة عن مجموع الحقيقة . . . » - ص ٣٤ - .

قوله : الكلّي العقلي . . . الخ ، وجه كونه تأنيساً أن الحقيقة العقلية لها مقام لم يتعين بأحد التعينات الخارجية ولا يخفى ما في مقايسته ولو مثل بالكلّي الطبيعي لكان أنسب فإن الكلّي الطبيعي مع كونه ظاهراً في المظاهر لا يتعين بظهور من ظهوراته ولا يتميز لناظر في منظور .

« الرابع ما قال الشيخ في النفحات كل هيئة واجتماع من وجه أول ومظهر وما يتصل ويتعين به من مطلق الذات هو آخر وظاهر لأن المظهر حكمه حكم المرأة فالمرأة إذا امتلأت بما ينطبع فيها لا ترى وإنما يرى المنطبع » - ص ٣٧ - .

قوله : من وجه أول ، وهو وجه كونه مرآة به يظهر مطلق الذات ويكون المرئي بهذا الاعتبار آخر وظاهراً وإن كان من وجه آخر آخراً وهو اعتبار كونه ناشئاً من الذات والذات بهذا الاعتبار أول .

«... فبجهة ما به الممايزة كالدائية والحالية يكون الذات ظاهراً والحال مظهراً وبجهة ما به الاتحاد أي من جهة أن حال الشيء وصفته من حيث هو عينه يكون الظاهر والمظهر واحداً...» - ص ٣٧ - .

قوله : فبجهة ما به الممايزة ، لا يخفى أن ما ذكره الشارح في بيان كلام الشيخ غير تام بل ظاهر كلام الشيخ أيضاً كذلك وإن كان له وجه صحة لأن الأصل المذكور عدم جواز كون شيء واحد من جهة واحدة ظاهراً ومظهراً وأما إذا تعددت الحثيات فليس مشمولاً للأصل حتى يصح الاستثناء والظاهر من كلام الشيخ والمصرح في كلام الشارح كون الحق ظاهراً ومظهراً من جهتين جهتي الوحدة والكثرة وهذا غير منفي بالأصل نعم يكون للحقيقة الوجودية ظاهرية وباطنية وأولية وآخرية غير ما ذكرها يعرفها الراسخون مع صفاء الفطرة وسلامة الذوق فإن حقيقة الوجود مع كونها نوراً بذاته في ذاته ومظهر الأشياء غيب محض ومجهول مطلق .

«... ولما اقتضى أصلهم هذا أن يكون صفات الحق تعالى عندهم أيضاً ممتازة عنه بالامتياز النسبي ومتحدة مع ذاته في الوجود كان موافقاً لطور التحقيق...» - ص ٣٨ - .

قوله : ولما اقتضى أصلهم هذا ، أي مقتضى عدم جواز كون الشيء قابلاً وفاعلاً هو الامتياز النسبي بين الذات والصفات تحقيقاً للذات والصفة وأما كونها متحدة مع ذاته تعالى في الوجود فليس مقتضى هذا الأصل بل هو مقتضى أدلة التوحيد والحاصل أن الجمع بين القاعدتين يقتضي الامتياز النسبي والاتحاد الوجودي .

«فهذا أعني كون صفاته عين ذاته وجوداً وغيرها نسبة فرع أصلهم هذا إذ لو كانت موجودة لساوته لو قدمت ولزم تعطيلها وقيام الحوادث بذاته لو حدثت» - ص ٣٨ - .

قوله : ولزم تعطيلها ، أي تعطيل الذات الإلهية لو كانت الصفات زائدة عليها وهي خالية عنها في مرتبتها أو تعطيل الصفات لو كانت الذات في مرتبتها واجدة إياها أو نائبة عنها لعدم الاحتياج إليها ، تأمل .

«... أما في ذوق الكشف فلأن الكشف ظهور المستور في قلب العالم من وجوهه السالفة...» - ص ٣٩ -.

أي الوجوه الخمسة التي للقلب إلى الحضرات الخمسة فيكل وجهة ينطوي فيه ما في تلك الحضرة ينكشف لديه إذا ارتفع الحجاب بينه وبين تلك الحضرة فيقرأ ما في نفسه بحسب تلك الوجهة فلا يظهر له شيء من خارج ذاته ومباين حقيقته .

«... وأما حد حقيقي أو اسمي وهو تفصيل مجمل الحدود مع أنه عنه في الحقيقة» .

قوله : وهو ، أي الاسمي وأما الحقيقي فلا يمكن لما حققه سابقاً وبرهن عليه الشيخ .

«الفصل السابع في أن الشيء لا يؤثر في الشيء إلا بنسبة بينه وبينه إذ هي التي تقتضي لزوم الأثر تأييده أن تأثير الشيء في الشيء تحصيل مقتضاها فيه فأعمال الكلم بحسب مقتضاها...» - ص ٣٩ -.

قوله : فأعمال الكلم... الخ ، بناءً على أن أعمال الكلم كأوضاعها تكون بالأوضاع الإلهية التابعة للتجليات الأسمائية في الحضرة الواحدة كما الأمر كذلك في كل ما في دائرة الظهور .

«ثم قال فلا أثر للأعيان الثابتة من كونها مرابا في التجلي الوجودي الإلهي إلا من حيث ظهور التعدد الكامن في غيب ذلك التجلي...» - ص ٤٠ -.

قوله : فلا أثر للأعيان... الخ ، أي تأثير الأعيان في التجلي الوجودي الذي هو الفيض المنبسط هو التعيين والتعدد الكامن في غيبه فإن ذلك الفيض الوجودي مظهر أحدية الأسماء أي مظهر نسبة الغيب إلى الأسماء المعبر عنها بالفيض الأقدس وعن مظهرها الذي هو نسبة أحدية الجمع إلى الأعيان بالفيض المقدس فهو باعتبار تلك المظهرية كامنة فيه الحقائق لكن لا يظهر التعدد إلا بالتعينات كما أن الفيض الأقدس كامنة فيه الحقائق الأسمائية بوجه أبسط تفصيلها الحقائق الأسمائية فالفيض الأقدس والمقدس مقام جمع

الأسماء والأعيان كما أن الأسماء والأعيان مقام بسطهما وبما ذكرنا ظهر كيفية تأثير الحقائق في التجلي الوجودي أي بالتعين والتشخص وتأثيره فيها أي بالظهور.

«ثم قال في النفعات إن الآثار للأشياء في أنفسها وفي الوجود الكاشف وليس في الوجود إلا الإظهار ولا أثر له بدون مرتبة ما أو قابل ما...»
- ص ٤٠ -

قوله: ولا أثر له... الخ، أي لا أثر للوجود مطلقاً إلا بتعين من التعينات وحقيقة من الحقائق كما الأمر كذلك في الفيض الأقدس بل الذات من حيث هي غيب مطلقاً ما ظهرت قط حتى في ذوات الموجودات الكونية المؤثر هو الذات مع تعين من التعينات.

«... إذ هو من تلك الحيشة غني عن العالمين بل من حيث نسب أسمائه ومن حيث يعلم نفسه وما في نفسه من عين علمه بذاته فإن تأثيره بالقدرة المتعلقة بما عيته الإرادة الذاتية...» - ص ٤١ -

قوله: فإن تأثيره بالقدرة... الخ، حاصله أن العلم تابع للمعلوم والإرادة تابعة للعلم والقدرة تابعة للإرادة والتأثير والإيجاد تابع للقدرة كما حقق الشيخ الأعرابي في مواضع من فصوص الحكم.

«لا يقال الدليل يعاد في اختصاصه بتلك الصورة النوعية فإن كان باقتضاء السبب على طريق المسابقة العلنية تسلسل...» - ص ٤١ -

قوله: الدليل يعاد في اختصاصه... الخ، حاصله أننا ننقل الكلام في اختصاص الأجسام بالصور النوعية فإن كان بالفاعل المفارق فكذا إلى آخر الدليل وإن كان بصورة مختصة أخرى هلم جراً تسلسل هذا كله فيما إذا كان على طريق العلوية وأما إذا كانت الاجتماعات السابقة معدة لإفاضة الصورة النوعية فلم لا يجوز أن تغاض الآثار بواسطة الإعدادات السابقة من غير وساطة الصورة النوعية.

«على أن الجوهرية كالعرضية نسبة على قاعدة التحقيق والفرق بينهما بالتابعة والمتبوعة فلم لا يجوز أن يتقوم نسبة متبوعة بحقائق مثلاً بنسب تابعة لحقيقة أخرى كالحركة السريعة والبطيئة...» - ص ٤١ - .

قوله : على أن الجوهرية كالعرضي . . . الخ ، كون الجوهرية والعرضية نسبة لا يقتضي جواز تقوم أحدهما بالآخر كما أن العقلية والجسمية أيضاً نسبة ولا يجوز تقوم أحدهما بالآخر فإن مظاهر الأسماء تابعة لها فالأسماء المتبوعة تقتضي الجوهرية والتابعة تقتضي العرضية والمراتب محفوظة ولن تجد لسنة الله تبديلاً والنقض بالحركة السريعة والبطيئة في غير محله اما على مسلك الحكيم فظاهر واما على مذهب أصحاب التحقيق فلأن الحركة لا يتقوم بهما بل الحق تقوم الحركة بالتجليات المتبوعة من وجه وهما متقومان بالتابعة بل التقويم والتقوم بين الأسماء المتجلية والمظاهر دون المظاهر بعضها مع بعض إلا بوجه آخر غير ما يفهمه الجمهور ويحتاج إلى مشرب أحلى وتحقيق في الأسماء المحيطة والمحاطة وليس هنا محل تحقيقه .

المتن : «ومنه أنه لا يؤثر مؤثر حتى يتأثر وأقل ذلك استحضاره أو علمه في نفسه ما يريد إيقاعه بالمؤثر فيه أو حضوره معهما أي مع الأثر والمؤثر فيه...» - ص ٤٢ - .

قوله : بالمؤثر فيه ، متعلق بإيقاعه وقوله : أو حضوره عطف على قوله استحضاره والمراد منه حضوره الاتفاقي بالمعنى الذي قررنا في الهامش المتعلق بذلك .

«إن المؤثر إما أن يكون عالماً في نفسه بالأثر وبجميع المصالح والحكم كالحق تعالى أو بعضها فإما من نفسه كأهل الكشف من الوجه الخاص أو من غيره فإما بحضوره الإنفاقي حالة القصد إلى التأثير أو باستحضاره بعد القصد وتجديد حضوره وهذه التأثيرات الأربعة...» - ص ٤٢ - .

قوله : إما بحضوره الاتفاقي . . . الخ ، مراده من الحضور الاتفاقي هو العلم الابتدائي الانفعالي الذي ينال النفس من الخارج ومن الاستحضار وهو استحضار المعلوم من خزانة خياله أو عقله وهذا غير العلم الكشفية بل هو العلم الكسبي المخزون أي العلم الناشئ من الملكة البسيطة الفعالة .

المتن: «مراتب التأثير أربعة: رتبة في نفس المؤثر والثانية في الذهن والثالثة في الحس والرابعة الجامعة المشتملة على الثلاثة المذكورة فوقها» - ص ٤٣ - .

قوله: الجامعة المشتملة على الثلاثة، قال شيخنا العارف دام ظله العالي وهي كما في تنزل الحقائق الغيبية من العالم العقلي إلى مرتبة الخيال ومنه إلى مرتبة الحس كما في نزول جبرئيل عليه السلام على قلب رسول الله ﷺ وتمثله في عالم خياله بحيث ملأ الخافقين وتنزله في حسه الشريف بصورة دحية الكلبي مثلاً وكقلب أحدي جمعي لا تشغله الوحدة عن الكثرة والكثرة عن الوحدة وهو أيضاً جامع بين الثلاثة ثم إن الجمع بين العقل والخيال والحس والخيال أيضاً ممكن فتصير الأقسام ستة .

«فإن من صار بذل الآلاف له ملكة صادرة بلا تأمل لا يكون ببذل فلس لمستحق مستكماً بوجه ولا شك أن نسبة حاله إلى وجود الحق نسبة أقل شيء إلى غير مثناه فأين استكمال به» - ص ٤٣ - .

لا يختص هذا البيان بالمصالح الشرعية فإن نسبة تمام مراتب الوجود إلى الحق تعالى ليست إلا نسبة أقل شيء إلى غير المتناهي بل لا نسبة بينه تعالى شأنه وبين الأشياء كما حققنا في بعض رسائلنا وليس ما ذكره الأشاعرة إلا لقصور نظرهم وإلحادهم بأسماء الله وكفرهم به تعالى شأنه .

«قلت إنما لم يذكره ههنا لما قال الشيخ فيه أنه ليس تصوراً علمياً بل إدراك روحاني جملي من خلف حجاب الطبع والعلائق فلا يدخل في مراتب العلم إلا باعتبار القوة القريبة من الفعل» - ص ٤٣ - .

قوله: بل إدراك روحاني، أقول: وهو السر الوجودي الأحدي الجامع للحقائق لكنه محجوب بالعلائق الجسمانية والحجب الطبيعية وليس هذا هو العقل الهولاني باصطلاح الحكيم كما احتمله شيخنا العارف دام ظله وأن يوهمه قوله: إلا باعتبار القوة القريبة من الفعل .

«ورابعتها الجامع للكل أي التصور المركب من هذه الأقسام التي هي

أشعة أنوار العلم في مراتب القوى بأحدية الجمع كذا في تفسير الفاتحة»
- ص ٤٤ - .

قوله : بأحدية الجمع ، ليس المراد بها المرتبة الكاملة الغيبية للنفس كما هي إحدى إطلاقاتها بل المرتبة المحيطة المبسطة على جميع المراتب بحيث لا يشغلها شأن عن شأن وهذا البسط يؤكد الجمعية الأحدية .

«وإنما تعذر هذا الإدراك قبل الدروج والعروج مع حصول المجاورة المذكورة للقرب المفرط وحجاب الوحدة إذ الغيب الإلهي لا يتعد فيه شيء فلا يضبطه النفس...» - ص ٤٤ - .

قوله : وإنما تعذر... الخ ، لا يحصل الإدراك الامتيازي الأسمائي إلا بالتجليات الأسماوية لا في الحضرة الواحدة ولا في الحضرة الكونية وعند اضمحلال الأسماء والصفات في أحدية الجمع لا حكم إلا للأسماء الذاتية فالامتياز والإدراك والمدرك والمدرك كلها حكم الأسماء في الظهور بالواحدية والأسماء الذاتية عند التجلي بالأحدية الجمعية وعند صعق السموات والأرض ومن فيهن فلا حكم أصلاً لا للأسماء ولا للأعيان وهذا غير الصعق الحاصل بالنفخ عند احتجاب القلوب .

قال الإمام أدام الله تعالى بركات أيامه وجعلنا ممن يستفيد من دقائق إشاراته وظرائف كلامه :

إلى ههنا قرأت الكتاب عند شيخنا العارف الكامل الشاه آبادي روهي فدها وقد اتفق انتقاله إلى طهران فصرت محروماً من فيضه دام ظله .

«أما تفسير الكمالين فما قال الشيخ في التفسير إن كمال الجلاء هو كمال ظهور الحق بالإنسان الكامل وكمال الاستجلاء عبارة عن جمع الحق بين شهود نفسه بنفسه في نفسه وفيما امتاز عنه فيسمى بسبب الامتياز غيراً...» - ص ٤٧ - .

قوله : وكمال الاستجلاء ، ليس مطلق جمع الحق جل اسمه بين شهود نفسه بنفسه في نفسه وفيما امتاز عنه كمال الاستجلاء ولا مشاهدة الغير نفسه

بنفسه مطلقاً مربوطاً به بل الحق إن كمال الاستجلاء عبارة عن مشاهدة الحق نفسه باسمه الجامع في المرأة الأتم أي الإنسان الكامل فظهور الحق في المرأة الأتم كمال الجلاء وشهود نفسه في تلك المرأة كمال الاستجلاء هذا عند اعتبار المراتب وأما عند الاضمحلال فكمال الجلاء ظهوره جل وعلا في كل امرأة وكمال الاستجلاء شهود نفسه فيها وأما الامتيازات التي ذكرها الشيخ فهي حكم الكمالين لا أنها داخلة فيهما كما يظهر من عبارته وعندنا في هذا المشهد تحقيق رشيقي يظهر ثمة منه من شرحنا لدعاء الأسحار من شهر رمضان المبارك .

«... وشاهد بالنظر المذكور كمالاً آخر مستجناً في غيب هويته غير الكمال الأول فإذا رقيقة متصلة بين الكمالين اتصال تعشق تام وهو كمال الجلاء والاستجلاء» - ص ٤٨ - .

قوله: وهو كمال الجلاء... الخ، أي ظهور نفسه بذلك الكمال المستجن في غيب هويته وشهود نفسه في ذلك الكمال كمال الجلاء والاستجلاء ومعلوم أن الكمالين المذكورين ههنا غير ما ذكر قبيل هذا بقوله إن كمال الجلاء هو كمال ظهور الحق بالإنسان الكامل... الخ، فإن هذا في الحضرة العلمية وفي الأعيان الثابتة في غيب هويته بمقتضى استجماعه بأحدية ذاته لجميع الكمالات وذاك في الحضرة العينية والأعيان الموجودة .

«... فمر ذلك التجلي في عوده على جميع التعينات العلمية فمخضها بتلك الحركة القدسية الشوقية فانتشت بتلك المخضة البواعث المشقية من جميع الحقائق» - ص ٤٨ - .

قوله: فانتشت بتلك المخضة، أي أن البواعث العشقية من الحقائق والأعيان الثابتة تابعة للبواعث الحبي الذات في الحضرة الغيبية كما أن الظهور التابع لتلك البواعث تابع لظهوره تعالى شأنه فتكون الأعيان محبوبة بالعرض ومقضية بالعرض وظاهرة بالعرض وذاته تعالى جده محبوبة ومرادة وظاهرة بالذات .

«قال الشيخ في النصوص إن للحق كمالاً ذاتياً وكمالاً اسمائياً يتوقف ظهوره على إيجاد العالم والكمالان معاً من حيث تعين الحق في تعقل الحاكم بهما اسمائين إذ الحكم عليه بأن له كمالاً ذاتياً يستدعي تعقل ذات الحق بغناه...» - ص ٤٩ - .

حتى أن كلمة هو المشار به إلى غيب الهوية من الأسماء الذاتية فإن مقام الذات لا إشارة إليه أصلاً فلا اسم له ولا رسم ولا إشارة فكلما تعقل عاقل أو أشار إليه مشير فهو تعين من تعيناته واسم من أسمائه ومظهر من مظاهره فهو هو وهو غيره .

«بل قد يظهر بها في بعض المراتب وصف الأكملية ومن جملتها معرفة أن هذا شأنه» - ص ٤٩ - .

قوله : الأكملية ، أي في مقام الظهور على بعض الوجود وأما على وجه استهلاك الكل كما هو شأن كل موجود ومظهر بالنسبة إلى الظاهر فليست الأكملية الظهورية أيضاً بل على وجه أحدية جمعه للكل وأخذ كل النواصي بمقام أحديته وربطه الخاص مع كل موجود ليس التفوه بالأكملية الظهورية في محله .

«توضيحه أن صاحب كمال الحيلة واستيعاب الوجوه للوجود لو لم يوصف بوصف مظهر من مظاهره كان قادحاً في سعة إحاطته وكان الوصف له كمالاً غير أن الموصوفية به لكونه من فضائل الكمال المستوعب غير الموصوفية لا بذلك الوجه» - ص ٤٩ - .

فإن نسبة الكمال إلى الظاهر ذاتية حقيقية ونسبة التعين والنقص إليه عرضية مجازية وإن كان الكل منه وإليه - ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنٍ فَيَنَّ اللَّهُ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئٍ فَيَنَّ نَفْسُكَ﴾ [النساء : ٧٩] - وإن كان الكل من عند الله .

«الأول إن كل متعين من حيث دلالة على من تعين بتعينه عينه وإن كان من حيث مفهوم تعينه غيره» - ص ٥٠ - .

قوله : مفهوم تعينه ، أي حقيقة التعين والمقصود أن المتعين عينه ذاتاً وكمالاً وغيره تعيناً ونقصاناً وهذا الحكم جارٍ في الأسماء وصورها التي هي الأعيان وفي المظاهر الكونية عند المحقق .

«الثالث إن كل اسم من حيث دلالة على الذات له جميع الأسماء ومن حيث دلالة على المعنى الذي ينفرد به يتميز عن غيره» - ص ٥٠ - .

قوله: من حيث دلالة على الذات، أي من حيث ظهور الذات فيه فالذات بحقيقة أحدية جمعه ظاهرة في كل اسم فكل اسم فيه جميع الأسماء حقيقة وإن كان التميز باعتبار الظهور والبطون فالإسم الرحمن ظاهر فيه الرحمة باطن فيه الغضب والقهار بالعكس فالجنة حفت بالمكاره والنار حفت بالشهوات فكل شيء آية الله اسمه الجامع لدى أولي البصائر ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله ومعه أي باسمه الجامع كما عن الصادق عليه السلام .

«ومنه يعلم ذوق كل شيء في كل شيء وهو للمحمدين خاصة كما مر» - ص ٥٠ - .

فإن لهم البرزخية الكبرى وهم أمة وسط وهذا سر الختمية أي تمام دائرة الوجود وختم سير النور في الغيب والشهود .

«وعلى هذا بنى الشيخ الكبير في الفصوص أن المصطفين الذين أورثوا كتاب الجمع والوجود ثلاثة...» - ص ٥٠ - .

قوله: في الفصوص، في الفصل النوحى حيث قال ولا تزد الظالمين لأنفسهم المصطفين الذين أورثوا الكتاب فهم أول الثلاثة فقدمه على المقتصد والسابق إلا ضلالاً إلا حيرة، انتهى. أشار إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ [فاطر: ٣٢] وفسر القيصري الظالم بالفاني في الذات والمقتصد بالفاني في الصفات والسابق بالخيرات بالفاني في الأفعال .

«الوجه الثالث أن من عرفها عرف أن مظهر الإسم الجامع كالإنسان الكامل من القطب وغيره يجوز أن يظهر فيه الكمالات الإلهية لكن غير القسم الأول من الأقسام الثلاثة المذكورة في تفسير الفاتحة أعني غير ما يختص بجناب الحق تعالى كوجوب الوجود والأزلية والإحاطة...» - ص ٥١ - .

قوله: غير القسم الأول إلى قوله: غير ما يختص بجناب الحق تعالى، أقول وعندنا أن وجوب الوجود وما بعده كلها ثابتة للإنسان الكامل والمظهر الأتم والفرق بينها وبين ما ثبت لله تعالى في مقام أحدية الذات هو الفرق بين الظاهر والمظهر وبين الغيب والشهادة وبين الجمع والفرق فجميع الأسماء الإلهية ذاتية كانت أو غيرها ظاهرة في المظهر الأتم والاسم المستأثر في الحقيقة ليس من الأسماء فلا ظهور له ولا مظهر وأما الأسماء الذاتية حتى الهوية الصرفة والغيب الأحدي فلها ظهور بمعنى آخر بل لها ظهور في كل موجود بمعنى غيبي أحدي سري لا يعرفه إلا الله ألا ترى قوله تعالى: ﴿مَا مِنْ دَآئِمَةٍ إِلَّا هُوَ ۖ أَخَذُهَا بِنَاصِيكَيْهَا ۖ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٦] فهذا هو الوجه الخاص بلا واسطة اسم من الأسماء أو مظهر من المظاهر.

«تأنيسه قولهم الحقيقة ليست من حيث هي واحدة ولا كثيرة ولا شيئاً من المتقابلات» - ص ٥١ - .

قوله: تأنيسه قولهم الحقيقة... الخ، ولا يخفى أن قياس ظهور الحقيقة الإلهية في المظاهر الخلقية على الطبيعي مع الأفراد مع الفارق إلا على بعض الاعتبار البعيدة كما هو الظاهر عند أولي البصائر.

«بل التحقيق أن ذلك القاصر إذا ضم إلى الكامل الآخر اقتضى وصفاً فوق الكمال لا نقصاناً ومذمة» - ص ٥١ - .

قوله: بل التحقيق إن ذلك... الخ، هذا التحقيق ليس بشيء فإن ضم شيء إلى شيء لا يفيد شيئاً أخرى مقتضية لأمر من الأمور كما هو المحقق في محله ولكن التأنيس حاصل بأن الحقيقة اللا بشرطية الطبيعية مع أنها في حد ذاتها ليست بناقصة ولا كاملة متصفة بهما وتظهر مع كل منهما فالحقيقة المقدسة الإلهية مع ظهورها وتجليها في كل المراتبي الوجودية في عوالم الغيب والشهود مقدسة عن كل التعينات منزهة عن كل القصورات مع كل شيء لا بالمداخلة وغير كل شيء لا بالمزايلة.

«وأما الثالث وهو الموجود فلأن موجوديته بالوجود الذي هو غيره لأنه إما صفة الموجود كما هو النظر القاصر لأهل الظاهر أو الموجود صفة

الوجود كما هو ذوق التحقيق وكل ما موجوديته بالغير لا يكون واجب الوجود» - ص ٥٢ - .

قوله: صفة الوجود، لأن الوجود قائم بذاته ومفهوم الموجودية المصدرية منتزعة منه وإلا بحسب حاق الواقع ومتن كبد الأعيان فالموجود والوجود شيء واحد لا اختلاف بينهما أصلاً.

«... ونسبة الضرب إلى الضارب يسمى ضاربة وإلى المضروب يسمى مضروبة وكل منهما يسمى حاصل المصدر لا مصدراً فالموجودية منتسبة بالوجود بالمعنى الأول وحاصلة منه كالمضروبة بالضرب وهي الحاصلة للمخلوقات...» - ص ٥٣ - .

قوله: وهي الحاصلة للمخلوقات، هذا شبيه مذهب ذوق المتألهين أو عينه ولعل المحقق الدواني أخذ مذهبه منهم أي من أهل الذوق والعرفان أو طابق ذوقه ذوقهم.

«... بل إذا نسب إلى جميع الوجودات الخارجية يلزم عدم الوجود له في ذاته وحصوله بمخلوقه وتأثير المعدوم في الوجودات» - ص ٥٣ - .
إذا فرض أن الوجود الزائد مخلوقه وأما إذا فرض أنه لازمه فلا يلزم هذا المحذور بل محذور آخر.

«فإن قلت كل منهما واجب بمعنى آخر فالمهية واجبة لذاتها أي لنفسها والوجود واجب لذاته وهي المهية لاقتضائها إياه» - ص ٥٣ - .
قوله: لذاته، أي لذات الوجود وإنما هو واجب الوجود بالذات لأنه مقتضى ذات المهية والجواب أن هذا ليس الوجوب الذاتي بل بالغير كما هو معلوم.

«البرهان الرابع إن الوجود المطلق موجود لصدق قولنا الوجود موجود اما بصحة حمل الشيء على نفسه وإن كان غير مفيد أو بالذات لأن المهيات غير مجمولة أو بالضرورة لامتناع سلب الشيء عن نفسه من حيث أخذه ذهنياً أو خارجاً أو مطلقاً» - ص ٥٤ - .

قوله: البرهان الرابع إن الوجود المطلق... الخ، لا يخفى أن هذا

البرهان لا يدل على ما هو بصده من إثبات كون الحق وجوداً مطلقاً والغلط فيه ناشئ من اشتباه المفهوم بالمصداق والحمل الأولي بالشائع وكيف كان فما نقل عن المحقق الطوسي من كون مهيته تعالى عين وجوده أدل دليل على المطلوب فإن سلب المهية عنه تعالى سلب كافة التعينات والتقيدات وإثبات إحاطته على قاطبة الوجودات والموجودات ووجدانه لجميع الكمالات ومطلق الوجود وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله ولو دلتهم بحبل إلى الأرض السفلى لهبطتم - لهبط خ ل - على الله .

«البرهان الخامس إن الوجود المطلق لو لم يكن موجوداً كان معدوماً وإلا كذب أجلى البديهيات فارتفع الثقة عن العمليات...» - ص ٥٥ - .

قوله: البرهان الخامس... الخ، هذا البرهان في غاية السقوط والاشتباه فيه ناشئ من أخذ مطلق الوجود مكان الوجود المطلق والمقصود إثبات الثاني للحق لا الأول فإنه ليس محل البحث ههنا، فتدبر .

«إن ارتفاع الحقيقة الكلية التي هي ذات الأفراد ومقومها عين ارتفاع الأفراد التي من جملتها وجود الواجب» - ص ٥٥ - .

قوله: إن ارتفاع الحقيقة الكلية، ليس نسبة مفهوم الوجود إلى ما صدق عليه نسبة الحقيقة الكلية إلى أفرادها والمهية على مصاديقها وأما حقيقة الوجود التي هي عين الحق فهي ليست بمهية كلية صادقة على الأفراد وهذا أمر مشتبّه على الشارح وأترابه وقد حقق في محله فمن أراد الاطلاع عليه فليراجع كتب صدر المتألهين قدس الله نفسه الزكية .

«الشبهة الأولى أن المطلق لا تحقق له إلا في الذهن والواجب من يجب وجوده في الخارج» - ص ٥٦ - .

قوله: الشبهة الأولى... الخ، هذه الشبهة وجوابها في غاية السقوط أما الشبهة فلأنها ناشئة من اشتباه المفهوم الذهني بالحقيقة الخارجية فالإطلاق الذي نحن بصدد إثباته للحق تعالى هو عين الوجود الصريح

الخارجي الذي لا تعين له ولا ماهية بل هو نور محض وحقيقة خالصة لا سبيل للبطلان إليه ولا طريق للبوار الذي هو التعين أو اللازم له إليه وأما الإطلاق المفهومي فهو خارج عن حقيقة الحق عند الكل وليس أحد يتفوه به وبهذا يظهر سقوط الجواب أيضاً فإن الحق في الجواب ما عرفت وهو لا يبتنى على وجود الطبيعي وليس نسبة الحقيقة الحقبة الإلهية الإطلاقية مع مفهوم الوجود المطلق نسبة المهية مع أفرادها كما هو أظهر من أن يخفى على أولي النهى .

«إن الحق وجود الكلي الطبيعي في الخارج لوجود أحد قسميه وهو المخلوط» - ص ٥٦ - .

قوله : لوجود أحد قسميه وهو المخلوط ، إثبات وجود الطبيعي بوجود المخلوط ظاهر الفساد وإن أصر عليه بعض المحققين من أهل النظر في كتبه فإن تقسيم المهية إلى الأقسام الثلاثة من الاعتبارات العقلية التي لا وجود لها على التحقيق فالمخلوط لا وجود له البتة وإن كان الطبيعي له وجود والطريق الصحيح لإثباته هو من طريق حمل الطبيعي على الأفراد الخارجية والحمل يقتضي الاتحاد إما مفهوماً فليس وإما وجوداً فهو المدعى وللمقام تفصيل وتحقيق ليس مجال ذكره والله العالم .

«وجملة الكلام فيه أن الحق أن الذات المطلق إما أن يتوقف على تحقق صفاتها وأحوالها المشخصة بدون عكسه أو بالعكس كذلك . . . » - ص ٥٦ - .

قوله : وجملة الكلام ، لولا هذه الجملة التي زعم أنها تحقيق لكان صدر كلامه موافقاً للتحقيق ولكنه على زعمي أخذ صدر كلامه من غيره كالقنوني وأترابه ولم يطلع على حقيقته وبالجملة ففي قوله والثاني يقتضي أن يتعين المهية قبلها . . . الخ نظر واضح فإن الكلية التي سلبها متحاشياً إن كانت المفهومية فالحق سلبها وإن كانت بمعنى سعة الوجود وإحاطته كما في تعبير كثير من أهل المعرفة فلا يكون تالياً لما ذكر والحق أن في كلام هذا

الشارح القاضي في كثيرٍ من المواضع أغلاط غريبة ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور.

«هذه النسبة هي السارية فيما بين الهولوى والصورة والجوهر والعرض في الشخص فإنها سر سريان وجود الحق في المظاهر...» - ص ٥٧ -

قوله: فإنها سر سريان وجود الحق... الخ، هذا وأمثاله من لوازم المهية والنقص وليس من أسرار سريان الحق فإن الكمالات برمتها منه ومن أثر ظهوره في الخلق وأما النواقص فمن نفس المهيئات فهو تعالى نور السموات والأرض وأما الظلمات اللازمة للتعينات فمن الكلمة الخبيثة وإن قلنا بأن الكل من عند الله فهو بنحو العرضية واللازمة كما هو ظاهر.

«الشبهة الثالثة لو كان الوجود المطلق واجباً لكان كل وجود واجباً حتى وجود القاذورات والخنازير والحيات تعالى الله عما لا يليق به» - ص ٥٧ -

قوله: الشبهة الثالثة... الخ، هذه الشبهة كأمثالها أيضاً واهية ساقطة ناشئة من عدم الفرق بين الوجود المطلق أي غير المتعين المجرد عن كافة المهيئات والتعلقات وبين مطلق الوجود المحكوم في كل وجود بحكمه ولا يحتاج إلى تحقيقات الشارح التي هي منظور فيها في نفسها وإن شئت بلسان أهل المعرفة فقل ان الوجود مطلقاً كمال وجمال والنقص ناشئ من التعينات والمهيئات لا أصل الوجود وهذا أيضاً غير مربوط بما نحن بصده من إثبات الوجود المطلق للباري جل ذكره بل راجع إلى أن ظهوره في مجالي الأنوار كمال ونور وهو نور السموات والأرض.

«الشبهة الرابعة إن الوجود ليس بموجود كما أن الكتابة ليست بكاتب والسواد ليس بأسود حتى قيل مبدأ المحمول من أفراد نقيضه...» - ص ٥٧ -

قوله: الشبهة الرابعة... الخ، هذه الشبهة غير مرتبطة بما نحن بصده من أن الحق وجود مطلق بل راجعة إلى أصل تحقق الوجود ففي الحقيقة هذه المرحلة قبل المرحلة التي الآن الكلام فيها، فتدبر.

«الشبهة الخامسة أن الوجود المطلق ينقسم إلى الواجب والممكن والقديم والحادث والمنقسم إلى شيء وغيره لا يكون عينه فضلاً عن أن يكون المنقسم إلى الممكن واجباً وإلى الحادث قديماً» - ص ٥٨ - .

هذه الشبهة أيضاً من باب اشتباه الوجود المطلق مع مطلق الوجود فالوجود المطلق واجب ليس إلا ومطلق الوجود مفهوم عام بديهي لازم للحقائق الوجودية وصادق عليها صدقاً عرضياً.

«الشبهة السابعة أنه مقول على الموجودات بالتشكيك فإنه في العلة أقوى وأقدم وأولى منه في المعلول ويمتنع أن يكون الواجب مقولاً على غيره بالتشكيك...» - ص ٥٩ - .

قوله: الشبهة السابعة، هذه الشبهة أيضاً غير مرتبطة بما نحن بصدده كما لا يخفى إلا أنه لازمه كأمثاله بل هي شبهة في مقابل من يقول أن الوجود في كل موجود عين في الخارج والجواب عنها كما في محله إن التشكيك الخاص الذي يكون ما به الاشتراك فيه عين ما به الامتياز لا يقتضي الزيادة بل بأن يكون للحقيقة عرض عريض فلها مراتب كاملة وناقصة والكمال عين الحقيقة والنقص خارج عنها والهويات بسيطة فراجع إلى مكانه كالأسفار وغيره.

«الشبهة الثامنة اشتراك الوجود معنوياً بين الواجب والممكنات قد ثبت بالبرهان...» - ص ٥٩ - .

والجواب عنها أن الاشتراك المعنوي الذي هو وحدة الوجود لا ينافي أن يكون للوجود مراتب بل كون الحقيقة ذات المراتب يؤكد الوحدة الحقيقية ولا يخفى أن هذه الشبهة أيضاً غير مربوطة بما نحن فيه .

«الشبهة التاسعة أن دليلهم في إثبات زيادة الوجود على المهية بأننا نعقلها ونشك في وجودها فالمعقول غير المعقول جار في وجود الوجود فثبت بذلك أنه ليس عينه الشبهة العاشرة أن مفهوم الوجود هو الكون العام معلوم لكل أحد حتى قيل ببدايته وحقيقة الواجب غير معلومة فلا يكون هو إياها» - ص ٥٩ - .

هاتان الشبهتان كبعض الشبهات السابقة غير راجعة إلى ما نحن فيه ابتداء بل باعتبار أن الوجود إذا كان عين المهمة في الواجب فلازمه أن يكون وجوداً مطلقاً فنفي العينية يلازم نفي الإطلاق .

« . . . والتحقيق الأتم أفاد أنه متى شئ أحد من معرفتها راحة فذلك بعد فناء رسمه وانمحاء حكمه وتعينه واسمه واستهلاكه تحت سطوات أنوار الحق . . . » - ص ٥٩ - .

قوله : والتحقيق الأتم . . . الخ ، وهذا هو المشاهدة الحضورية الحاصلة للأولياء والعرفاء الكمل بعد الرياضات المعنوية وهي أعلى وأجل من كل عرفان واكتناه فإن الاكتناه يقدم الفكر وهو غير معقول في الوجود وفيما يجوز هو أيضاً علم ناقص حاصل من الفكر الذي هو ترتيب أمور لتحصيل آخر فهو في الحقيقة مثار الكثرة والغيرية والغير لا يعرف الغير بخلاف العلم الشهودي والمعرفة الحضورية فإنه مثار الوحدة والهُووية ونفي الغيرية حتى رسوم التعينات الماهوية .

پس عَدَمَ گردم عَدَمَ چوُن ارغنون گویدم أنا الیه راجعون
« فلا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء فعلمه بالكلي كلي وبالجزئي جزئي وبكل شيء على ما هو عليه حتى بنفسه وعلمه بنفسه عين علمه بجميع المعلومات » - ص ٦٠ - .

قوله : وبالجزئي جزئي ، بل علمه بالكلي والجزئي والمحيط والمحاط والعقل والهيولى كلي محيط على نعت واحد بلا اختلاف حيثية ولا تقدم فهو تعالى يعلم الجزئيات على نعت الإحاطة والكلية والتقييد والجزئية من ناحية المعلوم لا العالم وليس علمه تابعاً للمعلوم إلا في العلم الذاتي وهو واضح ولا في العلم الظهوري الفعلي وذلك لأن الفيض الإشراقي في الوجود المنبسط مقدم على المهيئات والتعينات كما هو مبرهن في محله ومعلوم عند أهله .

« الفصل السادس ولأنه لا إطلاقه وسع كل شيء رحمة وعلماً فلا يمكن

وقوع ما يخالفه وصح سر القدر وصح تبعية الإرادة لعلمه كما تبعته القدرة بإظهار ما عينته الإرادة وبمقارعتهما يظهر الكلام...» - ص ٦١ - .

قوله: وبمقارعتهما يظهر الكلام... الخ، وهذا هو الكلام الفعلي الظهوري في مقام الفيض والتجلي الفعلي وأما الكلام الذاتي النفسي فهو إظهار ما في غيب ذاته في الحضرة الأسمائية ومقام الواحدية التابع للتجلي الذاتي العلمي والحب الذاتي والإرادة الذاتية بل على التحقيق العرفاني والذوق الشهودي هو تعالى متكلم في مقام الأحدية وتكلمه الفيض الأقدس والتجلي الأعلى الأرفع والمخاطب به الأسماء الذاتية أولاً وحضرة الواحدية والأسماء والصفات ثانياً ومتكلم في مقام الواحدية وتكلمه التجلي بمقام اسم الله بوجهته الظاهرة والمخاطب به الأعيان الثابتة عين الإنسان الكامل أولاً والبقية تبعاً له وقد بسطنا الكلام بما لا مزيد عليه في الرسالة الموسومة بمصباح الهداية إلى حقيقة الرسالة والولاية.

«الإبداع والاختراع لما لا مادة ولا مدة له غير أن الإبداع يناسب القدرة والاختراع يناسب الحكمة ثم التكوين لما له مادة بلا مدة والأحداث لما له هذا عند أهل النظر وفي طور التحقيق التكوين شامل للكل» - ص ٦١ - .

بل التحقيق إن الإبداع شامل للكل فإن إيجاده تعالى منزه عن كل ما يتوهم من المادة والمدة وغير ذلك من سمة المخلوقين وهذه الأمور من ناحية المخلوق لا الخالق فإيجاده بالفيض المقدس عن كل تكوين وتدرّيج فالعالم بقضه وقضيضه مبدع وإن أطلق على بعضه الخلق مثلاً فباعتبار الجنبه الخلقية، فتدبر.

«المرتبة الثالثة اعتبارها من حيث الأحكام اللاحقة التي هي على نوعين نوع من الأحكام يتعلّق في الوحدة وظهوره موقوف على شرط أو شروط مع اشتمال الوحدة عليها بالقوة...» - ص ٦٢ - .

قوله: وظهوره موقوف على شرط... الخ، كسريان حقيقة الوجود التي هي الوحدة الحقّة الحقيقية فإنه من أحكام حقيقة الوحدة لكنه يحتاج إلى المجالي والمرائي أي بحسب الظهور بنعت الكثرة.

«وثمة صنف أعلى وذوقهم أن الفعل الوجداني الإلهي المطلق عن الوصف في الأصل تعينه بالتأثير والتأثر التكيفي إنما يكون بحسب المراتب التي يحصل منها جملة من أحكام الوجوب والإمكان في قابل لهما» - ص ٦٢ - .

قوله : صنف أعلى وذوقهم ، فإن الصنف الأول نسب النفع والضرر إلى المعدات وهذا الصنف نسب النفع إلى جهة الوجوب والضرر إلى جهة الإمكان ولسان هذا قوله تعالى : ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ﴾ [النساء : ٧٩] والصنف الثالث هم الذين نسبوا الكل إلى الله ولسانهم ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [النساء : ٧٨] وقوله تعالى : ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّكَ اللَّهُ رَمَىٰ﴾ [الأنفال : ١٧] وإن كان في هذا المقام مقامات ومراتب ليس المقام محل بسطه .

«... وأما النسبية وهي وحدة النسب أو الأحكام لكن بنسبتها إلى الذات لا باعتبار مفهوماتها...» - ص ٦٣ - .

فإنها كثيرة في مقام الواحدية وحضرة الأسماء والصفات وأما حقائقها فواحدة وحدة حقة حقيقية منزهة عن الكثرات وأحكامها .

«... فالأحدية سقوط كافة الاعتبارات وللواحدية تعلقها - تعلقها خ ل - في ظهور الذات...» - ص ٦٣ - .

وأما الذات من حيث هي فلا يعتبر فيها الأحدية ولا الواحدية ولا سائر الصفات ففي الحقيقة إسقاط كافة التعينات والاعتبارات راجعة إليها لا إلى الأحدية فإن فيها اعتبار الأسماء الذاتية بنحو كما مر في صدر الكتاب .

«واضبط ما ذكروا في إثبات الوحدة أنه لو تعدد فأقله إثنان فإما أن يقدر أحدهما على خلاف مراد الآخر ونقيضه أم لا الثاني عجز عن الغير في محل الإمكان وينافيه الألوهية بخلافه عن الجمع بين النقيضين فإنه عجز لنبو المحل في نفسه وعدم الإمكان» - ص ٦٤ - .

وهذا في الحقيقة ليس عجزاً بل الجمع بين النقيضين من الممتنعات الذاتية غير القابلة للوجود ولا ينافي عموم القدرة وسريان الفيض كما لا يخفى .

«... كل ما يشهده من الأكوان بعقل أو خيال أو حس غير ما يدركه من الحقائق المجردة في حضرة غيبها بالكشف إما ألوان أو أضواء أو سطوح...» - ص ٦٤-٦٥ -

قوله: في حضرة غيبها بالكشف، أما المشاهدة الحضورية والمكاشفة الذوقية فليست من الاكتناه في شيء فإن الاكتناه بقدم الفكر وهي براق الذوق والعشق، والفكر ترتيب أمور معلومة لتحصيل أمر مجهول فما لا جنس له ولا فصل ولا حد له فلا برهان عليه فالفكر حجاب والعلم هو الحجاب الأكبر والمشاهدة حضور وتدل وتعلق وربط ورفض قاطبة التعينات كما أفصح عنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [النجم: ٨-٩] وقول وليّ العصر روجي له الفداء على ما نقل عنه في بعض الأدعية «وأثر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك حتى تخرق أبصار القلوب حجب النور فتصل إلى معدن العظمة وتصير أرواحنا معلقة بعز قدسك» فالمعرفة مرغوب فيها ومأمور بها والفكر مرغوب عنه ومنهي عنه وهذا أحد وجوه الجمع بين الأخبار الآمرة بالمعرفة والناهية عن الفكر في ذات الله فافهم واغتنم.

«... حيث يظهر لدى الفتح أن الحق المتجلي آلة لإدراك العبد المتجلي له فيسمع وبصير» - ص ٦٦ -

قوله: إن الحق المتجلي آلة... الخ، فإن العبد إذا صار قائماً في الحق يصير الحق سمعه وبصره ويده ليس للعبد سمع ولا بصر وهذا هو قرب النوافل الحاصل للسالك المجذوب المشار إليه في الحديث القدسي بقوله: «وإنه ليتقرب إلي بالنافلة حتى أحبه».

وإذا صار العبد باقياً ببقاء الله عند شمول توفيق الله يصير العبد سمع الحق وبصره والله تعالى يسمع به ويبصر به فإن مقامه عند الرجوع إلى مملكته مقام مشيئة الله الظاهرة وهذا هو قرب الفرائض الحاصل للمجذوب السالك المشار إليه في قوله عليه السلام: «رضا الله رضانا أهل البيت» وقوله عليه السلام: أنا يد الله وعين الله وغير ذلك من التعبيرات وأشار المولوي

المنثوي إلى المقام الأول بقوله: «ازعبادت مى توان الله شُد» وإلى المقام الثاني بقوله: «نئى توان موسى كليم الله شُد».

«... فعلى كل حال يكون ذلك الإدراك والشهود والتجلي من حيث تعينه ومشيئته وعلمه الأقدس بذاته تعالى من حيث واحديتها لا من حيث إطلاقها وأحديتها» - ص ٦٦ -.

قوله: من حيث واحديتها، فإن في كلا المقامين يكون حكم الكثرة باقياً والفناء ليس تاماً وليس فناء عن الفناء وأما التجلي من حيث الإطلاق والأحدية فيفنى كل التعينات ولا يبقى إشارة واسم إلا عند الصحو الحاصل بعد المحو وهذا هو مقام أو أدنى المشار إليه بعد الصحو بقوله لي مع الله حالة أو وقت... الخ، وهذا التجلي بالإطلاق والأحدية يحصل للكامل في بعض حالات السلوك وللختم في كل الحالات وللناس كلهم عند القيامة الكبرى.

«... لما تقرر في الفكوك أن النور لا يدرك ويدرك به والظلمة عكسه تدرك ولا يدرك بها والضياء الحاصل من اختلاطهما يدرك ويدرك به» - ص ٦٦ -.

قوله: لما تقرر في الفكوك، عبارة الفكوك هكذا: وإذ قد نهتكم على شأن النور الحقيقي وأنه يدرك به وهو لا يدرك فاعلم أن الظلمة لا تدرك ولا يدرك بها وأن الضياء يدرك ويدرك به، انتهى. ومعلوم انه غير ما نقله الشارح أو فهم من عبارته ونقل بالمعنى مع أن ما ذكره الشارح غير صحيح فإن الظلمة عدم محض وهو غير مدرك أصلاً نعم وقع نظير ما ذكره الشارح في عبارة الشيخ الكبير في تفسيره على ما حكاه الشارح قال في ذيل كلام منه أما ما امتاز به الحق عن الخلق فله مرتبة الغيب والنور المحض ومن شأنه أن يدرك به ولا يدرك ثم قال وأما للحضرة الكيائية فالظلمة المنبهة على مرتبة الإمكان والعدم المعقول ومن شأنها أن تدرك ولا يدرك بها ثم قال وأما البرزخ المنعوت بالضياء المسمى بالعماء فمن شأنه أن يدرك ويدرك به انتهى

كلامه ويمكن الفرق بين العبارتين بأن المقصود من عبارة الفكوك هو محض الظلمة ومن عبارة الشيخ هو ظلمة الإمكان لا محضها كما هو صريح عبارته فلا تغفل .

«السؤال الثاني إن وجود الواجب متعين في العقل واتفق جميع العقلاء أن حقيقته مجهولة والمعلوم غير المجهول وكونه معلوماً من وجه ومجهولاً من وجه يقتضي تعقل جهتين مختلفتين فيه وهو واحد من جميع الوجوه وذلك أن المجهول حقيقته والمعلوم نسبته المسمى بالكون والموجودية والأول تصور والثاني تصديق ولا يلزم من معلومية حصول الوجود معلومية كنه الوجود لأن التصديق لا يقتضي تصور كنه الأطراف» - ص ٦٨ - .

قوله: وذلك أن المجهول... الخ، وأيضاً الاكتناه والعلم بالحقيقة غير شهود الحقيقة والحضور عنده كما أن النور مشهود كل أحد وغير معلوم لهم كذلك حقيقة الوجود مشهود كل أحد والحاضر عند كل أحد بحيث لا يشهد شيء إلا به فهو مبدأ كل إدراك وشهود وعلم ومع ذلك غير مكتنه ولا معلوم لأحد وبهذا يندفع كثير من الإشكالات .

«... الأول أن الوجود العام إما ممكن أو واجب الثاني محال لاستحالة صدور الواجب وتعدده وعلى الأول إن اشتمل على مهية غير الوجود وكان الاشتراك بين المهيئات بمجموع الوجود والمهية كان المشترك بينها ممكناً بمهيته ووجوده وليس كذلك» - ص ٧٠ - .

أي ممكناً واحداً وجوداً ومهية وليس كذلك فإن الأشياء متعددة ممتازة ليست بواحدة ومشتركة في كل الجهات .

«... وإن لم يشترك المهية بل الوجود فقط كان الصادر الأول من الممكنات هو القلم الأعلى وإن لم يشتمل على مهية غير الوجود كان واجباً لما مر من الوجوه» - ص ٧٠ - .

قوله: وإن لم يشتمل على مهية... الخ، والجواب عنه وعن سائر الشبهات أن الوجود المفاض ليس له مهية بل هو وجود محض متعلق

بالواجب تعالى وربط محض وتعلق صرف ومعنى حرفي وبهذا يفرق بينه وبين الواجب تعالى فإن الواجب قيوم بذاته مستقل في هويته والوجود العام المتقوم به ذاتاً صرف الاحتياج ومحض الفاقة .

«قلت الوجود العام من الحقائق الإلهية والمراتب الكلية الأسماوية فهو بذاته ذات الواجب كما سيجيء» - ص ٧١ - .

قوله : الوجود العام من الحقائق الإلهية . . . الخ ، والحق التحقيق بالتصديق عند المشرب الأحلى والذوق الأعلى أن الوجود العام لا يمكن أن يشار إليه وأن يحكم عليه بحكم لا عين الحق ولا غيره لا مفيض ولا مفاض لا هو من الأسماء الإلهية ولا الأعيان الكونية بل كلما يشار إليه أنه هو هو غيره لأنه صرف الربط ومحض التعلق وكلما كان كذلك فهو معنى حرفي لا يمكن أن يحكم عليه بشيء أصلاً ولهذا يقتضي ذوق التأله أن تكون المهيئات مجعولة ومغاضة وظاهرة وأما الوجود فنسبة المجعولية إليه باطلة ومع أنه مشهود كل أحد ولا مشهود إلا هو لا يمكن أن يحكم عليه بأنه مشهود أو موجود أو ظاهر أو غير ذلك من الأسماء والصفات وبهذا جمعنا بين القول بأصالة الوجود ومجعولية الماهية وبين قول العرفاء الشامخين القائلين بأن المهية مجعولة وبين قول بعض أرباب المعرفة وبعض أرباب التحقيق القائلين بأن الوجود مجعول والمهيئات اعتبارية فافهم واغتنم .

« . . . لا لأنه يجاب كما أجاب في المواقف بأن المجمول هو الهوية ولا ينفيه عدم مجعولية الماهية لأن الهوية ليست إلا المهيئات - إلى قوله - لأننا نقول إنما يتحقق الجعل باقتران الوجود بتلك المهيئات . . . » - ص ٧٢ - .

لعل مراد صاحب المواقف من جعل الهوية هو جعل الوجود فإن الهوية تقال على الموجود المتعين وحينئذ لا يرد عليه ما ذكره الشارح وأما قول الشارح إنما يتحقق الجعل باقتران الوجود بتلك المهيئات فهو بظاهره سخيّف بل هو عبارة عن جعل الاتصاف المردود وأما عند المشرب العرفاني

الدقيق فالجعل متعلق بالمهيات ولا يرد عليه ما ذكره من الوجوه كما أشرنا إليه سابقاً وجمعنا بينه وبين جعل الوجود .

«فالتجلي الأول حضرة أحدية الجمع والوجود وتعينه الأول والقابل الأول ومقام أو أدنى كناية عنه والتجلي الثاني المتضمن تميز الحقائق والمراتب التي كانت مستهلكة الحكم في حضرة التعين الأول الظاهر على مثال النفس المنبث الذي هو صورة التجلي الأول وظله الجامع لجملة الاعتبارات والتعينات يسمى برتبة الألوهية وحضرة قاب قوسين وتعينه تعيناً ثانياً وقابلاً ثانياً جامعاً بين طرف الإجمال والوحدة...» - ص ٧٥ - .

ومقام قاب قوسين عبارة عن التعين الثاني والقابل الثاني لهذا التجلي الثاني الجامع لجميع الاعتبارات كما أن مقام التدلي عبارة عن القابل للفيض المنبسط الظهوري والوجود البسيط النوري .

«ثم إن هذا التعين الثاني النفسي من جهة أنه أصل ظهور التعينات - إلى قوله - وباعتبار البرزخية الحاصلة بين الوحدة والكثرة لاشتمالها على هذه الحقائق الكلية الأصلية من حيث صلاحية إضافتها إلى الحق أصالة وإلى الكون تبعية وانتشاء أنواعها أو جزئياتها منها مفصلة يسمى بالحضرة العمائية» - ص ٧٥ - .

قوله : بالحضرة العمائية ، ونحن بحمد الله قد حققنا الحضرة العمائية وبسطنا القول فيها في رسالة مصباح الهداية بما لا مزيد عليه وقد حققنا فيها أن حقيقتها عبارة عن الفيض الأقدس والتجلي الغيبي الأحدي الأول وهو باطن الاسم الله الأعظم من حيث وجهته الغيبية وظاهره حضرة الاسم الله من حيث أحدية جمع الأسماء الإلهية .

«وظني أن التعين الثاني لكونه برزخاً جامعاً بين الأحدية والواحدية بل مشتملاً في طرف الوحدة على قوة نسبة الأحدية مع سرية الواحدية وفي طرف الكثرة على نسبة الواحدية مع سرية الأحدية من وجهين كما سبق بيان الكل صح اعتبار العمائية التي هي عبارة عن البرزخية الجامعة للحقائق الإلهية والممكنة...» - ص ٧٦ - .

قوله: وظني أن التعيين الثاني . . . الخ، والتحقيق أن للحقيقة العمائية والنفس الرحماني حقيقة ورقيقة وباطناً وظاهراً وعيناً وشهادة كما الأمر كذلك في جميع الحقائق الإلهية والأسماء الربوبية فالحقيقة والباطن والغيب منهما عبارة عن الفيض الأقدس والتجلي الأول لكنه باعتبار البرزخية والأحادية الجمعية يقال له العماء وباعتبار الظهور في الكثرات الأسمائية الذاتية يقال له نفس الرحمن والرقيقة والظاهر والشهادة منهما عبارة عن التجلي الظهوري الفعلي والفيض المقدس والوجود المنبسط إلا أنه باعتبار البرزخية يقال له العماء وباعتبار البسط والظهور في مراتب التعينات يقال له النفس الرحماني فافهم وكن من الشاكرين ولا تكن من الغافلين.

«وأما الاسم الله فقليل اسم لمرتبة الألوهية والظاهر أنه اسم الوجود والتجلي باعتبار تلك المرتبة الجامعة» - ص ٧٧ - .

قوله: وأما الاسم الله . . . الخ، بل التحقيق أن الاسم الله اسم لأحادية الجمعية الأسمائية باعتبار وجهة الظهور في عالم الأسماء والصفات وصورته العين الثابتة للإنسان الكامل كما أن مقام الألوهية مقام ظهور الاسم الله في الأعيان الكونية والمظاهر الخلقية باعتبار أحادية الجمع كما أن مرتبة تدلي الألوهية ومرتبة جمع جمعه هو الفيض المقدس الذي هو باطن الألوهية كما أن باطن الاسم الله ومقام غيبه هو الفيض المقدس فمقام الألوهية باطنها وظاهرها مظهر الاسم الله بباطنه وظاهره. لمحوره السيد روح الله ابن السيد مصطفى الخميني حرر في قصبة خمين.

متن: «للولوجود المطلق أن فهمت اعتباران أحدهما من كونه وجوداً فحسب وهو الحق . . .» - ص ٧٨ - .

قوله: وهو الحق، أيضاً للتفهم وإلا فبمجرد الإشارة إليه يتنزل من مرتبة الوجود من حيث هو إلى المرتبة التالي الأحادية الغيبية فضلاً عن توصيفه بأنه الحق فإنه من الأسماء الذاتية فتبصر.

متن: «... وإنه من هذا الوجه كما سبقت الإشارة إليه لا كثرة فيه ولا تركيب ولا صفة ولا نعت ولا اسم ولا رسم ولا نسبة ولا حكم بل وجود يحتمل» - ص ٧٨ - .

والحكم على تلك الحقيقة المقدسة عن كل حكم وإشارة بعدم الحكم كالحكم على المعدوم المطلق بأنه لا خبر عنه .

المتن: «وقولنا هو وجود للتفهيم لا أن ذلك اسم حقيقي له بل اسمه عين صفته وصفته عين ذاته» - ص ٧٩ - .

قوله: بل اسمه عين صفته... الخ، كل ما ذكره بعد ذلك ليس شأن المرتبة الإطلاقية المقدسة عن كل تلك الأحكام بل راجعة إلى المرتبة الأحادية الجمعية والواحدة الجامعة التي فيها اعتبار الأسماء والصفات والتميزات والكثرات وإن كان كل ذلك راجعة إلى الذات وم المتحدة معها وأنها لبساطتها الحقيقية عين الكثرات وكل الأشياء وليست بشيء منها .

قال في الفتوحات ومجموع عدم احتياجه إلى الغير في الوجود والبقاء واحتياج الغير إليه فيهما هو معنى الألوهية» - ص ٨١ - .

الألوهية الفعلية الظهورية التي هي مظهر الاسم الله هي قُيُومِيَّة تعالی لكل شيء مطلقاً ولازمها عدم احتياجه إلى الغير مطلقاً واحتياج الغير إليه كذلك لا أن حقيقة الألوهية عبارة عن مجموع الأمرين كما يتوهم من ظاهر عبارة الشيخ الكبير .

«... فكل شيء فإنه من حيث ذلك السر الذي هو سبب وجوده والمقيم له غير متناه ولا متقيد باسم أو وصف أو مرتبة أو غير ذلك...» - ص ٨٣ - .

قوله: غير متناه ولا متقيد، وهذا سر قول المحققين إن الله تعالى يعلم الجزئيات بالعلم الكلي الشامل غير المقيد وما عرفه الناس حق معرفته وبدلوه تبديلاً .

«فلك الأحكام والأحوال المختصة بكل عين هي المانعة له من معرفة

حقيقته بدون اللوازم فمتى غلب حكم الحقيقة من حيث حقيقتها احكام
لوازمها عرفت نفسها...» - ص ٨٣ - .

قوله: فمتى غلب حكم الحقيقة... الخ، وعندي أنه إذا غلب حكم
الحقيقة واندكت جبال الأنيات عند ظهور نور الألوهية وتجلي الكمال
الربوبي وانقهر حكم التعينات ولوازم الإمكانيات عند قهر كبريائه تعالى وبروز
أحدثه شهد السالك نفسها مندكة متعلقة بعز قدسه مضمحلة تحت نور ربه
وذلك عند القيامة الكبرى وهذه التعبيرات أيضاً من ضيق المجال وهذا سر
قوله ﷺ ما حكى «اللهم أرني الأشياء كما هي» وقوله «من عرف نفسه عرف
ربه» فافهم.

«... وإن توقف بوجه الشرطية على مظهر قابل واستعداد له فذلك
لتحصيل خصوصية توجه الجواد المطلق لا لتوقف مطلق الفيض عليه
وأن لا يرد عليه تكوين الغير وإلا لم يكن المبدأ للكائنات إلا ذلك
الغير...» - ص ٨٦ - .

أي تكوين الغير لا يكون وارداً عليه تعالى بمعنى أنه لا يصير مورداً
للتكوين وإلا يكون ذلك الغير مبدأ التكوين وذلك واضح.

«... ويكون مستغنياً بحقيقته عن كل شيء وإن افتقر في تعينه الإسمي
إلى حقائق الأشياء أو ظهوراتها لكن بالشرطية لا بالعلية كما يفتقر بها
إليه كل شيء في وجوده» - ص ٨٦ - .

قوله: وإن افتقر في تعينه الاسمي، أقول هذا التعبير وقع في عبارة
الشيخ الكبير في فصوصه أيضاً وهو تعبير يشيع مع أنه خلاف التحقيق فإنه
تعالى في ظهوره الأسامي بل الأفعالي لا يفتقر إلى شيء بل الحقائق في
ظهوراتها تحتاج إليه تعالى فإن الإطلاق مقدم في التحقيق على التعيين
والفيض المنبسط مقدم بالوجود على تعييناته بل التعينات موجودة بالعرض
والظهور له ومنه وفيه والتجلي العيني وإن كان في المراتبي ولكنه مقدم عليها
وهذا من الأسرار التي لا يمكن إفشاء حقيقتها والتصريح بها فالعالم خيال في
خيال ووهم في وهم ليس في الدار غيره ديار، تأمل تعرف.

«... أما ذلك الجهل فأما لغاية قربه ودنوه كما لا يدرك البصر الهواء ونفس الحدة والعقل الاستحالات المزاجية الجزئية وأما لفرط عزته وعلوه كما لا يدرك البصر وسط قرص الشمس في غاية نورها بل يتخيل فيه سواداً وظلمة مع أنه منبع الأنوار...» - ص ٨٦ -

قوله: فأما لغاية قربه... الخ. الترديد بلا وجه بل الحق تعالى مع أنه في غاية القرب حتى يكون أقرب إلى كل شيء منه في غاية العلوّ والعزة أين التراب ورب الأرباب فهو تعالى دان في علوه وعالٍ في دنوه فلا تدركه العقول والأبصار مع أنه مشهود كلّ شاهد ومطلوب كلّ طالب.

«وكما ان كمال كل وعاء بامتلائه وأكملته بما يفيض منه بعد الامتلاء كذلك الفيض الایجابي» - ص ٨٧ -

قوله: أكملته عطف على اسم أن أي الكمال بالامتلاء والأكمالية بالإفاضة.

«الثامنة ما يرى ويدرك فهو حق ظاهر بحسب شأن من شأنه القاضية بتنوعه وتعدد ظاهره مع كمال أحديته في نفسه» - ص ٩٠ -

قوله: الثامنة، حاصلها أن الوجود مع كمال أحديته تجلّى بشؤونه الذاتية فظهرت التعينات الوجودية فالتعينات مظاهر الشؤون الإلهية وهي مظاهر الأحدية الجمعية فالظاهر حق بتعينات شؤونه.

«... وتجلّيه الوجودي ظهرت الخفيات وتنزلت من الغيب إلى الشهادة البركات من حيث أسمائه الباسط والمبدي وبارتفاع حكم تدليه تخفى وتنعدم الموجودات باسميه القابض والمعيد» - ص ٩٣ -

وهذا سر قول أصحاب المعرفة أن لا تكرار في التجلي وأن الله لا يتجلّى في صورة مرتين فهو تعالى دائماً في التجلي بأسمائه الظاهرة كالرحمن والمبدئ وبأسمائه الباطنة كالمالك والظاهر والمعيد والحقائق دائماً في الظهور والبطون فكل يوم هو في شأن من الجمال والظهور والجلال والبطون.

«... فالمنزّه عنهما قابل لهما وقبوله لهما بذاته بمعنى أنه لا بأمر زائد وإن كان حصول أحدهما وهو حكم الإطلاق بأحدثه والآخر وهو حكم التقييد بواحديته» - ص ٩٣ - .

قوله: وإن كان حصول أحدهما... الخ، بل الإطلاق والتقييد والأولية والآخرية والظاهرية والباطنية والغائية والحاضرة كلها بحيشة واحدة بحسب مقام الجمعية الإلهية والبرزخية الكلية الذاتية وأما مقام الأحدية فليس فيه إلا اعتبار الأسماء الذاتية التي ليس الإطلاق المضاد للتقييد والباطن المقابل للظاهر منها.

«... ولكل مناسبة ثابتة بين طالب ومطلوب رقيقة بينهما هي مجرى حكمهما...» - ص ٩٥ - .

وهذا أيضاً من الجذبة الإلهية في الحضرة الأسمائية للعين الثابتة للسالك الموجبة للجذبة الملكية ما أصابك من حسنة فمن الله .

متن: «ومظهر قدرته وآلة حكمته في أفعاله بستره ومحل ظهور سر القبض والبسط والإبداء والإخفاء والغيب والشهادة والكشف والحجاب الصوري النسبي - السببي خ ل - الذي به يفعل تعالى ما ذكر لا مطلقاً هو العرش المجيد» - ص ٩٦ - .

قوله: وآلة حكمته في أفعاله، هذا العرش هو العرش في مقام الظهور وأما عرش الذات ومستوى السلطنة الذاتية هو الاسم الجامع الأحدي وبه يظهر مقام الواحدية والكثرات الأسمائية كما أن عرش الصفات هو العين الثابتة الأحدية الأحمدية الجمعية وبه تظهر الأعيان الثابتة وصور الأسماء الإلهية والمقام لا يسع بيان كيفية البسط والقبض والإبداء والإخفاء والكشف والحجاب في كل واحد من المقامات على ما عندي بفضله الدائم .

«لأن أصل تأثير الشيء بحسب اقتضائه بناء على أن وجود أحد المتضايقين من حيث هو مضاف يقتضي وجود الآخر كإلالة للمألوه والرب للمربوب» - ص ١٢٥ - .

قوله: بناء على أن وجود أحد... الخ، هذا بناء فاسد ومبنى باطل

فإن التأثير والتأثر بين الحق والخلق والعلة والمعلول ليس من باب التضاييف بل هو إضافة إشراقية ونور منبسط وفيض محيط يتقدم الإضافة على المضاف والفيض على المستفيض تقدماً بالحقيقة نعم التضاييف بين المفاهيم ككون العلة مبدأ للتأثير وكون المعلول متأثراً إلى غير ذلك وأما تناسب بين الظاهر والمظهر فهو أمر غير ما فهمه الجمهور وما أدركته العقول بل إدراكه. كإدراك الظاهر والمظهر ذوقي شهودي برهاني عند أهله وفي محله .

«... وهو الإطلاق الصرف عن القيد والإطلاق والحصر في أمر ثبوتي أو سلبى وهو المكنى عنه بالكنز المخفى لكونه أبطن البطون ومشتملاً على نفائس جواهر الأسماء التي منها ما يستأثر في مكنون الغيب فلا يعلمها إلا هو» - ص ١٢٦ - .

قوله: وهو المكنى عنه بالكنز المخفى، الكنز المخفى هو مقام الواحدة والأسماء والصفات ومقام جمع الكنوز والكثرات والعلم الذاتى بالأسماء والصفات ومقام الجمعية وأما مقام الإطلاق. الصرف عن جميع القيود والحصر في أمر ثبوتي أو سلبى فهو غير ذلك بل غير مقام الأحدية أيضاً بل هو كينونة مطلقة عن الاختفاء والكنزية وغير ذلك من النعوت الجلالية الراجعة إلى الخفاء والجمالية الراجعة إلى الكنزية ولا يتصف بالبطون ولا أبطن البطون ولا يشار إليه بأنه مشتمل على نفائس جواهر الأسماء لا الأسماء الذاتية في مقام الأحدية ولا الأسماء الصفية في مقام الواحدة والاسم المستأثر راجع إلى غيب الهوية وأعلى مقام الأحدية .

«... أو اعتبر أمر ثالث وهو ظهور الحق من حيث غيبه ثانياً إلى ما قام منه مجلى لجميع تعيناته وثالثاً ورابعاً وهلم جراً» - ص ١٢٧ - .

إذا اعتبر التجليات الظهورية والبطونية والبسطية والقبضية في كل آن فإنه تعالى كل يوم في شأن فما هو مجلى لجميع تعيناته الظاهرة يخفى تحت نور كبريائه ويقبض بتجليات الأسماء الباطنة ثم يصير ثانياً مجلى للتجلي الظاهري ثم الباطني ثم الظاهري وهكذا .

«... وأكثر ما يجره الدعاء من الأمور الغيبية إنما يكون من هذا القبيل
فإن ما عداها ليس إلا المكتوب الثابت المقسوم في الحضرة العلمية»
- ص ١٢٩ - .

قوله : وأكثر ما يجره الدعاء ، أي أكثر ما يجره الدعاء يكون من الأمور
التي لم تتعين في الحضرة الغيبية الأزلية لا المرتبة الثانية فإنها هي المكتوبة
الثابتة المقسومة وهذا هو الدعاء على سبيل الاحتمال الذي هو أحد الأقسام
الثلاثة للدعاء فإن له على ما ذكر الشيخ في الفصوص ثلاثة أقسام أحدها
الدعاء على سبيل الاستعجال وهذا دعاء العامة والثاني الدعاء على سبيل
الاحتمال وهو دعاء الحكماء القائلين بأن من الممكن أن يكون الدعاء شرطاً
في تحقق بعض الأمور كما فصله الشيخ الرئيس وأمثاله في كتبهم وهذا
مطابق لما ذكره الشيخ الفرغاني والثالث الدعاء على سبيل الامتثال وهو دعاء
العرفاء والأولياء الذين يشهدون جفاف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة وقد
ورد عن أهل بيت الوحي أن الدعاء عبادة في جواب القائل بأنك تقول جف
القلم فما معنى الدعاء .

«ثم قال وهذا التجلي الأول يتضمن الكمال الذي حقيقته حصول ما ينبغي
على ما ينبغي وهو قسمان كمال ذاتي هنا يكون في مبدأ الرتبة الثانية حياة
يلازمه الغنى الذاتي وهو شهود الذات نفسه من حيث وحدته بجميع
شؤونها نزولاً وعروجاً دنياً وآخره شهود مفصل في مجمل دفعة واحدة
كشهود المكاشف في النواة نخلًا وثماراً لا يحصى ثم كمال أسمائي هو
ظهور الذات لنفسها من حيث تفصيل اعتباراتها...» - ص ١٢٩ - .

قوله : كمال ذاتي إلى حياة ، أي الكمال الذاتي باطن الحياة التي تكون
مبدأ الرتبة الثانية فإذا تنزل الكمال الذاتي إلى الرتبة الثانية يتعين أولاً بالحياة
وبعدها بسائر الصفات والأسماء .

«... والجامع بينهما ثانياً هي الحقيقة الإنسانية التي هي باعتبار غلبة
حكم الوحدة تسمى بالحقيقة المحمدية وباعتبار غلبة حكم التفصيل
والكثره هي الحضرة العمانية...» - ص ١٣١ - .

قوله : باعتبار غلبة حكم الوحدة ، وعندي أن الحقيقة المحمدية صورة

الاسم الله الجامع لأحدية جمع الأسماء كما أنها جامعة لأحدية جمع الأعيان
وأما العماء فهي الوجهة الغيبية القدسية للاسم الله المنزهة عن كل كثرة
وتفصيل .

ثم اعلم أن لكل من هذه الأسماء الأصلية جهتين إحداها اشتمال كل
منها على الباقي مع تحقق أثر خفي من التمايز فاشتماله من أثر الجمعية
البرزخية الإنسانية وجمعيتها الحقيقية بين حكم التجلي ووحدته
الحقيقية وكثرته النسبية وبين حكم التعين وكثرته الحقيقية ووحدته
النسبية . . . - ص ١٣١-١٣٢ - .

بل الجمعية البرزخية الإنسانية وجمعها بين الوحدة والكثرة من أثر
الجمعية البرزخية الكبرى التي هي ثابتة أولاً للاسم الله الجامع الأعظم
بحسب أحد اعتباريه وثانياً لصورته التي هي العين الثابتة الجامعة لجميع
الأعيان بنحو البرزخية الحقيقية أي عدم غلبة حكم عين على الأخرى وأما
اشتمال كل من الأسماء الأصلية على الباقي فهو من جهة أخرى هي وحدتها
مع الذات واستغراقها في بحر الوجود فإن اعتبر فناؤها واضمحلالها مع عدم
الحكم والأثر لم يبق للتمايز عين ولا أثر وإلا يبقى أثر خفي له ، تأمل تعرف
وكن من الشاكرين لأنعمه تعالى .

١ . . . كما ورد في الخبر أن الله ثلاثمائة خلق من تخلق بواحد منها دخل
الجنة فقال أبو بكر هل في منها شيء يا رسول الله قال ﷺ كلها فيك
- ص ١٣٢ - .

قوله : قال ﷺ كلها فيك بحكم اضمحلال الكثرات واندكائها في
الحضرة الأحدية وفنائها فيها لدى شهود القيامة الكبرى وبهذا الاعتبار تكون
كل الصفات في كل موجود ولهذا أورد أنه تعالى أوحى إلى موسى ﷺ أن
جئ بـموجودٍ أحسن منك فأخذ برجل ميتة كلب ثم تنبه على خطئه فتركها
فأوحى الله تعالى إليه أن لو جئت بها لسقطت من مقامك فافهم ولا تغفل .
لمحرره السيد روح الله حررته في قصبة خمين في السادس والعشرين
من الجمادى الثانية ١٣٥٥ هـ - ق .

الفهرس

المقدمة	٥
الفصل الأول: في الوجود	١١
الفصل الثاني: في أسمائه وصفاته تعالى	١٣
الفصل الثالث: في الأعيان الثابتة والتنبيه	١٥
الفصل الرابع: في الجوهر والعرض على طريقة أهل الله	١٧
الفصل الخامس: في بيان العوالم الكلية	١٩
الفصل السادس: فيما يتعلق بالعالم المثالي	٢٠
الفصل السابع: في مراتب الكشف وأنواعها إجمالاً	٢١
الفصل التاسع: في بيان خلافة الحقيقة المحمدية (ص)	٢١
الفصل الثاني عشر: في النبوة والرسالة والولاية	٢٢
الفصل الآدمي فص حكمة إلهية في كلمة آدمية	٢٩
الفصل الشيثي فص حكمة نفثية في كلمة شيثية	٤٩
الفصل النوحى فص حكمة سبوحية في كلمة نوحية	٦٧
الفصل الإدريسي فص حكمة قدوسية في كلمة إدريسية	٨٣
الفصل الإبراهيمي فص حكمة مهيمية في كلمة إبراهيمية	٩٥
الفصل الإسحافي فص حكمة حقية في كلمة إسحاقية	١٠٧
الفصل الإسماعيلي فص حكمة عليية في كلمة إسماعيلية	١١٩
الفصل يعقوبى فص حكمة روحية في كلمة يعقوبية	١٢٧
الفصل اليوسفي فص حكمة نورية في كلمة يوسفية	١٣٥
الفصل اليهودي فص حكمة أحدية في كلمة هودية	١٤٩
الفصل الصالحى فص حكمة فاتحية في كلمة صالحية	١٦٧

١٧٥	الفص الشعبي فص حكمة قلبية في كلمة شعبية
١٨٧	الفص اللوطي فص حكمة ملكية في كلمة لوطية
١٩٥	الفص العزيزي فص حكمة قدرية في كلمة عزيزية
٢٠٧	الفص العيسوي فص حكمة نبوية في كلمة عيسوية
٢٢٧	الفص السليمانى فص حكمة رحمانية في كلمة سليمانية
٢٤٣	الفص الداودي فص حكمة وجودية في كلمة داودية
٢٥٣	الفص اليونسي فص حكمة نفسية في كلمة يونسية
٢٥٩	الفص الأيوبي فص حكمة غيبية في كلمة أيوبية
٢٦٧	الفص البحيوي فص حكمة جلالية في كلمة يحيوية
٢٧١	الفص الزكرياوي فص حكمة مالكية في كلمة زكرياوية
٢٧٧	الفص الإلياسي فص حكمة إيناسية في كلمة إلياسية
٢٨٧	الفص اللقمانى فص حكمة إحسانية في كلمة لقمانية
٢٩٣	الفص الهاروني فص حكمة إمامية في كلمة هارونية
٣٠١	الفص الموسوي فص حكمة علوية في كلمة موسوية
٣٢١	الفص الخالدي فص حكمة صمدية في كلمة خالدية
٣٢٣	الفص المحمدي فص حكمة فردية في كلمة محمدية
٣٣٩	تعليقات على كتاب مصباح الأنس
٣٨٧	الفهرس

